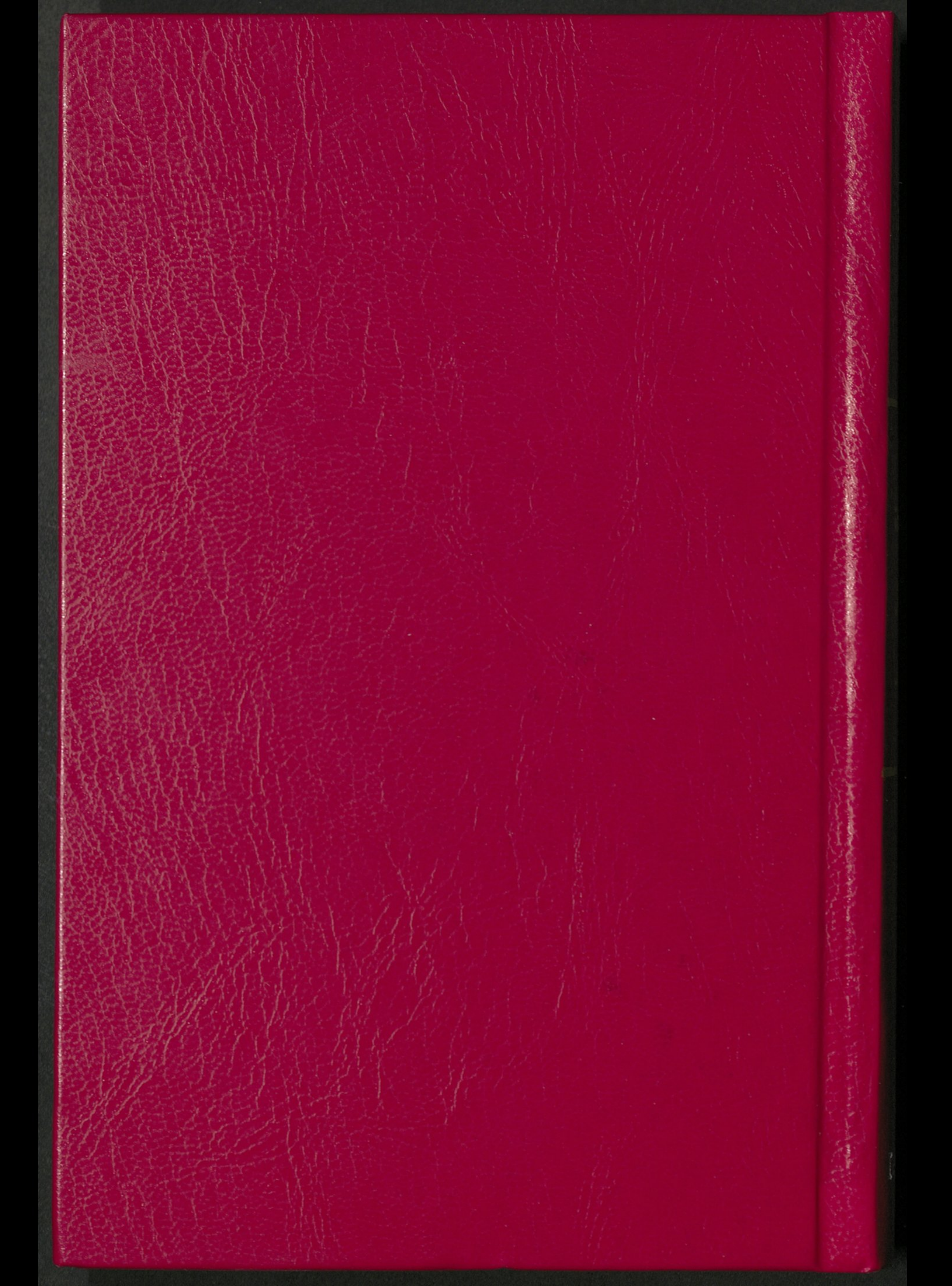
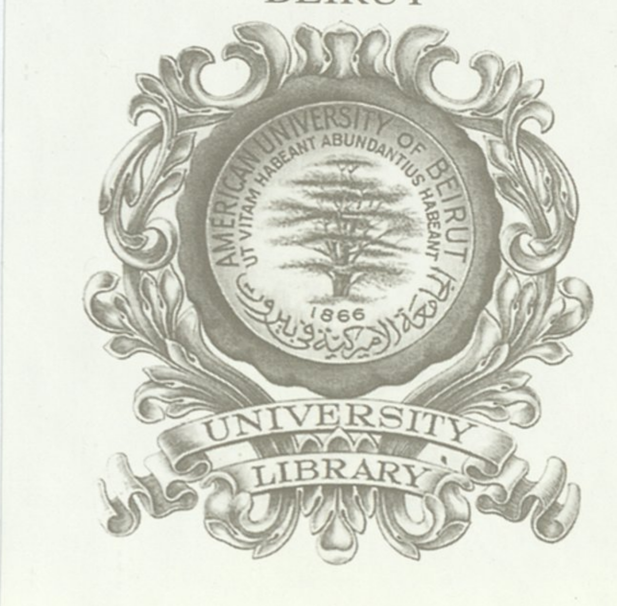



AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT
UT VITAM HABEANT ABUNDANTIUS HABEANT
1866
UNIVERSITY
LIBRARY

﴿ الجزء الاول ﴾

﴿ من مجموعة الرسائل الكبرى ﴾

﴿ تأليف ﴾

﴿ شيخ الاسلام تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم ﴾
﴿ ابن عبد السلام بن تيمية الحراني الدمشقي المتوفى ﴾
﴿ سنة ٧٢٨ رحمه الله تعالى ﴾

(الاولي)

رسالة الفرقان بين الحق والباطل

﴿ وهو مما صنفه أخيراً بقلعة دمشق المحروسة ﴾

﴿ الطبعة الاولى ﴾

(سنة ١٣٢٣)

(بالمطبعة العامرة الشرفية بمصر)

(على نفقة شركة طبع الكتب العلمية بمصر)



الحمد لله نستعينه ونستهديه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيآت أعمالنا من يهد الله فهو المهتدى ومن يضلل فلا هادى له وأشهد ان لا اله الا الله وحده لاشريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليما

قال الامام أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية رحمه الله وهو مما صنفه بقلعة دمشق أخيراً

(فصل في الفرقان بين الحق والباطل) وان الله بين ذلك بكتابه ونبيه فمن كان أعظم اتباعا لكتابه الذى أنزله ونبيه الذى أرسله كان أعظم فرقانا ومن كان أبعد عن اتباع الكتاب والرسول كان أبعد عن الفرقان واشتبه عليه الحق بالباطل كالذين اشتبه عليهم عبادة الرحمن بعبادة الشيطان والنبي الصادق بالمتنبي الكاذب وآيات النبيين بشبهات الكذابين حتى شتبه عليهم الخالق بالمخلوق فان الله سبحانه وتعالى بعث محمداً بالهدى ودين الحق ليخرج الناس من الظلمات الى النور ففرق به بين الحق والباطل والهدى والضلال والرشاد والغيّ والصدق والكذب والعلم والجهل والمعروف والمنكر وطريق أولياء الله السعداء وأعداء الله الاشقياء وبين ماعليه الناس من الاختلاف وكذلك النبيون قبله قال الله تعالى

(كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه الا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه والله يهدى من يشاء الي صراط مستقيم) وقال تعالى (تالله لقد أرسلنا الى أمم من قبلك فزين لهم الشيطان أعمالهم فهو وليهم اليوم ولهم عذاب أليم وما أنزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذى اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون) وقال سبحانه وتعالي (تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً) وقال تعالى (الم الله لااله الا هو الحى القيوم نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وأنزل التوراة والانجيل من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان

قال جماهير المفسرين هو القرآن * روى ابن أبي حاتم باسناده عن الربيع بن أنس قال هو الفرقان فرق بين الحق والباطل قال وروى عن عطاء ومجاهد ومقسم وقتادة ومقاتل بن حيان نحو ذلك وروى باسناده عن شيبان عن قتادة في قوله وأنزل الفرقان قال هو القرآن الذى أنزله الله على محمد ففرق به بين الحق والباطل وبين فيه دينه وشرع فيه شرائعه وأحل حلاله وحرم حرامه وحد حدوده وأمر بطاعته ونهى عن معصيته وعن عباد بن منصور سألت الحسن عن قوله تعالى وأنزل الفرقان قال هو كتاب بحق * والفرقان مصدر فرق فرقانا مثل الرجحان والكفران والخسران وكذلك القرآن هو في الاصل مصدر قرأ قرآنا ومنه قوله (ان علينا جمعه وقرآنه فاذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم ان علينا

بيانه) ويسمى الكلام المقروء نفسه قرآنا وهو كثير كما في قوله (فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم) كما ان الكلام هو اسم مصدر كلم تكليما وتكلم تكلما ويراد به الكلام نفسه وذلك لان الانسان اذا تكلم كان كلامه بفعل منه وحركة هي مسمى المصدر وحصل عن الحركة صوت يقطع حروفا هو نفس التكلم فالكلام والقول ونحو ذلك يتناول هذا وهذا ولهذا كان الكلام تارة يجعل نوعا من العمل اذا أريد به المصدر وتارة يجعل قسيما له اذا أريد مايتكلم به وهو يتناول هذا وهذا وهذا مبسوط في غير هذا الموضع

والمقصود هنا ان لفظ الفرقان اذا أريد به المصدر كان المراد أنه أنزل الفصل والفرق بين الحق والباطل وهذا منزل في الكتاب فان في الكتاب الفصل وانزال الفرق هو انزال الفارق وان أريد بالفرقان مايفرق فهو الفارق أيضا فهما فى المعنى سواء وان أريد بالفرقان نفس المصدر فيكون انزاله كانزال الايمان وانزال العدل فانه جعل فى القلوب التفريق بين الحق والباطل بالقرآن كما جعل فيها الايمان والعدل وهو سبحانه وتعالى أنزل الكتاب والميزان والميزان قد فسر بالعدل وفسر بانه مايوزن به ليعرف العدل وهو كالفرقان يفسر بالفرق ويفسر بما يحصل به الفرق وهما متلازمان فاذا أريد الفرق نفسه فهو نتيجة الكتاب وثمرته ومقتضاه واذا أريد الفارق فالكتاب نفسه هو الفارق ويكون له اسمان كل اسم يدل على صفة ليست هى الصفة الاخري سمي كتابا باعتبار أنه مجموع مكتوب تحفظ حروفه ويقرأ ويكتب وسمى فرقانا باعتبار أنه

يفرق بين الحق والباطل كما تقدم كما سمى هدى باعتبار أنه يهدى الى الحق وشفاء باعتبار أنه يشفي القلوب من مرض الشبهات والشهوات ونحو ذلك من أسمائه وكذلك أسماء الرسول كالمقتفى والماحى والحاشر وكذلك أسماء الله الحسنى كالرحمن والرحيم والملك والحكيم ونحو ذلك والعطف يكون لتغاير الاسماء والصفات وان كان المسمى واحداً كقوله سبح اسم ربك الأعلى الذى خلق فسوى والذى قدر فهدى *وقوله هو الاول والآخر والظاهر والباطن ونحو ذلك* وهنا ذكر أنه نزل الكتاب فانه نزله متفرقا وانه أنزل التوراة والانجيل وذكر أنه أنزل الفرقان وقد أنزل سبحانه وتعالى الايمان فى القلوب وأنزل الميزان والايمان والميزان مما يحصل به الفرقان أيضاً كما يحصل بالقرآن واذا أنزل القرآن حصل به الايمان والفرقان ونظير هذا قوله (ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان وضياء وذكرا) قيل الفرقان هو التوراة وقيل هو الحكم بنصره على فرعون كما فى قوله (ان كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان)

وكذلك قوله (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين) قيل النور هو محمد عليه الصلاة والسلام وقيل هو الاسلام وقوله (قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا اليكم نوراً مبيناً) قيل البرهان هو محمد وقيل هو الحجة والدليل وقيل القرآن والحجة والدليل يتناول الآيات التى بعث بها محمد صلى الله عليه وسلم لكنه هناك جاء بلفظ آتينا وجاءكم وهنا قال وأنزل الفرقان جاء بلفظ الانزال فلهذا شاع بينهم ان القرآن والفرقان يحصل بالعلم والبيان

كما حصل بالقرآن و يحصل بالنظر والتميز بين أهل الحق والباطل بان ينجى هؤلاء وينصرهم ويعذب هؤلاء فيكون قد فرق بين الطائفتين كما يفرق المفرق بين أولياء الله وأعدائه بالاحسان الي هؤلاء وعقوبة هؤلاء وهذا كقوله في القرآن في قوله (ان كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شيء قدير) قال الوالبى عن ابن عباس يوم الفرقان يوم بدر فرق الله فيه بين الحق والباطل قال ابن أبي حاتم وروى عن مجاهد ومقسم وعبد الله بن عبد الله والضحاك وقتادة ومقاتل بن حيان نحو ذلك وبذلك فسر أكثرهم ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا كما في قوله (ومن يتق الله يجعل له مخرجا) أى من كل ما ضاق على الناس قال الوالبى عن ابن عباس فى قوله ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا أى مخرجا قال ابن أبي حاتم وروى عن مجاهد وعكرمة والضحاك وقتادة والسدى ومقاتل بن حيان كذلك غير ان مجاهداً قال مخرجا فى الدنيا والآخرة وروى عن الضحاك عن ابن عباس قال نصراً قال وفى آخر قول ابن عباس والسدى نجاة وعن عروة بن الزبير يجعل لكم فرقانا أى فصلا بين الحق والباطل يظهر الله به حقكم ويطفيء به باطل من خالفكم وذكر البغوى عن مقاتل ابن حيان قال مخرجا فى الدنيا من الشبهات لكن قد يكون هذا تفسيرا لمراد مقاتل بن حيان كما ذكر أبو الفرج بن الجوزى عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة والضحاك وابن قتيبة أنهم قالوا هو المخرج ثم قال والمعنى يجعل لكم مخرجا في الدنيا من الضلال وليس مرادهم وانما

مرادهم المخرج المذكور في قوله ومن يتق الله يجعل له مخرجا والفرقان المذكور في قوله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان وقد ذكر عن ابن زيد أنه قال هدى في قلوبهم يعرفون به الحق من الباطل ونوعا الفرقان فرقان الهدى والبيان وهو النصر والنجاة هو نوعا الظهور في قوله تعالي هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله يظهره بالبيان والحجة والبرهان ويظهر باليد والعز والسنان وكذلك السلطان في قوله واجعل لى من لدنك سلطانا نصيراً فهذا النوع وهو الحجة والعلم كما فى قوله أم أنزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون وقوله الذين يجادلون فى آيات الله بغير سلطان أتاهم ان في صدورهم الا كبر وقوله ان هى الا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان وقد فسر السلطان بسلطان القدرة واليد وفسر بالحجة والبيان فمن الفرقان ما نعته الله به فى قوله ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون الذين يتبعون الرسول النبي الامى الذى يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التى كانت عليهم ففرق بين المعروف والمنكر امر بهذا ونهى عن هذا وبين الطيب والخبيث أحل هذا وحرم هذا

ومن الفرقان أنه فرق بين أهل الحق المهتدين المؤمنين المصلحين أهل الحسنات وبين أهل الباطل الكفار والضالين المفسدين أهل

السيآت قال تعالي أم حسب الذين اجترحوا السيآت أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء مايحكمون وقال تعالي أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الارض أم نجعل المتقين كالفجار وقال تعالى أفنجعل المسلمين كالمجرمين مالكم كيف تحكمون وقال تعالي مثل الفريقين كالاعمى والاصم والبصير والسميع هل يستويان مثلا أفلا تذكرون وقال تعالى أمّن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لايعلمون انما يتذكر أولو الالباب وقال تعالي وما يستوى الاعمى والبصير ولاالظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوى الأحياء ولا الأموات ان الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من في القبور ان أنت الا نذير انا أرسلناك بالحق بشيراً و نذيراً وقال تعالي أو من كان ميتاً فاحييناه وجعلنا له نوراً يمشى به في الناس كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها وقال تعالي أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لايستوون فهو سبحانه بين الفرق بين أشخاص أهل الطاعة لله والرسول والمعصية لله والرسول كما بين الفرق بين ماأمر به وبين مانهى عنه

وأعظم من ذلك أنه بين الفرق بين الخالق والمخلوق وان المخلوق لايجوز أن يسوى بين الخالق والمخلوق في شئ فيجعل المخلوق نداً للخالق قال تعالى(ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله) وقال تعالى(هل تعلم له سمياً ولم

يكن له كفوا أحد ليس كمثله شيء وضرب الامثال فى القرآن على من لم يفرق بل عدل بربه وسوى بينه وبين خالقه كما قالوا وهم فى النار يصطرخون فيها تالله ان كنا لفى ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين وقال تعالى أفمن يخلق كمن لايخلق أفلا تذكرون وان تعدوا نعمة الله لاتحصوها ان الله لغفور رحيم والله يعلم ماتسرون وما تعلنون والذين تدعون من دون الله لا يخلقون شيأ وهم يخلقون أموات غير أحياء وما يشعرون أيان يبعثون

فهو سبحانه الخالق العليم الحق الحى الذى لايموت ومن سواه لايخلق شيئا كما قال ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيأ لايستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب ماقدروا الله حق قدره

وهذا مثل ضربه الله فان الذباب من أصغر الموجودات وكل من يدعى من دون الله لايخلقون ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيأ لايستنقذوه منه فاذا تبين انهم لايخلقون ذبابا ولا يقدرون على انتزاع مايسلبهم فهم عن خلق غيره وعن مغالبته أعجز وأعجز

والمثل هو الاصل والنظير المشبه به كما قال ولما ضرب ابن مريم مثلا اذا قومك منه يصدون أى لما جعلوه نظيرا قاسوا عليه آلهتهم وقالوا اذا كان قد عبد وهو لا يعذب فكذلك آلهتنا فضربوه مثلا لآلهتهم وجعلوا يصدون أى يضجون ويعجبون منه احتجاجا به على الرسول والفرق بينه وبين آلهتهم ظاهر كما بينه فى قوله تعالى ان الذين سبقت

لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون وقال فى فرعون وجعلناه سلفا ومثلا للآخرين أى مثلا يعتبر به ويقاس عليه غيره فمن عمل بمثل عمله جوزى بجزائه ليتعظ الناس به فلا يعمل بمثل عمله وقال تعالى ولقد أنزلنا اليكم آيات مبينات ومثلا من الذين خلوا من قبلكم وهو ما ذكره من أحوال الامم الماضية التى يعتبر بها ويقاس عليها أحوال الامم المستقبلة كما قال لقد كان في قصصهم عبرة لاولى الالباب فمن كان من أهل الايمان قيس بهم وعلم ان الله يسعده في الدنيا والآخرة ومن كان من أهل الكفر قيس بهم وعلم ان الله يشقيه فى الدنيا والآخرة كما قال فى حق هؤلاء أكفاركم خير من أولئكم أم لكم براءة في الزبر وقد قال قد خلت من قبلكم سنن فسيروا فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين وقال في حق المؤمنين وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وقال وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات أن لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجى المؤمنين وقال في قصة أيوب رحمة من عندنا وذكرى للعابدين رحمة منا وذكرى لأولي الالباب وقال أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وقال أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا ان نصر الله قريب وقال وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك * فلفظ المثل يراد به النظير الذى يقاس عليه ويعتبر

به ويراد به مجموع القياس قال سبحانه وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم أي لا أحد يحييها وهي رميم * فمثل الخالق بالمخلوق في هذا النفي فجعل هذا مثل هذا لا يقدر على احيائها سواء نظمه قياس تمثيل أو قياس شمول كما قد بسط الكلام على هذا في غير هذا الموضع وبين ان معنى القياسين قياس بالشمول وقياس بالتمثيل وان المثل المضروب المذكور في القرآن فاذا قلت النبيذ مسكر وكل مسكر حرام وأقمت الدليل على المقدمة الكبرى بقوله صلى الله عليه وسلم كل مسكر حرام فهو كقوله صلى الله عليه وسلم قياساً على الخمر لان الخمر انما حرمت لأجل الاسكار وهو موجود في النبيذ فقوله ضرب مثل فاستمعوا له جعل ما هو من أصغر المخلوقات مثلا ونظيراً يعتبر به فاذا كان أدون خلق الله لا يقدرون على خلقه ولا منازعته فلا يقدرون على خلق ما سواه فيعلم بها من عظمة الخالق وان كل ما يعبدون من دون الله في السماء والارض لا يقدرون على ما هو أصغر مخلوقاته وقد قيل انهم جعلوا آلهتهم مثلا لله فاستمعوا لذكرها وهذا لانهم لم يفقهوا المثل الذي ضرب به الله جعلوا المشركين هم الذين ضربوا هذا المثل ومثل هذا في القرآن قد ضرب به الله يبين أنه لا يقاس المخلوق بالخالق ويجعل له ندا ومثلا كقوله قل من يرزقكم من السماء والارض أم من يملك السمع والابصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الامر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق الا الضلال فأنى تصرفون كذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا انهم

لا يؤمنون قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده فانى تؤفكون قل هل من شركائكم من يهدى الى الحق قل الله يهدى للحق أفمن يهدى الى الحق أحق أن يتبع أم من لا يهدى الا أن يهدى فما لكم كيف تحكمون وما يتبع أكثرهم الا ظنا ان الظن لا يغنى من الحق شيأ ان الله عليم بما يفعلون

ولما قرر الوحدانية قرر النبوة كذلك فقال وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل الكتاب لاريب فيه من رب العالمين أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة من مثله وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله وهؤلاء مثلوا المخلوق بالخالق وهذا من تكذيبهم اياه ولم يكن المشركون يسوون بين آلهتهم و بين الله في كل شيء بل كانوا يؤمنون بان الله هو الخالق المالك لهم وهم مخلوقون مملوكون له ولكن كانوا يسوون بينه وبينها في المحبة والتعظيم والدعاء والعبادة والنذر لها ونحو ذلك مما يخص به الرب فمن عدل بالله غيره في شيء من خصائصه سبحانه وتعالى فهو مشرك بخلاف من لا يعدل به ولكن يذنب مع اعترافه بان الله ربه وحده وخضوعه له خوفا من عقوبة الذنب فهذا يفرق بينه وبين من لا يعترف بتحريم ذلك

﴿ فصل ﴾ وهو سبحانه وتعالى كما يفرق بين الامور المختلفة فانه يجمع ويسوى بين الامور المتماثلة فيحكم في الشيء خلقا وأمرا بحكم مثله لا يفرق بين متماثلين ولا يسوى بين شيئين غير متماثلين بل ان كانا

مختلفين متضادين لم يسو بينهما

ولفظ الاختلاف في القرآن يراد به التضاد والتعارض لا يراد به مجرد عدم التماثل كما هو اصطلاح كثير من النظار ومنه قوله ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيراً وقوله انكم لفي قول مختلف يؤفك عنه من أفك وقوله ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر

وقد بين سبحانه وتعالي ان السنة لا تتبدل ولا تتحول في غير موضع

* والسنة هي العادة التي تتضمن أن يفعل في الثاني مثل مافعل بنظيره الاول ولهذا أمر سبحانه وتعالى بالاعتبار وقال لقد كان في قصصهم عبرة لاولي الالباب

والاعتبار أن يقرن الشيء بمثله فيعلم أن حكمه مثل حكمه كما قال ابن عباس هلا اعتبرتم الاصابع بالاسنان فاذا قال فاعتبروا ياأولى الابصار وقال لقد كان في قصصهم عبرة لاولى الالباب أفاد أن من عمل مثل أعمالهم جوزى مثل جزائهم ليحذر أن يعمل مثل أعمال الكفار وليرغب في أن يعمل مثل أعمال المؤمنين اتباع الانبياء قال تعالي قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين وقال تعالي وان كادوا ليستفزونك من الارض ليخرجوك منها واذا لايلبثون خلافك الاقليلا سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا ولا تجد لسنتنا تحويلا وقال تعالي لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لايجاورونك فيها الا قليلا

ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا وهذه الآية أنزلها الله قبل الاحزاب وظهور الاسلام وذل المنافقين فلم يستطيعوا أن يظهروا بعد هذا ما كانوا يظهرونه قبل ذلك قبل بدر وبعدها وقبل أحد وبعدها فاخفوا النفاق وكتموه فلهذا لم يقتلهم النبي صلى الله عليه وسلم

وبهذا يجيب من لم يقتل الزنادقة ويقول اذا أخفوا زندقتهم لم يمكن قتلهم ولكن اذا أظهروها قتلوا بهذه الآية بقوله ملعونين أينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا سنة الله فى الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا

قال قتادة ذكر لنا ان المنافقين كانوا يظهرون مافي أنفسهم من النفاق فاوعدهم الله بهذه الآية فلما أوعدهم بهذه الآية أسروا ذلك وكتموه سنة الله في الذين خلوا من قبل يقول هكذا سنة الله فيهم اذا أظهروا النفاق قال مقاتل ابن حيان قوله سنة الله في الذين خلوا من قبل يعنى كما قتل أهل بدر وأسروا فذلك قوله سنة الله في الذين خلوا من قبل

قال السدى كان النفاق على ثلاثة أوجه نفاق مثل نفاق عبد الله ابن أبيّ وعبد الله بن نفيل ومالك بن داعس فكان هؤلاء وجوها من وجوه الانصار فكانوا يستحيون أن يأتوا الزنا يصونون بذلك أنفسهم والذين في قلوبهم مرض قال الزناة ان وجدوه عملوا به وان لم يجدوه لم يتبعوه ونفاق يكابرون النساء مكابرة وهم هؤلاء الذين يجاسون على

الطريق ثم قال المؤمنين ثم فصلت الآية أينما ثقفوا يعملون هذا العمل مكابرة النساء * قال السدي هذا حكم في القرآن ليس يعمل به لو أن رجلا أو أكثر من ذلك اقتصوا أثر امرأة فغلبوها على نفسها ففجروا بها كان الحكم فيهم غير الجلد والرجم أن يؤخذوا فتضرب أعناقهم

قال السدي قوله سنة كذلك كان يفعل بمن مضى من الامم قال فمن كابر امرأة على نفسها فقتل فليس على قاتله دية لانه مكابر

قلت هذا على وجهين أحدهما أن يقتل دفعا لصوله عنها مثل أن يقهرها فهذا دخل في قوله من قتل دون حرمته فهو شهيد وهذه لها أن تدفعه بالقتل لكن اذا طاوعت ففيه نزاع وتفصيل وفيه قضيتان عن عمر وعلى معروفتان وأما اذا فجر بها مستكرها ولم تجد من يمنعها عليه فهؤلاء نوعان أحدهما أن يكون له شوكة كالمحاربين لاخذ المال وهؤلاء محاربون للفاحشة فيقتلوا قال السدي وقد قاله غيره وذكر أبو اللولى ان هذه جرت عنده ورأى ان هؤلاء أحق بأن يكونوا محاربين والثاني أن لا يكونوا ذوى شوكة بل يفعلون ذلك غيلة واحتيالا حتى اذا صارت عندهم المرأة أكرهوها فهذا المحارب غيلة كما قال السدي يقتل أيضا وان كانوا جماعة في المصر فهم كالمحاربين في المصر وهذه المسائل لها مواضع أخر

والمقصود ان الله أخبر ان سنته لن تبدل ولن تتحول وسنته عادته التي يسوى فيها بين الشيء وبين نظيره الماضي وهذا يقتضي انه سبحانه يحكم في الامور المتماثلة بأحكام متماثلة ولهذا قال أكفاركم خير من أولئكم وقال احشروا الذين ظلموا وأزواجهم أى أشباههم ونظراءهم

وقال واذا النفوس زوجت قرن النظير بنظيره وقال تعالى أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم وقال قد كانت لكم اسوة حسنة فى ابراهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا وقال والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم

فجعل التابعين لهم باحسان مشاركين لهم فيما ذكر من الرضوان والجنة وقد قال تعالي والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم وقال تعالى والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفرلنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولاتجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤف رحيم وقال تعالى وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم فمن اتبع السابقين الاولين كان منهم وهم خير الناس بعد الانبياء فان أمة محمد خير أمة أخرجت للناس وأولئك خير أمة محمد كما ثبت في الصحاح من غير وجه ان النبي صلي الله عليه وسلم قال خير القرون القرن الذى بعثت فيهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم * ولهذا كان معرفة أقوالهم فى العلم والدين وأعمالهم خيرا وأنفع من معرفة أقوال المتأخرين وأعمالهم في جميع علوم الدين وأعماله كالتفسير وأصول الدين وفروعه والزهد والعبادة والاخلاق والجهاد وغير ذلك فانهم أفضل ممن بعدهم كما دل عليه الكتاب والسنة فالاقتداء بهم خير من الاقتداء بمن بعدهم ومعرفة

اجماعهم ونزاعهم في العلم والدين خير وأنفع من معرفة مايذكر من اجماع غيرهم ونزاعهم

وذلك أن اجماعهم لايكون الا معصوما واذا تنازعوا فالحق لايخرج عنهم فيمكن طلب الحق في بعض أقاويلهم ولا يحكم بخطأ قول من أقوالهم حتى يعرف دلالة الكتاب والسنة على خلافه قال تعالى أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم فان تنازعتم فى شئ فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا

وأما المتأخرون الذين لم يتحروا متابعتهم وسلوك سبيلهم ولا لهم خبرة بأقوالهم وأفعالهم بل هم في كثير مما يتكلمون به في العلم ويعملون به ولا يعرفون طريق الصحابة والتابعين في ذلك من أهل الكلام والرأى والزهد والتصوف فهؤلاء تجد عمدتهم فى كثير من الأمور المهمة فى الدين انما هو عما يظنونه من الاجماع وهم لا يعرفون في ذلك أقوال السلف البتة أو عرفوا بعضها ولم يعرفوا سائرها فتارة يحكون الاجماع ولا يعلمون الا قولهم وقول من ينازعهم من الطوائف المتأخرين طائفة أو طائفتين أو ثلاث وتارة عرفوا أقوال بعض السلف والاول كثير في مسائل أصول الدين وفروعه كما تجد كتب أهل الكلام مشحونة بذلك يحكون اجماعا ونزاعا ولا يعرفون ماقال السلف في ذلك البتة بل قد يكون قول السلف خارجا عن أقوالهم كما تجد ذلك في مسائل أقوال الله وأفعاله وصفاته مثل مسئلة القرآن والرؤية والقدر وغير ذلك وهم

اذا ذكروا اجماع المسلمين لم يكن لهم علم بهذا الاجماع فانه لو أمكن العلم باجماع المسلمين لم يكن هؤلاء من أهل العلم به لعدم علمهم بأقوال السلف فكيف اذا كان المسلمون يتعذر القطع باجماعهم فى مسائل النزاع بخلاف السلف فانه يمكن العلم باجماعهم كثيرا واذا ذكروا نزاع المتأخرين لم يكن بمجرد ذلك أن يجعل هذه من مسائل الاجتهاد التى يكون كل قول من تلك الاقوال سائغا لم يخالف اجماعا لان كثيرا من أصول المتأخرين محدث مبتدع في الاسلام مسبوق باجماع السلف على خلافه والنزاع الحادث بعد اجماع السلف خطأ قطعا كخلاف الخوارج والرافضة والقدرية والمرجئة ممن قد اشتهرت لهم أقوال خالفوا فيها النصوص المستفيضة المعلومة واجماع الصحابة بخلاف مايعرف من نزاع السلف فانه لايمكن أن يقال انه خلاف الاجماع وانما يرد بالنص واذا قيل قد أجمع التابعون على أحد قوليهم فارتفع النزاع فمثل هذا مبني على مقدمتين احداهما العلم بأنه لم يبق فى الامة من يقول بقول الآخر وهذا متعذر* الثانى ان مثل هذا هل يرفع النزاع مشهور فنزاع السلف يمكن القول به اذا كان معه حجة ذ على خلافه ونزاع المتأخرين لايمكن هذا لان كثيرا منه قد تقدم الاجماع على خلافه كما دلت النصوص على خلافه ومخالفة اجماع السلف خطأ قطعا وأيضا فلم يبق مسئلة فى الدين الا وقد تكلم فيها السلف فلابد أن يكون لهم قول يخالف ذلك القول أو يوفقه وقد بسطنا فى غير هذا الموضع ان الصواب في أقوالهم أكثر وأحسن وان خطأهم أخف من خطأ المتأخرين وان

المتأخرين أكثر خطأ وأفحش وهـذا فى جميع علوم الدين ولهذا أمثلة كثيرة يضيق هذا الموضع عن استقصائها والله سبحانه أعلم

(فصل ومما ينبغى أن يعلم أن القرآن والحديث) اذا عرف تفسيره من جهة النبي صلي الله عليه وسلم لم يحتج في ذلك الى أقوال أهل اللغة فانه قد عرف تفسيره وما أريد بذلك من جهة النبي صلي الله عليه وسلم لم يحتج فى ذلك الى الاستدلال بأقوال أهل اللغة ولا غيرهم ولهذا قال الفقهاء الاسماء ثلاثة أنواع نوع يعرف حده بالشرع كالصلاة والزكاة ونوع يعرف حده باللغة كالشمس والقمر ونوع يعرف حده بالعرف كلفظ القبض ولفظ المعروف في قوله وعاشروهن بالمعروف

وكان من أعظم ما أنعم الله به عليهم اعتصامهم بالكتاب والسنة فكان من الاصول المتفق عليها بين الصحابة والتابعين لهم باحسان انه لا يقبل من أحد قط أن يعارض القرآن لا برأيه ولا ذوقه ولا معقوله ولا قياسه ولا وجده فانهم ثبت عنهم بالبراهين القطعيات والآيات البينات أن الرسول جاء بالهدي ودين الحق وان القرآن يهدى للتى هى أقوم فيه نبأ من قبلهم وخبر ما بعدهم وحكم ما بينهم هو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله هو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم وهو الذى لا تزيغ به الاهواء ولا تلتبس به الالسن فلا يستطيع أن يزيغه الى هواه ولا يحرف به لسانه ولا يخلق عن كثرة الترداد فاذا ردد مرة بعد مرة لم يخلق ولم يمل كغيره من الكلام . لا تنقضى عجائبه ولا تشبع منه العلماء من قال به

صدق ومن عمل به أجر ومن حكم به عدل ومن دعى اليه هدى الى صراط مستقيم

فكان القرآن هو الامام الذى يقتدى به ولهذا لا يوجد فى كلام أحد من السلف أنه عارض القرآن بعقل ورأى، وقياس ولا بذوق ووجد ومكاشفة ولا قال قط قد تعارض في هذا العقل والنقل فضلا عن أن يقول فيجب تقديم العقل والنقل يعني القرآن والحديث وأقوال الصحابة والتابعين اما أن يفوض واما أن يؤول * ولا فيهم من يقول ان له ذوقا أو وجدا أو مخاطبة أو مكاشفة تخالف القرآن والحديث فضلا عن أن يدعى أحدهم انه يأخذ من حيث يأخذ الملك الذى يأتى الرسول * وانه يأخذ من ذلك المعدن علم التوحيد والانبياء كلهم يأخذون عن مشكاته أو يقول الولى أفضل من النبى ونحو ذلك من مقالات أهل الالحاد * فان هذه الاقوال لم تكن حدثت بعد في المسلمين * وانما يعرف مثل هذه اما من ملاحدة اليهود والنصارى فان فيهم من يجوز ان غير النبي أفضل من النبي كما قد يقوله فى الحواريين فانهم عندهم رسل وهم يقولون أفضل من داود وسليمان بل ومن ابراهيم وموسى وان سموهم أنبياء الى أمثال هذه الامور * ولم يكن السلف يقبلون معارضة الآية الا بآية أخرى تفسرها وتنسخها أو بسنة الرسول صلى الله عليه وسلم تفسرها * فان سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم تبين القرآن وتدل عليه وتعبر عنه وكانوا يسمون ما عارض الآية ناسخا لها فالنسخ عندهم اسم عام لكل ما يرفع دلالة الآية على معنى باطل وان كان ذلك المعنى لم يرد بها

وان كان لا يدل عليه ظاهر الآية بل قد وقد فهمه منها قوم فيسمون مارفع ذلك الابهام والافهام نسخا هذه التسمية لا تؤخذ عن كل واحد منهم وأصل ذلك الشيطان ثم يحكم الله آياته فما ألقاه الشيطان في الاذهان من ظن دلالة الآية على معنى لم يدل عليه سمى هؤلاء ما يرفع ذلك الظن نسخا كما سموا قوله فاتقوا الله مااستطعتم ناسخا لقوله فاتقوا الله حق تقاته وقوله لا يكلف الله نفسا الا وسعها ناسخا لقوله ان تبدوا مافى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء وامثال ذلك مما ليس هذا موضع بسطه

اذ المقصود انهم كانوا متفقين على ان القرآن لا يعارضه الا قرآن لا رأى ومعقول وقياس ولا ذوق ووجد والهام ومكاشفة

وكانت البدع الاولى مثل بدعة الخوارج انما هى من سوء فهمهم للقرآن لم يقصدوا معارضته لكن فهموا منه مالم يدل عليه فظنوا انه يوجب تكفير أرباب الذنوب اذ كان المؤمن هو البر التقى قالوا فمن لم يكن برا تقياً فهو كافر وهو مخلد في النار ثم قالوا وعثمان وعلى ومن والاهما ليسوا بمؤمنين لانهم حكموا بغير ما أنزل الله فكانت بدعتهم لها مقدمتان الواحدة ان من خالف القرآن بعمل أو برأى أخطأ فيه فهو كافر والثانية ان عثمان وعليا ومن والاهما كانوا كذلك ولهذا يجب الاحتراز من تكفير المسلمين بالذنوب والخطايا فانه أول بدعة ظهرت في الاسلام فكفر أهلها المسلمين واستحلوا دماءهم وأموالهم وقد ثبت

عن النبي صلى الله عليه وسلم الاحاديث الصحيحة في ذمهم والأمر بقتالهم قال الامام أحمد بن حنبل رضي الله عنه صح فيهم الحديث من عشرة أوجه ولهذا قد أخرجها مسلم في صحيحه وأفرد البخارى قطعة منها وهم مع هذا الذم انما قصدوا اتباع القرآن فكيف بمن يكون بدعته معارضة القرآن والاعراض عنه وهو مع ذلك يكفر المسلمين كالجهمية ثم الشيعة لما حدثوا لم يكن الذي ابتدع التشيع قصده الدين بل كان غرضه فاسداً وقد قيل انه كان منافقاً زنديقاً فاصل بدعتهم مبنية على الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وتكذيب الأحاديث الصحيحة ولهذا لا يوجد في فرق الامة من الكذب أكثر مما يوجد فيهم بخلاف الخوارج فانه لا يعرف فيهم من يكذب

﴿ والشيعة ﴾ لا يكاد يوثق برواية أحد منهم من شيوخهم لكثرة الكذب فيهم ولهذا أعرض عنهم أهل الصحيح فلا يروى البخارى ومسلم أحاديث على الا عن أهل بيته كاولاده مثل الحسن والحسين ومثل محمد ابن الحنفية وكاتبه عبيد الله بن أبي رافع أو أصحاب ابن مسعود وغيرهم مثل عبيدة السلمانى والحرث التيمى وقيس بن عباد وأمثالهم اذ هؤلاء صادقون فيما يروونه عن على فلهذا أخرج أصحاب الصحيح حديثهم

وهاتان الطائفتان الخوارج والشيعة حدثوا بعد مقتل عثمان وكان المسلمون في خلافة أبي بكر وعمر وصدرا من خلافة عثمان في السنة الاولى من ولايته متفقين لا تنازع بينهم ثم حدث فى أواخر خلافة عثمان أمور أوجبت نوعا من التفرق وقام قوم من أهل الفتنة والظلم فقتلوا

عثمان فتفرق المسلمون بعد مقتل عثمان ولما اقتتل المسلمون بصفين واتفقوا على تحكيم حكمين

خرجت الخوارج على أمير المؤمنين على بن أبى طالب وفارقوه وفارقوا جماعة المسلمين الى مكان يقال له حروراء فكف عنهم أمير المؤمنين وقال لكم علينا أن لا نمنعكم حقكم من الفئ ولا نمنعكم المساجد الى أن استحلوا دماء المسلمين وأموالهم فقتلوا عبد الله بن حباب وأغاروا على سرح المسلمين فعلم على أنهم الطائفة التى ذكرهم رسول الله صلي الله عليه وسلم حيث قال يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم وقراءته مع قراءتهم يقرؤن القرآن لايجاوز حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية آيتهم فيهم رجل مخدج اليد عليها بضعة عليها شعرات وفي رواية يقتلون أهل الاسلام ويدعون أهل الاوثان فخطب الناس وأخبرهم بما سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال هم هؤلاء القوم قد سفكوا الدم الحرام وأغاروا على سرح الناس فقاتلهم ووجد العلامة بعد أن كاد لا يوجد فسجد لله شكراً

وحدث فى أيامه الشيعة لكن كانوا مختفين بقولهم لا يظهرونه لعلي وشيعته بل كانوا ثلاثة طوائف

طائفة تقول انه اله وهؤلاء لما ظهر عليهم أحرقهم بالنار وخدلهم أخاديد عند باب مسجد بني كنده وقيل انه أنشد

لما رأيت الامر أمراً منكراً * أججت ناري ودعوت قنبرا

وقد روى البخاري فى صحيحه عن ابن عباس قال أتي على بزنادقة

فحرقهم بالنار ولو كنت أنا لم أحرقهم لنهي النبي صلى الله عليه وسلم أن يعذب بعذاب الله واضربت أعناقهم لقوله من بدل دينه فاقتلوه

وهذا الذي قاله ابن عباس هو مذهب أكثر الفقهاء وقد روى أنه أجلهم ثلاثا

(والثانية) السابة وكان قد بلغه عن أبي السوداء انه كان يسب أبا بكر وعمر فطلبه قيل انه طلبه ليقتله فهرب منه

(والثالثة) المفضلة الذين يفضلونه على أبى بكر وعمر فتواتر عنه انه قال خير هذه الامة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر وروى ذلك البخاري فى صحيحه عن محمد بن الحنفية انه سأل أباه من خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبو بكر قال ثم من قال عمر وكانت الشيعة الاولى لا يتنازعون فى تفضيل أبي بكر وعمر وانما كان النزاع في على وعثمان ولهذا قال شريك ابن عبد الله ان أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر وعمر فقيل له تقول هذا وأنت من الشيعة فقال كل الشيعة كانوا على هذا وهو الذي قال هذا على اعواد منبره أفتكذبه فيما قال ولهذا قال سفيان الثورى من فضل عليا على أبى بكر وعمر فقد أزرى بالمهاجرين والانصار وما أرى يصعد له الى الله عز وجل عمل وهو كذلك رواه أبو داود في سننه وكانه يعرض بالحسن بن صالح بن حى فان الزيدية الصالحة وهم أصلح طوائف الزيدية ينسبون اليه

ولكن الشيعة لم يكن لهم في ذلك الزمان جماعة المسلمين ولا امام ولا دار ولا سيف يقاتلون به المسلمين وانما كان هذا للخوارج تميزوا

بالامام والجماعة والدار وسموا دارهم دار الهجرة وجعلوا دار المسلمين دار كفر وحرب

وكلا الطائفتين تطعن بل تكفر ولاة المسلمين وجمهور الخوارج يكفرون عثمان وعليا ومن تولاهما والرافضة يلعنون أبا بكر وعمر وعثمان ومن تولاهما ولكن الفساد الظاهر كان في الخوارج من سفك الدماء وأخذ الاموال والخروج بالسيف فلهذا جاءت الاحاديث الصحيحة بقتالهم والاحاديث في ذمهم والامر بقتالهم كثيرة جداً وهي متواترة عند أهل الحديث مثل أحاديث الرؤية وعذاب القبر وفتنه وأحاديث الشفاعة والحوض

(وقد رويت أحاديث في ذم القدرية والمرجئة) روى بعضها أهل السنن كابى داود وابن ماجه وبعض الناس يثبتها ويقويها ومن العلماء من طعن فيها وضعفها ولكن الذى ثبت فى ذم القدرية ونحوهم هو عن الصحابة كابن عمر وابن عباس

(وأما لفظ الرافضة) فهذا اللفظ أول ما ظهر في الاسلام لما خرج زيد بن على بن الحسين فى أوائل المائة الثانية فى خلافة هشام بن عبد الملك واتبعه الشيعة فسئل عن أبى بكر وعمر فتولاهما وترحم عليهما فرفضه قوم فقال رفضتمونى رفضتموني فسموا الرافضة فالرافضة تتولى أخاه أبا جعفر محمد بن علي زيديه والزيدية يتولونه وينسبون اليه ومن حينئذ انقسمت الشيعة الى زيدية والرافضة امامية

(ثم فى آخر عصر الصحابة حدثت القدرية)وأصل بدعتهم كانت من

عجز عقولهم عن الايمان بقدر الله والايمان بامره ونهيه ووعده ووعيده وظنوا ان ذلك ممتنع وكانوا قد آمنوا بدين الله وأمره ونهيه ووعده ووعيده وظنوا أنه اذا كان كذلك لم يكن قد علم قبل الامر من يطيع ومن يعصى لانهم ظنوا أن من علم ماسيكون لم يحسن منه أن يأمر وهو يعلم أن المأمور يعصيه ولا يطيعه وظنوا ايضا انه اذا علم انهم يفسدون لم يحسن أن يخلق من يعلم انه يفسد فلما بلغ قولهم بانكار القدر السابق للصحابة أنكروا انكارا عظيما وتبرؤا منهم حتي قال عبد الله بن عمر أخبر أولئك أني برىء منهم وانهم مني برآء والذى يحلف به عبد الله بن عمر لو أن لاحدهم مثل أحد ذهبا فانفقه ماقبله الله منه حتى يؤمن بالقدر وذكر عن أبيه حديث جبريل وهذا أول حديث في صحيح مسلم وقد أخرجه البخارى ومسلم من طريق أبي هريرة أيضاً مختصرا

ثم كثر الخوض فى القدر وكان أكثر الخوض فيه بالبصرة والشام وبعضه فى المدينة فصار مقتصدوهم وجمهورهم يقرون بالقدر السابق وبالكتاب المتقدم وصار نزاع الناس في الارادة وخلق أفعال العباد فصاروا فى ذلك حزبين * النفاة يقولون لاارادة الا بمعنى المشيئة وهو لم يرد الا ماأمر به ولم يخلق شيأ من أفعال العباد * وقابلهم الخائضون في القدر من المجبرة مثل الجهم بن صفوان وأمثاله فقالوا ليست الارادة الا بمعني المشيئة والامر والنهي لايستلزم ارادة وقالوا العبد لافعل له البتة ولا قدرة بل الله هو الفاعل القادر فقط وكان جهم مع ذلك ينفى الاسماء والصفات يذكر عنه انه قال لايسمى الله شيأ ولا غير ذلك من

الاسماء التى تسمى بها العباد الا القادر فقط لان العبد ليس بقادر
* وكانت الخوارج قد تكلموا في تكفير أهل الذنوب من أهل القبلة وقالوا انهم كفار مخلدون في النار فخاض الناس فى ذلك وخاض فى ذلك القدرية بعد موت الحسن البصرى فقال عمرو بن عبيد وأصحابه لاهم مسلمون ولا كفار بل لهم منزلة بين المنزلتين وهم مخلدون فى النار فوافقوا الخوارج على أنهم مخلدون وعلي انه ليس معهم من الاسلام والايمان شئ ولكن لم يسموهم كفارا واعتزلوا حلقة أصحاب الحسن البصرى مثل قتادة وأيوب السختيانى وأمثالهما

﴿ فسموا معتزلة من ذلك الوقت بعد موت الحسن ﴾ وقيل ان قتادة كان يقول أولئك المعتزلة

وتنازع الناس في الاسماء والاحكام أى فى أسماء الدين مثل مسلم ومؤمن وكافر وفاسق وفى أحكام هؤلاء فى الدنيا والآخرة فالمعتزلة وافقوا الخوارج على حكمهم فى الآخرة دون الدنيا فلم يستحلوا من دمائهم وأموالهم مااستحلته الخوارج وفي الاسماء أحدثوا المنزلة بين المنزلتين وهذه خاصة المعتزلة التي انفردوا فيها وسائر أقوالهم قد شاركهم فيها غيرهم

﴿ وحدثت المرجئة ﴾ وكان أكثرهم من أهل الكوفة ولم يكن أصحاب عبد الله من المرجئة ولا ابراهيم النخعي وأمثاله فصاروا نقيض الخوارج والمعتزلة فقالوا ان الاعمال ليست من الايمان وكانت هذه البدعة أخف البدع فان كثيرا من النزاع فيها نزاع في الاسم واللفظ

دون الحكم اذ كان الفقهاء الذين يضاف اليهم هذا القول مثل حماد بن
أبى سليمان وأبى حنيفة وغيرهما هم مع سائر أهل السنة متفقين على ان
الله يعذب من يعذبه من أهل الكبائر بالنار ثم يخرجهم بالشفاعة كما
جاءت الاحاديث الصحيحة بذلك وعلي انه لابد فى الايمان أن يتكلم
بلسانه وعلى ان الاعمال المفروضة واجبة وتاركها مستحق للذم والعقاب
فكان فى الاعمال هل هى من الايمان وفي الاستثناء ونحو ذلك وعامته
نزاع لفظى فان الايمان اذا أطلق دخلت فيه الاعمال لقول النبي صلى
الله عليه وسلم الايمان بضع وستون شعبة أو بضع وسبعون شعبة
أعلاها قول لااله الا الله وأدناها اماطة الاذى عن الطريق والحياء
شعبة من الايمان واذا عطف عليه العمل كقوله ان الذين آمنوا وعملوا
الصالحات فقد ذكر مقيدا بالعطف فهنا قد يقال الاعمال دخلت فيه
وعطفت عطف الخاص على العام وقد يقال لم تدخل فيه ولكن مع العطف
كما في اسم الفقير والمسكين اذا أفرد أحدهما تناول الآخر واذا عطف
أحدهما على الآخر فهما صنفان كما في آية الصدقات كقوله انما الصدقات
للفقراء والمساكين وكما فى آية الكفارة كقوله فكفارته اطعام عشرة
مساكين وفى قوله وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم فالفقير
والمسكين شيء واحد وهذا التفصيل فى الايمان هو كذلك فى لفظ البر
والتقوي والمعروف وفي الاثم والعدوان والمنكر تختلف دلالتها في
الافراد والاقتران لمن تدبر القرآن وقد بسط هذا بسطاً كبيرا في
الكلام على الايمان وشرح حديث جبريل الذي فيه بيان ان الايمان

أصله في القلب وهو الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله كما في المسند
عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال الاسلام علانية والايمان في القلب
وقد قال صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح ألا ان في الجسد مضغة
اذا صلحت صلح لها سائر الجسد واذا فسدت فسد لها سائر الجسد ألا
وهى القلب فاذا كان الايمان في القلب فقد صلح القلب فيجب أن يصلح
سائر الجسد فلذلك هو ثمرة مافي القلب فلهذا قال بعضهم الاعمال
ثمرة الايمان وصحته لما كانت لازمة لصلاح القلب دخلت فى الاسم كما
نطق بذلك الكتاب والسنة في غير موضع وفى الجملة الذين رموا
بالارجاء من الاكابر مثل طلق بن حبيب وابراهيم التيمى ونحوهما كان
ارجاؤهم من هذا النوع

﴿ وكانوا أيضا ﴾ لايستثنون في الايمان وكانوا يقولون الايمان هو
الايمان الموجود فينا ونحن نقطع بانا مصدقون ويرون الاستثناء شكا
وكان عبد الله بن مسعود وأصحابه يستثنون وقد روى في حديث انه
رجع عن ذلك لما قال له بعض أصحاب معاذ ماقال لكن أحمد أنكر هذا
وضعف هذا الحديث وصار الناس في الاستثناء على ثلاثة أقوال قول
انه يجب الاستثناء ومن لم يستثن كان مبتدعا وقول ان الاستثناء محظور
فانه يقتضى الشك في الايمان والقول الثالث أوسطها وأعدلها انه يجوز
الاستثناء باعتبار وتركه باعتبار فاذا كان مقصوده انى لاأعلم انى قائم في
كل ماأوجب الله على وانه يقبل أعمالى ليس مقصوده الشك فيما فى
قلبه فهذا استثناؤه حسن وقصده أن لايزكي نفسه وأن لايقطع بأنه

عمل عملا كما أمر فقبل منه والذنوب كثيرة والنفاق مخوف على عامة الناس قال ابن أبي مليكة أدركت ثلاثين من أصحاب محمد كلهم يخاف النفاق على نفسه لايقول واحد منهم ان ايمانه كايمان جبريل وميكائيل والبخارى في أول صحيحه بوب أبوابا في الايمان والرد على المرجئة وقد ذكر بعض من ضعف في هذا الباب من أصحاب أبى حنيفة قال وأبو حنيفة وأبو يوسف ومحمد كرهوا أن يقول الرجل ايمانى كايمان جبريل وميكائيل قال محمد لانهم أفضل يقينا أو ايماني كايمان جبريل أو ايمانى كايمان أبى بكر أو كايمان هذا ولكن يقول آمنت بما آمن به جبريل وأبو بكر

وأبو حنيفة وأصحابه لايجوزون الاستثناء فى الايمان بكون الاعمال منه ويذمون المرجئة والمرجئة عندهم الذين لايوجبون الفرائض ولا اجتناب المحارم بل يكتفون بالايمان وقد علل تحريم الاستثناء فيه بانه لايصح تعليقه علي الشرط لان المعلق على الشرط لايوجد الا عند وجوده كما قالوا في قوله أنت طالق ان شاء الله فاذا علق الايمان بالشرط كسائر المعلقات بالشرط لايحصل الا عند حصول الشرط قالوا وشرط المشيئة الذي يترجاه القائل لايتحقق حصوله الى يوم القيامة فاذا علق العزم بالفعل على التصديق والاقرار فقد ظهرت المشيئة وصح العقد فلا معني للاستثناء ولان الاستثناء عقيب الكلام يرفع الكلام فلا يبقى الاقرار بالايمان والعقد مؤمنا وربما يتوهم هذا القائل القارن بالاستثناء علي الايمان بقاء التصديق وذلك يزيله

﴿ قلت ﴾ فتعليلهم في المسئلة انما يتوجه فيمن يعلق انشاء الايمان

علي المشيئة كالذى يريد الدخول فى الاسلام فيقال له آمن فيقول أنا أو من ان شاء الله أو آمنت ان شاء الله أو أسلمت ان شاء الله أو أشهد ان شاءالله أن لااله الاالله وأشهد ان شاء الله أن محمدا رسول الله والذين استثنوا من السلف والخلف لم يقصدوا فى الانشاء وانما كان استثناؤهم في اخباره عما قد حصل له من الايمان فاستثنوا اما ان الايمان المطلق يقتضي دخول الجنة وهم لايعلمون الخاتمه كانه اذا قيل للرجل أنت مؤمن قيل له أنت عند الله مؤمن من أهل الجنة فيقول أنا كذلك انشاء الله أو لانهم لايعرفون انهم أتوا بكمال الايمان الواجب ولهذا كان من جواب بعضهم اذا قيل له أنت مؤمن آمنت بالله وملائكته وكتبه فيجزم بهذا ولا يعلقهأو يقول ان كنت تريد الايمان الذى يعصم دمي ومالى فأنا مؤمن وان كنت تريد قوله انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلي ربهم يتوكلون الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون أولئك هم المؤمنون حقا وقوله انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله أولئك هم الصادقون فأنا مؤمن ان شاء الله وأما الاستثناء لم يستثن فيه أحد ولا شرع الاستثناء فيه بل كل من آمن وأسلم آمن وأسلم جزما بلا تعليق

فتبين ان النزاع فى المسئلة قد يكون لفظيا فان الذي حرمه هؤلاء غير الذى استحسنه وأمر به أولئك ومن جزم جزم بما فى قلبه من

الحال وهذا حق لاينافي تعليق الكمال والعاقبة ولكن هؤلاء عندهم الاعمال ليست من الايمان فصار الايمان هو الاسلام عند أولئك

(والمشهور عند أهل الحديث أنه لايستثني فى الاسلام) وهو المشهور عن أحمد رضى الله عنه وقد روي عنه فيه الاستثناء كما قد بسط هذا فى شرح حديث جبريل وغيره من نصوص الايمان التى فى الكتاب والسنة

(ولو قال لامرأته أنت طالق ان شاء الله) ففيه نزاع مشهور وقد رجحنا التفصيل وهو ان الكلام يراد به شيآن يراد به ايقاع الطلاق تارة ويراد به منع ايقاعه تارة فان كان مراده أنت طالق بهذ اللفظ فقوله ان شاء الله مثل قوله بمشيئة الله وقد شاء الله الطلاق حين أتي بالتطليق فيقع وان كان قد علق لئلا يقع أو علقه على مشيئة توجد بعد هذا لم يقع به الطلاق حتى يطلق بعد هذا فانه حينئذ شاء الله أن يطلق وقول من قال المشيئة تنجزه ليس كما قال بل نحن نعلم قطعا أن الطلاق لايقع الا اذا طلقت المرأة بان يطلقها الزوج أو من يقوم مقامه من ولى أو وكيل فاذا لم يوجد تطليق لم يقع طلاق قط فاذا قال أنت طالق ان شاء الله وقصد حقيقة التعليق لم يقع الا بتطليق بعد ذلك وكذلك اذا قصد تعليقه لئلا يقع الآن وأما ان قصد ايقاعه الآن وعلقه بالمشيئة توكيدا وتحقيقا فهذا يقع به الطلاق

وما أعرف أحداً أنشأ الايمان فعلقه على المشيئة فاذا علقه فان كان مقصوده أنا مؤمن ان شاء الله أنا أو من بعد ذلك فهذا لم يصر مؤمنا

مثل الذى يقال له هـل تصير من أهل دين الاسلام فقال اصير ان شاء الله فهـذا لم يسلم بل هو باق على الكفر وان كان قصـده انى قد آمنت وايمانى بمشيئة الله صار مؤمنا لكن اطلاق اللفظ يحتمل هـذا وهـذا فلا يجوز اطلاق مثـل هـذا اللفظ في الانشاء وأيضا فان الاصـل انه انما يعلق بالمشيئة ما كان مستقبلا فأما الماضى والحاضر فلا يعلق بالمشيئة والذين استثنوا لم يستثنوا في الانشاء كما تقدم كيف وقد أمروا أن يقولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وقال تعالى آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله فأخبر انهـم آمنوا فوقع الايمان منهم قطعا بلا استثناء

وعلى كل أحد أن يقول آمنا بالله وما أنزل الينا كما أمر الله بلا استثناء وهذا متفق عليه بين المسلمين ما استثنى أحد من السلف قط في مثل هذا وانما الكلام اذا أخبر عن نفسه بأنه مؤمن كما يخبر عن نفسـه بأنه برتقى فيقول القائل له أنت مؤمن هو عندهم كقوله هل أنت برّ تقى فاذا قال أنا برّ تقى فقد زكى نفسه فيقول ان شاء الله وأرجو أن أكون كذلك وذلك ان الايمان التام يتعقبه قبول الله له وجزاؤه عليه وكتابة الملك له فالاستثناء يعود الى ذلك لا الى ما علمه هو من نفسه وحصـل واستقر فان هذا لا يصح تعليقه بالمشيئة بل يقال هذا حاصل بمشيئة الله وفضله واحسانه وقوله فيه ان شاء الله بمعنى اذ شاء الله وذلك تحقيق لا تعليق والرجـل قد يقول والله ليكونن كذا ان شاء الله وهو جازم

بأنه يكون فالمعلق هو الفعل كقوله لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله والله عالم بأنهم سيدخلونه وقد يقول الآدمي لأفعلن كذا ان شاء الله وهو لايجزم بأنه يقع لكن يرجوه فيقول يكون ان شاء الله ثم عزمه عليه قد يكون جازما ولكن لايجزم بوقوع المعزوم عليه وقد يكون العزم مترددا معلقا بالمشيئة أيضا ولكن متي كان المعزوم عليه معلقا لزم تعليق بقاء العزم فانه بتقدير ان تعليق العزم ابتداء أودواما فى مثل ذلك ولهذا لم يحنث المطلق المعلق وحرف أن لايكون لايبقى العزم فلابد اذا دخل على الماضى صار مستقبلا تقول ان جاء زيد كان كذلك فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وان تولوا فانما عليك البلاغ واذا أريد الماضى دخل حرف كان كقوله ان كنتم تحبون الله فاتبعونى فيفرق بين قوله أنامؤمن ان شاءالله وبين قوله ان كان الله شاء ايماني * وكذلك اذا كان مقصوده انى لاأعلم بماذا يختم لى كما قيل لابى مسعود ان فلانا يشهد انه مؤمن قال فليشهد أنه من أهل الجنة فهذا مراده اذا شهد انه مؤمن عندالله يموت على الايمان وكذلك ان كان مقصوده ان ايمانى حاصل بمشيئة الله * ومن لم يستثن قال أنالاأشك فى ايمان قلبى فلا جناح عليه اذا لم يزك نفسه ويقطع بأنه عامل كما أمر وقد تقبل الله عمله وان لم يقل ان ايمانه كايمان جبريل وأبى بكر وعمر ونحو ذلك من أقوال المرجئة كما كان مسعر بن كدام يقول أنالاأشك في ايمانى قال أحمد ولم يكن من المرجئة فان المرجئة الذين يقولون الاعمال ليست من الايمان وهو كان يقول هى من الايمان لكن أنالاأشك في ايمانى

وكان الثورى يقول لسفيان بن عيينة ألا تنهاه عن هذا فانهما من قبيلة واحدة وقد بسط الكلام على هذا فى غير هذا الموضع

والمقصود هنا أن النزاع فى هذا كان بين أهل العلم والدين من جنس المنازعة في كثير من الاحكام وكلهم من أهل الايمان والقرآن

﴿ وأما جهم ﴾ فكان يقول ان الايمان مجرد تصديق القلب وان لم يتكلم به وهذا القول لا يعرف عن أحد من علماء الأمة وأئمتها بل أحمد ووكيع وغيرهما كفروا من قال بهذا القول ولكن هو الذى نصره الاشعرى وأكثر أصحابه ولكن قالوا مع ذلك ان كل من حكم الشرع بكفره حكمنا بكفره واستدللنا بتكفير الشارع له على خلو قلبه من المعرفة وقد بسط الكلام على أقوالهم وأقوال غيرهم فى الايمان

والاصل الذى منه نشأ النزاع اعتقاد من اعتقد أن من كان مؤمنا لم يكن معه شيء من الكفر والنفاق وظن بعضهم ان هذا اجماع كما ذكر الاشعرى ان هذا اجماع فهذا كان أصل الارجاء كما كان أصل القدر عجزهم عن الايمان بالشرع والقدر جميعا فلما كان هذا أصلهم صاروا حزبين قالت الخوارج والمعتزلة قد علمنا يقينا أن الاعمال من الايمان فمن تركها فقد ترك بعض الايمان واذا زال بعضه زال جميعه لان الايمان لا يتبعض ولا يكون فى العبد ايمان ونفاق فيكون أصحاب الذنوب مخلدين في النار اذا كان ليس معهم من الايمان شيء وقالت المرجئة مقتصدتهم وغلاتهم كالجهمية قد علمنا ان أهل الذنوب من أهل القبلة لا يخلدون فى النار بل يخرجون منها كما تواترت بذلك الاحاديث

وعلمنا بالكتاب والسنة واجماع الأئمة انهم ليسوا كفارا مرتدين فان الكتاب قد أمر بقطع السارق لا بقتله وجاءت السنة بجلد الشارب لا بقتله فلو كان هؤلاء كفارا مرتدين لوجب قتلهم وبهذا ظهر للمعتزلة ضعف قول الخوارج فخالفوهم في أحكامهم فى الدنيا

والخوارج لايتمسكون من السنة الا بما فسر مجملها دون ماخالف ظاهر القرآن عندهم فلا يرجمون الزانى ولا يرون للسرقة نصابا وحينئذ فقد يقولون ليس فى القرآن قتل المرتد فقد يكون المرتد عندهم نوعين

وأقوال الخوارج انما عرفناها من نقل الناس عنهم لم نقف لهم على كتاب مصنف كما وقفنا على كتب المعتزلة والرافضة والزيدية والكرّامية والاشعرية والسالمية وأهل المذاهب الاربعة والظاهرية ومذاهب أهل الحديث والفلاسفة والصوفية ونحو هؤلاء وقد بسط الكلام علي تفصيل القوم في أقوال هؤلاء فى غير هذا الموضع

﴿ وان الناس فى ترتيب أهل الاهواء علي أقسام ﴾ منهم من يرتبهم علي زمان حدوثهم فيبدأ بالخوارج ومنهم من رتبهم بحسب خفة أمرهم وغلظه فيبدأ بالمرجئة ويختم بالجهمية كما فعله كثير من أصحاب أحمد رضى الله عنه كعبد الله ابنه ونحوه وكالخلال وأبى عبد الله بن بطة وأمثالهما وكابى الفرج المقدسى وكلا الطائفتين تختم بالجهمية لانهم أغلظ البدع وكالبخارى في صحيحه فانه بدأ بكتاب الايمان والرد على المرجئة وختمه بكتاب التوحيد والرد على الزنادقة والجهمية ولما صنف الكتاب في الكلام صاروا يقدمون التوحيد والصفات فيكون الكلام أولا مع

الجهمية وكذلك رتب أبو القاسم الطبرى كتابه في أصول السنة والبيهقي أفرد لكل صنف مصنفا فله مصنف في الصفات ومصنف في القدر ومصنف في شعب الايمان ومصنف في دلائل النبوة ومصنف في البعث والنشور وبسط هذه الامور له موضع آخر

والمقصود هنا أن منشأ النزاع في الاسماء والاحكام في الايمان والاسلام انهم لما ظنوا انه لا يتبعض قال أولئك فاذا فعل ذنبا زال بعضه فيزول كله فيخلد في النار فقالت الجهمية والمرجئة قد علمنا أنه ليس يخلد في النار وانه ليس كافرا مرتدا بل هو من المسلمين واذا كان من المسلمين وجب أن يكون مؤمنا تام الايمان معه بعض الايمان لان الايمان عندهم لا يتبعض فاحتاجوا أن يجعلوا الايمان شيأ واحدا يشترك فيه جميع أهل القبلة فقال فقهاء المرجئة هو التصديق بالقلب والقول باللسان فقالت الجهمية بعد تصديق اللسان قد لا يجب اذا كان الرجل أخرس أو كان مكرها فالذى لابد منه تصديق القلب وقالت المرجئة الرجل اذا أسلم كان مؤمنا قبل أن يجب عليه شئ من الافعال وأنكر كل هذه الطوائف أنه ينقص (والصحابة) قد ثبت عنهم ان الايمان يزيد وينقص وهو قول أئمة السنة وكان ابن المبارك يقول هو يتفاضل ويتزايد ويمسك عن لفظ ينقص وعن مالك في كونه لا ينقص روايتان والقرآن قد نطق بالزيادة في غير موضع ودلت النصوص على نقصه كقوله لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ونحو ذلك لكن لم يعرف هذا اللفظ الا في قوله في النساء ناقصات عقل ودين وجعل من نقصان

دينها انها اذا حاضت لا تصوم ولا تصلي وبهذا استدل غير واحد على أنه ينقص

وذلك ان أصل أهل السنة ان الايمان يتفاضل من وجهين من جهة أمر الرب ومن جهة فعل العبد أما الاول فانه ليس الايمان الذي أمر به شخص من المؤمنين هو الايمان الذي أمر به كل شخص فان المسلمين في أول الامر كانوا مأمورين بمقدار من الايمان ثم بعد ذلك أمروا بغير ذلك وأمروا بترك ما كانوا مأمورين به كالقبلة فكان من الايمان في أول الامر الايمان بوجوب استقبال بيت المقدس ثم صار من الايمان تحريم استقباله ووجوب استقبال الكعبة فقد تنوع الايمان في الشريعة الواحدة وأيضا فمن وجب عليه الحج والزكاة أو الجهاد يجب عليه من الايمان أن يعلم ما أمر به ويؤمن بان الله أوجب عليه مالا يجب على غيره الا مجملا وهذا يجب عليه فيه الايمان المفصل وكذلك الرجل أول مايسلم انما يجب عليه الاقرار المجمل ثم اذا جاء وقت الصلاة كان عليه ان يؤمن بوجوبها ويؤديها فلم يتساو الناس فيما أمروا به من الايمان وهذا من أصول غلط المرجئة فانهم ظنوا انه شيء واحد وانه يستوى فيه جميع المكلفين فقالوا ايمان الملائكة والانبياء وأفسق الناس سواء كما انه اذا تلفظ الفاسق بالشهادتين أو قرأ فاتحة الكتاب كان لفظه كلفظ غيره من الناس فيقال لهم قد تبين ان الايمان الذى أوجبه الله على عباده يتنوع ويتفاضل ويتباينون فيه تباينا عظيما فيجب على الملائكة من الايمان مالا يجب على البشر ويجب على الانبياء من الايمان

مالا يجب على غيرهم ويجب علي العلماء مالا يجب على غيرهم ويجب على الامراء مالا يجب على غيرهم وليس المراد انه يجب عليهم من العمل فقط بل ومن التصديق والاقرار فان الناس وان كان يجب عليهم الاقرار المجمل بكل ماجاء به الرسول فاكثرهم لايعرفون تفصيل كل ماأخبر به ومالم يعلموه كيف يؤمرون بالاقرار به مفصلا ومالم يؤمر به العبد من الاعمال لايجب عليه معرفته ومعرفة الآمر به فمن أمر بحج وجب عليه معرفة ماأمر به من أعمال الحج والايمان بها فيجب عليه من الايمان والعمل مالا يجب على غيره وكذلك من أمر بالزكاة يجب عليه معرفة ماأمر الله به من الزكاة ومن الايمان بذلك والعمل به مالا يجب على غيره فيجب عليه من العلم والايمان والعمل مالا يجب على غيره اذا جعل العلم والعمل ليسا من الايمان وان جعل جميع ذلك داخلا فى مسمى الايمان كان أبلغ فبكل حال قد وجب عليه من الايمان مالايجب على غيره

ولهذا كان من الناس من قد يؤمن بالرسول مجملا فاذا جاءت أمور أخرى لم يؤمن بها فيصير منافقا مثل طائفة نافقت لما حولت القبلة الى الكعبة وطائفة نافقت لما انهزمت المسلمون يوم أحد ونحو ذلك

ولهذا وصف الله المنافقين في القرآن بانهم آمنوا ثم كفروا كما ذكر ذلك في سورة المنافقين وذكر مثل ذلك فى سورة البقرة فقال مثلهم كمثل الذى استوقد نارا فلما أضاءت ماحوله ذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات لايبصرون صم بكم عمى فهم لايرجعون وقال

طائفة من السلف عرفوا ثم أنكروا وأبصروا ثم عموا .

فمن هؤلاء من كان يؤمن أولا ايمانا مجملا ثم يأتى أمورا يؤمن بها فينافق في الباطن وما يمكنه اظهار الردة بل يتكلم بالنفاق مع خاصته وهذا كما ذكر الله عنهم في الجهاد فقال واذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رأيت الذين في قلوبهم مرض ينظرون اليك نظر المغشى عليه من الموت فأولى لهم طاعة وقول معروف فاذا عزم الامر فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم

وبالجملة فلا يمكن المنازعة ان الايمان الذى أوجبه الله يتباين فيه أحوال الناس ويتفاضلون في ايمانهم ودينهم بحسب ذلك ولهذا قال النبى صلى الله عليه وسلم فى النساء ناقصات عقل ودين وقال فى نقصان دينهن انها اذا حاضت لا تصوم ولا تصلى وهذا مما أمر الله به فليس هذا النقص دينا لها تعاقب عليه لكن هو نقص حيث لم تؤمر بالعبادة في هذا الحال والرجل كامل حيث أمر بالعبادة في كل حال فدل ذلك على ان من أمر بطاعة يفعلها كان أفضل ممن لم يؤمر بها وان لم يكن عاصيا فهذا أفضل دينا وايمانا وهذا المفضول ليس بمعاقب ومذموم فهذه زيادة كزيادة الايمان بالتطوعات لكن هذه زيادة بواجب فى حق شخص وليس بواجب في حق شخص غيره فهذه الزيادة لو تركها بهذا الا يستحق العقاب بتركها وذاك لا يستحق العقاب بتركها ولكن ايمان ذلك أكمل قال النبى صلى الله عليه وسلم أكمل المؤمنين ايمانا أحسنهم خلقا

فهذا يبين تفاضل الايمان فى نفس الامر به وفي نفس الاخبار

التي يجب التصديق بها والنوع الثاني وهو تفاضل الناس في الاتيان به مع استوائهم في الواجب وهذا هو الذى يظن أنه محل النزاع وكلاهما محل النزاع وهذا أيضا يتفاضلون فيه فليس ايمان السارق والزانى والشارب كايمان غيرهم ولا ايمان من أدى الواجبات كايمان من أخل ببعضها كما انه ليس دين هذا وبره وتقواه مثل دين هذا وبره وتقواه بل هذا أفضل دينا وبرا وتقوي فهو كذلك أفضل ايمانا كما قال النبي صلى الله عليه وسلم أكمل المؤمنين ايمانا أحسنهم خلقا وقد يجتمع فى العبد ايمان ونفاق كما في الصحيحين عن النبى صلى الله عليه وسلم قال أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها اذا حدث كذب واذا اؤتمن خان واذا عاهد غدر واذا خاصم فجر

وأصل هؤلاء ان الايمان لايتبعض ولا يتفاضل بل هو شيء واحد يستوى فيه جميع العباد فيما أوجبه الرب من الايمان وفيما يفعله العبد من الاعمال فغلطوا في هذا وهذا ثم تفرقوا كما تقدم

وصارت المرجئة على ثلاثة أقوال فعلماؤهم وأئمتهم أحسنهم قولا وهو ان قالوا الايمان تصديق القلب وقول اللسان

وقالت الجهمية هو تصديق القلب فقط فمن تكلم به فهو مؤمن كامل الايمان لكن ان كان مقراً بقلبه كان من أهل الجنة وان كان مكذبا بقلبه كان منافقا مؤمناً من أهل النار

«وهذا القول هو الذى اختصت به الكرامية وابتدعوه» ولم يسبقها

أحد الي هذا القول وهو آخر ماأحدث من الاقوال في الايمان وبعض الناس يحكى عنهم ان من تكلم به بلسانه دون قلبه فهو من أهل الجنة وهو غلط عليهم بل يقولون انه مؤمن كامل الايمان وانه من أهل النار فيلزمهم ان يكون المؤمن الكامل الايمان معذباً في النار بل يكون مخلداً فيها

وقد تواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه يخرج منها من كان فى قلبه مثقال ذرة من ايمان وان قالوا الايخلد وهو منافق لزمهم أن يكون المنافقون يخرجون من النار والمنافقون قد قال الله فيهم ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا

وقد نهى الله نبيه عن الصلاة عليهم والاستغفار لهم وقال له استغفر لهم أولا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم وقال ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون وقد أخبر انهم كفروا بالله ورسوله فان قالوا هؤلاء فقد كانوا يتكلمون بألسنتهم سراً فكفروا بذلك وانما يكون مؤمناً اذا تكلم بلسانه ولم يتكلم بما ينقضه فان ذلك رده عن الايمان قيل لهم ولو أضمروا النفاق ولم يتكلموا به كانوا منافقين قال تعالي يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما فى قلوبهم قل استهزؤا ان الله مخرج ماتحذرون وأيضاً قد أخبر الله عنهم أنهم يقولون بألسنتهم ماليس فى قلوبهم وانهم كاذبون فقال تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وماهم بمؤمنين وقال تعالى اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم الاسلام علانية والايمان فى القلب وقد قال الله تعالى قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان فى قلوبكم وفي الصحيحين عن سعد ان النبي صلى الله عليه وسلم أعطي رجالا ولم يعط رجلا فقلت يارسول الله أعطيت فلانا وفلانا وتركت فلانا وهو مؤمن فقال أو مسلم مرتين أو ثلاثا وبسط الكلام في هذا له مواضع أخر وقد صنفت فى ذلك مجلداً غير ماصنفت فيه غير ذلك

وكلام الناس فى هذا الاسم ومسماه كثير لأنه قطب الدين الذي يدور عليه وليس فى القول اسم علق به السعادة والشقاء والمدح والذم والثواب والعقاب أعظم من اسم الايمان والكفر ولهذا سمى هذا الاصل مسائل الاسماء والاحكام وقد رأيت لابن الهيضم فيه مصنفاً فى أنه قول اللسان فقط ورأيت لابن الباقلانى فيه مصنفاً أنه تصديق القلب فقط وكلاهما في عصر واحد وكلاهما يرد على المعتزلة والرافضة

﴿ والمقصود هنا ان السلف كان اعتصامهم بالقرآن والايمان ﴾

فلما حدث في الامة ماحدث من التفرق والاختلاف صار أهل التفرق والاختلاف شيعاً صار هؤلاء عمدتهم فى الباطن ليست على القرآن والايمان ولكن على أصول ابتدعها شيوخهم عليها يعتمدون فى التوحيد والصفات والقدر والايمان بالرسول وغير ذلك ثم ماظنوا أنه يوافقها من القرآن احتجوا به وما خالفها تأولوه فلهذا تجدهم اذا احتجوا بالقرآن والحديث لم يعتنوا بتحرير دلالتهما ولم يستقصوا مافى القرآن

من ذلك المعنى اذ كان اعتمادهم في نفس الامر الي غير ذلك والآيات التي تخالفهم يشرعون في تأويلها شروع من قصد ردها كيف أمكن ليس مقصوده ان يفهم مراد الرسول بل ان يدفع منازعه عن الاحتجاج بها

ولهذا قال كثير منهم كأبي الحسين البصرى ومن تبعه كالرازى والآمدى وابن الحاجب ان الامة اذا اختلفت فى تأويل الآية على قولين جاز لمن بعدهم احداث قول ثالث بخلاف ماذا اختلفوا فى الاحكام على قولين فجوزوا ان تكون الامة مجتمعة على الضلال فى تفسير القرآن والحديث وان يكون الله أنزل الآية وأراد بها معنى لم يفهمه الصحابة والتابعون ولكن قالوا ان الله أراد معنى آخر وهم لو تصوروا هذه المقالة لم يقولوا هذا فان أصلهم أن الأمة لاتجتمع على ضلالة ولا يقولون قولين كلاهما خطأ والصواب قول ثالث لم يقولوه لكن قد اعتادوا ان يتأولوا ماخالفهم والتأويل عندهم مقصوده بيان احتمال في لفظ الآية يجوز ان يراد ذلك المعنى بذلك اللفظ ولم يستشعروا أن المتأول هو مبين لمراد الآية مخبر عن الله تعالى أنه أراد هذا المعنى اذا حملها على معنى وكذلك اذا قال يجوز أن يراد بهاهذا المعني والامة قبله لم يقولوا أريد بها الا هذا أو هذا فقد جوزوا أن يكون ماأراده الله لم يخبر به الامة وأخبرت أن مراده غير ماأراده لكن الذى قاله هؤلاء يتمشى اذا كان التأويل أنه يجوز أن يراد هذا المعنى من غير حكم بانه مراد وتكون الامة قبلهم كلها كانت جاهلة بمراد الله ضالة عن

معرفته وانقرض عصر الصحابة والتابعين وهم لم يعلموا الآية ولكن طائفة قالت يجوز أن يريد هذا المعنى وطائفة قالت يجوز أن يريد هذا المعنى وليس فيهم من علم المراد فجاء الثالث وقال ههنا معني يجوز ان يكون هو المراد فاذا كانت الامة من الجهل بمعانى القرآن والضلال عن مراد الرب بهذه الحال توجه ما قالوه وبسط هذا له موضع آخر

والمقصود ان كثيراً من المتأخرين لم يصيروا يعتمدون في دينهم لا على القرآن ولا على الايمان الذى جاء به الرسول بخلاف السلف فلهذا كان السلف أكمل علماً وايماناً وخطؤهم أخف وصوابهم أكثر كما قدمناه وكان الاصل الذى أسسوه هو ما أمرهم الله به فى قوله يأيها الذين آمنوا لاتقدموا بين يدى الله ورسوله واتقوا الله ان الله سميع عليم فان هذا أمر للمؤمنين بما وصف به الملائكة كما قال تعالي وقالوا اتخذ الرحمن ولداً سبحانه بل عباد مكرمون لايسبقونه بالقول وهم بامره يعملون يعلم مابين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون ومن يقل منهم انى اله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزى الظالمين فوصفهم سبحانه بانهم لا يسبقونه بالقول وانهم بامره يعملون فلا يخبرون عن شئ من صفاته ولا غير صفاته الا بعد أن يخبر سبحانه بما يخبر به فيكون خبرهم وقولهم تبعاً لخبره وقوله كما قال لايسبقونه بالقول وأعمالهم تابعة لأمره فلا يعملون الا ما أمرهم هو أن يعملوا به فهم مطيعون لأمره سبحانه وقد وصف سبحانه بذلك ملائكة النار فقال قوا أنفسكم وأهليكم ناراً

وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله
ماأمرهم ويفعلون مايؤمرون وقد ظن بعضهم ان هذا توكيد وقال
بعضهم بل لا يعصونه فى الماضى ويفعلون ما أمروا به فى المستقبل وأحسن
من هذا وهذا أن العاصى هو الممتنع من طاعة الامر مع قدرته على
الامتثال فلو لم يفعل ما أمر به لعجزه لم يكن عاصياً فاذا قال لا يعصون
الله ماأمرهم لم يكن فى هذا بيان انهم يفعلون مايؤمرون فان العاجز
ليس بعاص ولا فاعل لما أمر به فقال ويفعلون مايؤمرون ليبين
أنهم قادرون على فعل ما أمروا به فهم لايتركونه لاعجزاً ولا معصية
والمأمور انما يترك ماأمر به لأحد هذين اما أن لايكون قادراً واما أن
يكون عاصياً لايريد الطاعة فاذا كان مطيعاً يريد طاعة الأمر وهو قادر
وجب وجود فعل ماأمر به فكذلك الملائكة المذكورون لا يعصون
الله ماأمرهم ويفعلون مايؤمرون وقد وصف الملائكة بأنهم عباد
مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون يعلم مابين أيديهم وما
خلفهم ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون ومن
يقل منهم انى اله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزى الظالمين

فالملائكة مصدقون بخبر ربهم مطيعون لأمره ولا يخبرون حتي
يخبر ولا يعملون حتى يأمر كما قال تعالى لا يسبقونه بالقول وهم بأمره
يعملون وقد أمر الله المؤمنين أن يكونوا مع الله ورسوله كذلك فان
البشر لم يسمعوا كلام الله منه بل بينهم وبينه رسول من البشر فعليهم
أن لايقولوا حتي يقول الرسول مابلغهم عن الله ولا يعملون الا بما

أمرهم به كما قال تعالى ياأيها الذين آمنوا لاتقدموا بين يدى الله ورسوله واتقوا الله ان الله سميع عليم

قال مجاهد لاتفتاتوا عليه بشئ حتى يقضيه الله على لسانه تقدموا معناه تتقدموا وهو فعل لازم وقد قرئ يقدموا يقال قدم وتقدم كما يقال بين وتبين وقد يستعمل قدم متعديا أى قدم غيره لكن هنا هو فعل لازم فلا تقدموا معناه لاتتقدموا بين يدى الله ورسوله

فعلى كل مؤمن أن لايتكلم فى شئ من الدين الا تبعاً لما جاء به الرسول ولا يتقدم بين يديه بل ينظر ماقال فيكون قوله تبعاً لقوله وعلمه تبعاً لامره فهذا كان الصحابة ومن سلك سبيلهم من التابعين لهم باحسان وأئمة المسلمين فلهذا لم يكن أحد منهم يعارض النصوص بمعقوله ولا يؤسس ديناً غير ما جاء به الرسول واذا أراد معرفة شئ من الدين والكلام فيه نظر فيما قاله الله والرسول فمنه يتعلم وبه يتكلم وفيه ينظر ويتفكر وبه يستدل فهذا أصل أهل السنة وأهل البدع لايجعلون اعتمادهم فى الباطن ونفس الامر على ماتلقوه عن الرسول بل على ماروه أوذاقوه ثم ان وجدوا السنة توافقه والا لم يبالوا بذلك فاذا وجدوها تخالفه أعرضوا عنها تفويضاً أو حرفوها تأويلا

فهذا هو الفرقان بين أهل الايمان والسنة وأهل النفاق والبدعة وان كان هؤلاء لهم من الايمان نصيب وافر من اتباع السنة لكن فيهم من النفاق والبدعة بحسب ماتقدموا فيه بين يدى الله ورسوله وخالفوا الله ورسوله ثم ان لم يعلموا ان ذلك يخالف الرسول ولو علموا

لما قالوه لم يكونوا منافقين بل ناقصى الايمان مبتدعين وخطؤهم مغفور لهم لا يعاقبون عليه وان نقصوا به

(فصل) وكل من خالف ماجاء به الرسول لم يكن عنده علم بذلك ولا عدل بل لايكون عنده الا جهل وظلم وظن وما تهوي الانفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى وذلك لان ماأخبر به الرسول فهو حق باطنا وظاهرا فلا يمكن أن يتصور أن يكون الحق في نقيضه وحينئذ فمن اعتقد نقيضه كان اعتقاده باطلا والاعتقاد الباطل لايكون علما وما أمر به الرسول فهو عدل لاظلم فيه فمن نهي عنه فهو نهى عن العدل ومن أمر بضده فقد أمر بالظلم فان ضد العدل الظلم فلا يكون مايخالفه الا جهلا وظلما ظنا وما تهوى الانفس وهو لايخرج عن قسمين أحسنهما أن يكون كان شرعا لبعض الانبياء ثم نسخ وأدناها أن يكون ماشرع قط بل يكون من المبدل فكل ماخالف حكم الله ورسوله فاما شرع منسوخ واما شرع مبدل ماشرعه الله بل شرعه شارع بغير اذن من الله كما قال أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله لكن هذا وهذا قد يقعان فى خفى الامور ودقيقها باجتهاد من أصحابها استفرغوا فيه وسعهم في طلب الحق ويكون لهم من الصواب والاتباع مايغمر ذلك كما وقع مثل ذلك من بعض الصحابة فى مسائل الطلاق والفرائض ونحو ذلك ولم يكن منهم مثل هذا في جلى الامور وجليلها لان بيان هذا من الرسول كان ظاهرا بينهم فلا يخالفه الا من يخالف الرسول وهم معتصمون بحبل الله يحكمون الرسول فيما شجر بينهم لايتقدمون

بين يدى الله ورسوله فضلا عن تعمد مخالفة الله ورسوله

فلما طال الزمان خفي علي كثير من الناس ما كان ظاهرا لهم ودق على كثير من الناس ما كان جليا لهم فكثر من المتأخرين مخالفة الكتاب والسنة مالم يكن مثل هذا في السلف

وان كانوا مع هذا مجتهدين معذورين يغفر الله لهم خطاياهم ويثيبهم على اجتهادهم

وقد يكون لهم من الحسنات مايكون للعامل منهم أجر خمسين رجلا يعملها فى ذلك الزمان لانهم كانوا يجدون من يعينهم على ذلك وهؤلاء المتأخرون لم يجدوا من يعينهم علي ذلك لكن تضعيف الاجر لهم فى أمور لم يضعف للصحابة لايلزم ان يكونوا أفضل من الصحابة ولا يكون فاضلهم كفاضل الصحابة فان الذى سبق اليه الصحابة من الايمان والجهاد ومعاداة أهل الارض في موالاة الرسول وتصديقه وطاعته فيما يخبر به ويوجبه قبل أن تنتشر دعوته وتظهر كلمته وتكثر أعوانه وأنصاره وتنتشر دلائل نبوته بل مع قلة المؤمنين وكثرة الكافرين والمنافقين وانفاق المؤمنين أموالهم في سبيل الله ابتغاء وجهه فى مثل تلك الحال أمر ما بقي يحصل مثله لاحد كما فى الصحيحين عنه صلي الله عليه وسلم لا تسبوا أصحابى فوالذي نفسى بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا مابلغ مد أحدهم ولا نصيفه

وقد استفاضت النصوص الصحيحة عنه انه قال

خير القرون قرنى الذين بعثت فيهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم

فجملة القرن الاول أفضل من القرن الثانى والثانى أفضل من الثالث والثالث أفضل من الرابع لكن قد يكون في الرابع من هو أفضل من بعض الثالث وكذلك في الثالث مع الثانى وهل يكون فيمن بعد الصحابة من هو أفضل من بعض الصحابة المفضولين لا الفاضلين هذا فيه نزاع وفيه قولان حكاهما القاضى عياض وغيره ومن الناس من يفرضها في مثل معاوية وعمر بن عبد العزيز فان معاوية له مزية الصحبة والجهاد مع النبي صلى الله عليه وسلم وعمر له مزية فضيلته من العدل والزهد والخوف من الله تعالى وبسط هذا له موضع آخر

والمقصود هنا ان من خالف الرسول فلا بد أن يتبع الظن وما تهوي الانفس كما قال تعالى في المشركين الذين يعبدون اللات والعزى ان يتبعون الا الظن وما تهوى الانفس ولقد جاءهم من ربهم الهدي

وقال فى الذين يخبرون عن الملائكة انهم أناث ان الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة تسمية الانثى ومالهم به من علم ان يتبعون الا الظن وان الظن لا يغنى من الحق شيأ فأعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى وهم جعلوهم اناثا كما قال وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا وفي القراءة الاخرى عند الرحمن اناثا اشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم و يسئلون وهؤلاء قال عنهم ان يتبعون الا الظن لانه خبر محض ليس فيه عمل وهناك وما تهوى الانفس لانهم كانوا يعبدونها ويدعونها فهناك عبادة وعمل بهوى أنفسهم

فقال ان يتبعون الا الظن وما تهوى الانفس * والذى جاء به الرسول كما قال والنجم اذا هوى ماضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى علمه شديد القوي وكل من خالف الرسول لايخرج عن الظن وما تهوى الانفس فان كان ممن يعتقد ماقاله وله فيه حجة يستدل بها كان غايته الظن الذي لا يغني من الحق شيأ كاحتجاجهم بقياس فاسد أو نقل كاذب أو خطاب ألقى اليهم اعتقدوا انه من الله وكان من القاء الشيطان

وهذه الثلاثة هى عمدة من يخالف السنة بما يراه حجة ودليلا اما أن يحتج بادلة عقلية و يظنها برهانا وأدلة قطعية وتكون شبهات فاسدة مركبة من ألفاظ مجملة ومعانى متشابهة لم يميز بين حقها وباطلها كما يوجد مثل ذلك في جميع مايحتج به من خالف الكتاب والسنة انما يركب حججه من ألفاظ متشابهة فاذا وقع الاستفسار والتفصيل تبين الحق من الباطل وهذه هى الحجج العقلية وان تمسك المبطل بحجج سمعية فاما أن تكون كذبا على الرسول أو تكون غير دالة على ما احتج بها أهل البطول فالمنع اما في الاسناد واما في المتن ودلالته على ما ذكر وهذه الحجة السمعية هذه حجج أهل العلم الظاهر

وأما حجة أهل الذوق والوجد والمكاشفة والمخاطبة فان أهل الحق من هؤلاء لهم (الهامات صحيحة) مطابقة كما في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال قد كان في الامم قبلكم محدثون فان يكن في أمتي أحد فعمر وكان عمر يقول اقتربوا من أفواه المطيعين واسمعوا

منهم مايقولون فانها تجلي لهم أمور صادقة * وفي الترمذي عن أبي سعيد عن النبي صلي الله عليه وسلم انه قال اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله ثم قرأ قوله ان في ذلك لآيات للمتوسمين * وقال بعض الصحابة أظنه والله للحق يقذفه الله على قلوبهم وأسماعهم * وفي صحيح البخارى عن أبى هريرة عن النبي صلي الله عليه وسلم انه قال ولا يزال عبدى يتقرب الىّ بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التي يمشى بها * وفي رواية فبى يسمع وبى يبصر وبى يبطش وبى يمشي فقد أخبر انه يسمع بالحق ويبصر به

وكانوا يقولون ان السكينة تنطق على لسان عمر رضى الله عنه * وقال صلى الله عليه وسلم من سأل القضاء واستعان عليه وكل اليه ومن لم يسأله ولم يستعن عليه أنزل الله عليه ملكا يسدده وقال الله تعالى نور على نور الايمان مع نور القرآن * وقال تعالى أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه وهو المؤمن على بينة من ربه ويتبعه شاهد من الله *وهو القرآن شهد الله في القرآن بمثل ماعليه المؤمن من بينة الايمان وهذا القدر مما أقر به حذاق النظار لما تكلموا في وجوب النظر وتحصيله للعلم فقيل لهم أهل التصفية والرياضة والعبادة و لتأله يحصل لهم المعارف والعلوم اليقينية بدون لنظر كما قال الشيخ الملقب بالكبرى (للرازى) ورفيقه وقد قالا له ياشيخ بلغنا أنك تعلم علم اليقين فقال نعم فقالا كيف تعلم ونحن نتناظر فى زمان طويل كلما ذكر شيأ أفسدته وكلما ذكرت شيأ أفسده فقال هو واردات ترد على النفوس تعجز

النفوس عن ردها فجعلا يعجبان من ذلك ويكرران الكلام وطلب أحدهما أن يحصل له هذه الواردات فعلمه الشيخ وأدبه حتى حصلت له وكان من المعتزلة النفاة

فبين له ان الحق مع أهل الاثبات وان الله سبحانه فوق سمواته وعلم ذلك بالضرورة رأيت هذه الحكاية بخط القاضى نجم الدين أحمد ابن محمد بن خلف المقدسى وذكر ان الشيخ الكبري حكاها له وكان قد حدثنى بها عنه غير واحد حتى رأيتها بخطه وكلام المشايخ في مثل هذا كثير وهذا الوصف الذى ذكره الشيخ جواب لهم بحسب مايعرفون فانهم قد قسموا العلم الي ضرورى ونظرى والنظرى مستند الى الضروري والضروري هو العلم الذى يلزم نفس المخلوق لزوما لايمكنه معه الانفكاك عنه هذا حد القاضى أبي بكر الطيب وغيره فخاصته انه يلزم النفس لزوما لايمكن مع ذلك دفعه فقال لهم علم اليقين عندنا هو من هذا الجنس وهو علم يلزم النفس لزوما لايمكنه مع ذلك الانفكاك عنه وقال واردات لانه يحصل مع العلم طمأنينة وسكينة توجب العمل به فالواردات تحصل بهذا وهذا وهذا قد أقر به كثير من حذاق النظار متقدميهم كالكيا الهراسى والغزالى وغيرهما ومتأخريهم كالرازي والآمدى وقالوا نحن لاننكر أن يحصل لناس علم ضروري بما يحصل لنا بالنظر هذا لايدفعه لكن ان لم يكن علما ضروريا فلابد له من دليل والدليل يكون مستلزما للمدلول عليه بحيث يلزم من انتفاء الدليل انتفاء المدلول عليه قالوا فان كان لو دفع ذلك الاعتقاد

الذى حصل له لزم دفع شى مما يعلم بالضرورة فهذا هو الدليل وان لم يكن كذلك فهذا هوس لايلتفت اليه وبسط هذا له موضع آخر

والمقصود ان هذا الجنس واقع لكن يقع أيضا مايظن انه منه كبير أولا يميز كثير منهم الحق من الباطل كما يقع في الادلة العقلية والسمعية فمن هؤلاء من يسمع خطابا أو يرى من يأمره بقضية ويكون ذلك الخطاب من الشيطان ويكون ذلك الذى يخاطبه الشيطان وهو يحسب أنه من أولياء الله من رجال الغيب

ورجال الغيب هم الجن وهو يحسب انه انسي وقد يقول له أنا الخضر أو الياس بل أنا محمد أو ابراهيم الخليل أو المسيح أو أبو بكر أو عمر أو أنا الشيخ فلان أو الشيخ فلان ممن يحسن بهم الظن وقد يطير به فى الهواء أو يأتيه بطعام أو شراب أو نفقة فيظن هذا كرامة بل آية ومعجزة تدل على ان هذا من رجال الغيب أو من الملائكة ويكون ذلك شيطانا البس عليه فهذا ومثله واقع كثيرا أعرف منه وقائع كثيرة كما أعرف من الغلط فى السمعيات والعقليات فهؤلاء يتبعون ظنا لايغنى من الحق شيأ ولو لم يتقدموا بين يدى الله ورسوله بل اعتصموا بالكتاب والسنة لتبين لهم ان هذا من الشيطان وكثير من هؤلاء يتبع ذوقه ووجده وما يجده محبوبا اليه بغير علم ولا هدى ولا بصيرة فيكون متبعا لهواه بلا ظن وخيارهم من يتبع الظن وما تهوى الانفس وهؤلاء اذا طلب من أحدهم حجة ذكر تقليده لمن يحبه من آبائه وأسلافه كقول المشركين انا وجدنا آباءنا على أمة وانا

على آثارهم مقتـدون وان عكسوا احتجوا بالقدر وهو ان الله أراد هذا وسلطنا عليه فهم يعملون بهواهم وارادة نفوسهم بحسب قدرتهم كالملوك المسلاطين وكان الواجب عليهم أن يعملوا بمـا أمر الله فيتبعون أمر الله وما يحبـه ويرضاه لايتبعون ارادتهم ومايحبونه هم ويرضونه وأن يستعينوا بالله فيقولون اياك نعبد واياك نستعين لا حول ولا قوة الا بالله لايعتمدون على ماأوتوه من القوة والتصرف والحال فان هـذا من الجد وقد كان النبي صلى الله عليه وسـلم يقول عقب الصـلاة وفي الاعتدال بعد الركوع اللهم لامانع لمـا أعطيت ولا معطى لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد

فالذوق والوجـد هو يرجع الى حب الانسان ووجده بحلاوته وذوقه وطعمه وكل صاحب محبة فله في محبوبه ذوق ووجد فان لم يكن ذلك بسلطان من الله وهو ماأنزله على رسوله صلى الله عليه وسلم كان صاحبه متبعا لهواه بغير هدي وقد قال الله تعالى ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله وقال تعـالى ومالكم أنلا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه وقد فصـل لكم ماحرم عليكم الا مااضطررتم اليه وان كثير اليضلون باهوائهم بغير علم ان ربك هو أعلم بالمعتدين

وكذلك من اتبع مايرد عليـه من الخطاب أو مايراه من الانوار والاشخاص الغيبية ولا يعتبر ذلك بالكتاب والسنة فانما يتبع ظنا لا يغني من الحق شيأ

فليس فى المحدثين الملهمين أفضل من عمر كما قال صـلى الله عليه

وسلم انه قد كان في الامم قبلكم محدثون فان يكن في أمتي منهم أحد فعمر منهم وقد وافق عمر ربه فى عدة أشياء ومع هذا فكان عليه أن يعتصم بما جاء به الرسول ولا يقبل مايرد عليه حتي يعرضه علي الرسول ولا يتقدم بين يدى الله ورسوله بل يجعل ماورد عليه وكان اذا تبين له من ذلك أشياء خلاف ماوقع له فيرجع الى السنة وكان أبو بكر يبين له أشياء خفيت عليه فيرجع الى بيان الصديق وارشاده وتعليمه كما جرى يوم الحديبية ويوم مات الرسول ويوم ناظره من مانع الزكاة وغير ذلك وكانت المرأة ترد عليه مايقوله وتذكر الحجة من القرآن فيرجع اليها كما جرى فى مهور النساء ومثل هذا كثير

فكل من كان من أهل الالهام والخطاب والمكاشفة لم يكن أفضل من عمر فعليه أن يسلك سبيله فى الاعتصام بالكتاب والسنة تبعا لما جاء به الرسول لايجعل ماجاء به الرسول تبعا لما ورد عليه وهؤلاء الذين أخطؤا وضلوا وتركوا ذلك واستغنوا بما ورد عليهم وظنوا ان ذلك يغنيهم عن اتباع العلم المنقول

وصار أحدهم يقول أخذوا علمهم ميتا عن ميت وأخذنا علمنا عن الحى الذى لايموت فيقال له أما ما نقله الثقات عن المعصوم فهو حق ولولا النقل المعصوم لكنت أنت وأمثالك اما من المشركين واما من اليهود والنصاري وأما ماورد عليك فمن أين لك انه وحي من الله ومن أين لك انه ليس من وحى الشيطان

والوحى وحيان وحى من الرحمن ووحي من الشيطان قال تعالى

وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم ليجادلوكم وقال تعالي وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن يوحى بعضهم الي بعض زخرف القول غرورا وقال تعالي هل أنبئكم على من تنزل الشياطين وقد كان المختار بن أبي عبيد من هذا الضرب حتى قيل لابن عمر وابن عباس قيل لاحدهما انه يقول انه يوحي اليه فقال وان الشياطين ليوحون الي أوليائهم ليجادلوكم وقيل للآخر انه يقول انه ينزل عليه فقال هل أنبئكم على من تنزل الشياطين فهؤلاء يحتاجون الى الفرقان الايماني القرآني النبوي الشرعي أعظم من حاجة غيرهم وهؤلاء لهم حسيات يرونها ويسمعونها والحسيات يضطر اليها الانسان بغير اختياره كما قد يرى الانسان أشياء ويسمع أشياء بغير اختياره كما ان النظار لهم قياس ومعقول وأهل السمع لهم أخبار منقولات وهذه الانواع الثلاثة هي طرق العلم الحس والخبر والنظر وكل انسان من هذه الثلاثة في بعض الامور لكن يكون بعض الانواع أغلب علي بعض الناس في الدين وغير الدين كالطب فانه تجربات وقياسات وأهله منهم من يغلب عليه التجربة ومنهم من يغلب عليه القياس والقياس أصله التجربة والتجربة لابد فيها من قياس لكن مثل قياس العاديات لايعرف فيه العلة والمناسبة وصاحب القياس من يستخرج العلة المناسبة ويعلق الحكم بها والعقل خاصة القياس والاعتبار والقضايا الكلية فلا بد له من الحسيات التي هي الاصل ليعتبر بها والحس ان لم يكن مع صاحبه عقل والا فقد يغلط

والناس يقولون غلط الحس والغلط تارة من الحس وتارة من صاحبه فان الحس يرى أمرا معينا فيظن صاحبه فيه شيأ آخر فيؤتي من ظنه فلا بد له من العقل

ولهذا النائم يرى شيأ وتلك الامور لها وجود وتحقيق ولكن هى خيالات وأمثلة فلما عزب ظنها الرائي نفس الحقائق كالذى يرى نفسه فى مكان آخر يكلم أمواتا ويكلمونه ويفعل أمورا كثيرة وهو في النوم يجزم بانه نفسه الذى يقول ويفعل لان عقله عزب عنه وتلك الصورة التى رآها مثال صورته وخيالها لكن غاب عقله عن نفسه حتى ظن ان ذلك المثال هو نفســه فلما ثاب اليه عقله علم ان ذلك خيالات ومثالات ومن الناس من لايغيب عقله بل يعلم في المنام أن ذلك في المنام وهذا كالذى يرى صورته فى المرآة أو صورة غــيره فاذا كان ضعيف العقل ظن أن تلك الصورة هى الشخص حتى انه يفعل به مايفــعل بالشخص وهــذا يقع للصبيان والبله كما يخيل لاحدهم في الضوء شخص يتحرك و يصــعد وينزل فيظنونه شخصا حقيقة ولا يعلمون انه خيال فالحس أحس صحيحا لم يغلط لكن معه عقل لم يميز بين هذا العين والمثال فان العقل قد عقل قبل هــذا أن مثل هذا يكون مثالا وقد عقــل لوازم الشخص بعينه وانه لايكون في الهواء ولافى المرآة ولايكون بدنه في غير مكانه وأن الجسم الواحد لايكون في مكانين

وهؤلاء الذين لهم مكاشفات ومخاطبات يرون ويسمعون ماله وجود فى الخارج ومالا يكون موجوداً الا فى أنفسهم كحال النائم وهذا يعرفه

كل أحد ولكن قد يرون فى الخارج أشخاصاً يراها عيانا وما فى خيال الانسان لايراه غيره ويخاطبهم أولئك الاشخاص ويحملونهم ويذهبون بهم الى عرفات فيقفون بها واما الى غير عرفات ويأتوهم بذهب وفضة وطعام ولباس وسلاح وغير ذلك يخرجون الي الناس ويأتونهم أيضاً بمن يطلبونه مثل من يكون له ارادة في امرأة أوصبي فيأتونه بذلك اما محمولاً في الهواء واما بسعى شديد ويخبر أنه وجد فى نفسه من الباعث القوىّ مالم يمكنه المقام معه أويخبر أنه سمع خطابا وقد يقتلون له من يريد قتله من أعدائه أو يمرضونه فهذا كله موجود كثيراً لكن من الناس من يعلم ان هذا من الشيطان وأنه من السحر وان ذلك حصل بما قاله ويعلمه من السحر ومنهم من يعلم أن ذلك من الجن ويقول هذا كرامة أكرمنا بتسخير الجن لنا ومنهم من لايظن أولئك الاشخاص الا آدميين أوملائكة فان كانوا غير معروفين قال هؤلاء رجال الغيب وان يسموا قالوا هذاهو الخضر وهذاهو الياس وهذاهو أبو بكر وعمر وهذا هو الشيخ عبدالقادر أوالشيخ عدىّ أو الشيخ أحمد الرفاعي أوغيرذلك ظن أن الامر كذلك فهنا لم يغلط لكن غلط عقله حيث لم يعرف ان هذه شياطين تمثلت على صور هؤلاء وكثير من هؤلاء يظن أن النبى صلى الله عليه وسلم نفسه أو غيره من الأنبياء أوالصالحين يأتيه في اليقظة ومن يرى ذلك عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم أو الشيخ وهو صادق فى أنه اياه من قال انه النبى أو الشيخ أوقيل له ذلك فيه لكن غلط حيث ظن صدق أولئك والذى له عقل وعلم يعلم ان هذا ليس هو النبي صلى الله عليه وسلم تارة لما يراه

منهم من مخالفة الشرع مثل أن يأمروه بما يخالف أمر الله ورسوله وتارة يعلمه أن النبي صلى الله عليه وسلم ما كان يأتي أحداً من أصحابه بعد موته في اليقظة ولا كان يخاطبهم من قبره فكيف يكون هذا لي وتارة يعلم أن الميت لم يقم من قبره وأن روحه فى الجنة لا تصير فى الدنيا هكذا وهذا يقع كثيراً لكثير من هؤلاء ويسمون تلك الصورة رفيقة فلان وقد يقولون هو معناه يشكل وقد يقولون روحانيته ومن هؤلاء من يقول اذا مت فلا تدعوا أحداً يغسلني ولا فلانا يحضرني فاني أنا أغسل نفسي فاذا مات رأوه قد جاء وغسل ذلك البدن ويكون ذلك جنياً قد قال لهذا الميت انك تجيء بعد الموت واعتقد ذلك حقاً فانه كان في حياته يقول له أموراً وغرض الشيطان أن يضل أصحابه وأما بلاد المشركين كالهند فهذا كثيراً ما يرون الميت بعد موته جاء وفتح حانوته ورد ودائع وقضي ديونا ودخل الي منزله ثم ذهب وهم لا يشكون أنه الشخص نفسه وانما هو شيطان تصور فى صورته

(ومن هؤلاء) من يكون في جنازة أبيه أوغيره والميت على سريره وهو يراه آخذا يمشي مع الناس بيد ابنه وأبيه قد جعل شيخاً بعد أبيه فلا يشك ابنه أن أباه نفسه هو كان الماشي معه الذى رآه هو دون غيره وانما كان شيطانا ويكون مثل هذا الشيطان قد سمي نفسه خالداً أو غير خالد وقال لهم انه من رجال الغيب وهم يعتقدون أنه من الانس الصالحين ويسمونه خالداً الغيبي وينسبون الشيخ اليه فيقولون محمدا الخالدي ونحو ذلك

﴿ فان الجن مأمورون ومنهيون ﴾ كالانس وقد بعث الله الرسل من الانس اليهم والى الانس وأمر الجميع بطاعة الرسل كما قال تعالى يامعشر الجن والانس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتى وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا على أنفسنا وغرتهم الحياة الدنيا وشهدوا على أنفسهم انهم كانوا كافرين وهذا بعد قوله ويوم نحشرهم جميعاً يامعشر الجن قد استكثرتم من الانس وقال أولياؤهم من الانس ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا أجلنا الذى أجلت لنا قال النار مثواكم خالدين فيها الا ماشاء الله * قال غير واحد من السلف أى كثير من أغويتم من الانس وأضللتموهم قال البغوى قال بعضهم استمتاع الانس بالجن ما كانوا يلقون لهم من الاراجيف والسحر والكهانة وتزيينهم لهم الأمور التي يهوونها ويسهل سبيلها عليهم واستمتاع الجن بالانس طاعة الانس لهم فيما يزينون لهم من الضلالة والمعاصى قال محمد بن كعب هو طاعة بعضهم لبعض وموافقة بعضهم بعضاً وذكر ابن أبي حاتم عن الحسن البصري قال ما كان استمتاع بعضهم ببعض الا أن الجن أمرت وعملت الانس *وعن محمد بن كعب قال هو الصحابة في الدنيا وقال ابن السائب استمتاع الانس بالجن استعاذتهم بهم واستمتاع الجن بالانس ان قالوا قد أسرنا الانس مع الجن حتى عاذوا بنا فيزدادون شرفا في أنفسهم وعظماً في نفوسهم وهذا كقوله وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا*قلت الاستمتاع بالشئ هو أن يتمتع به ينال به مايطلبه ويريده ويهواه ويدخل فى ذلك استمتاع الرجال بالنساء

بعضهم لبعض كما قال فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن فريضة ومن ذلك الفواحش كاستمتاع الذكور بالذكور والاناث بالاناث

ويدخل في هذا الاستمتاع بالاستخدام وأئمة الرياسة كما يتمتع الملوك والسادة بجنودهم ومماليكهم ويدخل فى ذلك الاستمتاع بالاموال كاللباس ومنه قوله ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره وكان من السلف من يمتع المرأة بخادم فهى تستمتع بخدمته ومنهم من يمتع بكسوة أونفقة ولهذا قال الفقهاء أعلى المتعة خادم وأدناها كسوة يجزى فيها الصلاة

وفى الجملة استمتاع الانس بالجن والجن بالانس يشبه استمتاع الانس بالانس قال تعالى الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين وقال تعالى وتقطعت بهم الاسباب قال مجاهد هى المودات التى كانت لغير الله وقال الخليل انما اتخذتم من دون الله أوثانا مودة بينكم في الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضاً وقال تعالي أفرأيت من اتخذ الهه هواه فالمشرك يعبد مايهواه واتباع الهوي هو استمتاع من صاحبه بما يهواه وقد وقع في الانس والجن هذا كله

وتارة يخدم هؤلاء لهؤلاء في أغراضهم وهؤلاء لهؤلاء في أغراضهم فالجن تأتيه بما يريد من صورة أومال أوقتل عدوه والانس تطيع الجن فتارة يسجد له وتارة يسجد لما يأمره بالسجود له وتارة يمكنه من نفسه فيفعل به الفاحشة وكذلك الجنيات منهن من يريد من الانس الذى يخدمنه مايريد نساء الانس من الرجال وهذا كثير فى رجال الجن

ونسائهم فكثير من رجالهم ينال من نساء الانس ما يناله الانسى وقد يفعل ذلك بالذكران

(وصرع الجن للانس هو لأسباب ثلاثة) تارة يكون الجني يحب المصروع فيصرعه ليتمتع به وهذا الصرع يكون أرفق من غيره وأسهل وتارة يكون الانسى آذاهم اذا بال عليهم أوصب عليهم ماء حاراً أو يكون قتل بعضهم أو غير ذلك من أنواع الاذى هـذا أشد الصرع وكثيراً مايقتلون المصروع وتارة يكون بطريق العبث به كما يعبث سفهاء الانس بابناء السبيل

ومن استمتاع الانس بالجن استخدامهم فى الاخبار بالامور الغائبة كما يخبر الكهان فان فى الانس من له غرض في هـذا لما يحصل به من الرياسة والمال وغير ذلك فان كان القوم كفاراً كما كانت العرب لم تبال بأن يقال انه كاهن كما كان العرب كهانا وقدم النبى صلى الله عليـه وسلم المدينة وفيها كهان وكان المنافقون يطلبون التحاكم الى الكهان وكان أبو أبرق الاسلمى أحد الكهان قبل أن يسلم وان كان القوم مسلمين لم يظهر أنه كاهن بل يجعل ذلك من باب الكرامات وهو من جنس الكهان فانه لايخدم الانسى بهذه الاخبار الا لما يستمتع به من الانسى بان يطيعه الانسى فى بعض مايريده اما في شرك واما فى فاحشة واما في أكل حرام واما في قتل نفس بغير حق فالشياطين لهم غرض فيما نهى الله عنه من الكفر والفسوق والعصيان ولهم لذة في الشر والفتن يحبون ذلك وان لم يكن فيه منفعة لهم وهم يقولون بأمر السارق أن يسرق ويذهب الى

أهل المال فيقولون فلان سرق متاعكم ولهذا يقال القوة الملكية والبهيمية والسبعية والشيطانية فان الملكية فيها العلم النافع والعمل الصالح والبهيمية فيها الشهوات كالاكل والشرب والسبعية فيها الغضب وهو دفع المؤذى وأما الشيطانية فشر محض ليس فيها جلب منفعة ولا دفع مضرة والفلاسفة ونحوهم ممن لا يعرف الجن والشاطين لا يعرفون هذه وانما يعرفون الشهوة والغضب والشهوة والغضب خلقا لمصلحة ومنفعة لكن المذموم هو العدوان فيهما وأما الشيطان فيأمر بالشر الذى لا ينفعه فيه ويحب ذلك كما فعل ابليس بآدم لما وسوس له وكما امتنع من السجود له فالحسد يأمر به الشيطان والحاسد لا ينتفع بزوال النعمة عن المحسود لكن يبغض ذلك وقد يكون بغضه لفوات غرضه وقد لا يكون

ومن استمتاع الانس بالجن استخدامهم فى احضار بعض ما يطلبونه من مال وطعام وثياب ونفقة فقد يأتون ببعض ذلك وقد يدلونه على كنز وغيره واستمتاع الجن بالانس استعمالهم فيما يريده الشيطان من كفر وفسوق ومعصية

ومن استمتاع الانس بالجن استخدامهم فيما يطلبه الانس من شرك وقتل وفواحش فتارة يتمثل الجنى في صورة الانسي فاذا استغاث به بعض أتباعه أتاه فظن انه الشيخ نفسه وتارة يكون التابع قد نادى شيخه وهتف به ياسيدي فلان فينقل الجني ذلك الكلام الى الشيخ بمثل صوت الانسىّ حتي يظن الشيخ انه صوت الانسىّ بعينه ثم ان الشيخ يقول نعم ويشير اشارة يدفع بها ذلك المكروه فيأتى الجنى بمثل ذلك الصوت والفعل

يظن ذلك الشخص أنه شيخه نفسه وهو الذى أجابه وهو الذي فعل ذلك حتى ان تابع الشيخ قد يكون يده في اناء يأكل فيضع الجنىّ يده في صورة يد الشيخ ويأخذ من الطعام فيظن ذلك التابع انه شيخه حاضر معه والجنىّ يمثل للشيخ نفسه مثل ذلك الاناء فيضع يده فيه حتي يظن الشيخ ان يده في ذلك الاناء فاذا حضر المريد ذكر له الشيخ ان يدي كانت في الاناء فيصدقه و يكون بينهما مسافة شهر والشيخ موضعه ويده لم تطل ولكن الجنىّ مثل للشيخ ومثل للمريد حتي ظن كل منهما ان أحدهما عند الآخر وانما كان عنده ما مثله الجنى وخيله واذا سئل الشيخ المخدوم عن أمر غائب اما سرقة واما شخص مات وطلب منه أن يخبر بحاله أو علة فى النساء أوغير ذلك فان الجنىّ قد يمثل ذلك فيريه صورة المسروق فيقول الشيخ ذهب لكم كذا وكذا ثم ان كان صاحب المال معظما وأراد أن يدله علي سرقته مثل له الشيخ الذي أخذه أو المكان الذى فيه المال فيذهبون اليه فيجدونه كما قال والاكثر منهم أنهم يظهرون صورة المال ولا يكون عليه لان الذى سرق المال معه أيضا حتى يخدمه والجن يخاف بعضهم من بعض كما ان الانس يخاف بعضهم بعضا فاذا دل الجنىّ عليه جاءاليه أولياء السارق فآذوه وأحيانا لايدل لكون السارق وأعوانه يخدمونه ويرشونه كما يصيب معرّف اللصوص من الانس تارة يعرف السارق ولا يعرف به امالرغبة ينالها منه واما الرهبة وخوف منه واذا كان المال المسروق لكبير يخافه ويرجوه عرف سارقه فهذا وأمثاله من استمتاع بعضهم ببعض

﴿ والجن مكلفون كتكليف الانس ﴾ ومحمد صلى الله عليه وسلم مرسل الى الثقلين الجن والانس وكفار الجن يدخلون النار بنصوص واجماع المسلمين ﴿ وأما مؤمنهم ﴾ ففيهم قولان وأكثر العلماء على انهم يثابون أيضا ويدخلون الجنة وقد روى أنهم يكونون فى ربضها يراهم الانس من حيث لا يرون الانس عكس الحال في الدنيا وهو حديث رواه الطبرانى في معجمه الصغير يحتاج النظر في اسناده * وقد احتج ابن أبى ليلى وأبو يوسف على ذلك بقوله تعالى ولكل درجات مما عملوا وقد ذكر الجن والانس الابرار والفجار في الاحقاف والانعام * واحتج الاوزاعى وغيره بقوله تعالي لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان وقد قال تعالى في الاعراف أولئك الذين حق عليهم القول في أمم قد خلت من قبلهم من الجن والانس انهم كانوا خاسرين ولكل درجات مما عملوا وقد تقدم قبل هذا ذكر أهل الجنة وقوله أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ماعملوا ونتجاوز عن سيئاتهم في أصحاب الجنة ثم قال ولكل درجات مما عملوا وليوفيهم أعمالهم وهم لا يظلمون قال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم درجات أهل الجنة تذهب علوا ودرجات أهل النار تذهب سفلا وقد قال تعالى عن قول الجن منا الصالحون ومنا دون ذلك كنا طرائق قددا وقالوا وانا منا المسلمون ومنا القاسطون فمن أسلم فأولئك تحروا رشدا وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا ففيهم الكفار والفساق والعصاة وفيهم من فيه عبادة ودين بنوع من قلة العلم كما فى الانس وكل نوع من الجن يميل الى نظيره من الانس

فاليهود مع اليهود والنصاري مع النصاري والمسلمون مع المسلمين والفساق مع الفساق وأهل الجهل والبدع مع أهل الجهل والبدع

واستخدام الانس لهم مثل استخدام الانس للانس بشيء * منهم من يستخدمهم في المحرمات من الفواحش والظلم والشرك والقول على الله بلا علم وقد يظنون ذلك من كرامات الصالحين وانما هو من أفعال الشياطين * ومنهم من يستخدمهم في أمور مباحة اما احضار ماله أو دلالة على مكان فيه مال ليس له مالك معصوم أودفع من يؤذيه ونحو ذلك فهذا كاستعانة الانس بعضهم ببعض فى ذلك * والنوع الثالث أن يستعملهم فى طاعة الله ورسوله كما يستعمل الانس فى مثل ذلك فيأمرهم بما أمر الله به ورسوله وينهاهم عما نهاهم الله عنه ورسوله كما يأمر الانس وينهاهم وهذه حال نبينا صلي الله عليه وسلم وحال من اتبعه واقتدي به من أمته وهم أفضل الخلق فانهم يأمرون الانس والجن بما أمرهم الله به ورسوله وينهون الانس والجن عما نهاهم الله عنه ورسوله اذ كان نبينا محمد صلي الله عليه وسلم مبعوثا بذلك الى الثقلين الانس والجن وقد قال الله له قل هذه سبيلى أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى وسبحان الله وما أنا من المشركين وقال قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم (وعمر رضى الله عنه لما نادي ياسارية الجبل قال ان لله جنودا يبلغون صوتى) وجنود الله هم من الملائكة ومن صالحى الجن فجنود الله بلغوا صوت عمر الى سارية وهو أنهم نادوه بمثل صوت عمر والا فنفس صوت عمر لا يصل نفسه

في هذه المسافة البعيدة وهذا كالرجل يدعو آخر وهو بعيد عنه فيقول يافلان فيعان على ذلك فيقول الواسطة بينهما يافلان وقد يقول لمن هو بعيد عنه يافلان احبس الماء تمال الينا وهو لا يسمع صوته فيناديه الواسطة بمثل ذلك يافلان احبس الماء ارسل الماء امابمثل صوت الاول ان كان لا يقبل الاصوته والا فلا يضر بأي صوت كان اذا عرف ان صاحبه قد ناداه وهذا حكاية كان عمر مرة قد أرسل جيشا فجاء شخص وأخبر أهل المدينة بانتصار الجيش وشاع الخبر فقال عمر من أين لكم هذا قالوا شخص صفته كيت وكيت فأخبرنا فقال عمر ذاك أبو الهيثم بريد الجن وسيجيء بريد الانسان بعد ذلك بأيام

وقد يأمر الملك بعض الناس بأمر ويستكتمه اياه فيخرج فيرى الناس يتحدثون به فان الجن تسمعه وتخبر به الناس والذين يستخدمون الجن في المباحات يشبه استخدام سليمان لكن أعطى ملكا لا ينبغي لاحد بعده وسخرت له الانس والجن وهذا لم يحصل لغيره والنبى صلى الله عليه وسلم لما تفلت عليه العفريت ليقطع عليه صلاته قال فأخذته فذعته حتى سال لعابه على يدي وأردت أن أربطه الى سارية من سوارى المسجد ثم ذكرت دعوة أخي سليمان فأرسلته (فلم يستخدم) الجن أصلا لكن دعاهم الى الايمان بالله وقرأ عليهم القرآن و بلغهم الرسالة وبايعهم كما فعل بالانس * والذى أوتيه صلى الله عليه وسلم أعظم مما أوتيه سليمان فانه استعمل الجن والانس في عبادة الله وحده وسعادتهم في الدنيا والآخرة لا لغرض

يرجع اليه الا ابتغاء وجه الله وطلب مرضاته واختار أن يكون عبداً رسولاً على أن يكون نبياً ملكا فداود وسليمان ويوسف أنبياء ملوك وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد رسل عبيد فهو أفضل كفضل السابقين المقربين على الابرار أصحاب اليمين وكثير ممن يرى هذه العجائب الخارقة يعتقد أنها من كرامات الاولياء وكثير من أهل الكلام والعلم لم يعرفوا الفرق بين الأنبياء والصالحين في الآيات الخارقة وما لاولياء الشيطان من ذلك من السحرة والكهان والكفار من المشركين وأهل الكتاب وأهل البدع والضلال من الداخلين في الاسلام جعلوا الخوارق جنساً واحدا وقالوا كلها يمكن أن تكون معجزة اذا اقترنت بدعوي النبوة والاستدلال بها والتحدي بمثلها

واذا ادعى النبوة من ليس بنبي من الكفار والسحرة فلابد أن يسلبه الله ماكان معه من ذلك وأن يقيض له من يعارضه ولو عارض واحد من هؤلاء النبي لأعجزه الله فخاصة المعجزات عندهم مجرد كون المرسل اليهم لايأتون بمثل ماأتى به النبي كان معتاداً للناس قالوا ان عجز الناس عن المعارضة خرق عادة فهذه هي المعجزات عندهم وهم ضاهوا سلفهم من المعتزلة الذين قالوا المعجزات هي خرق العادة لكن أنكروا كرامات الصالحين وأنكروا أن يكون السحر والكهانة الا من جنس الشعبذة والحيل لم يعلموا أن الشياطين تعين على ذلك وأولئك أثبتوا الكرامات ثم زعموا أن المسلمين أجمعوا على أن هذه لاتكون الا لرجل صالح أو نبي قالوا فاذا ظهرت على يد رجل كان صالحاً بهذا الاجماع

وهؤلاء أنفسهم قد ذكروا أنها تكون للسحرة ما هو مثلها ويناقضو في ذلك كما قد بسط فى غير هذا الموضع

فصار كثير من الناس لايعلمون ماللسحرة والكهان وما يفعله الشياطين من العجائب وظنوا أنها لاتكون الا لرجل صالح فصار من ظهرت هذه له يظن أنها كرامة فيقوى قلبه بأن طريقته هي طريقة الاولياء وكذلك غيرهم يظن فيه ذلك ثم يقولون الولى اذا تولى لا يعترض عليه فمنهم من يراه مخالفاً لما علم بالاضطرار من دين الرسول مثل ترك الصلاة المفروضة وأكل الخبائث كالخمر والحشيشة والميتة وغير ذلك وفعل الفواحش والفحش والتفحش فى المنطق وظلم الناس وقتل النفس بغير حق والشرك بالله وهو مع ذلك يظن فيه أنه ولى من أولياء الله قد وهبه هذه الكرامات بلا عمل فضلا من الله تعالى ولا يعلمون ان هذه من أعمال الشياطين وان هذه من أولياء الشياطين يضل به الناس ويغويهم

﴿ ودخلت ﴾ الشياطين في أنواع من ذلك فتارة يأتون الشخص في النوم يقول أحدهم أنا أبو بكر الصديق وأنا أتوبك لى وأصير شيخك وأنت تتوب الناس لي ويلبسه فيصبح وعلى رأسه ما ألبسه فلا يشك ان الصديق هو الذى جاءه ولا يعلم أنه الشيطان وقد جرى مثل هذا لعدة من المشايخ بالعراق والجزيرة والشام وتارة يقص شعره فى النوم فيصبح فيجد شعره مقصوصاً وتارة يقول أنا الشيخ فلان فلا يشك ان الشيخ نفسه جاءه وقص شعره

وكثيراً مايستغيث الرجل بشيخه الحى أو الميت فيأتونه فى صورة ذلك الشيخ وقد يخلصونه مما يكره فلا يشك ان الشيخ نفسه جاءه أو ان ملكا تصور بصورته وجاءه ولا يعلم ان ذلك الذي تمثل انما هو الشيطان لما اشرك بالله أضلته الشياطين والملائكة لاتجيب مشركا وتارة يأتون الى من هو خال فى البرية وقد يكون ملكا أو أميراً كبيراً ويكون كافراً وقد انقطع عن أصحابه وعطش وخاف الموت فيأتيه فى صورة انسي ويسقيه ويدعوه الى الاسلام ويتوبه فيسلم على يديه ويتوبه ويطعمه ويدله على الطريق ويقول من أنت فيقول أنا فلان ويكون فى موضع

(كما جرى مثل هذا لى) كنت في مصر فى قلعتها وجري مثل هذا الى كثير من الترك من ناحية المشرق وقال له ذلك الشخص أنا ابن تيمية فلم يشك ذلك الامير انى أنا هو وأخبر بذلك ملك ماردين وأرسل بذلك ملك ماردين الى ملك مصر رسولا وكنت في الحبس فاستعظموا ذلك وأنا لم أخرج من الحبس ولكن كان هذا جنياً يحبنا فيصنع بالترك التتر مثل ما كنت أصنع بهم لما جاؤا الى دمشق كنت أدعوهم الى الاسلام فاذا نطق أحدهم بالشهادتين أطعمتهم ماتيسر فعمل معهم مثل ما كنت أعمل وأراد بذلك اكرامى ليظن ذاك انى أنا الذى فعلت ذلك

(قال لى طائفة من الناس فلم لايجوز أن يكون ملكا قلت لا) ان الملك لايكذب وهذا قد قال أنا ابن تيمية وهو يعلم أنه كاذب فى ذلك

(وكثير من الناس) رأى من قال انى أنا الخضر وانما كان جنياً

ثم صار من الناس من يكذب بهذه الحكايات انكار الموت الخضر والذين قد عرفوا صدقها يقطعون بحياة الخضر وكلا الطائفتين مخطىء فان الذين رأوا من قال انى أنا الخضر هم كثيرون صادقون والحكايات متواترات لكن اخطؤا فى ظنهم أنه الخضر وانما كان جنياً ولهذا يجرى مثل هذا لليهود والنصارى فكثيرا ما يأتيهم فى كنائسهم من يقول انه الخضر وكذلك اليهود يأتيهم في كنائسهم من يقول انه الخضر وفى ذلك من الحكايات الصادقة ما يضيق عنه هذا الموضع يبين صدق من رأي شخصاً وظن أنه الخضر وانه غلط في ظنه أنه الخضر وانما كان جنياً وقد يقول أنا المسيح أو موسي أو محمد أو أبو بكر أو عمر أو الشيخ فلان فكل هذا قد وقع والنبى صلى الله عليه وسلم قال من رآنى فى المنام فقد رآنى حقاً فان الشيطان لا يتمثل فى صورتى قال ابن عباس فى صورته التى كان عليها فى حياته وهذه رؤية فى المنام وأما فى اليقظة فمن ظن أن أحداً من الموتى يجيء بنفسه للناس عيانا قبل يوم القيامة فمن جهله أتى

﴿ ومن هنا ﴾ ضلت النصارى حيث اعتقدوا ان المسيح بعد ان صلب كما يظنون انه أتي الى الحواريين وكلمهم ووصاهم وهذا مذكور في أناجيلهم وكلها تشهد بذلك وذاك الذى جاء كان شيطانا قال أنا المسيح ولم يكن هو المسيح نفسه ويجوز أن يشتبه مثل هذا على الحواريين كما اشتبه على كثير من شيوخ المسلمين ولكن ما أخبرهم المسيح قبل أن يرفع بتبليغه فهو الحق الذى يجب عليهم تبليغه ولم يرفع حتي بلغ

رسالات ربه فلا حاجة الى مجيئه بعد ان رفع الي السماء

(وأصحاب الحلاج) لماقتل كان يأتيهم من يقول أنا الحلاج فيرونه في صورته عيانا وكذلك شيخ بمصر يقال له الدسوقى بعد أن مات كان يأتى أصحابه من جهته رسائل وكتب مكتوبة وأراني صادق من أصحابه الكتاب الذى أرسله فرأيته بخط الجن وقد رأيت خط الجن غير مرة وفيه كلام من كلام الجن وذاك المعتقد يعتقد ان الشيخ حيّ وكان يقول انتقل ثم مات وكذلك شيخ آخر كان بالمشرق وكان له خوارق من الجن وقيل كان بعد هذا يأتى خواص أصحابه فى صورته فيعتقدون أنه هو وهكذا الذين كانوا يعتقدون بقاء عليّ أو بقاء محمد بن الحنفية قد كان يأتى الى بعض أصحابهم جنيّ في صورته وكذا منتظر الرافضة قد يراه أحدهم أحيانا ويكون المرئى جنيا فهذا باب واسع واقع كثيراً وكلما كان القوم أجهل كان عندهم أكثر ففى المشركين أكثر مما فى النصارى وهو فى النصارى كما هو فى الداخلين في الاسلام وهذه الامور يسلم بسببها ناس ويتوب بسببها ناس يكونون أضل من أصحابها فينتقلون بسببها الى ماهو خير مما كان عليه كالشيخ الذي فيه كذب وفجور من الانس قد يأتيه قوم كفار فيدعوهم الى الاسلام فيسلمون ويصيرون خيراً مما كانوا وان كان قصد ذلك الرجل فاسداً وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر وبأقوام لاخلاق لهم وهذا كان كالحجج والادلة التى يذكرها كثير من أهل الكلام والرأى فانه ينقطع بها كثير من أهل الباطن ويقوى بها قلوب كثير من أهل

الحق وان كانت فى نفسها باطلة فغيرها أبطل منها والخير والشر درجات فينتفع بها أقوام ينتقلون مما كانوا عليه الى ماهو خير منه وقد ذهب كثير من مبتدعة المسلمين من الرافضة والجهمية وغيرهم الى بلاد الكفار فأسلم على يديه خلق كثير وانتفعوا بذلك وصاروا مسلمين مبتدعين وهو خير من أن يكونوا كفاراً وكذلك بعض الملوك قد يغزو غزواً يظلم فيه المسلمين والكفار ويكون آثماً بذلك ومع هذا فيحصل به نفع خلق كثير كانوا كفاراً فصاروا مسلمين وذاك كان شراً بالنسبة الى القائم بالواجب وأما بالنسبة الى الكفار فهو خير وكذلك كثير من الاحاديث الضعيفة في الترغيب والترهيب والفضائل والاحكام والقصص قد يسمعها أقوام فينتقلون بها الى خير مما كانوا عليه وان كانت كذبا وهذا كالرجل يسلم رغبة فى الدنيا ورهبة من السيف ثم اذا أسلم وطال مكثه بين المسلمين دخل الايمان فى قلبه فنفس ذل الكفر الذى كان عليه وانقهاره ودخوله في حكم المسلمين خير من أن يبقى كافراً فانتقل الى خير مما كان عليه وخف الشر الذى كان فيه ثم اذا أراد الله هدايته أدخل الايمان فى قلبه والله تعالي بعث الرسل بتحصيل المصالح وتكميلها وتعطيل المفاسد وتعليلها والنبى صلى الله عليه وسلم دعا الخلق بغاية الامكان ونقل كل شخص الى خير مما كان عليه بحسب الامكان ولكل درجات مما عملوا وليوفيهم أعمالهم وهم لايظلمون وأكثر المتكلمين يردون باطلا بباطل وبدعة ببدعة لكن قد يردون باطل الكفار من المشركين وأهل الكتاب بباطل المسلمين فيصير الكافر

مسلما مبتدعا وأخص من هؤلاء من يرد البدع الظاهرة كبدعة الرافضة ببدعة أخف منها وهى بدعة أهل السنة وقد ذكرنا فيما تقدم أصناف البدع

ولا ريب ان المعتزلة خير من الرافضة ومن الخوارج فان المعتزلة تقر بخلافة الخلفاء الاربعة وكلهم يتولون أبا بكر وعمر وعثمان وكذلك المعروف عنهم انهم يتولون عليا ومنهم من يفضله علي أبي بكر وعمر ولكن حكى عن بعض متقدميهم أنه قال فسق يوم الجمل احدى الطائفتين ولا أعلم عينها وقالوا انه قال لو شهد علي والزبير لم أقبل شهادتهما لفسق أحدهما الا بعينه ولو شهد على مع آخر ففى قبول شهادته قولان وهذا القول شاذ فيهم والذي عليه عامتهم تعظيم على

ومن المشهور عندهم ذم معاوية وأبي موسى وعمرو بن العاص لاجل على ومنهم من يكفر هؤلاء ويفسقهم بخلاف طلحة والزبير وعائشة فانهم يقولون ان هؤلاء تابوا من قتاله وكلهم يتولي عثمان ويعظمون أبا بكر وعمر ويعظمون الذنوب فهم يتحرون الصدق كالخوارج لا يختلقون الكذب كالرافضة ولا يرون أيضا اتخاذ دار غير دار الاسلام كالخوارج ولهم كتب في تفسير القرآن ونصر الرسول ولهم محاسن كثيرة يترجحون علي الخوارج والروافض وهم قصدهم اثبات توحيد الله ورحمته وحكمته وصدقه وطاعته وأصولهم الخمس عن هذه الصفات الخمس لكنهم غلطوا فى بعض ماقالوه فى كل واحد من أصولهم الخمس فجعلوا من التوحيد نفى الصفات وانكار الرؤية والقول بان القرآن

مخلوق فوافقوا في ذلك الجهمية وجعلوا من العدل انه لايشاء مايكون ويكون مالا يشاء وانه لم يخلق أفعال العباد فنفوا قدرته ومشيئته وخلقه لاثبات العدل وجعلوا من الرحمة نفى أمور خلقها لم يعرفوا مافيها من الحكمة وكذلك هم والخوارج قالوا بانفاذ الوعيد ليثبتوا ان الرب صادق لايكذب اذ كان عندهم قد أخبر بالوعيد العام فمتى لم يقل بذلك لزم كذبه وغلطوا في فهم الوعيد وكذلك الامر بالمعروف والنهى عن المنكر بالسيف قصدوا به طاعة الله ورسوله كما يقصده الخوارج والزيدية فغلطوا في ذلك وكذلك انكارهم للخوارق غير المعجزات قصدوا به اثبات النبوة ونصرها وغلطوا فيما سلكوه فان النصر لايكون بتكذيب الحق وذلك لكونهم لم يحققوا خاصة آيات الانبياء والاشعرية ماردوه من بدع المعتزلة والرافضة والجهمية وغيرهم وبينوا مابينوه من تناقضهم وعظموا الحديث والسنة ومذهب الجماعة فحصل بما قالوه من بيان تناقض أصحاب البدع الكبار وردهم ماانتفع به خلق كثير

فان الاشعرى كان من المعتزلة وبقى على مذهبهم أربعين سنة يقرأ على أبى على الجبائى فلما انتقل عن مذهبهم كان خبيرا باصولهم وبالرد عليهم وبيان تناقضهم وأما ما بقي عليه من السنة فليس هو من خصائص المعتزلة بل هو من القدر المشترك بينهم وبين الجهمية وأما خصائص المعتزلة فلم يوافقهم الاشعري فى شيء منها بل ناقضهم في جميع أصولهم ومال فى مسائل العدل والاسماء والاحكام الى مذهب جهم ونحوه وكثير من الطوائف كالنجارية أتباع حسين النجار والضرارية أتباع

ضرار بن عمرو ويخالفون المعتزلة في القدر والاسماء والاحكام وانفاذ الوعيد والمعتزلة من أبعد الناس عن طريق أهل الكشف والخوارق والصوفية يذمونها ويعيبونها وكذلك يبالغون في ذم النصارى أكثر مما يبالغون في ذم اليهود وهم الي اليهود أقرب كما أن الصوفية ونحوهم الى النصاري أقرب فان النصاري عندهم عبادة وزهد وأخلاق بلا معرفة ولا بصيرة فهم ضالون واليهود عندهم علم ونظر بلا قصد صالح ولا عبادة ولا زهد ولا أخلاق كريمة فهم مغضوب عليهم والنصارى ضالون

قال أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم ولا أعلم في هذا الحرف اختلافا بين المفسرين وروى باسناد عن أبي روق عن ابن عباس وغير طريق الضالين وهم النصارى الذين أضلهم الله بفريتهم عليه يقول فالهمنا دينك الحق وهو لا اله الا الله وحده لا شريك له حتى لا تغضب علينا كما غضبت على اليهود ولا تضلنا كما أضللت النصارى فتعذبنا كما تعذبهم يقول امنعنا من ذلك برفقك ورحمتك ورأفتك وقدرتك قال ابن أبي حاتم ولا أعلم في هذا الحرف اختلافا بين المفسرين وقد قال سفيان ابن عيينة كانوا يقولون من فسد من علمائنا ففيه شبه من اليهود ومن فسد من عبادنا ففيه شبه من النصارى

فاهل الكلام أصل أمرهم هو النظر في العلم ودليله فيعظمون العلم وطريقه وهو الدليل والسلوك في طريقه وهو النظر

وأهل الزهد يعظمون الارادة والمريد وطريق أهل الارادة

فهؤلاء يبنون أمرهم علي الارادة وأولئك يبنون أمرهم علي النظر وهذه هي القوة العلمية ولابد لاهل الصراط المستقيم من هذا وهذا ولابد أن يكون هذا وهذا موافقا لما جاء به الرسول

فالايمان قول وعمل وموافقة السنة وأولئك عظموا النظر وأعرضوا عن الارادة وعظموا جنس النظر ولم يلتزموا النظر الشرعي فغلطوا من جهة كون جانب الارادة لم يعظموه وان كانوا يوجبون الاعمال الظاهرة فهم لا يعرفون أعمال القلوب وحقائقها ومن جهة ان النظر لم يميزوا فيه بين النظر الشرعي الحق الذى أمر به الشارع وأخبر به وبين النظر البدعي الباطل المنهى عنه

وكذلك الصوفية عظموا جنس الارادة ارادة القلب وذموا الهوى وبالغوا في الباب ولم يميز كثير منهم بين الارادة الشرعية الموافقه لامر الله ورسوله وبين الارادة البدعية بل أقبلوا على طريق الارادة طريقة النظر

وأعرض كثير منهم فدخل عليهم الداخل من هاتين الجهتين ولهذا صار هؤلاء يميل اليهم النصارى ويميلون اليهم وأولئك يميل اليهم اليهود ويميلون اليهم وبين اليهود والنصاري غاية التنافر والتباغض وكذلك بين أهل الكلام والرأى وبين أهل التصوف والزهد تنافر وتباغض. هذا وهذا من الخروج عن الصراط المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا

نسأل الله العظيم أن يهدينا وسائر اخواننا الصراط المستقيم صراط

الذين أنعم الله عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين آمين

(فصل) فان قيل فاذا كان فى كتب الاناجيل التي عندهم ان المسيح صلب وانه بعد الصلب بايام أتى اليهم وقال لهم أنا المسيح ولا يقولون ان الشيطان تمثل على صورته فالشيطان ليس هو لحم وعظم وهذه أثر المسامير أو نحو هذا الكلام فاين الانجيل الذى قال الله عز وجل فيه وليحكم أهل الانجيل بما أنزل الله فيه وقال قبل هذا وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة وآتيناه الانجيل فيه هدى ونور ومصدقا لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين وليحكم أهل الانجيل بما أنزل الله فيه ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الفاسقون وقد قال قبل هذا وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله ثم يتولون من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين انا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء وقال أيضا ولو أنهم أقاموا التوراة والانجيل وما أنزل اليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم وقال أيضا قل ياأهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل وما أنزل اليكم من ربكم وليزيدن كثيرا منهم ماأنزل اليك من ربك طغيانا وكفرا فلا تأس على القوم الكافرين وهذا أمر للنبي صلى الله عليه وسلم بان يقول لاهل الكتاب الذين بعث اليهم وهو من كان في وقتهم ومن يأتى من بعدهم الي يوم القيامة لم يؤمر أن يقول ذلك

لمن قد تاب منهم وكذلك قوله وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله اخبار عن اليهود الموجودين وان عندهم التوراة فيها حكم الله وكذلك قوله

وليحكم أهل الانجيل بما أنزل الله فيه هو أمر من الله على لسان محمد لاهل الانجيل ومن لايؤمر على لسان محمد صلى الله عليه وسلم قيل قبل هذا انه قد قيل ليس في العالم نسخة بنفس ماأنزل الله في التوراة والانجيل بل ذلك مبدل فان التوراة انقطع تواتره والانجيل نما أخذت عن أربعة ثم من هؤلاء من زعم ان كثيرا مما فى التوراه او الانجيل باطل ليس من كلام الله ومنهم من قال بل ذلك قليل وقيل لم يحرف احد شيئا من حروف الكتب وانما حرفوا معانيها بالتأويل وهذان القولان قال كلا منهما كثير من المسلمين والصحيح القول الثالث وهو ان في الارض نسخا صحيحة وبقيت الى عهد النبي صلي الله عليه وسلم ونسخا كثيرة محرفة ومن قال انه لايحرف شئ من النسخ فقدقال مالا يمكنه نفيه ومن قال جميع النسخ بعد النبي صلي الله عليه وسلم حرفت فقد قال مايعلم انه خطأ والقرآن يأمرهم أن يحكموا بما أنزل الله في التوراة والانجيل ويخبران فيهما حكمه وليس في القرآن خبر أنهم غيروا جميع النسخ واذا كان كذلك فنقول هو سبحانه قال وليحكم أهل الانجيل بما أنزل الله فيه وما أنزله الله هو ماتلقوه عن المسيح فاما حكايته لحاله بعد ان رفع فهو مثلها فى التوراة ذكر وفاة موسى عليه السلام ومعلوم ان هذا الذى في التوراة والانجيل من الخبر عن موسى

وعيسى بعد توفيهما ليس هو مما أنزله الله ومما تلقوه عن موسى وعيسى بل هو مما كتبوه مع ذلك للتعريف بحال توفيهما وهذا خبر محض من الموجودين بعدهما عن حالهما ليس هو مما أنزله الله عليهما ولا هو مما أمرا به في حياتهما ولا مما أخبرا به الناس

وكذلك لستم على شيء حتي تقيموا التوراة والانجيل وما أنزل اليكم من ربكم وقوله ولو أنهم أقاموا التوراة والانجيل وما أنزل اليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم فان اقامة الكتاب العمل بما أمر الله به في الكتاب من التصديق بما أخبر به على لسان الرسول وما كتبه الذين نسخوه من بعد وفاة الرسول ومقدار عمره ونحو ذلك ليس هو مما أنزله الله على الرسول ولا مما أمر به ولا أخبر به وقد يقع مثل هذا فى الكتب المصنفة يصنف الشخص كتابا فيذكر ناسخه فى آخره عمر المصنف ونسبه وسنه ونحو ذلك مما ليس هو من كلام المصنف

﴿ ولهذا ﴾ أمر الصحابة والعلماء بتجريد القرآن وان لايكتب في المصحف غير القرآن فلا يكتب أسماء السور ولا التخميس والتعشير ولا آمين ولا غير ذلك والمصاحف القديمة والتى كتبها أهل العلم على هذه الصفة وفي المصاحف من قد كتب ناسخها أسماء السور والتخميس والتعشير والوقف والابتداء وكتب في آخر المصحف تصديقه ودعا وكتب اسمه ونحو ذلك وليس هذا من القرآن فهكذا مافى الانجيل من الخبر عن صلب المسيح وتوفيه ومجيئه بعد رفعه الي الحواريين ليس

هو مما قاله المسيح وانما هو مما رآه من بعده والذى أنزله الله هو ما سمع من المسيح المبلغ عن الله

فان قيل فاذا كان الحواريون قد اعتقدوا أن المسيح صلب وانه أتاهم بعد أيام وهم الذين نقلوا عن المسيح الانجيل والدين فقد دخلت الشبهة

قيل الحواريون وكل من نقل عن الانبياء انما يجب أن يقبل منهم مانقلوه عن الانبياء فان الحجة فى كلام الانبياء وما سوى ذلك فموقوف على الحجة ان كان حقاً قبل والا رد ولهذا كان مانقله الصحابة عن النبى صلى الله عليه وسلم من القرآن والحديث يجب قبوله لاسيما المتواتر كالقرآن وكثير من السنن وأما ماقالوه فما أجمعوا عليه فاجماعهم معصوم وما تنازعوا فيه رد الى الله والرسول وعمر قد كان أولا أنكر موت النبى صلى الله عليه وسلم حتى رد ذلك عليه أبو بكر وقد تنازعوا في دفنه حتي فضل أبو بكر بالحديث الذى رواه وتنازعوا فى تجهيز جيش اسامة وتنازعوا في قتال مانعى الزكاة فلم يكن هذا قادحا فيما نقلوه عن النبى صلى الله عليه وسلم والنصارى ليسوا متفقين على صلب المسيح ولم يشهد أحد منهم صلبه فان الذى صلب انما صلبه اليهود ولم يكن أحد من أصحاب المسيح حاضراً وأولئك اليهود الذين صلبوه قد اشتبه عليهم المصلوب بالمسيح وقد قيل انهم عرفوا أنه ليس هو المسيح ولكنهم كذبوا وشبهوا على الناس والاول هو المشهور وعليه جمهور الناس وحينئذ فليس عند النصارى خبر عمن يصدقونه بأنه صلب لكن عمدتهم

على ذلك الشخص الذى جاء بعد أيام وقال أنا المسيح وذاك شيطان وهم يعترفون بأن الشياطين كثيراً ماتجيء ويدعي أنه نبى أو صالح ويقول أنا فلان النبي أو الصالح ويكون شيطانا وفى ذلك حكايات متعددة مثل حكاية الراهب الذى جاءه جاء وقال أنا المسيح جئت لاهديك فعرف أنه الشيطان فقال أنت قد بلغت الرسالة ونحن نعمل بها فان جئت اليوم بشيء يخالف ذلك لم نقبل منك

فليس عند النصارى واليهود علم بأن المسيح صلب كما قال تعالى وان الذين اختلفوا فيه لفي شك منه مالهم به من علم الا اتباع الظن وأضاف الخبر عن قتله الي اليهود بقوله وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله فانهم بهذا الكلام يستحقون العقوبة اذ كانوا يعتقدون جواز قتل المسيح ومن جوز قتله فهو كمن قتله فهم فى هذا القول كاذبون وهم آثمون واذا قالوه فخرا لم يحصل لهم الفخر لانهم لم يقتلوه وحصل الوزر لاستحلالهم ذلك وسعيهم فيه وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول فى النار قالوا يارسول الله فما بال المقتول قال انه كان حريصاً على قتل صاحبه وقوله وان الذين اختلفوافيه لفى شك منه قيل هم اليهود وقيل النصارى والآية تعم الطائفتين وقوله لفى شك منه قيل من قتله وقيل منه أى فى شك منه هل صلب أم لا كما اختلفوا فيه فقالت اليهود هو ساحر وقالت النصارى انه اله فاليهود والنصارى اختلفوا هل صلب أم لا وهم في شك من ذلك مالهم به من علم فاذا كان هذا فى الصلب فكيف فى

الذى جاء بعد لرفع وقال انه هو المسيح

فان قيل كان الحواريون الذين أدركوه قد حصل هذا فى ايمانهم فأين المؤمنون به الذين قال فيهم

وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا وقوله فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين

قيل ظن من ظن منهم أنه صلب لايقدح فى ايمانه اذا كان لم يحرف ماجاء به المسيح بل هو مقر بأنه عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها الي مريم وروح منه فاعتقاده بعد هذا أنه صلب لايقدح في ايمانه فان هذا اعتقاد موته على وجه معين وغاية الصلب أن يكون قتلا له وقتل النبى لايقدح في نبوته وقد قتل بنو اسرائيل كثيراً من الانبياء وقال تعالي وكأين من نبيّ قتل معه ربيون كثير الآية وقال تعالى وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم وكذلك اعتقاد من اعتقد منهم أنه جاء بعد الرفع وكلهم هو مثل اعتقاد كثير من مشايخ المسلمين ان النبى صلى الله عليه وسلم جاءهم فى اليقظة فانهم لايكفرون بذلك بل هذا كان يعتقده من هو من أكثر الناس اتباعاً للسنة واتباعاً لها وكان في الزهد والعبادة أعظم من غيره وكان يأتيه من يظن أنه رسول الله فهذا غلط منه لايوجب كفره فكذلك ظن من ظن الحواريين ان ذاك هو المسيح لايوجب خروجهم عن الايمان بالمسيح ولايقدح فيما نقلوه عنه وعمر لما كان يعتقد أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يمت ولكن ذهب الي ربه كما ذهب موسي وأنه لايموت

حتى يموت أصحابه لم يكن هذا قادحا في ايمانه وانما كان غلطاً و رجع عنه

﴿ فصل وقوله تعالى فى هـذه مالهم به من علم الا اتباع الظن ﴾

هو ذم لهم على اتباع الظن بلا علم وكذلك قوله ان هى الا أسماء سميتموها أنتم و آباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان ان يتبعون الا الظن وما تهوى الانفس ولقد جاءهم من ربهم الهـدى وكذلك قوله ومالهم به من علم ان يتبعون الا الظن وان الظن لايغنى من الحق شيئا وقوله تعـالي وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون وقوله أفمن يهـدى الي الحق أحق أن يتبع أمن لايهدى الا أن يهدى فمالكم كيف تحكمون وما يتبع أكثرهم الا ظناً ان الظن لايغنى من الحق شيئا ان الله عليم بما يفعلون

فهذه عدة مواضع يذم الله فيها الذين لايتبعون الا الظن وكذلك قوله قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون الا الظن وان أنتم الا تخرصون قل فلله الحجة البالغة مطالبة بالعلم وذم لمن يتبع الظن وما عنـده علم وكذلك قوله نبؤنى بعلم ان كنتم صادقين وقوله وان كثيراً ليضلون باهوائهم بغير علم وامثال ذلك ذم لمن عمل بغير علم وعمل بالظن

وقد ثبت فى السنة المتواترة واجماع الامة ان الحاكم يحكم بشاهدين وان لم يكن شهود حلف الخصم * وفي الصحيحين عن النبى صـلى الله عليه و سـلم أنه قال انكم تختصمون الىّ ولعل بعضكم أن يكون الحن بحجته من بعض وانما أقضى بنحو مما أسمع فمن قضيت له من حق أخيه فلا يأخذه فانما أقطع له قطعة من النار

والاجتهاد فى تحقيق المناط مما اتفق المسلمون عليه ولابد منه كحكم ذوى عدل بالمثل في جزاء الصيد وكالاستدلال على الكعبة عند الاشتباه ونحو ذلك فلا يقطع به الانسان بل يجوز أن تكون القبلة في غير جهة اجتهاده كما يجوز اذا حكم أن يكون قد قضى لاحدهما بشيء من حق الآخر وأدلة الاحكام لابد فيها من هذا فان دلالة العموم في الظواهر قد تكون محتملة للنقيض وكذلك خبر الواحد والقياس وان كان قوم نازعوا في القياس فالفقهاء منهم لم ينازعوا فى خبر الواحد كالظاهرية ومن نازع في هذا وهذا لم ينازع فى العموم كالمعتزلة البغداديين وان نازع فى العموم والقياس منازع كبعض الرافضة مثل الموسوى ونحوه لم ينازع فى الاخبار فان الامامية عمدتهم على مانقل عن الاثنى عشر فلابد لهم من الرواية ولا يوجد من يستغنى عن الظواهر والاخبار والاقيسة بل لابد أن يعمل ببعض ذلك مع تجويز نقيضه وهذا عمل بالظن والقرآن قد حرم اتباع الظن وقد تنوعت طرق لناس فى جوازهذا فطائفة قالت لايتبع قط الا العلم ولا يعمل بالظن أصلا وقالوا ان خبر الواحد يفيد العلم وكذلك يقولون في الظواهر بل يقولون نقطع بخطأ من خالفنا و ننقض حكمه كما يقوله داود وأصحابه وهؤلاء عمدتهم انما هو ما يظنونه ظاهراً واما الاستصحاب والاستصحاب فى كثير من المواضع من أضعف الادلة وهم فى كثير مما يحتجون به قد لايكون ماحتجوا به ظاهر اللفظ بل الظاهر خلافه فطائفة قالت لما قام الدليل على وجوب العمل بالظن الراجح

كنا متبعين للعلم فنحن نعمل بالعلم عند وجود العلم لا نعمل بالظن وهذه طريقة القاضى أبى بكر وأتباعه

وهنا السؤال المشهور في حد الفقه انه العلم بالاحكام الشرعية العملية وقال الرازى العلم بالأحكام الشرعيـة العملية المستدل على أعيانها بحيث لا يعلم كونها من الدين ضرورة قال

(فان قلت) الفقه من باب الظنون فكيف جعلته علما

(قلت) المجتهد اذا غلب على ظنه مشاركة صورة لصورة في مناط الحكم قطع بوجوب العمل بما أدى اليه ظنه فالعلم حاصل قطعا والظن واقع فى طريقه وحقيقة هذا الجواب ان هنا مقدمتين احداهما انه قد حصـل عندي ظن والثانية قد قام الدليل القطعي على وجوب اتباع هذا الظن فالمقدمة الاولى وجدانية والثانية عملية استدلالية فليس الظن هنا مقدمة فى الدليل كما توهمه بعضهم لكن يقال العمل بهذا الظن هو حكم أصول الفقه ليس هو الفقه بل الفقه هو ذاك الظن الحاصـل بالظاهر وخـبر الواحـد والقياس والاصول يفيد أن العـمل بهذا الظن واجب والا فالفقهاء لا يتعرضون لهذا فهذا الحكم العملى الاصولي ليس هو الفـقه وهذا الجواب جواب القاضي أبي بكر وهو بناه على أصله فانه عنـده كل مجتهد مصيب وليس في نفس الامر أمر مطلوب ولا على الظن دليل يوجب ترجيح ظن على ظن بل الظنون عنده بحسب الاتفاق

وقال الغزالى وغيره ممن نصر قوله قد يكون بحسب ميل النفس الى أحد القولين دون الآخر كميل ذى الشدة الى قول وذى اللين الى

قول وحينئذ فعندهم متي وجد المجتهد ظنا في نفسه فحكم الله في حقه اتباع هذا الظن وقد أنكر أبو المعالى وغيره عليه هذا القول انكارا بليغا وهم معذورون فى انكاره فان هذا أولا مكابرة فان الظنون عليها أمارات ودلائل يوجب وجودها ترجيح ظن على ظن وهذا أمر معلوم بالضرورة والشريعة جاءت به ورجحت شيأ علي شئ والكلام في شيئين في اتباع الظن وفى الفقه هل هو من الظنون

أما الاول فالجواب الصحيح هو الجواب الثالث وهو ان كل ماأمر الله تعالى به فانما أمر بالعلم وذلك انه في المسائل الخفية عليه أن ينظر في الادلة ويعمل بالراجح وكون هذا هو الراجح أمر معلوم عندأمر مقطوع به وان قدر أن ترجيح هذا على هذا فيه شك عنده لم يعمل به واذا ظن الرجحان فانما ظنه لقيام دليل عنده على ان هذا راجح وفرق بين اعتقادالرجحان ورجحان الاعتقاد وأما اعتقاد الرجحان فقد يكون علما وقد لايعمل حتى يعلم الرجحان واذا ظن الرجحان أيضا فلابد أن يظنه بدليل يكون عندهأرجح من دليل الجانب الآخر ورجحان هذا غير معلوم فلأن ينتهى الامر الى رجحان معلوم عنده فيكون متبعا لما علم انه أرجح وهذا اتباع للعلم لاللظن وهو اتباع الاحسن كما قال فخذها بقوة وأمر قومك يأخذوا باحسنها وقال الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه وقال واتبعوا أحسن ماأنزل اليكم من ربكم فاذا كان أحد الدليلين هو الارجح فاتباعه هو الاحسن وهذا معلوم

فالواجب على المجتهد أن يعمل بما يعلم انه أرجح من غيره وهو العمل بارجح الدليلين المتعارضين وحينئذ فما عمل الا بالعلم وهذا جواب الحسن البصرى وأبى وغيرهم والقرآن ذم من لايتبع الا الظن فلم يستند ظنه الى علم فان هذا أرجح من غيره كما قال مالهم به من علم ان يتبعون الا الظن وقال هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون الا الظن وهكذا فى سائر المواضع يذم الذين ان يتبعون الا الظن فعندهم ظن مجرد لاعلم معه وهم يتبعونه والذى جاءت به الشريعة وعليه عقلاء الناس انهم لايعلمون الا بعلم بان هذا أرجح من هذا فيعتقدون الرجحان اعتقادا عمليا لكن لايلزم اذا كان أرجح أن لايكون المرجوح هو الثابت في نفس الامر وهذا كما ذكر النبى صلى الله عليه وسلم حيث قال ولعل بعضكم أن يكون الحن بحجته من بعض وانما أقضي بنحو مما أسمع فاذا أتي أحد الخصمين بحجة مثل بينة تشهد له ولم يأت الآخر بشاهد معها كان الحاكم عالما بان حجة هذا أرجح فما حكم الا بعلم لكن الآخر قد يكون له حجة لايعلمها أولا يحسن أن يبينها مثل أن يكون قد قضاه أو أبرأه وله بينة تشهد بذلك وهو لايعلمها أولا يذكرها أولا يجسر ان يتكلم بذلك فيكون هو المضيع بحقه حيث لم يبين حجته والحاكم لم يحكم الا بعلم وعدل وضياع حق هذا كان من عجزه وتفريطه لامن الحاكم وهكذا أدلة الاحكام فاذا تعارض خبران أحدهما مسند ثابت والآخر مرسل كان المسند الثابت أقوى من المرسل وهذا معلوم لان المحدث بهذا قد علم عدله وضبطه والآخر لم يعلم عدله ولا

ضبطه كشاهدين زكى أحدهما ولم يزك الآخر فهذا المزكى أرجح وان جاز أن يكون في نفس الامر قول الآخر هو الحق لكن المجتهد انما عمل بعلم وهو علمه برجحان هذا علي هذا ليس ممن لم يتبع الا الظن ولم يكن تبين له الا بعد الاجتهاد التام فيمن أرسل ذلك الحديث وفي تزكية هذا الشاهد فان المرسل قد يكون راويه عدلا حافظا كما قد يكون هذا الشاهد عدلا ونحن ليس معنا علم بانتفاء عدالة الراوى لكن معنا عدم العلم بعدالتهما وقد لا يعلم عدالتهما مع تقويتها ورجحانها في نفس الامر فمن هنا يقع الخطأ في الاجتهاد لكن هذا لاسبيل الي أن يكلفه العالم أن يدع مايعلمه الي أمر لايعلمه لامكانه ثبوته في نفس الامر فاذا كان لابد من ترجيح أحد القولين وجب ترجيح هذا الذى علم ثبوته على مالا يعلم ثبوته وان لم يعلم انتفاؤه من جهته فانهما اذا تعارضا وكانا متناقضين فاثبات أحدهما هو نفي الآخر فهذا الدليل المعلوم قد علم أنه يثبت هذا وينفي ذلك وذلك المجهول بالعكس فاذا كان لابد من الترجيح وجب قطعا ترجيح المعلوم ثبوته على مالم يعلم ثبوته ولكن قد يقال انه لايقطع بثبوته وقد قلنا فرق بين اعتقاد الرجحان ورجحان الاعتقاد أما اعتقاد الرجحان فهو علم والمجتهد ماعمل الا بذلك العلم وهو اعتقاد رجحان هذا على هذا وأما رجحان هذا الاعتقاد على هذا الاعتقاد فهو الظن لكن لم يكن فمن قال الله فيه ان يتبعون الا الظن بل هنا ظن رجحان هذا وظن رجحان ذاك وهذا الظن هو الراجح ورجحانه معلوم فحكم بما علمه من الظن الراجح ودليله الراجح

وهذا معلوم له لا مظنون عنده وهذا يوجد في جميع العلوم والصناعات كالطب والتجارة وغير ذلك

وأما الجواب عن قولهم الفقه من باب الظنون فقد أجاب طائفة منهم أبو الخطاب بجواب آخر وهو ان العلم المراد به العلم الظاهر وان جوز أن يكون الامر بخلافه كقوله فان علمتموهن مؤمنات

والتحقيق أن عنه جوابين أحدهما أن يقال جمهور مسائل الفقه التى يحتاج اليها الناس ويفتون بها هي ثابتة بالنص أو الاجماع وانما يقع الظن والنزاع في قليل مما يحتاج اليه الناس وهذا موجود فى سائر العلوم وكثير مسائل الخلاف هى في أمور قليلة الوقوع ومقدرة وأما مالابد للناس منه من العلم مما يجب عليهم ويحرم ويباح فهو معلوم مقطوع به وما يعلم من الدين ضرورة جزء من الفقه واخراجه من الفقه قول لم يعلم أحد من المتقدمين قاله ولا احترز بهذا القيد أحد الا الرازى ونحوه وجميع الفقهاء يذكرون في كتب الفقه وجوب الصلاة والزكاة والحج واستقبال القبلة ووجوب الوضوء والغسل من الجنابة وتحريم الخمر والفواحش وغير ذلك مما يعلم من الدين ضرورة

وأيضا فكون الشئ معلوما من الدين ضرورة أمر اضافى فحديث العهد بالاسلام ومن نشأ ببادية بعيدة قد لا يعلم هذا بالكلية فضلا عن كونه يعلمه بالضرورة وكثير من العلماء يعلم بالضرورة أن النبى صلى الله عليه وسلم سجد للسهو وقضى بالدية على العاقلة وقضى أن الولد للفراش وغير ذلك مما يعلمه الخاصة بالضرورة وأكثر الناس لا يعلمه

البتة * الجواب الثانى أن يقال الفقه لايكون فقها الا من المجتهد المستدل وهو قد علم ان هذا الدليل أرجح وهذا الظن أرجح فالفقه هو علمه برجحان هذا الدليل وهذا الظن ليس الفقه قطعه بوجوب العمل أى بما أدى اليه اجتهاده بل هذا القطع من أصول الفقه والاصولي يتكلم في جنس الادلة ويتكلم كلاما كليا فيقول يجب اذا تعارض دليلان أن يحكم بارجحهما ويقول أيضا اذا تعارض العام والخاص فالخاص أرجح واذا تعارض المسند والمرسل فالمسند أرجح ويقول أيضا العام المجرد عن قرائن التخصيص شموله الافراد أرجح من عدم شموله ويجب العمل بذلك

فاما الفقيه فيتكلم في دليل معين في حكم معين مثل أن يقول قوله وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم خاص فى أهل الكتاب ومتأخر عن قوله ولا تنكحوا المشركات وتلك الآية لاتتناول أهل الكتاب وان تناولتهم فهذا خاص متأخر فيكون ناسخا ومخصصاً فهو يعلم أن دلالة هذا النص على الحل أرجح من دلالة ذلك النص على التحريم وهذا الرجحان معلوم عنده قطعا وهذا الفقه الذى يختص به الفقيه وهو علم قطعي لاظنى ومن لم يعلم كان مقلدا للائمة الاربعة والجمهور الذين جوزوا نكاح الكتابيات واعتقاد المقلد ليس بفقه ولهذا قال المستدل على أعيانها والفقيه قد استدل على عين الحكم المطلوب والمسؤل عنه وحيث لايعلم الرجحان فهو متوقف لاقول له واذا قيل له فقد قال ولا تمسكوا

بعصم الكوافر قال هـذا نزل عام الحديبية والمراد به المشركات فان سبب النزول يدل على انهن مرادات قطعا وسورة المائدة بعد ذلك فهي خاص متأخر وذاك عام مقدم والخاص المتأخر أرجح من العام المتقدم ولهذا لما نزل قوله ولا تمسكوا بعصم الكوافر فارق عمر امرأة مشركة وكذلك غيره فدل على انهم كانوا ينكحون المشركات الى حين نزول هذه الآية ولو كانت آية البقرة قد نزلت قبل هذه لم يكن كذلك فدل على أن آية البقرة بعد آية الممتحنة وآية المائدة بعد آية البقرة * فهذا النظر وأمثاله هو نظر الفقيه العالم برجحان دليل وظن على دليل وهذا علم لا ظن

فقد تبين أن الظن له أدلة تقتضيه وان العالم انما يعلم بما يوجب العلم بالرجحان لا بنفس الظن الا اذا علم رجحانه وأما الظن الذى لا يعلم رجحانه فلا يجوز اتباعه وذلك هو الذى ذم الله به من قال فيه ان يتبعون الا الظن فهم لا يتبعون الا الظن ليس عندهم علم ولو كانوا عالمين بأنه ظن راجح لكانوا قد اتبعوا علما لم يكونوا ممن يتبع الا الظن والله أعلم

﴿ فصل ﴾ فههنا ثلاثة أشياء، أحدها الظن الراجح في نفس المستدل المجتهد

والثانى الادلة التى يسميها بعض المتكلمين أمارات التى تعارضت وعلم المستدل بأن التي أوجبت ذلك الظن أقوى من غيرها

الثالث انه قد يكون في نفس الامر دليل آخر علي القول الآخر

لم يعلم به المستدل وهذا هو الواقع في عامة موارد الاجتهاد فان الرجل قد يسمع نصا عاما كما سمع ابن عمر وغيره أن النبي صلى الله عليه وسلم نهي عن قطع الخفين وانه أمر أن لا يخرج أحد حتى يودع البيت أوان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن لبس الحرير وظاهره العموم وهذا راجح على الاستصحاب النافي للتحريم فعملوا بهذا الراجح وهم يعلمون قطعا ان النهي أولي من الاستصحاب لكن يجوز أن يكون مع الاستصحاب دليل خاص ولكن لما لم يعلموه لم يجز لهم أن يعدلوا عما علموه الى مالم يعلموه فكانوا يفتون بأن الحائض عليها الوداع وعليها قطع الخفين وان قليل الحرير وكثيره حرام وابن الزبير كان يحرمه على الرجال والنساء لعموم قوله من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة وكان في نفس الامر نصوص خاصة بأن النبي صلى الله عليه وسلم رخص للحائض أن تنفر بلا وداع وانها تلبس الخفين وغيرهما مما نهى عنه المحرم ولكن تجتنب النقاب والقفازين وانه رخص فى موضع أصبعين أو ثلاث أو أربعة من الحرير كما بين ذلك في الصحيح فى رواية عمر ولم يعرف به ابنه عبدالله وكان له جبة مكفوفة بالحرير فلما سمع ابن عمر ونحوه هذه النصوص الخاصة رجعوا وعلموا حينئذ انه كان في نفس الامر دليل أقوى من الدليل الذى يستصحبوه ولم يعلموا به وهم في الحالين انما حكموا بعلم لم يكونوا ممن لم يتبع الا الظن فانهم أولا رجحوا العموم على استصحاب البراءة الاصلية وهذا ترجيح بعلم فان هذا راجح بلا ريب والشرع طافح بهذا

فما أوجبه الله أو حرمه كتابه كالوضوء والصلاة والحج وغيرها هي نصوص عامة وماحرمه كالميتة والدم ولحم الخنزير حرمه بنصوص عامة وهي راجحة ومقدمة على البراءة الاصلية النافية للوجوب والتحريم فمن رجح ذلك فقد حكم بعلم وحكم بأرجح الدليلين المعلوم الرجحان ولم يكن ممن لم يتبع الا الظن لكن لتجويزه أن يكون النص مخصوصا صار عنده ظن راجح ولو علم انه لاتخصيص هناك قطع بالعموم وكذلك لو علم ارادة نوع قطع بانتفاء النصوص وهذا القول في سائر الادلة مثل أن يتمسك بنصوص وتكون منسوخة ولم يبلغه الناسخ كالذين نهوا عن الانتباذ في الاوعية وعن زيارة القبور ولم يبلغهم النص الناسخ وكذلك الذين صلوا الى بيت المقدس قبل أن يبلغهم النسخ مثل من كان من المسلمين بالبوادى وبمكة والحبشة وغير ذلك وهؤلاء غير الذين كانوا بالمدينة وصلى بعضهم صلاة الى القبلتين بعضها الى هذه القبلة وبعضها الى هذه القبلة لما بلغهم النسخ وهم فى أثناء الصلاة فاستداروا في صلاتهم من جهة بيت المقدس الى جهة الكعبة من جهة الشام الى جهة اليمن

فالقاضى أبو بكر ونحوه من الذين ينفون أن يكون في الباطن حكم مطلوب بالاجتهاد أو دليل عليه يقولون ماثم الا الظن الذى فى نفس المجتهد والامارات لاضابط لها وليست أمارة أقوى من امارة فانهم اذا قالوا ذلك لزمهم أن يكون الذى عمل بالمرجوح دون الراجح مخطئا وعندهم ليس فى نفس الامر خطأ

وأما السلف والائمة الاربعة والجمهور فيقولون بل الامارات بعضها أقوى من بعض في نفس الامر (وعلى الانسان أن يجتهد) ويطلب الاقوى فاذا رأى دليلا أقوى من غيره ولم ير مايعارضه عمل به ولا يكلف الله نفسا الا وسعها واذا كان في الباطن ماهو أرجح منه كان مخطئا معذورا وله أجر على اجتهاده وعمله بما بين له رجحانه وخطؤه مغفور له وذلك الباطن هو الحكم لكن بشرط القدرة على معرفته فمن عجز عن معرفته لم يؤاخذ بتركه

فاذا أريد بالخطأ الاثم فليس المجتهد بمخطئ بل كل مجتهد مصيب مطيع لله فاعل ما أمره الله به واذا أريد به عدم العلم بالحق في نفس الامر فالمصيب واحد وله أجران كما في المجتهدين في جهة الكعبة اذا صلوا الى أربع جهات فالذى أصاب الكعبة واحد وله أجران لاجتهاده وعمله كان أكمل من غيره والمؤمن القوى أحب الى الله من المؤمن الضعيف ومن زاده الله علما وعملا زاده أجرا بما زاده من العلم والعمل قال تعالى وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء قال مالك عن زيد بن أسلم بالعلم وكذلك قال في قصة يوسف ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك الا أن يشاء الله نرفع درجات من نشاء وفوق كل ذى علم عليم

وقد تبين ان جميع المجتهدين انما قالوا بعلم واتبعوا العلم وان الفقه من أجل العلوم وانهم ليسوا من الذين لا يتبعون الا الظن لكن بعضهم قد يكون عنده علم ليس عند الآخر اما بان سمع مالم يسمع الآخر

واما بان فهم مالم يفهم الآخر كما قال تعالى وداود وسليمان اذ يحكمان في الحرث اذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما

وهذه حال أهل الاجتهاد والنظر والاستدلال في الاصول والفروع ولم يفرق أحد من السلف والائمة بين أصول وفروع

بل جعل الدين قسمين أصولا وفروعا لم يكن معروفا فى الصحابة والتابعين ولم يقل أحد من السلف والصحابة والتابعين ان المجتهد الذى استفرغ وسعه فى طلب الحق يأثم لافى الاصول ولا في الفروع ولكن هـذا التفريق ظهر من جهة المعتزلة وأدخله في أصول الفقه من نقل ذلك عنهم وحكوا عن عبيد الله بن الحسـن العنبرى انه قال كل مجتهد مصيب ومراده انه لايأثم

وهذا قول عامة الائمة كابى حنيفة والشافعي وغيرها

ولهذا يقبلون شهادة أهل الاهواء ويصلون خلفهم ومن ردها كمالك وأحمـد فليس ذلك مستلزما لاثمهما لكن المقصود انكار المنكر وهجر من أظهر البدعة فاذا هجر ولم يصـل خلفه ولم تقبل شهادته كان ذلك منعا له من اظهار البدعة ولهـذا فرق أحمد وغيره بين الداعيـة للبدعة المظهر لها وغيره وكذلك قال الخرقي ومن صلى خلف من يجهر ببدعة أو منكرا عاد وبسط هذا له موضع آخر

والذين فرقوا بين الاصول والفروع لم يذكروا ضابطا يميز بين النوعين بل تارة يقولون هـذا قطعى وهـذا ظني وكثير من مسائل

الاحكام قطعى وكثير من مسائل الاصول ظنى عند بعض الناس فان كون الشئ قطعيا وظنيا أمر اضافي وتارة يقولون الاصول هى العلميات الخبريات والفروع العمليات وكثير من العمليات من جحدها كفر كوجوب الصلاة والزكاة والصيام والحج وتارة يقولون هذه عقليات وهذه سمعيات واذا كانت عقليات لم يلزم تكفير المخطئ فان الكفر حكم شرعى يتعلق بالشرع وقد بسط هذا فى غير هذا الموضع

واذا تدبر الانسان تنازع الناس وجد عند كل طائفة من العلم ماليس عند الاخرى كما في مسائل الاحكام مثال ذلك ما تقدم فى الاصول الخمسة التوحيد والعدل والمنزلة بين المنزلتين ومسائل الاسماء والاحكام وانفاذ الوعيد وهى التى توالى المعتزلة من وافقهم عليها ويتبرؤن ممن خالفهم فيها وقد قدمنا انهم قصدوا توحيد الرب واثبات عدله وحكمته ورحمته وصدقه وطاعة أمره لكن غلطوا في كل واحدة من هذه الامور كما تقدم وكذلك الذين ناقضوهم من الجهمية ومن سلك مسلكهم كابي الحسن الاشعري وأصحابه فانهم ناقضوهم في الاصول الخمسة وكان عندهم علم ليس عند أولئك وكان عند أولئك علم ليس عند هؤلاء وكل من الطائفتين لم تحط علما بما فى الكتاب والسنة من بيان هذه الامور بل علموا بعضا وجهلوا بعضا فان هؤلاء المجبرة هم في الحقيقة لا يثبتون لله عدلا ولا حكمة ولا رحمة ولا صدقا فاولئك قصدوا اثبات هذه الامور أما العدل فعندهم كل ممكن فهو عدل والظلم عندهم هو الممتنع فلا يكون ثم عدل يقصد فعله وظلم يقصد تركه ولهذا

يجوزون عليه فعل كل شئ وان كان قبيحا ويقولون القبيح هو ما نهي عنه وهو لاناهي له ويجوزون الامر بكل شئ وان كان منكرا وشركا والنهى عن كل شئ وان كان توحيدا ومعروفا فلا ضابط عندهم للفعل فلهذا ألزموهم جواز اظهار المعجزات على يد الكاذب ولم يكن لهم عن ذلك جواب صحيح ولم يذكروا فرقا بين المعجزات وغيرها ولا مابه يعلم صدق النبي صلى الله عليه وسلم الااذا نقضوا أصلهم وقد قال الله تعالى شهد الله أنه لااله الا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط وعندهم هذا لافائدة فيه فليس في الممكن قسط وجور حتى يكون قائما بهذا دون هذا وقد بسط هذا فى غير هذا الموضع

وكذلك الحكمة عندهم لاتفعل لحكمة وقد فسروا الحكمة اما بالعلم واما بالقدر واما بالارادة ومعلوم ان القادر قد يكون حكيما ويكون غير حكيم كذلك المريد قد يكون ارادته حكمة وقد يكون سفها والعلم يطابق المعلوم سواء كان حكمة أو سفها فليس عندهم في نفس الامر ان الله حكيم وكذلك الرحمة ماعندهم في نفس الامر الا ارادة ترجيح احد المثلين بلا مرجح نسبتها الى نفع العباد وضررهم سواء فليس عندهم في نفس الامر رحمة ولا محبة أيضا وقد بسط هذا في غير هذا الموضع وبين تناقضهم في الصفات والافعال حيث أثبتوا الارادة مع نفي المحبة والرضا ومع نفي الحكمة وبين تناقضهم وتناقض كل من أثبت بعض الصفات دون بعض وان المتفلسفة نفاة الارادة أعظم تناقضا منهم فان الرازى ذكر في المطالب العلية مسئلة الارادة ورجح فيها نفي الارادة

لانه لم يمكنه أن يجيب عن حجة المتفلسفة على أصول أصحابه الجهمية والمعتزلة ففر اليهم وكذلك في غير هذا من المسائل فهو تارة يرجح قوله قول المتفلسفة وتارة يرجح قول المتكلمة وتارة يحار ويقف واعترف فى آخر عمره بان طريق هؤلاء وهؤلاء لاتشفى عليلا ولاتروى غليلا

وقال قد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيتها تشفي عليلا ولا تروى غليلا ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن اقرأ فى الاثبات الرحمن على العرش استوى اليه يصعد الكلم الطيب واقرأ في النفي ليس كمثله شيء ولا يحيطون به علما ومن جرب مثل تجربتى عرف مثل معرفتى فقد تبين انهم لايثبتون عدل الرب ولا حكمته ولا رحمته وكذلك الصدق فانهم لما أرادوا أن يقيموا الدليل على ان الله صادق تعذر ذلك عليهم فقالوا الصدق فى الكلام النفساني واجب لانه يعلم الامور ومن يعلم يمتنع أن يقوم في نفسه خبر بخلاف علمه وعلى هذا اعتمد الغزالى وغيره فقيل لهم هذا ضعيف لوجهين أحدهما الصدق فى ذلك المعنى لاينفع ان لم يثبت الصدق في العبارات الدالة عليه ويتميز بين الافعال عندهم الثانى انهم أثبتوا الخبر النفساني فان الانسان يخبرك بالكذب فيقوم في نفسه معني ليس هو العلم وهو معنى الخبر فهذا يقتضى انهم يقولون ان العلم قد يقوم في نفسه خبر بخلاف علمه والرازى لما ذكر مسئلة انه لايجوز أن يتكلم بكلام ولا يعنى به شيئا خلافا للحشوية قيل له هل قال أحد من طوائف الامة ان الله لايعنى بكلامه شيئا وانما النزاع هل يتكلم بما لا يفهم العباد معناه وقيل لهم هب ان في

هذا نزاعا فهو لم يقم دليل على امتناع ذلك بل قال هذا عيب أو نقص والله منزه عنه فقيل له اما أن يريد المعنى القائم بالذات أو العبارات المخلوقة أما الاول فلا يجوز ارادته هنا لان المسئلة هي فيمن يتكلم بالحروف المنظومة ولا يعني به شيئا وذلك القائم بالذات هو نفس المعنى وان أردت الحروف وهو مراده فتلك عندك مخلوقة ويجوز عندك أن يخلق كل شيء ليس منزها عن فعل من الافعال والعيب عندك هو مالا تريده فهذا ممتنع فتبين انه ليس لهم حجة لا على صدقه ولا على تنزيهه عن العيب في خطابه فان ذلك انما يكون ممن تنزيهه عن بعض الافعال وتبين بذلك أنهم لا يثبتون عدله ولا حكمته ولا رحمته ولا صدقه والمعتزلة قصدهم اثبات هذه الامور ولهذا يذكرونها في خطبة الصفات كما يذكرها أبو الحسين البصرى وغيره كما ذكر في أول صور الادلة خطبة مضمونها ان الله واحد عدل لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس أنفسهم يظلمون وانه بالناس لرؤف رحيم وأظن فيها اثبات صدقه ولهذا يكفرون من يجوره أو يكذبه أو يسفهه أو يشبهه ولكن قد غلطوا في مواضع كثيرة كما قد نبه على هذا في غير موضع فكلا الطائفتين معها حق وباطل ولم يستوعب الحق الا من اتبع المهاجرين والانصار وآمن بما جاء به الرسول كله على وجهه لم يؤمن ببعض ويكفر ببعض وهؤلاء هم أهل الرحمة الذين لا يختلفون بخلاف أولئك المختلفين قال تعالى ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم

﴿ فصل ﴾ والجهمية والمعتزلة مشتركون فى نفى الصفات وابن كلاب

ومن تبعه كالاشعرى وأبي العباس القلانسي ومن تبعهم أثبتوا الصفات لكن لم يثبتوا الصفات الاختيارية مثل كونه يتكلم بمشيئته ومثل كون فعله الاختياري يقوم بذاته ومثل كونه يحب ويرضى عن المؤمنين بعد ايمانهم ويغضب ويبغض الكافرين بعد كفرهم ومثل كونه يرى أفعال العباد بعد أن يعملوها كما قال تعالى وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون فاثبت رؤية مستقلة وكذلك قوله تعالى ثم جعلناكم خلائف فى الارض من بعدهم لننظر كيف تعملون ومثل كونه نادي موسى حين أتى لم يناده قبل ذلك بنداء قام بذاته فان المعتزلة والجهمية يقولون خلق نداء في الهواء والكلابية والسالمية يقولون النداء قام بذاته وهو قديم لكن سمعه موسى فاستجدوا سماع موسى والا فما زال عندهم مناديا

والقرآن والاحاديث وأقوال السلف والائمة كلها تخالف هذا وهذا وتبين انه ناداه حين جاء وانه يتكلم بمشيئته في وقت بكلام معين كما قال ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم وقال تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون والقرآن فيه مئون من الآيات تدل على هذا الاصل وأما الاحاديث فلا تحصى وهذا قول أئمة السنة والسلف وجمهور العقلاء ولهذا قال عبد الله بن المبارك والامام أحمد بن حنبل وغيرهما لم يزل متكلما اذا شاء وكيف شاء وهذا قول عامة أهل السنة فلهذا اتفقوا على أن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق ولم نعرف عن أحد من

السلف أنه قال هو قديم لم يزل والذين قالوا من المتأخرين هو قديم كثير منهم من لم يتصور المراد بل منهم من يقول هو قديم في علمه ومنهم من يقول قديم أى متقدم الوجود متقدم على ذات زمان المبعث لأنه أزلى لم يزل ومنهم من يقول بل مرادنا بقديم أنه غير مخلوق وقد بسط الكلام على هذا في غير هذا الموضع

والمقصود هنا أنه على هذا الاصل اذا خلق المخلوقات رآها وسمع أصوات عباده وكان ذلك بمشيئته وقدرته اذ كان خلقه لهم بمشيئته وقدرته وبذلك صاروا يرون ويسمع كلامهم وقد جاء فى القرآن والسنة في غير موضع أنه يخص بالنظر والاستماع بعض المخلوقات كقوله ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم ملك كذاب وشيخ زان وعائل مستكبر وكذلك فى الاستماع قال تعالى وأذنت لربها وحقت أى استمعت وقال النبى صلي الله عليه وسلم ما أذن الله لشيء كاذنه لنبي حسن الصوت يتغني بالقرآن يجهر به وقال لله أشد اذنا الي صاحب القرآن من صاحب القينة الى قينته فهذا تخصيص بالاذن وهو الاستماع لبعض الاصوات دون بعض وكذلك سمع الاجابة كقوله سمع الله لمن حمده وقول الخليل انك سميع الدعاء وقوله ان ربى سميع قريب يقتضى التخصيص بهذا السمع فهذا التخصيص ثابت في الكتاب والسنة وهو تخصيص بمعني يقوم بذاته بمشيئته وقدرته كما تقدم وعند النفاة هو تخصيص بامر مخلوق منفصل لا بمعنى يقوم بذاته وتخصيص من يحب ومحبته بالنظر والاستماع المذكور يقتضى ان هذا النوع منتف

عن غيرهم

(لكن مع ذلك هل يقال) ان نفس الرؤية والسمع الذى هو مطلق الادراك هو من لوازم ذاته فلا يمكن وجود مسموع ومرئي الا وقد تعلق به كالعلم أو يقال انه أيضا بمشيئته وقدرته فيمكنه أن لاينظر الى بعض المخلوقات هذا فيه قولان والاول قول من لايجعل ذلك متعلقا بمشيئته وقدرته وأما الذين يجعلونه متعلقا بمشيئته وقدرته فقد يقولون متى وجد المرئي والمسموع وجب تعلق الادراك به

(والقول الثانى) ان جنس السمع والرؤية يتعلق بمشيئته وقدرته فيمكن أن لاينظر الى شيء من المخلوقات وهذا هو المأثور عن طائفة من السلف كما روى ابن أبي حاتم عن أبي عمران الجونى قال ما نظر الله الي شئ من خلقه الا رحمه ولكنه قضى أن لاينظر اليهم وقد يقال هذا مثل الذكر والنسيان فان الله تعالى قال اذكروني أذكركم وفى الصحيحين عن النبي صلي الله عليه وسلم أنه قال يقول الله تعالي أنا عند ظن عبدي بى وأنا معه فان ذكرني في نفسه ذكرته فى نفسى وان ذكرني فى ملأ ذكرته في ملا خير منهم وان تقرب الي شبرا تقربت اليه ذراعا وان تقرب الى ذراعا تقربت اليه باعا وان أتانى يمشى أتيته هرولة فهذا الذكر يختص بمن ذكره فمن لايذكره لايحصل له هذا الذكر ومن آمن به وأطاعه ذكره برحمته ومن أعرض عن الذكر الذى أنزله أعرض عنه كما قال ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت

بصيراً قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى ومثله قوله المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهم

وقد فسروا هذا النسيان بأنه وهذا النسيان ضد ذلك الذكر وفى الصحيح في حديث الكافر يحاسبه قال أفظننت أنك ملاقيّ قال لا قال فاليوم أنساك كما نسيتني فهذا يقتضى أنه لا يذكره كما يذكر أهل طاعته هو متعلق بمشيئته وقدرته أيضا وهو سبحانه قد خلق هذا العبد وعلم ماسيعمله قبل أن يعمله ولما عمل علم ماعمل ورأى عمله فهذا النسيان لايناقض ماعلمه سبحانه من حال هذا

(فصل في جماع الفرقان بين الحق والباطل) والهدى والضلال والرشاد والغى وطريق السعادة والنجاة وطريق الشقاوة والهلاك ان يجعل مابعث الله به رسله وأنزل به كتبه هو الحق الذى يجب اتباعه وبه يحصل الفرقان والهدى والعلم والايمان فيصدق بأنه حق وصدق وما سواه من كلام سائر الناس يعرض عليه فان وافقه فهو حق وان خالفه فهو باطل وان لم يعلم هل وافقه أو خالفه لكون ذلك الكلام مجملا لايعرف مراد صاحبه أو قد عرف مراده ولكن لم يعرف هل جاء الرسول بتصديقه أو تكذيبه فانه يمسك فلا يتكلم الا بعلم

(والعلم ماقام عليه الدليل) والنافع منه ماجاء به الرسول وقد يكون علم من غير الرسول لكن فى أمور دنيوية مثل الطب والحساب والفلاحة والتجارة وأما الامور الالهية والمعارف الدينية فهذه العلم فيها

مأخذ عن الرسول فالرسول أعلم الخلق بها وأرغبهم فى تعريف الخلق
بها وأقدرهم على بيانها وتعريفها فهو فوق كل أحد في العلم والقدرة
والارادة وهذه الثلاثة بها يتم المقصود ومن سوي الرسول اما أن يكون
في علمه بها نقص أو فساد واما أن لايكون له ارادة فيما علمه من ذلك
فلم يبينه اما لرغبة واما لرهبة واما لغرض آخر واما أن يكون بيانه ناقصا
ليس بيانه البيان عما عرفه الجنان

وبيان الرسول على وجهين تارة يبين الادلة العقلية الدالة عليها
والقرآن مملوء من الادلة العقلية والبراهين اليقينية على المعارف الالهية
والمطالب الدينية وتارة يخبر بها خبراً مجرداً لما قد أقامه من الآيات
البينات والدلائل اليقينيات على أنه رسول الله المبلغ عن الله وأنه لايقول
عليه الا الحق وأن الله شهد له بذلك وأعلم عباده وأخبرهم أنه صادق
مصدوق فيما بلغه عنه والادلة التي بها نعلم أنه رسول الله كثيرة متنوعة
وهى أدلة عقلية يعلم صحتها بالعقل وهى أيضاً شرعية سمعية لكن الرسول
بينها ودل عليها وأرشد اليها وجميع طوائف النظار متفقون على أن
القرآن اشتمل على الادلة العقلية فى المطالب الدينية وهم يذكرون ذلك
في كتبهم الاصولية وفي كتب التفسير وعامة النظار أيضاً يحتجون بالادلة
السمعية الخبرية المجردة عن المطالب الدينية فانه اذا ثبت صدق الرسول
وجب تصديقه فيما يخبر به

﴿ والعلوم ثلاثة أقسام ﴾ منها مالا يعلم الا بالادلة العقلية وأحسن
الادلة العقلية التى بينها القرآن وأرشد اليها الرسول فينبغى أن يعرف

أن أجل الادلة العقلية وأكملها وأفضلها مأخوذ عن الرسول فان من الناس من يذهل عن هذا فمهم من يقدح فى الدلائل العقلية مطلقا لانه قد صار فى ذهنه أنها هى الكلام المبتدع الذى أحدثه من المتكلمين ومنهم من يعرض عن تدبر القرآن وطلب الدلائل اليقينية العقلية منه لانه قد صار فى ذهنه أن القرآن انما يدل بطريق الخبر فقط فلا بد أن يعلم بالعقل قبل ذلك ثبوت النبوة وصدق الخبر حتي يستدل بعد ذلك بخبر من ثبت بالعقل صدقه ومنها مالا يعلمه غير الانبياء الا بخبر الانبياء وخبرهم المجرد هو دليل سمعي مثل تفاصيل ما أخبروا به من الامور الالهية والملائكة والعرش والجنة والنار وتفاصيل مايؤمر به وينهي عنه فاما نفس اثبات الصانع ووحدانيته وعلمه وقدرته ومشيئته وحكمته ورحمته ونحو ذلك فهذا لا يعلم بالادلة العقلية وان كانت الادلة والآيات التى يأتى بها الانبياء هى أكمل الادلة العقلية لكن معرفة هذه ليست مقصورة على الخبر المجرد وان كان أخبار الانبياء المجردة تفيد العلم اليقينى أيضا فيعلم بالادلة العقلية التى أرشدوا اليها ويعلم بمجرد خبرهم لما علم صدقهم بالادلة والآيات والبراهين التى دلت على صدقهم

﴿ وقد تنازع الناس في العلم بالمعاد وبحسن الافعال وقبحها ﴾ فاكثر الناس يقولون انه يعلم بالعقل مع السمع والقائلون بان العقل يعلم به الحسن والقبيح أكثر من القائلين بأن المعاد يعلم بالعقل قال أبو الخطاب هو قول أكثر الفقهاء والمتكلمين ومنهم من يقول المعاد والحسن والقبيح لا يعلم الا بمجرد الخبر وهو قول الاشعرى وأصحابه ومن وافقهم

من أتباع الأئمة كالقاضي أبي يعلى وأبي المعالي الجويني وأبي الوليد الباجي وغيرهم وكلهم متفقون على أن من العلوم ما يعلم بالعقل والسمع الذي هو مجرد الخبر مثل كون أفعال العباد مخلوقة لله أو غير مخلوقة وكون رؤيته ممكنة أو ممتنعة ونحو ذلك وكتب أصول الدين لجميع الطوائف مملوءة بالاحتجاج بالادلة السمعية الخبرية لكن الرازي طعن في ذلك في المطالب العالية قال لان الاستدلال بالسمع مشروط بان لا يعارضه قاطع عقلي فاذا عارضه العقلي وجب تقديمه عليه قال والعلم بانتفاء المعارض العقلي متعذر وهو انما يثبت بالسمع ما علم بالاضطرار ان الرسول أخبر به كالمعاد وقد يظن أن هذه طريقة أئمة الواقفة في الوعيد كالاشعري والقاضي أبي بكر وغيرهما وليس كذلك فان هؤلاء انما وقفوا في اخبار الوعيد خاصة لان العموم عندهم لا يفيد القطع أو لانهم لا يقولون بصيغ العموم وقد تعارضت عندهم الادلة والا فهم يثبتون الصفات الخبرية لله كالوجه واليد بمجرد السمع والخبر ولم يختلف قول الاشعري في ذلك وهو قول أئمة أصحابه لكن أبو المعالي وأتباعه لا يثبتون الصفات الخبرية بل فيهم من ينفيها ومنهم من يقف فيها كالرازي والآمدي فيمكن أن يقال قول الاشعري ينزع من قول هؤلاء بأن يقال لا يعرف أنهم اعتمدوا في الاصول على دليل سمعي لكن يقال المعاد يحتجون عليه بالقرآن والاحاديث ولكن الرازي هو الذي سلك فيه طريق العلم الضروري ان الرسول جاء به وفي الحقيقة فجميع الادلة اليقينية توجب علما ضروريا والادلة السمعية الخبرية توجب علما ضروريا بأخبار

الرسول لكن منها ماتكثر أدلتـه كخبر الاخبار المتواترة ويحصل به علم ضرورى من غير تعيين دليل وقد يعين الادلة ويستدل بها وبسط هذا له موضع آخر

والمقصود هنا أن يؤخذ من الرسول العلوم الالهية الدينية سمعيها وعقليها ويجعل ماجاء به هو الاصول لدلالة الادلة اليقينية البرهانية على أن ماقاله حق جملة وتفصيلا فدلائل النبوة فاعلامها تدل على ذلك جملة وتفاصيل الادلة العقلية الموجودة فى القرآن والحديث يدل على ذلك تفصيلا وأيضا فان الانبياء والرسل انما بعثوا بتعريف هذا فهم أعلم الناس به وأحقهم بقيامه وأولاهم بالحق فيه وأيضا فمن جرب مايقولونه ويقوله غيرهم وجد الصواب معهم والخطأ مع مخالفيهم كما قال الرازى مع انه من أعظم الناس طعنا في الادلة السمعية حتي ابتدع قولا ماعرف به قائل مشهور غيره وهو أنها لاتفيد اليقين ومع هذا فانه يقول لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيتها تشفى عليلا ولا تروى غليلا ووجدت أقرب الطرق طريقة القرآن أقرأ فى الاثبات اليه يصعد الكلم الطيب الرحمن على العرش استوى واقرأ في النفي ليس كمثله شيء ولايحيطون به علما قال ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتى وأيضا (فمن اعتبر ماعند الطوائف) الذين لم يعتصموا بتعليم الانبياء وارشادهم واخبارهم وجدهم كلهم حائرين ضالين شاكين مرتابين أوجاهلين جهلا مركبا فهم لايخرجون عن المثلين اللذين فى القرآن والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتي اذا جاءه

لم يجده شيأ ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب أو كظلمات في بحر لجيّ يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض اذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا فماله من نور

﴿ فصل ﴾ وأهل الضلال الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا وهم كما قال مجاهد أهل البدع والشبهات يتمسكون بما هو بدعة في الشرع ومشتبه فى العقل كما قال فيهم الامام أحمد قال هم مختلفون في الكتاب مخالفون للكتاب متفقون على مخالفة الكتاب يحتجون بالمتشابه من الكلام ويضلون الناس بما يشبهون عليهم والموفقة من أهل الضلال تجعل لها دينا وأصول دين قد ابتدعوه برأيهم ثم يعرضون على ذلك القرآن والحديث فان وافقه احتجوا به اعتقادا لا اعتمادا وان خالفه فتارة يحرفون الكلم عن مواضعه ويتأولونه على غير تأويله وهذا فعل أئمتهم وتارة يعرضون عنه ويقولون نفوض معناه الى الله وهذا فعل عامتهم وعمدة الطائفتين في الباطن غير ماجاء به الرسول يجعلون أقوالهم البدعية محكمة يجب اتباعها واعتقاد موجبها والمخالف اما كافر واما جاهل لا يعرف هذا الباب وليس له علم بالمعقول ولا بالاصول ويجعلون كلام الله ورسوله الذى يخالفها من المتشابه الذى لا يعرف معناه الا الله أو لا يعرف معناه الا الراسخون فى العلم والراسخون عندهم من كان موافقا لهم على ذلك القول وهؤلاء أضل ممن تمسك بما تشابه عليه من آيات الكتاب ويترك المحكم كالنصارى والخوارج وغيرهم اذ كان

هؤلاء أخذوا بالمتشابه من كلام الله وجعلوه محكما وجعلوا المحكم متشابها وأما أولئك كنفاة الصفات من الجهمية ومن وافقهم من المعتزلة وغيرهم (وكالفلاسفة) فيجعلون ماابتدعوه هم برأيهم هو المحكم الذي يجب اتباعه وان لم يكن معهم من الانبياء والكتاب والسنة مايوافقه ويجعلون ماجاءت به الانبياء وان كان صريحا قد يعلم معناه بالضرورة يجعلونه من المتشابه ولهذا كان هؤلاء أعظم مخالفة للانبياء من جميع أهل البدع حتى قال يوسف بن اسباط وعبدالله بن المبارك وغيرهما كطائفة من أصحاب أحمد ان الجهمية نفاة الصفات خارجون عن الثنتين وسبعين فرقة قالوا وأصولها أربعة الشيعة والخوارج والمرجئة والقدرية * وقد ذكرنا في غير هذا الموضع ان قوله تعالى يقال منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات في المتشابهات قولان أحدهما أنها آيات بعينها تتشابه على كل الناس * والثانى وهو الصحيح ان التشابه أمر نسبي فقد تشابه عند هذا مالا يتشابه عند غيره ولكن ثم آيات محكمات لايتشابه فيها على أحد وتلك المتشابهات اذا عرف معناها صارت غير متشابهة بل القول كله محكم كما قال أحكمت آياته ثم فصلت وهذا كقوله الحلال بين والحرام بين وبين ذلك أمور لايعلمهن كثير من الناس وكذلك قولهم ان البقر تشابه علينا وقد صنف أحمد كتابا في الرد علي الزنادقة والجهمية فيما شكت فيه من متشابه القرآن وتأولوه على غير تأويله وفسر تلك الآيات كلها وذمهم على أنهم تأولوا ذلك المتشابه على غير تأويله وعامتها آيات معروفة قد تكلم العلماء في تفسيرها مثل

الآيات التى سأل عنها نافع بن الازرق لابن العباس قال الحسن البصرى ما أنزل الله آية الا وهو يحب أن يعلم فيم أنزلت وماذا عنى بها ومن قال من السلف ان المتشابه لا يعلم تأويله الا الله فقد أصاب أيضا ومراده بالتأويل ما استأثر الله بعلمه مثل وقت الساعة ومجىء اشراطها ومثل كيفية نفسه وما أعده فى الجنة لاوليائه وكان من أسباب نزول الآية احتجاج النصارى بما تشابه عليهم كقوله انا ونحن وهذا يعرف العلماء أن المراد به الواحد المعظم الذى له أعوان لم يرد به ان الآلهة ثلاثة فتأويل هذا الذى هو تفسيره يعلمه الراسخون ويفرقون بين ما قيل فيه ايا وما قيل فيه انا الدخول الملائكة فيما يرسلهم فيه اذ كانوا رسله وأما كونه هو المعبود الاله فهو له وحده ولهذا لا يقول فايانا فاعبدوا ولا ايانا فارهبوا بل متي جاء الامر بالعبادة والتقوى والخشية والتوكل ذكر نفسه وحده باسمه الخاص واذا ذكر الافعال التي يرسل فيها الملائكة قال انا فتحنا لك فتحا مبينا فاذا قرأناه فاتبع قرآنه نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق ونحو ذلك مع ان تأويل هذا وهو حقيقة مادل عليه من الملائكة وصفاتهم وكيفية ارسال الرب لهم لا يعلمه الا الله كما قد بسط في غير هذا الموضع

والمقصود هنا ان الواجب أن يجعل ما قاله الله ورسوله هو الاصل ويتدبر معناه ويعقل ويعرف برهانه ودليله اما العقلى واما الخبرى السمعي ويعرف دلالة القرآن على هذا وهذا ويجعل أقوال الناس التى قد توافقه وتخالفه متشابهة مجملة فيقال لاصحاب هذه الالفاظ يحتمل كذا وكذا

ويحتمل كذا وكذا فان أرادوا بها ما يوافق خبر الرسول قبل وان أرادوا بها ما يخالفه رد وهذا مثل لفظ المركب والجسم والمتحيز والجوهر والجهة والعرض ونحو ذلك ولفظ الحيز ونحو ذلك فان هذه الالفاظ مالا يوجد في الكتاب والسنة بالمعنى الذى يريده أهل هذا الاصطلاح بل ولا في اللغة أيضا بل هم يختصون بالتعبير بها على معان لم يعبر غيرهم عن تلك المعانى بهذه الالفاظ فيفسر تلك المعانى بعبارات أخرى ويبطن مادل عليه القرآن الادلة العقلية والسمعية واذا وقع الاستفسار والتفصيل تبين الحق من الباطل وعرف وجه الكلام على أدلتهم فانها ملفقة من مقدمات مشتركة يأخذون اللفظ المشترك فى احدى المقدمتين بمعنى وفى المقدمة الاخرى بمعنى آخر فهو في صورة اللفظ دليل وفي المعني ليس بدليل كمن يقول سهيل بعيد من الثريا لايجوز أن يقترن بها ولا يتزوجها والذى قال

* أيها المنكح الثريا سهيلا *

أراد امرأة اسمها الثريا ورجلا اسمه سهيل ثم قال

عمرك الله كيف يلتقيان * هى شامية اذا ما استقلت

* وسهيل اذا استقل يمان *

وهذا لفظ مشترك فجمل يعجبه وانكاره من الظاهر من جهة اللفظ المشترك وقد بسط الكلام على أدلتهم المفصلة في غير موضع

والاصل الذى بني عليه نفاة الصفات وعطلوا ماعطلوه حتى صار منتهاهم الى قول فرعون الذى جحد الخالق وكذب رسوله موسى في

أن الله كلمه هو استدلالهم على حدوث العالم بأن الاجسام محدثة واستدلالهم على ذلك بأنها لاتخلو من الحوادث ولم تسبقها ومالم يخل من الحوادث ولم يسبقها فهو محدث وهذا أصل قول الجهمية الذين أطبق السلف والأئمة على ذمهم وأصل قول المتكلمين الذين أطبقوا على ذمهم وقد صنف الناس مصنفات متعددة فيها أقوال السلف والأئمة في ذم الجهمية وفى ذم هؤلاء المتكلمين

﴿والسلف لم يذموا جنس الكلام﴾ فان كل آدمي يتكلم ولاذموا الاستدلال والنظر والجدل الذي أمر الله به رسوله والاستدلال بما بينه الله ورسوله بل ولا ذموا كلاما هو حق بل ذموا الكلام الباطل وهو المخالف للكتاب والسنة وهو المخالف للعقل أيضاً وهو الباطل

فالكلام الذى ذمه السلف هو الكلام الباطل وهو المخالف للشرع والعقل ولكن كثير من الناس خفى عليه بطلان هـذا الكلام فمنهم من اعتقده موافقاً للشرع والعقل حتى اعتقد ان ابراهيم الخليل استدل به ومن هؤلاء من يجعـله أصل الدين ولا يحصـل الايمان أولايتم الا به ولكن من عرف ماجاء به الرسول وماكان عليه الصحابة علم بالاضطرار أن الرسول والصحابة لم يكونوا يسلكون هذا المسلك فصار من عرف ذلك يعرف أن هذا بدعة وكثير منهـم لايعرف أنه فاسد بل يظن مع ذلك أنه صحيح من جهة العـقل لكنه طويل أو تبعد المعرفة أو هو طريق مخيفة مخطر يخاف على سالكه فصاروا يعيبونه كما يعاب الطريق الطويل والطريق المخيف مع اعتقادهم أنه يوصل الى المعرفة وأنه صحيح

في نفسه* وأما الحذاق العارفون تحقيقه فعلموا أنه باطل عقلا وشرعا وأنه ليس بطريق موصل الى المعرفة بل انما يوصل لمن اعتقد صحته الى الجهل والضلال ومن تبين له تناقضه أوصله الى الحيرة والشك

ولهذا صار حذاق سالكيه ينتهون الى الحيرة والشك اذ كان حقيقته أن كل موجود فهو حادث مسبوق بالعدم وليس في الوجود قديم وهذا مكابرة فان الوجود مشهود وهو اما حادث واما قديم والحادث لابد له من قديم فثبت وجود القديم على التقديرين

وكذلك ماابتدعه في هذه الطريق ابن سينا وأتباعه من الاستدلال بالممكن على الواجب أبطل من ذلك كما قد بسط ذلك في غير هذا الموضع وحقيقته ان كل موجود فهو ممكن ليس في الوجود موجود بنفسه مع انهم جعلوا هذا طريقاً لاثبات الواجب بنفسه كما يجعل أولئك هذا طريقاً لاثبات القديم وكلاهما يناقض ثبوت القديم والواجب فليس في واحد منهما اثبات قديم ولا واجب بنفسه مع ان ثبوت موجود قديم وواجب بنفسه معلوم بالضرورة ولهذا صار حذاق هؤلاء الى أن الموجود الواجب والقديم هو العالم بنفسه وقالوا هو الله وأنكروا أن لايكون العالم رب مباين للعالم اذ كان ثبوت القديم الواجب بنفسه لابد منه على كل قول وفرعون ونحوه ممن أنكر الصانع ماكان ينكر هذا الوجود المشهود فلما كان حقيقة قول أولئك يستلزم أنه ليس موجود قديم ولا واجب لكنهم لايعرفون ان هذا يلزمهم بل يظنون أنهم أقاموا الدليل على اثبات القديم الواجب بنفسه

﴿ ولكن وصفوه ﴾ بصفات الممتنع فقالوا لا داخل العالم ولا خارجه ولا هو صفة ولا موصوف ولا يشار اليه ونحو ذلك من الصفات السلبية التى تستلزم عدمه وكان هذا مما تنفر عنه العقول والفطر ويعرف أن هذا صفة المعدوم الممتنع لا صفة الموجود فدليلهم في نفس الامر يستلزم أنه ماثم قديم ولا واجب ولكن ظنوا انهم أثبتوا القديم والواجب وهذا الذى أثبتوه هو ممتنع فما أثبتوا قديماً ولا واجباً فجاء آخرون من جهتهم فرأوا هذا مكابرة ولا بد من اثبات القديم والواجب فقالوا هو هذا العالم فكان قدماء الجهمية يقولون انه بذاته في كل مكان وهؤلاء قالوا هو غير الموجودات والموجود القديم الواجب هو نفس الوجود المحدث الممكن والحلول هو الذى أظهرته الجهمية للناس حتى عرفه السلف والأئمة وردوه وأما حقيقة قولهم فهو النفى أن لا داخل العالم ولا خارجه ولكن هذا لم تسمعه الأئمة ولم يعرفوا أنه قولهم الا من باطنهم ولهذا كان الأئمة يحكون عن الجهمية انه في كل مكان ويحكون عنهم وصفه بالصفات السلبية وشاع عند الناس أن الجهمية يصفونه بالسلوب حتى قال أبو تمام

جهمية الاوصاف الا أنها * قد حليت بمحاسن الاشياء

وهم لم يقصدوا نفى القديم والواجب فان هذا لا يقصده أحد من العقلاء لا مسلم ولا كافر اذ كان خلاف مايعلمه كل أحد ببديهة عقله فانه اذا قدر أن جميع الموجودات حادثة عن عدم لزم ان كل الموجودات حدثت بأنفسها ومن المعلوم ببداهة العقول ان الحادث لا يحدث بنفسه

ولهذا قال تعالى أم خلقوا من غير شئ أم هم الخالقون وقد قيل خلقوا من غير شئ من غير رب خلقهم وقيل من غير مادة وقيل من غير عاقبة وجزاء والاول مراد قطعاً فان كل ماخلق من مادة أو لغاية فلابد له من خالق

(ومعرفة الفطر) أن المحدث لابد له من محدث أظهر فيها من ان كل محدث لابد له من مادة خلق منها وغاية خلق لها فان كثيراً من العقلاء نازع في هذا وهذا ولم ينازع فى الاول طائفة قال ان هذا العالم حدث من غير محدث أحدثه بل من الطوائف من قال انه قديم بنفسه واجب بنفسه ليس له صانع واما أن يقول انه محدث حدث بنفسه بلا صانع فهذا لايعرف عن طائفة معروفة وانما يحكى عمن لايعرف ومثل هذا القول وأمثاله يقوله من يقوله ممن حصل له فساد فى عقله صار به الى السفسطة والسفسطة تعرض لآحاد الناس وفى بعض الامور ولكن أمة من الامم كلهم سوفسطائية في كل شئ هذا لايتصور فلهذا لايعرف عن أمة من الامم انهم قالوا بحدوث العالم من غير محدث وهؤلاء لما اعتقدوا ان كل موصوف أو كل ماقامت به صفة أو فعل بمشيئته فهو محدث وممكن لزمهم القول بحدوث كل موجود اذ كان الخالق جل جلاله متصفا بما يقوم به من الصفات والامور الاختياريات مثل أنه متكلم بمشيئته وقدرته و يخلق مايخلقه بمشيئته وقدرته لكن هؤلاء اعتقدوا انتفاء هذه الصفات عنه لاعتقادهم صحة القول بأن ماقامت به الصفات والحوادث فهو حادث لان ذلك لايخلو

من الحوادث ومالم يخل من الحوادث فهو حادث واذا كان حادثا كان له محدث قديم واعتقدوا أنهم أثبتوا الرب وانه ذات مجردة عن الصفات ووجوده مطلق لا يشار اليه ولا يتعين ويقولون هو بلا اشارة ولا تعيين وهذا الذي أثبتوه لاحقيقة له في الخارج وانما هو في الذهن فكان ماأثبتوه واعتقدوا أنه الصانع للعالم انما يتحقق في الاذهان لافي الاعيان وكان حقيقة قولهم تعطيل الصانع فجاء اخوانهم في أصل المقالة وقالوا هذا الوجود المطلق المجرد عن الصفات هو الوجود السارى في الموجودات فقالوا بحلوله في كل شئ وقال آخرون منهم هو وجود كل شئ ومنهم من فرق بين الوجود والثبوت ومنهم من فرق بين التعيين والاطلاق ومنهم من جعله فى العالم كالمادة في الصورة ومنهم من جعله في العالم كالزبد فى اللبن وكالزيت والشيرج فى السمسم والزيتون وقد بسط الكلام على هؤلاء فى غير هذا الموضع

والمقصود هنا أن الاصل الذى أضلهم قولهم ماقامت به الصفات والافعال والامور الاختيارية أو الحوادث فهو حادث ثم قالوا والجسم لايخلو من الحوادث وأثبتوا ذلك بطرق منهم من قال لايخلو عن الاكوان الاربعة الحركة والسكون والاجتماع والافتراق ومنهم من قال لايخلو عن الحركة والسكون فقط ومنهم من قال لايخلو عن الاعراض والاعراض كلها حادثة وهى لاتبقى زمانين وهذه طريقة الآمدى وزعم أن أكثر أصحاب الاشعرية اعتمدوا عليها والرازي اعتمد على طريقة الحركة والسكون

وقد بسط الكلام على هذه الطرق وجميع ما احتجوا به على حدوث الجسم وامكانه وذكرنا في ذلك كلامهم هم أنفسهم في فساد جميع هذه الطرق وانهم هم بينوا فساد جميع ما استدل به على حدوث الجسم وامكانه و بينوا فسادها طريقاً طريقاً؛ اذ ذكروه كما قد بسط هذا في غير هذا الموضع

وأما الهشامية والكرامية وغيرهم ممن يقول بأنه جسم قديم فقد شاركوهم في أصل هـذه المقالة لكن لم يقولوا بحدوث كل جسم ولا قالوا ان التجسم لا ينفك عن الحوادث اذ كان القديم عندهم جسماً قديماً وهو خال من الحوادث وقد قيل أول من قال في الاسلام ان القديم جسم هو هشام بن الحكم كما ان أول من أظهر في الاسلام في الجسم هو الجهم بن صفوان وكلام السلف والائمة في ذم الجهمية كثير مشهور فان مرض التعطيل شر من مرض الجسم وانما كان السلف يذمون المشبهة كما قال الامام أحمد بن حنبل رضى الله عنه واسحق ابن راهويه وغيرهما قالوا المشبهة الذين يقولون بصر كبصري ويد كيدي وقدم كقدمي وابن كلاب ومن تبعه أثبتوا الصفات التى لا تثبت بمشيئته وقدرته فينفونها قالوا لانها حادثة ولو قامت به الحوادث لكان حادثاً لان ماقبل الشيء لم يخل عنه وعن ضده فلو قبل بعض هـذه الحوادث لم يخل منه ومن ضده فلم يخل من الحوادث فيكون حادثاً

ومحمد بن كرام فكان بعد ابن كلاب في عصر مسلم بن الحجاج أثبت انه يوصف بالصفات الاختياريات ويتكلم بمشيئته وقدرته ولكن عنده يمتنع انه كان في الاول متكلما بمشيئته وقدرته لامتناع حوادث

لأول لها فلم يقل بقول السلف انه لم يزل متكلما اذا شاء بل قال انه
صار يتكلم بمشيئته وقدرته كما صار يفعل بمشيئته وقدرته بعدان لم يكن
كذلك وقال هو وأصحابه فى المشهور عنه ان الحوادث التى تقوم به
لايخلو منها ولا يزول عنها لانه لو قامت به الحوادث ثم زالت عنه كان
قابلا لحدوثها وزوالها واذا كان قابلا كذلك لم يخل منه ومالم يخل من
الحوادث فهو حادث وانما يقبل علي أصلهم انه تقوم به الحوادث فقط
كما يقبل أن يفعلها ويحدثها ولا يلزم من ذلك أنها لم تخل منه كما لم يلزم
أنه لم يزل فاعلا لها والحدوث عندهم غير الاحداث والقرآن عندهم
حادث لامحدث لان المحدث يفتقر الي احداث بخلاف الحدوث وهم
اذا قالوا كان خاليا منها في الازل وكان ساكنا لم يقولوا انه قام به حادث
بل يقولون السكون أمر عدمى كما يقوله الفلاسفة ولكن الحركة أمر
وجودى بخلاف مايقوله من المعتزلة والاشعرية ان السكون أمر وجودى
كالحركة فاذا حصل به حادث لم يكن ثم عدم هذا الحادث فانما يعدم
الحادث باحداث يقوم به وهذا ممتنع وهم يقولون انه يمتنع عدم الجسم
وعندهم ان البارى يقوم به احداث المخلوقات وافناؤها فالحوادث
التى تقوم بهم تقوم به لو أفناها لقام به الاحداث والافناء فكان قابلا
لان يحدث فيه حادث ويفنى ذلك الحادث وما كان كذلك لم يخل من
احداث وافناء فلم يخل من الحوادث ومالم يخل منها فهو حادث وانما
كان كذلك لان القابل للشئ لايخلو عنه وعن ضده كما قالت الكلابية
لكن المعتزلة يقولون السكون ضد الحركة فالقابل لاحدهما لايخلو عنه

وعن الآخر وهؤلاء يقولون السكون ليس بضد وجودي بل هو عدمي وانما الوجودى هو الاحداث والافناء فلو قبل قيام الاحداث والافناء به لكان قابلا لقيام الاضداد الوجودية والقابل للشئ لايخلو عنه وعن ضده وهؤلاء لما أراد منازعوهم ابطال قولهم كان عمدتهم بيان تناقض أقوالهم كما ذكر ذلك أبو المعالى وأتباعه وكما ذكر الآمدى تناقضهم من وجوه كثيرة قد ذكرت فى غير هذا الموضع وغايتها انها تدل على مناقضتهم لاعلى صحة مذهب المنازع

وثم طائفة كثيرة تقول انه تقوم به الحوادث وتزول وانه كلم موسى بصوت وذلك الصوت عدم وهذا مذهب أئمة السنة والحديث من السلف وغيرهم وأظن الكرامية لهم في ذلك قولان والا فالقول بفناء الصوت الذى كلم به موسى من جنس القول بقدمه كما يقول ذلك من يقوله من أهل الكلام والحديث والفقه من السالمية وغيرهم ومن الحنبلية والشافعية والمالكية يقول انه كلم موسى بصوت سمعه موسى وذلك الصوت قديم وهذا القول يعرف فساده ببديهة العقل وكذلك قول من يقول كلمه بصوت حادث وان ذلك الصوت باق لايزال هو وسائر مايقوم به من الحوادث هى أقوال يعرف فسادها بالبديهة

وانما أوقع هذه الطوائف في هذه الاقوال ذلك الاصل الذى تلقوه عن الجهمية وهو أن مالم يخل من الحوادث فهو حادث وهو باطل عقلا وشرعا وهذا الاصل فاسد مخالف للعقل والشرع وبه استطالت عليهم الفلاسفة الدهرية فلا للاسلام نصروا ولا لعدوه كسروا

بل قد خالفوا السلف والائمة وخالفوا العقل والشرع وسلطوا عليهم وعلى المسلمين عدوهم من الفلاسفة والدهرية والملاحدة بسبب غلطهم في هذا الاصل الذى جعلوه أصل دينهم ولو اعتصموا بما جاء به الرسول لوافقوا المنقول والمعقول وثبت لهم الاصل ولكن ضيعوا الاصول فحرموا الوصول والاصول اتباع ماجاء به الرسول

وأحدثوا أصولا ظنوا انها أصول ثابتة وكانت كما ضرب الله المثلين مثل البناء والشجرة فقال في المؤمنين والمنافقين أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله و رضوان خير أمن أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم والله لايهدى القوم الظالمين وقال ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتى أكلها كل حين باذن ربها ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض مالها من قرار يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله مايشاء والاصول مأخوذة من أصول الشجرة وأساس البناء ولهذا يقال فيه الاصل مايبتنى عليه غيره أو مايتفرع عنه غيره

فالاصول الثابتة هى أصول الانبياء كما قيل

أيها المغتدى لتطلب علما * كل علم عبد لعلم الرسول
تطلب الفرع كي تصحح حكما * ثم أغفلت أصل أصل الاصول

والله يهدينا وسائر اخواننا المؤمنين الى صراطه المستقيم صراط

الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا وهذه الاصول ينبنى عليها مافي القلوب ويتفرع عليها وقد ضرب الله مثل الكلمة الطيبة التى فى قلوب المؤمنين ومثل الكلمة الخبيثة التي في قلوب الكافرين

والكلمة هى قضية جازمة وعقيدة جامعة ونبينا صلى الله عليه وسلم أوتى فواتح الكلام وخواتمه وجوامعه فبعث بالعلوم الكلية والعلوم الاولية والآخرية على أتم قضية فالكلمة الطيبة في قلوب المؤمنين وهى العقيدة الايمانية التوحيدية كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء فاصل أصول الايمان ثابت في قلب المؤمن كثبات أصل الشجرة الطيبة وفرعها في السماء اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه والله سبحانه مثل الكلمة الطيبة أي كلمة التوحيد بشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء

فبين بذلك ان الكلمة الطيبة لها أصل ثابت فى قلب المؤمن ولها فرع عال وهى ثابتة فى قلب ثابت كما قال يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفي الآخرة فالمؤمن عنده يقين وطمأنينة والايمان فى قلبه ثابت مستقر وهو في نفسه ثابت على الايمان مستقر لايحول عنه والكلمة الخبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض استؤصلت واجتثت كما يقطع الشيء يجتث من فوق الارض مالها من قرار لامكان تستقر فيه ولا استقرار في المكان فان القرار يراد به مكان الاستقرار كما قال تعالى بئس القرار وقال جعل لكم الارض قرارا

ويقال فلان ماله قرار أى ثبات وقد فسر القرار فى الآية بهذا وهذا فالمبطل ليس قوله ثابتا في قلبه ولا هو ثابت فيه ولا يستقر كما قال تعالى فى المثل الآخر فاما الزبد فيذهب جفاء وأما ماينفع الناس فيمكث فى الارض فانه وان اعتقده مدة فانه عند الحقيقة يخونه كالذى يشرك بالله فعنـد الحقيقة يضل عنه ما كان يدعو من دون الله وكذلك الافعال الباطلة التي يعتقدها الانسان عنـد الحقيقة تخونه ولا تنفـعه بل هى كالشجرة الخبيثة التى اجتثت من فوق الارض مالها من قرار فمن كان معه كلمة طيبة أصلها ثابت كان له فرع في السماء يوصله الى الله فانه سبحانه اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ومن لم يكن معه أصل ثابت فانه يحرم الوصول لانه ضيع الاصول ولهذا تجد أهل البـدع والشبهات لايصلون الى غاية محمودة كما قال تعالى له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لايستجيبون لهم بشىء الا كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه وما دعاء الكافرين الا في ضلال

والله سبحانه بعث الرسـل وأنزل الكتب بان يكون هو المعبود وحده لاشريك له وانما يعبد بما أمر به على ألسن رسله

وأصل عبادته معرفته بما وصف به نفسه في كتابه وما وصف به رسله ولهذا كان مذهب السلف انهم يصفون الله بما وصف به نفسـه وما وصفه به رسله من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل والذين ينكرون بعض ذلك ماقدروا الله حق قدره وما عرفوه حق معرفته ولا وصفوه حق صفته ولا عبدوه حق عبادته

والله سبحانه قد ذكر هذه الكلمة ماقدروا الله حق قدره فى ثلاث مواضع ليثبت عظمته في نفسه وما يستحقه من الصفات وليثبت وحدانيته وانه لايستحق العبادة الا هو وليثبت ماأنزله على رسله فقال في الزمر وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة الآية وقال فى الحج ضعف الطالب والمطلوب ماقدروا الله حق قدره وقال فى الانعام وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ماأنزل الله على بشر من شئ والمواضع الثلاثة ذم الذين ماقدروه حق قدره من الكفار فدل ذلك على انه يجب علي المؤمن أن يقدر الله حق قدره كما يجب عليه أن يتقيه حق تقاته وأن يجاهد فيه حق جهاده قال تعالى وجاهدوا فى الله حق جهاده وقال اتقوا الله حق تقاته والمصدر هنا مضاف الى المفعول والفاعل مراد أي حق جهاده الذى أمركم به وحق تقاته التي أمركم بها واقدروه قدره الذى بينه لكم وأمركم به فصدقوا الرسول فيما أخبر وأطيعوه فيما أوجب وأمر وأما مايخرج عن طاقة البشر فذلك لايذم أحد على تركه قالت عائشة فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن الحريصة على اللهو * ودلت الآية على ان له قدرا عظيما لاسيما قوله وماقدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه وفى تفسير ابن أبي طلحة عن ابن عباس قال من آمن بأن الله على كل شئ قدير فقد قدر الله حق قدره

وقد ثبت فى الصحيحين من حديث ابن مسعود ان النبى صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية لما ذكر له بعض اليهود ان الله يحمل السموات

على أصبع والارضين على أصبع والجبال على أصبع والشجر والثري على أصبع وسائر الخلق على أصبع فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم تعجبا وتصديقا لقول الحبر وقرأ هذه الآية

وعن ابن عباس قال مر يهودى بالنبي صلى الله عليه وسلم فقال يا أبا القاسم ماتقول اذا وضع الله السماء على ذه والأرض على ذه والجبال والماء على ذه وسائر الخلق على ذه فأنزل الله تعالى وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه رواه الامام أحمد والترمذى من حديث أبى الضحى عن ابن عباس وقال غريب حسن صحيح

وهذا يقتضي ان عظمته أعظم مما وصف ذلك الحبر فان الذى فى الآية أبلغ كما في الصحيحين عن أبى هريرة عن النبى صلي الله عليه وسلم قال يقبض الله الارض يوم القيامة ويطوى السماء بيمينه ثم يقول أنا الملك أين ملوك الارض وفى الصحيحين عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يطوى الله السموات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمني ثم يقول أين الملوك أين الجبارون أين المتكبرون ورواه مسلم أبسط من هذا وذكر فيه انه يأخذ الارض بيده الاخرى

وقد روى ابن حاتم حدثنا أبى ثنا عمرو بن رافع ثنا يعقوب بن عبدالله عن جعفر عن سعيد بن جبير قال تكلمت اليهود فى صفة الرب تبارك وتعالى فقالوا مالم يعلموا ولم يروا فأنزل الله على نبيه وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات

بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون فجعل صفته التي وصفوا بها شركا

وقال حدثنا أبى ثنا أبو نعيم ثنا الحكم يعنى أبا معاذ عن الحسن قال عمدت اليهود فنظروا فى خلق السموات والارض والملائكة فلما فرغوا أخذوا يقدرونه فأنزل الله تعالى على نبيه وما قدروا الله حق قدره وهذا يدل على انه أعظم مما وصفوه وانهم لم يقدروه حق قدره وقوله عما يشركون فكل من جعل مخلوقا مثلا للخالق في شئ من الاشياء فأحبه مثل ما يحب الخالق أو وصفه بمثل ما يوصف به الخالق فهو مشرك سوى بين الله وبين المخلوق في شئ من الاشياء فعدل بربه والرب تعالى لا كفؤ له ولا سمى له ولا مثل له ومن جعله مثل المعدوم والممتنع فهو شر من هؤلاء فانه معطل ممثل والمعطل شر من المشرك

﴿ والله ثنى قصة فرعون ﴾ فى القرآن فى غير موضع لاحتياج الناس الى الاعتبار بها فانه حصل له من الملك ودعوى الربوبية والالهية والعلو مالم يحصل مثله لاحد من المعطلين وكانت عاقبته الى ماذكر الله تعالى وليس لله صفة يماثله فيها غيره فلهذا لم يجز أن يستعمل في حقه قياس التمثيل ولا قياس الشمول الذى يستوى افراده فان ذلك شرك اذ سوى فيه بالمخلوق بل قياس الاولى فانه سبحانه له المثل الاعلى فى السموات والارض فهو أحق من غيره بصفات الكمال وأحق من غيره بالتنزيه عن صفات النقص وقد بسط هذه الامور فى غير هذا الموضع وبين ان من جعله الوجود المطلق والمقيد بالسلب أو ذاتا مجردة فهؤلاء مثلوه بأنقص المعقولات الذهنية وجعلوه دون الموجودات الخارجية والنفاة

الذين قصدوا اثبات حدوث العالم باثبات حدوث الجسم لم يثبتوا بذلك حدوث شيء كما قد بين في موضعه

ثم انهم جعلوا عمدتهم في تنزيه الرب عن النقائص على نفي الجسم ومن سلك هذا المسلك لم ينزه الله عن شيء من النقائص البتة فانه ما من صفة ينفيها لانها تستلزم التجسيم وتكون من صفات الاجسام الا يقال له فيما أثبته نظير ما يقوله هو في نفس تلك الصفة فان كان مثبتا لبعض الصفات قيل له القول في هذه الصفة التي ينفيها كالقول فيما أثبته فان كان هذا تجسيما وقولا باطلا فهذا كذلك وان قلت أنا أثبت هذا على الوجه الذي يليق بالرب قيل له وكذلك هذا كذلك وان قلت أنا أثبته وأنفي التجسيم قيل ذلك وهذا كذلك فليس لك أن تفرق بين المتماثلين وان ممن يثبت الاسماء وينفي الصفات كالمعتزلة قيل له في الصفات ما يقوله هو في الاسماء فاذا كان يثبت حيا عالما قادرا وهو لا يعرف من هو متصف بذلك الا جسما كان اثبات ان له علما وقدرة كما نطق به الكتاب والسنه كذلك وان كان ممن لا يثبت لا الاسماء ولا الصفات كالجهمية المحضة والملاحدة قيل له فلابد أن تثبت موجودا قائما بنفسه وأنت لا تعرف ذلك الا جسما وان قال لا اسميه باسم لا اثبات ولا نفي قيل له سكوتك لا ينفي الحقائق ولا واسطة بين النفي والاثبات فاما أن يكون حقا ثابتا موجودا واما أن يكون باطلا معدوما وأيضا فان كنت لم تعرفه فانت جاهل فلا تتكلم وان عرفته فلابد أن تميز بينه وبين غيره بما يختص به مثل أن يقول رب العالمين أو القديم الازلي

أو الموجود بنفسه ونحو ذلك وحينئذ فقد أثبت حيا موجودا قائما بنفسه وأثبته فاعلا وأنت لا تعرف ما هو كذلك الا الجسم وان قدر انه جاحد له قيل له فهذا الوجود مشهود فان كان قديما أزليا موجودا بنفسه فقد ثبت جسم قديم أزلي موجود بنفسه وهو ما فررت منه وان كان مخلوقا مصنوعا فله خالق خلقه ولا بد أن يكون قديما أزليا فقد ثبت الموجود القائم بنفسه القديم الازلى على كل تقدير وهذا مبسوط في غير هذا الموضع

وهنا قد نبهنا على ذلك وانه كل من بنى تنزيهه للرب عن النقائص والعيوب على نفى الجسم فانه لا يمكنه أن ينزهه عن عيب أصلا بهذه الحجة وكذلك من جعل عمدته نفى التركيب

ومن تدبر ما ذكروه في كتبهم تبين له انهم لم يقيموا حجة على وجوده فلا هم أثبتوه وأثبتوا له ما يستحقه ولا نزهوه ونفوا عنه ما لا يجوز عليه اذ كان اثباته هو اثبات حدوث الجسم ولم يقيموا على ذلك دليلا والنفي اعتمدوا فيه على ذلك وهم متناقضون فيه لو كانوا أقاموا دليلا على نفى كونه جسما فكيف اذا لم يقيموا على ذلك دليلا وتناقضوا

وهذا مما يتبين لك ان من خرج عن الكتاب والسنة فليس معه علم لا عقلي ولا سمعي لا سيما في هذا المطلوب الاعظم لكنهم قد يكونون معتقدين لعقائد صحيحة عرفوها بالفطرة العقلية وبما سمعوه من القرآن ودين المسلمين فقلوبهم تثبت ما تثبت وتنفى ما تنفى بناء على هذه الفطرة المكملة بالشرعة المنزلة لكنهم سلكوا هذه الطرق البدعية وليس فيها

علم أصلا ولكن يستفاد من كلامهم ابطال بعضهم لقول المبطل الآخر
وبيان تناقضه ولهذا لما ذكروا المقالات الباطلة في الرب جعلوا يردونها
بان ذلك تجسيم كما فعل القاضى أبو بكر فى هداية المسترشدين وغيره
فلم يقيموا حجة على أولئك المبطلين وردوا كثيراً مما يقول اليهود بأنه
تجسيم وقد كان اليهود عند النبى صلى الله عليه وسلم بالمدينة وكانوا أحيانا
يذكرون له بعض الصفات كحديث الحبر وقد ذم الله اليهود على أشياء
كقولهم ان الله فقير وان يده مغلولة وغير ذلك ولم يقل النبى صلى الله
عليه وسلم قط انهم يجسمون ولا ان فى التوراة تجسيما ولا عابهم بذلك
ولا رد هذه الاقوال الباطلة بأن هذا تجسيم كما فعل ذلك من فعله من
النفاة فبين ان هذه الطريقة مخالفة للشرع والعقل وانها مخالفة لما بعث
الله به رسوله ولما فطر عليه عباده وان أهلها من جنس الذين قالوا لو
كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير وقد بينا في غير هذا الموضع
فساد ما ذكره الرازي من ان طريقة الوجوب والامكان من أعظم
الطرق وبينا فساده وانها لاتفيد علماً وانهم لم يقيموا دليلا على اثبات
واجب الوجود وان طريقة الكمال أشرف منها وعليها اعتماد العقلاء
قديماً وحديثاً وهو قد اعترف في آخر عمره بانه قد تأمل الطرق
الكلامية والمناهج الفلسفية فما وجدها تشفى عليلا ولا تروى غليلا
ووجد أقرب الطرق طريقة القرآن وطريقة الوجوب والامكان لم
يسلكها أحد قبل ابن سينا وهو أخذها من كلام المتكلمين الذين قسموا
الوجود الى محدث وقديم فقسمه هو الى واجب وممكن ليمكنه القول

بأن الفك ممكن مع قدرته وخالف بذلك عامة العقلاء من سلفه وغير سلفه وخالف نفسه فانه قد ذكر فى المنطق ما ذكره سلفه من أن الممكن لايكون الا محدثا كما قد بسط الكلام عليه فى غير هذا الموضع

﴿ ثم ﴾ ان هؤلاء الذين سلكوا هذه الطريقة انتهت بهم الى قول فرعون فان فرعون جحد الخالق وكذب موسى في أن الله كلمه وهؤلاء ينتهى قولهم الى جحد الخالق وان أثبتوه قالوا انه لايتكلم ولا نادي أحداً ولا ناجاه وعمدتهم فى نفي ذاته على نفى الجسم وفي نفى كلامه وتكليمه لموسى على أنه لاتحله الحوادث فلا يبقى عندهم رب ولا رسول فحقيقة قولهم تناقض شهادة أن لا اله الا الله وأن محمداً رسول الله فان الرسول هو المبلغ لرسالة مرسله والرسالة هى كلامه الذى بعثه به فاذا لم يكن متكلماً لم تكن رسالة ولهذا اتفق الانبياء على أن الله يتكلم ومن لم يقل انه يتكلم بمشيئته وقدرته كلاما يقوم بذاته لم يقل انه يتكلم والنفاة منهم من يقول

الكلام صفة فعل بمعني أنه مخلوق بائن عنهم ومنهم من يقول هو صفة ذات بمعنى أنه كالحياة يقوم بذاته وهو لايتكلم بمشيئته وقدرته وكل طائفة مصيبة فى ابطال باطل الاخرى

والدليل يقوم على أنه صفة ذات وفعل تقوم بذات الرب والرب يتكلم بمشيئته وقدرته فادلة من قال انه صفة فعل كلها انما تدل على أنه يتكلم بقدرته ومشيئته وهذا حق وأدلة من قال انه صفة ذات انما تدل على أن كلامه يقوم بذاته وهذا حق وأما من أثبت أحدهما كمن

قال ان كلامه مخلوق أوقال انه لا يتكلم بمشيئته وقدرته فهؤلاء في الحقيقة لم يثبتوا أنه يتكلم ولا أثبتوا له كلاما وهذا يقولون مالا يعقل هذا يقول انه معنى واحد قام بالذات وهذا يقول حروف أو حروف وأصوات قديمة أزلية لازمة لذاته وهذا يقول مخلوق بائن عنه

ولهذا لما ظهر لطائفة من أتباعهم ما في قولهم من الفساد ولم يعرفوا غير هذه الاقوال الثلاثة حاروا وتوقفوا وقالوا نحن نقر بما عليه عموم المسلمين من ان القرآن كلام الله وأما كونه مخلوقا أو بحرف وصوت أو معنى قائم بالذات فلا نقول شيئا من هذا ومعلوم أن الهدى في هذه الاصول ومعرفة الحق فيها ومعرفة ماجاء به الرسول وهو الموافق لصريح المعقول أنفع وأعظم من كثير مما يتكلمون فيه من العلم لاسيما والقلوب تطلب معرفة الحق في هذه بالفطرة ولما قد رأوا من اختلاف الناس فيها وهؤلاء يذكرون هذا الوقف في عقائدهم وفيما صنفوه فى أصول الدين كما قد رأيت منهم من أكابر شيوخ العلم والدين بمصر والشام قد صنفوا فى أصول الدين ماصنفوه ولما تكلموا في مسئلة القرآن وهل هو مخلوق أو قديم أوهو الحروف والاصوات أو معنى قائم بالذات نهوا عن هذه الاقوال وقالوا الواجب أن يقال ماقاله المسلمون كلهم ان القرآن كلام الله ويمسك عن هذه الاقوال وهؤلاء توقفوا عن حيرة وشك ولهم رغبة فى العلم والهدى والدين وهم من أحرص الناس على معرفة الحق في ذلك وغيره لكن لم يعلموا الا هذه الاقوال الثلاثة قول المعتزلة والكلابية والسالمية وكل طائفة تبين فساد قول الاخرى وفي كل

قول من الفساد مايوجب الامتناع من قبوله ولم يعلموا قولا غير هذه فرضوا بالجهل البسيط وكان أحب اليهم من الجهل المركب وكان أسباب ذلك أنهم وافقوا هؤلاء على أصل قولهم ودينهم وهو الاستدلال على حدوث الاجسام وحدوث العالم بطريقة أهل الكلام المبتدع كما سلكها من ذكرته من أجلاء شيوخ أهل العلم والدين والاستدلال على امكانها بكونها مركبة كما سلك الشيخ الآخر وهذا ينفي عن الواجب أن يكون جسما بهذه الطريقة وذلك نفي عنه أنه جسم بتلك الطريقة وحذاق النظار الذين كانوا أخبر بهذه الطرق وأعظم نظراً واستدلالا بها وبغيرها قد عرفوا فسادها كما قد بسط في غير هذا الموضع

والله سبحانه قد أخبر أنه أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وأخبر أنه ينصر رسله والذين آمنوا في الحياة الدنيا والله سبحانه يجزي الانسان بجنس عمله فالجزاء من جنس العمل فمن خالف الرسل عوقب بمثل ذنبه فان كان قد قدح فيهم ونسب مايقولونه الى أنه جهل وخروج عن العلم والعقل ابتلي في عقله وعلمه وظهر من جهله ماعوقب به ومن قال عنهم انهم تعمدوا الكذب أظهر الله كذبه ومن قال انهم جهال أظهر الله جهله ففرعون وهامان وقارون لما قالوا عن موسى انه ساحر كذاب أخبر الله بذلك عنهم في قوله ولقد أرسلنا موسى بآياتنا الى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب وطلب فرعون اهلاكه بالقتل وصار يصفه بالعيوب كقوله وقال فرعون ذروني أقتل موسى وليدع ربه انى أخاف أن يبدل دينكم أو ان يظهر فى الارض الفساد

وقال أم أنا خير من هذا الذى هو مهين ولا يكاد يبين أهلك الله فرعون وأظهر كذبه وافتراءه على الله وعلى رسله وأذله غاية الاذلال وأعجزه عن الكلام النافع فلم يبين حجة وفرعون هذه الامة أبو جهل كان يسمى أبا الحكم ولكن النبي صلى الله عليه وسلم سماه أبا جهل وهو كما سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو جهل أهلك به نفسه وأتباعه فى الدنيا والآخرة

﴿ والذين ﴾ قالوا عن الرسول انه أبتر وقصدوا أنه يموت فينقطع ذكره عوقبوا بانبتارهم كما قال تعالى ان شانئك هو الابتر فلا يوجد من شنأ الرسول الا بتره الله حتى أهل البدع المخالفون لسنته قيل لابي بكر ابن عياش ان بالمسجد قوما يجلسون للناس ويتكلمون بالبدعة فقال من جلس للناس جلس الناس اليه لكن أهل السنة يبقون ويبقى ذكرهم وأهل البدعة يموتون ويموت ذكرهم

وهؤلاء المشبهون لفرعون الجهمية نفاة الصفات الذين وافقوا فرعون فى جحده وقالوا انه ليس فوق السموات وان الله لم يكلم موسى تكليما كما قال فرعون ياهامان ابن لى صرحا لعلى أبلغ الاسباب أسباب السموات فاطلع الى اله موسى وانى لاظنه كاذبا وكان فرعون جاحداً للرب فلولا أن موسى أخبره أن ربه فوق العالم لما قال أطلع الى اله موسى وانى لاظنه كاذبا قال تعالى وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل وما كيد فرعون الا في تباب وقال تعالى وقال فرعون ياأيها الملأ ماعلمت لكم من اله غيرى فاوقد لي ياهامان على الطين فاجعل

لي صرحا لعلى أطلع الى اله موسي وانى لأظنه من الكاذبين واستكبر هو وجنوده فى الارض بغير الحق وظنوا انهم الينا لا يرجعون فاخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين وجعلناهم أئمة يدعون الي النار ويوم القيامة لا ينصرون وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة هم من المقبوحين

ومحمد صلي الله عليه وسلم لما عرج به الي ربه وفرض عليه الصلوات الخمس ذكر انه رجع الى موسى وان موسى قال له ارجع الى ربك فسله التخفيف الى أمتك كما تواتر هذا في أحاديث المعراج فموسي صدق محمدا فى أن ربه فوق وفرعون كذب موسى فى ان ربه فوق فالمقرون بذلك متبعون لموسى ومحمد والمكذبون بذلك موافقون لفرعون

وهذه الحجة مما اعتمد عليها غير واحد من النظار وهى مما اعتمد عليه أبو الحسن الاشعرى في كتابه فى الابانه وذكر عدة أدلة عقلية وسمعية على ان الله فوق العالم وقال في أوله

فان قال قائل قد أنكرتم قول الجهمية والقدرية والخوارج والروافض والمعتزلة والمرجئة فعرفونا قولكم الذى به تقولون وديانتكم التى بها تدينون

قيل له قولنا الذى نقول به وديانتنا التى ندين بها التمسك بكتاب ربنا وسنة نبينا وما جاء عن الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين وبما كان يقول به أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل قائلون ولما خالف قوله مجانبون فانه الامام الكامل والرئيس الفاضل الذي أبان الله به الحق وأوضح به

المناهج وقع به بدع المبتدعين وزيغ الزائغين وشك الشاكين فرحمه الله من امام مقدم وكبير مفهم وعلى جميع أئمة المسلمين وذكر جملة الاعتقاد والكلام على علو الله على العرش وعلى الرؤية ومسئلة القرآن ونحو ذلك وهذا مبسوط في غير هذا الموضع

والمقصود هنا ان المعطلة نفاة الصفات أو نفاة بعضها لا يعتمدون في ذلك على ماجاء به الرسول اذ كان ماجاء به الرسول انما يتضمن الاثبات لا النفى لكن يعتمدون فى ذلك على مايظنونه أدلة عقلية ويعارضون بذلك ماجاء به الرسول وحقيقة قولهم ان الرسول لم يذكر في ذلك مايرجع اليه لامن سمع ولا عقل فلم يخبر بذلك خبرا يبين به الحق على زعمهم ولا ذكر أدلة عقلية تبين الصواب فى ذلك على زعمهم بخلاف غير هذا فانهم معترفون بان الرسول ذكر فى القرآن أدلة عقلية على ثبوت الرب وعلى صدق الرسول وقد يقولون أيضا انه أخبر بالمعاد لكن نفوا الصفات لما رأوا ان ماذكروه من النفي لم يذكره الرسول فلم يخبر به ولا ذكر دليلا عقليا عليه بل انما ذكر الاثبات وليس هو فى نفس الامر حقا فاحوج الناس الى التأويل أو التفويض فلما نسبوا ماجاء به الرسول الي انه ليس فيه لادليل سمعي ولا عقلي لاخبر يبين الحق ولا دليل يدل عليه عاقبهم الله بجنس ذنوبهم فكان مايقولونه في هذا الباب خارجا عن العقل والسمع مع دعواهم انه من العقليات البرهانية فاذا اختبره العارف وجده من الشبهات الشيطانية من جنس شبهات أهل السفسطة والالحاد الذين يقدحون في العقليات

والسمعيات وأما السمع فخلافهم له ظاهر لكل أحد وانما يظن من يعظمهم ويتبعهم انهم أحكموا العقليات فاذا حقق الامر وجدهم كما قال أهل النار لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير وكما قال تعالى والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض اذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور

فلما كان حقيقة قولهم ان القرآن والحديث ليس فيه في هذا الباب دليل سمعى ولا عقلي سلبهم الله في هذا الباب معرفة الادلة السمعية والعقلية حتى كانوا من أضل البرية مع دعواهم انهم أعلم من الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين بل قد يدعون انهم أعلم من النبيين وهذا ميراث من فرعون وحزبه اللامين

وقد قيل ان أول من عرف انه أظهر في الاسلام التعطيل الذى تضمنه قول فرعون هو الجعد بن درهم فضحي به خالد بن عبد الله القسرى وقال أيها الناس ضحوا تقبل الله ضحاياكم انى مضح بالجعد بن درهم انه زعم ان الله لم يتخذ ابراهيم خليلا ولم يكلم موسى تكليما تعالى الله عما يقول الجعد علوا كبيرا ثم نزل فذبحه وشكر له علماء المسلمين مافعله كالحسن البصرى وغيره وهذا الجعد اليه ينسب مروان ابن محمد الجعدى آخر خلفاء بنى أمية وكان شؤمه عاد عليه حتى زالت

الدولة فانه اذا ظهرت البدع التي تخالف دين الرسل انتقم الله ممن خالف الرسل وانتصر لهم ولهذا لما ظهرت الملاحدة الباطنية وملكوا الشام وغيرها ظهر فيها النفاق والزندقة الذى هو باطن أمرهم وهو حقيقة قول فرعون انكار الصانع وانكار عبادته وخيار ما كانوا يتظاهرون به الرفض فكانوا خيارهم وأقربهم الى الاسلام الرافضة وظهر بسببهم الرفض والالحاد حتى كان من كان ينزل الشام مثل بنى حمدان العالية ونحوهم متشيعين وكذلك من كان من بنى بويه في المشرق

وكان ابن سينا وأهل بيته من أهل دعوتهم قال وبسبب ذلك اشتغلت في الفلسفة وكان مبدأ ظهورهم من حين تولى المقتدر ولم يكن بلغ بعد وهو مبدأ انحلال الدولة العباسية ولهذا سمى حينئذ بامير المؤمنين الاموى الذى كان بالاندلس وكان قبل ذلك لا يسمى بهذا الاسم ويقول لا يكون للمسلمين خليفتان فلما ولى المقتدر قال هذا صبي لا تصح ولايته فسمى بهذا الاسم

وكان بنو عبيد الله القداح الملاحدة يسمون بهذا الاسم لكن هؤلاء كانوا في الباطن ملاحدة زنادقة منافقين وكان نسبهم باطلا كدينهم بخلاف الاموى والعباسى فان كلاهما نسبه صحيح وهم مسلمون كامثالهم من خلفاء المسلمين

فلما ظهر النفاق والبدع والفجور المخالف لدين الرسول سلطت عليهم الاعداء فخرجت الروم النصارى الى الشام والجزيرة مرة بعد مرة وأخذوا الثغور الشامية شيئا بعد شيء الى أن أخذوا بيت المقدس

في أواخر المائة الرابعة وبعد هـذا بمدة حاصروا دمشق وكان أهل الشام باسوء حال بين الكفار النصاري والمنافقين الملاحدة الى أن تولى نور الدين الشهيد وقام بما قام به من أمر الاسلام والطهارة والجهاد لاعـدائه ثم استنجد به ملوك مصر بنو عبيد على النصارى فانجـدهم وجرت فصول كثيرة الي أن أخذت مصر من بنى عبيد أخذها صلاح الدين يوسـف بن سادي وخطب بها لبنى العباس فمن حينئـذ ظهر الاسلام بمصر بعد ان مكثت بايدى المنافقين المرتدين عن دين الاسلام مائة سنة

فكان الايمان بالرسول والجهاد عن دينه سببا لخير الدنيا والآخرة وبالعكس البدع والالحاد ومخالفة ماجاء به سبب لشر الدنيا والآخرة

فلما ظهر في الشام ومصر والجزيرة الالحاد والبـدع سلط عليهم الكفار ولما أقاموا ماأقاموه من الاسـلام وقهر الملحدين والمبتدعين نصرهم الله على الكفار تحقيقا لقوله ياأيها الذين آمنوا هل أدلكم علي تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله باموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الانهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين

وكذلك لما كان أهل المشرق قائمين بالاسلام وكانوا منصورين على الكفار المشركين من الترك والهند والصين وغيرهم فلما ظهر منهم

ماظهر من البدع والالحاد والفجور ساط عليهم الكفار قال تعالي وقضينا الى بني اسرائيل فى الكتاب لتفسدن في الارض مرتين ولتعلن علوا كبيرا فاذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال و بنين وجعلناكم أكثر نفيرا ان أحسنتم أحسنتم لانفسكم وان أسأتم فلها فاذا جاء وعد الآخرة ليسوؤا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ماعلوا تتبيرا عسى ربكم أن يرحمكم وان عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا

وكان بعض المشايخ يقول هولاكو ملك الترك التتار الذى قهر الخليفة بالعراق وقتل ببغداد مقتلة عظيمة جدا يقال قتل منهم ألف ألف وكذلك قتل بحلب دار الملك حينئذ كان بعض الشيوخ يقول هو للمسلمين بمنزلة بخت نصر لبني اسرائيل

وكان من أسباب دخول هؤلاء ديار المسلمين ظهور الالحاد والنفاق والبدع حتي انه صنف الرازى كتابا فى عبادة الكواكب والاصنام وعمل السحر سماه السر المكتوم فى السحر ومخاطبة النجوم ويقال انه صنفه لام السلطان علاء الدين محمد بن لكش بن جلال الدين خوارزم شاه وكان من أعظم ملوك الارض وكان للرازى به اتصال قوى حتي انه وصى اليه على أولاده وصنف له كتابا سماه الرسالة العلائية فى الاختيارات السماوية

وهذه الاختيارات لاهل الضلال بدل الاستخارة التى علمها النبى

صلى الله عليه وسلم المسلمين كما قال جابر فى الحديث الصحيح الذى رواه البخارى وغيره كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا الاستخارة في الامور كلها كما يعلمنا السورة من القرآن يقول اذا هم أحدكم بالامر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل اللهم انى أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم اللهم ان كنت تعلم ان هذا الامر وتسميه باسمه خير لى في ديني ومعاشى وعاقبة أمرى فاقدره لى ويسره ثم بارك لى فيه وان كنت تعلم ان هذا الامر شر لى في دينى ومعاشى وعاقبة أمرى فاصرفه عنى واصرفنى عنه واقدر لى الخير حيث كان ثم رضنى به ﴿ وأهل النجوم ﴾ لهم اختيارات اذا أراد أحدهم أن يفعل فعلا أخذ طالعا سعيدا فعمل فيه ذلك العمل لينجح بزعمهم وقد صنف الناس كتباً في الرد عليهم وذكروا كثرة مايقع من خلاف مقصودهم فيما يخبرون به ويأمرون به وكم يخبرون من خبر فيكون كذبا وكم يأمرون باختيار فيكون شرا والرازي صنف الاختيارات لهذا الملك وذكر فيه الاختيار لشرب الخمر وغير ذلك كما ذكر فى السر المكتوم فى عبادة الكواكب ودعوتها مع السجود لها والشرك بها ودعائها مثل ما يدعو الموحدون ربهم بل أعظم والتقرب اليها بما يظن انه مناسب لها من الكفر والفسوق والعصيان فذكر انه يتقرب الى الزهرة بفعل الفواحش وشرب الخمر والغناء ونحو ذلك مما حرمه الله ورسوله وهذا فى نفس الامر يقرب الى الشياطين الذين يأمرونهم بذلك ويقولون لهم ان الكوكب نفسه يحب ذلك والا

فالكواكب مسخرات بأمر الله مطيعة لله لاتأمر بشرك ولا غيره من المعاصي ولكن الشياطين هى التى تأمر بذلك ويسمونها روحانية الكواكب وقد يجعلونها ملائكة وانما هى شياطين فلما ظهر بأرض المشرق نسب مثل هذا الملك ونحوه ومثل هذا العالم ونحوه ماظهر من الالحاد والبدع سلط الله عليهم الترك المشركين الكفار فأبادوا هذا الملك وجرت له أمور فيها عبرة لمن يعتبر ويعلم تحقيق ماأخبر الله به في كتابه حيث يقول سنريهم آياتنا فى الآفاق وفي أنفسهم حتي يتبين لهم انه الحق أى ان القرآن حق وقال سأريكم آياتى فلا تستعجلون وبسط هذا له موضع آخر

والمقصود هنا أن دولة بنى أمية كان انقراضها بسبب هذا الجعد المعطل وغيره من الاسباب التى أوجبت ادبارها وفى آخر دولتهم ﴿ ظهر الجهم بن صفوان ﴾ بخراسان وقد قيل ان أصله من ترمذ وأظهر قول المعطلة النفاة الجهمية وقد قتل في بعض الحروب وكان أئمة المسلمين بالمشرق أعلم بحقيقة قوله من علماء الحجاز والشام والعراق ولهذا يوجد لعبدالله بن المبارك وغيره من علماء المسلمين بالمشرق من الكلام فى الجهمية أكثر مما يوجد لغيرهم مع ان عامة أئمة المسلمين تكلموا فيهم ولكن لم يكونوا ظاهرين الا بالمشرق لكن قوى أمرهم لما مات الرشيد وتولى ابنه الملقب بالمأمون بالمشرق وتلقى عن هؤلاء ماتلقاه

ثم لما ولى الخلافة اجتمع بكثير من هؤء ودعا الى قولهم فى آخر عمره

وكتب الى بغداد وهو (بالثغر بطرسوس) التي ببلد سيس وكانت اذ ذاك أعظم ثغور بغداد ومن أعظم ثغور المسلمين يقصدها أهل الدين من كل ناحية ويرابطون بها رابط بها الامام أحمد رضى الله عنه والسري السقطي وغيرهما وتولى قضاءها أبو عبيد وتولى قضاءها أيضا صالح بن أحمد بن حنبل ولهذا ذكرت في كتب الفقه كثيرا فانها كانت ثغرا عظيما

فكتب من الثغر الي نائبه ببغداد اسحاق بن ابراهيم بن مصعب كتابا يدعو الناس فيه الى أن يقولوا (القرآن مخلوق) فلم يجبه أحد ثم كتب كتابا ثانيا يأمر فيه بتقييد من لم يجبه وارساله اليه فأجاب أكثرهم ثم قيدوا سبعة لم يجيبوا فأجاب منهم خمسة بعد القيد وبقي اثنان لم يجيبا الامام أحمد بن حنبل ومحمد بن نوح فارسلوهما اليه فمات قبل أن يصلا اليه ثم أوصى الى أخيه أبي اسحاق وكان هذا سنة ثمان عشرة ومائتين وبقي أحمد في الحبس الى سنة عشرين فجري ماجرى من المناظرة حتي قطعهم بالحجة ثم لما خافوا الفتنة ضربوه وأطلقوه وظهر مذهب النفاة الجهمية وامتحنوا الناس فصار من أجابهم أعطوه والا منعوه العطاء وعزلوه من الولايات ولم يقبلوا شهادته وكانوا اذا افتكوا الاسرى يمتحنون الاسير فان أجابهم افتدوه والالم يفتدوه

وكتب قاضيهم أحمد بن أبي داود على ستارة الكعبة ليس كمثله شئ وهو العزيز الحكيم لم يكتب وهو السميع البصير

ثم ولي الواثق واشتد الامر الى أن ولى المتوكل فرفع المحنة وظهرت حينئذ السنة وبسط هذا له موضع آخر

والمقصود ان أئمه المسلمين لما عرفوا حقيقة قول الجهمية بدعوه حتي قال عبدالله بن المبارك انا لنحكى كلام اليهود والنصارى ولا نستطيع أن نحكى كلام الجهمية وكان ينشد

عجبت لشيطان دعا الناس جهرة * الى النار واشتق اسمه من جهنم

وقيل له بماذا يعرف ربنا قال بأنه فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه قيل له بحد قال بحد وكذلك قال أحمد بن حنبل واسحاق بن ابراهيم بن راهويه وعثمان بن سعيد الدارمي وغيرهم من أئمة السنة

وحقيقة قول الجهمية المعطلة هو قول فرعون وهو جحد الخالق وتعطيل كلامه ودينه كما كان فرعون يفعل فكان يجحد الخالق جل جلاله ويقول ما علمت لكم من اله غيرى ويقول لموسى لئن اتخذت الها غيري لاجعلنك من المسجونين ويقول أنا ربكم الاعلى وكان ينكر أن يكون الله كلم موسى أولا يكون لموسى اله فوق السموات ويريد أن يبطل عبادة الله وطاعته ويكون هو المعبود المطاع فلما كان قول الجهمية المعطلة النفاة يؤول الي قول فرعون كان منتهى قولهم انكار رب العالمين وانكار عبادته وانكار كلامه حتي ظهروا بدعوي التحقيق والتوحيد والعرفان فصاروا يقولون العالم هو الله والوجود واحد والموجود القديم الازلى الخالق هو الموجود المحدث المخلوق والرب هو العبد مائم رب وعبد وخالق ومخلوق بل هو عندهم فرقان ولهذا صاروا يعيبون على الانبياء وينقصونهم يعيبون على نوح وعلى ابراهيم الخليل وغيرهما ويمدحون فرعون ويجوزون عبادة جميع المخلوقات وجميع الاصنام

ولا يرضون بأن تعبد الاصنام حتى يقولوا ان عباد الاصنام لم يعبدوا الا الله وان الله نفسه هو العابد وهو المعبود وهو الوجود كله فجحدوا الرب وأبطلوا دينه وأمره ونهيه وما أرسل به رسله وتكليمه لموسى وغيره

وقد ضل في هذا جماعه ولهم معرفة بالكلام والفلسفة والتصوف المناسب لذلك كابن سبعين والصدر القونوى تلميذ ابن عربى والبلياني والتلمساني وهو من حذاقهم علماً ومعرفة وكان يظهر المذهب بالفعل فيشرب الخمر ويأتي المحرمات

وحدثني الثقة أنه قرأ عليه فصوص الحكم لابن عربى وكان يظنه من كلام أولياء الله العارفين فلما قرأه رآه يخالف القرآن قال فقلت له هذا الكلام يخالف القرآن فقال القرآن كله شرك وانما التوحيد في كلامنا وكان يقول ثبت عندنا فى الكشف مايخالف صريح المعقول

وحدثني من كان معه ومع آخر نظير له فمرا على كلب أجرب ميت بالطريق عند دار الطعم فقال له رفيقه هذا أيضاً هو ذات الله فقال وهل ثم شيء خارج عنها نعم الجميع في ذاته

وهؤلاء حقيقة قولهم هو قول فرعون لكن فرعون ما كان يخالف أحداً فينافقه فلم يثبت الخالق وان كان في الباطن مقراً به وكان يعرف أنه ليس هو الا مخلوق لكن حب العلو في الارض والظلم دعاه الى الجحود والانكار كما قال فلما جاتهم آياتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين وأما هؤلاء فهم من وجه ينافقون المسلمين فلا يمكنهم

اظهار جحود الصانع ومن وجه هم ضلال يحسبون أنهم على حق وان الخالق هو المخلوق فان كان قولهم هو قول فرعون لكن فرعون كان معانداً مظهراً للجحود والعناد وهؤلاء اما جهال ضلال واما منافقون مبطنون الالحاد والجحود ويوافقون المسلمين في الظاهر

وحدثني الشيخ عبد السيد الذى كان قاضى اليهود ثم أسلم وكان من أصدق الناس ومن خيار المسلمين وأحسنهم اسلاما أنه كان يجتمع بشيخ منهم يقال له الشرف البلاسى يطلب منه المعرفة والعلم قال فدعانى الى هذا المذهب فقلت له قولكم يشبه قول فرعون قال ونحن على قول فرعون فقلت لعبد السيد واعترف لك بهذا قال نعم وكان عبد السيد اذ ذاك قد ذاكرنى بهذا المذهب فقلت له هذا مذهب فاسد وهو يؤول الى قول فرعون فحدثنى بهذا فقلت له ماظننت أنهم يعترفون بأنهم على قول فرعون لكن مع اقرار الخصم ميحتاج الى بينة قال عبد السيد فقلت له لا أدع موسى وأذهب الى فرعون فقال ولم قلت لان موسى أغرق فرعون فانقطع واحتج عليه بالظهور الكونى فقلت لعبد السيد وكان هذا قبل أن يسلم نفعتك اليهودية يهودى خير من فرعونى

وفيهم جماعات لهم عبادة وزهد وصدق فيما هم فيه وهم يحسبون أنه حق وعامتهم الذين يقرون ظاهراً وباطناً بأن محمداً رسول الله وأنه أفضل الخلق أفضل من جميع الأنبياء والأولياء لايفهمون حقيقة قولهم بل يحسبون أنه تحقيق ماجاء به الرسول وأنه من جنس كلام أهل المعرفة الذين يتكلمون فى حقائق الايمان والدين وهم من خواص أولياء

الله فيحسبون هؤلاء من جنس أولئك من جنس الفضيل بن عياض وابراهيم بن أدهم وأبي سليمان الداراني والسرى السقطى والجنيد بن محمد وسهل بن عبد الله وأمثال هؤلاء

وأما عرافهم الذين يعلمون حقيقة قولهم فيعلمون أنه ليس الأمر كذلك ويقولون مايقول ابن عربى ونحوه ان الاولياء أفضل من الانبياء وان خاتم الاولياء أفضل من خاتم الانبياء وان جميع الانبياء يستفيدون معرفة الله من مشكاة خاتم الاولياء وأنه يأخذ من المعدن الذى يأخذ منه الملك الذى يأتى خاتم الانبياء فانهم متجهمة متفلسفة يخرجون أقوال الفلسفة والجهمية فى قالب الكشف وعند المتفلسفة أن جبريل انما هو خيال فى نفس النبى ليس هو ملكا يأتى من السماء والنبى عندهم يأخذ من هذا الخيال وأما خاتم الاولياء في زعمهم فانه يأخذ من العقل المجرد الذى يأخذ منه الخيال فهو يأخذ من المعدن الذى يأخذ منه الملك الذى يوحى به الى الرسول وهم يعظمون فرعون ويقولون ماقاله صاحب الفصوص قال ولما كان فرعون في منصب التحكم صاحب الوقت وان جاز في العرف الناموسى لذلك قال أنا ربكم الاعلى أى وان كان الكل أربابا بنسبة ما فانا الاعلى منهم بما أعطيته في الظاهر من الحكم فيكم قال ولما علمت السحرة صدق فرعون فيما قاله لم ينكروه وأقروا له بذلك وقالوا له اقض ماأنت قاض انما تقضي هذه الحياة الدنيا قال فصح قول فرعون أنا ربكم الاعلى وان كان فرعون عين الحق

وحدثنى الثقة الذى كان منهم ثم رجع عنهم ان أبغض الناس اليهم

محمد بن عبد الله صلي الله عليه وسلم قال واذا نهق الحمار ونبح الكلب سجدوا له وقالوا هذا هو الله فانه مظهر من المظاهر قال فقلت له محمد ابن عبد الله أيضاً مظهر من المظاهر فاجعلوه كسائر المظاهر وأنتم تعظمون المظاهر كلها أو اسكتوا عنه قال فقالوا لى محمد نبغضه فانه أظهر الفرق ودعا اليه وعاقب من لم يقل به قال فتناقضوا فى مذهبهم الباطل وجعلوا الكلب والحمار أفضل من أفضل الخلق قال لي وهم يصرحون باللعنة له ولغيره من الانبياء ولا ريب أنهم من أعظم الناس عبادة للشيطان وكفراً بالرحمن

وقد ثبت في الصحيح عن النبى صلي الله عليه وسلم أنه قال اذا سمعتم صياح الديكة فسلوا الله من فضله فانها رأت ملكا واذا سمعتم نهيق الحمار ونباح الكلب فتعوذوا بالله من الشيطان فانها رأت شيطانافهم اذا سمعوا نهيق الحما ونباح الكلب تكون الشياطين قد حضرت فيكون سجودهم للشياطين

وكان فيهم شيخ جليل من أعظمهم تحقيقاً لكن هذا لم يكن من هؤلاء الذين يسبون الانبياء وقد صنف كتابا سماه فك الازرار عن أعناق الاسرار ذكر فيه مخاطبة جرت له مع ابليس وأنه قال له ما معناه انكم قد غلبتموني وقهرتموني ونحو هذا لكن جرت لى قصة تعجبت منها مع شيخ منكم فانى تجليت له فقلت أنا الله لا اله الا أنا فسجد لى فتعجبت كيف سجد لى قال هذا الشيخ فقلت له ذاك أفضلنا وأعلمنا وأنت لم تعرف قصده مارأى فى الوجود اثنين وما رأي الا واحداً فسجد لذلك

الواحد لا يميز بين ابليس وغيره فجعل هذا الشيخ ذاك الذى سجد لابليس لا يميز بين الرب وغيره بل جعل ابليس هو الله هو وغيره من الموجودات جعله أفضلهم وأعلمهم

ولهذا عاب ابن عربى نوحا أول رسول بعث الى أهل الارض وهو الذى جعل الله ذريته هم الباقين وأنجاه ومن معه في السفينة وأهلك سائر أهل الارض لما كذبوه فلبث في قومه ألف سنة الا خمسين عاما وعظم قومه الكفار الذين عبدوا الاصنام وانهم ماعبدوا الا الله وان خطاياهم خطت بهم فغرقوا في بحار العلم بالله وهذا عادته ينتقص الانبياء و يمدح الكفار كما ذكر مثل ذلك فى قصة نوح وابراهيم وموسى وهرون وغيرهم ومدح عباد العجل وتنقص هرون وافترى على موسى فقال وكان موسى أعلم بالامر من هرون لانه علم ماعبده أصحاب العجل لعلمه بأن الله قد قضى أن لا يعبد الا اياه وما قضى الله بشئ الا وقع فكان عتب موسى أخاه هرون لما وقع الامر فى انكاره وعدم اتساعه فان العارف من يرى الحق فى كل شئ بل يراه عين كل شئ فذكر عن موسى انه عتب على هرون أنه أنكر عليهم عبادة العجل وانه لم يسع ذلك فلم ينكره فان العارف من يرى الحق في كل شئ بل يراه عين كل شئ

وهذا من أعظم الافتراء على موسى وهرون وعلى الله وعلى عباد العجل فان الله أخبر عن موسى أنه أنكر العجل انكاراً أعظم من انكار هرون وانه أخذ بلحية هرون لما لم يدعهم ويتبع موسى لمعرفة

قال تعالي وما أعجلك عن قومك ياموسى قال هم أولاء على أثرى وعجلت اليك رب لترضى قال فانا قد فتنا قومك من بعدك وأضلهم السامرى فرجع موسى الي قومه غضبان أسفا قال ياقوم ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا أفطال عليكم العهد أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم فأخلفتم موعدى قالوا ماأخلفنا موعدك بملكنا ولكنا حملنا أوزارا من زينة القوم فقذفناها فكذلك ألقى السامري فأخرج لهم عجلا جسدا له خوار فقالوا هذا الهكم واله موسى فنسى أفلا يرون أن لا يرجع اليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا ولقد قال لهم هارون من قبل ياقوم انما فتنتم به وان ربكم الرحمن فاتبعونى وأطيعوا أمرى قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتي يرجع الينا موسى قال ياهارون مامنعك اذ رأيتهم ضلوا ألا تتبعن أفعصيت أمري قال يا ابن أم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسى اني خشيت أن تقول فرقت بين بنى اسرائيل ولم ترقب قولى

قلت لبعض هؤلاء هذا الكلام الذى ذكره هذا عن موسى وهارون يوافق القرآن أو يخالفه فقال لا بل يخالفه قلت فاختر لنفسك اما القرآن واما كلام ابن عربى وكذلك قال عن نوح قال لو أن نوحا جمع لقومه بين الدعوتين لاجابوه أي ذكر لهم فدعاهم جهارا ثم دعاهم اسرارا الى أن قال ولما علموا ان الدعوة الى الله مكر بالمدعو لانه ماعدم من البداية فيدعى الى الغاية ادعوا الي الله فهذا عين المكر على بصيرة فنبه أن الامر كله لله فاجابوه مكرا كما دعاهم فجاء المحمدى وعلم أن الدعوة الى الله ماهى من حيث هويته وانما هى من حيث

أسماؤه فقال يوم نحشر المتقين الي الرحمن وفدا فجاء بحرف الغاية وقرنها بالاسم فعرفنا ان العالم كان تحت حيطة اسم الهي أوجب عليهم أن يكونوا متقين فقالوا فى مكرهم لاتذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا فانهم اذا تركوهم جهلوا من الحق بقدر ماتركوا من هؤلاء فان للحق في كل معبود وجها يعرفه من يعرفه ويجهله من يجهله كما قال فى المحمديين وقضى ربك أن لا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا أى حكم فالعارف يعرف من عبد وفى أى صورة ظهر حتى عبد وان التفريق والكثرة كالاعضاء في الصورة المحسوسة وكالقوي المعنوية في الصورة الروحانية فما عبد غير الله فى كل معبود

وهو دائما يحرف القرآن عن مواضعه كما قال فى هذه القصة مما خطاياهم فهى التى خطت بهم فغرقوا في بحار العلم بالله وهى الحيرة فادخلوا نارا في عين الماء في المحمديين واذا البحار سجرت سجرت التنور أوقدته فلم يجدوا لهم من دون الله أنصارا فكان الله عين أنصارهم فهلكوا فيه الي الابد وقوله وقضى ربك أن لا تعبدوا الا اياه بمعنى أمر وأوجب وفرض وفي القراءة الاخري ووصى ربك أن لا تعبدوا الا اياه فجعل معناه انه قدر وشاء أن لا تعبدوا الا اياه وما قدره فهو كائن فجعل معناها كل معبود هو الله وان أحدا ما عبد غير الله قط وهذا من أظهر الفرية على الله وعلى كتابه وعلى دينه وعلى أهل الارض فان الله فى غير موضع أخبر ان المشركين عبدوا غير الله بل يعبدون الشيطان

كما قال تعالى ألم أعهد اليكم يابنى آدم أن لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين وأن اعبدونى هذا صراط مستقيم ولقد أضل منكم جبلا كثيرا أفلم تكونوا تعقلون وقال تعالى عن يوسف انه قال ياصاحبى السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار ماتعبدون من دونه الا أسماء سميتموها أنتم و آباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان ان الحكم الا لله أمر أن لا تعبدوا الا اياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون وقال تعالى وجاوزنا ببنى اسرائيل البحر فأتوا علي قوم يعكفون علي أصنام لهم قالوا ياموسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون ان هؤلاء متبر ماهم فيه وباطل ما كانوا يعملون قال أغير الله أبغيكم الها وهو فضلكم علي العالمين وقال تعالى عن الخليل اذ قال لابيه ياأبت لم تعبد مالا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيئا ياأبت انى قد جاءنى من العلم مالم يأتك فاتبعنى أهدك صراطا سويا ياأبت لا تعبد الشيطان ان الشيطان كان للرحمن عصيا ياأبت انى أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا قال أراغب أنت عن آلهتي ياابراهيم لئن لم تنته لارجمنك واهجرنى مليا قال سلام عليك سأستغفر لك ربى انه كان بى حفيا وأعتزلكم وماتدعون من دون الله وأدعو ربى عسى أن لا أكون بدعاء ربى شقيا فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له اسحاق ويعقوب وكلا جعلنا نبيا ووهبنا لهم من رحمتنا وجعلنا لهم لسان صدق عليا

فهو سبحانه يقول فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهؤلاء

الملحدون يقولون ماعبدنا غير الله في كل معبود

وقال تعالى واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار ألم يروا أنه لايكلمهم ولا يهديهم سبيلا اتخذوه وكانوا ظالمين ولما سقط فى أيديهم ورأوا أنهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين الى قوله ان الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحياة الدنيا وكذلك نجزي المفترين

قال أبو قلابة هى لكل مفتر الي يوم القيامة أن يذله الله

والجهمية النفاة كلهم مفترون كما قال الامام أحمد بن حنبل انما يقودون قولهم الى فرية على الله وهؤلاء من أعظمهم افتراء على الله فان القائلين بان وجود الخالق هو وجود المخلوق هم أعظم افتراء ممن يقول انه يحل فيه وهؤلاء يجهلون من يقول بالحلول أو يقول بالاتحاد وهوان الخالق اتحد مع المخلوق فان هذا انما يكون اذا كان شيئآن متباينان ثم اتحد أحدهما بالآخر كما يقوله النصارى من اتحاد اللاهوت مع الناسوت وهذا انما يقال في شيء معين وهؤلاء عندهم ماثم وجود لغيره حتى يتحد مع وجوده وهم من أعظم الناس تناقضا فانهم يقولون ماثم غير ولا سوى ويقول السبعينية ليس الا الله بدل قول المسلمين لااله الا الله ثم يقولون هؤلاء المحجوبون لايرون هذا فاذا كان ماثم غير ولا سوى فمن المحجوب ومن الحاجب ومن الذي ليس بمحجوب وعما حجب فقد أثبتوا أربعة أشياء قوم محجوبون وقوم ليسوا بمحجوبين وأمرا انكشف لهؤلاء وحجب عن أولئك فأين هذا من

قولهم مثم اثنان ولا وجودان كما حدثني الثقة أنه قال للتلمساني فعلى قولكم لافرق بين امرأة الرجل وأمه وبنته قال نعم الجميع عندنا سواء لكن هؤلاء المحجوبون قالوا حرام فقلنا حرام عليكم فقيل لهم فمن المخاطب للمحجوبين أهوهم أم غيرهم فان كانوا هم فقد حرم على نفسه لما زعم انه حرام عليهم دونه وان كانوا غيره فقد أثبت غيرين وعندهم مانم غير وهؤلاء اشتبه عليهم الواحد بالنوع بالواحد بالعين فانه يقال الوجود واحد كما يقال الانسانية واحدة والحيوانية واحدة أى يعنى واحد كلى وهذا الكلى لايكون كليا الا في الذهن لافي الخارج فظنوا هذا الكلى ثابتا فى الخارج ثم ظنوه هو الله

وليس في الخارج كلى مع كونه كليا وانما يكون كليا في الذهن واذا قدر في الخارج كلى فهو جزء من المعينات وقائم بها ليس هو متميزا قائما بنفسه كحيوانية الحيوان وانسانية الانسان سواء قدرت معينة أو مطلقة هى صفة له ويمتنع أن يكون صفة الموصوف مبدعة له ولو قدر وجودها مجردا عن العيان على رأى من أثبت المثل الافلاطونية فتثبت الماهيات الكلية مجردة عن الموصوفات ويدعى انها قديمة أزلية مثل انسانية مجردة وحيوانية مجردة وهذا خيال باطل وهذا الذى جعله مجردا هو مجرد فى الذهن وليس في الخارج كلى مجرد واذا قدر ثبوت كلي مجرد في الخارج وهو مسمى الوجود فهذا يتناول وجود المحدثات كلها كما يتناول وجود القديم وهذا لايكون مبدعا لشيء ولا اختصاص له بصفات الكمال فلا يوصف بأنه حي عليم قدير اذ ليس وصفه بذلك باولى من

وصفه بانه عاجز جاهل ميت والخالق لابد أن يكون حيا عليما قديرا سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا ثم لو قدر أن هذا هو الخالق فهذا غير الاعيان الموجودة المخلوقة فقد ثبت وجودان أحدهما غير الآخر وأحدهما محدث مخلوق فيكون الآخر الخالق غير المخلوق ولا يمكن جحد وجود الاعيان المعينة ولكن الواحد من هؤلاء قد تغيب عن شهود المغيبات كما يغيب عن شهود نفسه فيظن ان مالم يشهده قد عدم في نفسه وفنى وليس كذلك فان ماعدم وفني شهوده له وعلمه به ونظره اليه فالمعدوم الفانى صفة هذا الشخص والا فالموجودات في نفسها باقية على حالها لم تتغير وعدم العلم ليس علما بالمعدوم وعدم المشهود ليس شهودا للعدم ولكن هذه الحال يعتري كثيرا من السالكين يغيب أحدهم عن شهود نفسه وغيره من المخلوقات وقد يسمون هذا فناء واصطلاما وهذا فناء عن شهود تلك المخلوقات لانها فى نفسها فنيت ومن قال فنى مالم يكن وبقى مالم يزل فالتحقيق اذا كان صادقا انه فنى شهوده لمالم يكن ونفي شهوده لمالم يزل لاان مالم يكن فني فى نفسه فانه باق موجود ولكن يتوهمون اذا لم يشهدوه انه قد عدم في نفسه

ومن هنا دخلت طائفة في الاتحاد والحلول فأحدهم قد يذكر الله حتى يغلب على قلبه ذكر الله ويستغرق فى ذلك فلا يبقى له مذكور مشهود لقلبه الا الله ويفنى ذكره وشهوده لما سواه فيتوهم أن الاشياء قد فنيت وان نفسه فنيت حتى يتوهم انه هو الله وان الوجود هو الله

ومن هذا الباب غلط أبي يزيد ونحوه حيث قال مافى الجبة الاالله وقد بسط هذا في غير هذا الموضع وبين انه يعبر بالفناء عن ثلاثة أمور *أحدها أنه يغني بعبادة الله عن عبادة ماسواه وبمحبته وطاعته وخشيته ورجائه والتوكل عليه عن محبة ماسواه وطاعته وخشيته ورجائه والتوكل عليه وهذا هو حقيقة التوحيد الذى بعث الله به الرسل وأنزل به الكتب وهو تحقيق شهادة أن لااله الاالله فقد فني من قلبه التأله لغير الله وبقى فى قلبه تأله الله وحده وفني من قلبه حب غير الله وخشية غير الله والتوكل على غير الله وبقى في قلبه حب الله وخشية الله والتوكل على الله وهذا الفناء يجامع البقاء فيخلى القلب عن عبادة غير الله مع تجلى القلب بعبادة الله وحده كما قال صلى الله عليه وسلم لرجل قل أسلمت لله وتخليت وهو تحقيق شهادة أن لااله الاالله بالنفى مع الاثبات نفي الهية غيره مع اثبات الهيته وحده فانه ليس في الوجود اله لا الله ليس فيه معبود يستحق العبادة الاالله فيجب أن يكون هذا ثابتا فى القلب فلا يكون فى القلب من يألهه القلب ويعبده الاالله وحده ويخرج من القلب كل تأله لغير الله ويثبت فيه تأله الله وحده اذ كان ليس ثم اله الا الله وحده وهذه الولاية لله مقرونة بالبراءة والعداوة لكل معبود سواه ولمن عبدهم قال تعالى عن الخليل عليه السلام واذ قال ابراهيم لابيه وقومه انني براء مما تعبدون الاالذى فطرنى فانه سيهدين وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون

وقال أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الاقدمون فانهم عدولى الارب العالمين

وقال تعالى قد كانت لكم أسوة حسنة فى ابراهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده

قلت لبعض ما خاطبته من شيوخ هؤلاء قول الخليل اننى براء مما تعبدون ممن تبرأ الخليل اتبرأ من الله تعالى وعندكم ما عبد غير الله قط والخليل قد تبرأ من كل ما كانوا يعبدون الا من رب العالمين وقد جعل الله لنا وفيمن معه أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر قال تعالى قد كانت لكم أسوة حسنة في ابراهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده الا قول ابراهيم لابيه لأستغفرن لك وما أملك لك من الله من شيء ربنا عليك توكلنا واليك أنبنا واليك المصير ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا ربنا انك أنت العزيز الحكيم لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ومن يتول فان الله هو الغنى الحميد وقد قال صلى الله عليه وسلم أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد * ألا كل شيء ما خلا الله باطل * وهذا تصديق قوله تعالى ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو الباطل وأن الله هو العلي الكبير وقال تعالى فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق الا الضلال فأنى تصرفون وقال سبحانه كل شيء هالك الا وجهه قال طائفة من السلف كل عمل باطل الا ما أريد به وجهه وقد قال سبحانه ولا يصدنك عن آيات الله بعد اذ أنزلت اليك

وادع الى ربك ولا تكونن من المشركين ولا تدع مع الله الها آخر والاله هو المألوه أى المستحق لان يؤله أى يعبد ولا يستحق أن يؤله ويعبد الا الله وحده وكل معبود سواه من لدن عرشه الى قرار أرضه باطل وفعال بمعنى مفعول مثل لفظ الركاب والحمال بمعنى المركوب والمحمول وكان الصحابة يرتجزون في حفر الخندق يقولون

هذا الحمال لا حمال خيبر * هذا أبر ربنا وأظهر

واذا قيل هذا هو الامام فهو الذى يستحق أن يؤتم به كما قال تعالى لابراهيم انى جاعلك للناس اماما قال ومن ذريتى قال لا ينال عهدى الظالمين فعهده بالامامة لا ينال الظالم فالظالم لا يجوز أن يؤتم به فى ظلمه ولا يركن اليه كما قال تعالى ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار فمن ائتم بمن لا يصلح للامامة فقد ظلم نفسه فكيف بمن جعل مع الله الها آخر وعبد من لا يصلح للعبادة والله تعالي لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء (وقد غلط) طائفة من أهل الكلام فظنوا ان الاله بمعنى الفاعل و جعلوا الألهية هى القدرة والربوبية فالاله هو القادر وهو الرب وجعلوا العباد مألوهين كما أنهم مربوبون * فالذين يقولون بوحدة الوجود متنازعون في أمور لكن امامهم ابن عربي يقول الاعيان ثابتة في العدم ووجود الحق فاض عليها ولهذا قال فنحن جعلناه بمألوهيتنا الها فزعم ان المخلوقات جعلت الرب الها لها حيث كانوا مألوهين ومعني مألوهين عنده مربوبين وكونهم مألوهين حيث كانت أعيانهم ثابتة في العدم وفى كلامهم من هذا وأمثاله مما فيه تنقص بالربوبية مالا

يحصى فتعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا

والتحقيق ان الله خالق كل شئ والمعدوم ليس بشئ في الخارج ولكن الله يعلم مايكون قبل أن يكون ويكتبه وقديذكره ويجريه فيكون شيئا فى العلم والذكر والكتاب لافى الخارج كما قال انما أمره اذا أراد شيأ أن يقول له كن فيكون والله سبحانه خالق الانسان ومعلمه فهو الذى خلق الانسان من علق وهو الاكرم الذى علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم ولوقدر أن الاله بمعنى الرب فهو الذى جعل الرب مربوبا فيكون على هذا هو الذي جعل المألوه مألوها والمربوب لم يجعله ربا بل ربوبيته صفة وهو الذى خلق المربوب وجعله مربوبا وهو اذا آمن بالرب واعتقد ربوبيته وأخبر بها كان قد اتخذ الله ربا ولم يبغ ربا سوى الله ولم يتخذ ربا سواه كما قال تعالى قل أغير الله أبغي ربا وهو رب كل شئ وقال تعالي أفغير الله أتخذ وليا فاطر السموات والارض وقال ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أيأمركم بالكفر بعد اذ أنتم مسلمون وهو أيضا في نفسه هو الاله الحق لا اله غيره فاذا عبده الانسان فقد وحده من لم يجعل معه الها آخر ولا اتخذ الها غيره قال تعالى فلا تجعل مع الله الها آخر فتكون من المعذبين وقال تعالى ولا تجعل مع الله الها آخر فتقعد مذموما مخذولا وقال ابراهيم لابيه آزر أتتخذ أصناما آلهة انى أراك وقومك في ضلال مبين فالمحبوب ليس باله في نفسه لكن عابده اتخذه الها وجعله الها وسماه الها وذلك كله باطل لا ينفع صاحبه بل يضره كما أن الجاهل اذا اتخذ اماما ومفتيا

وقاضيا كان ذلك باطلا فانه لا يصلح أن يؤم ولا يفتى ولا يقضى وغير الله لا يصلح أن يتخذ الها يعبد ويدعى فانه لا يخلق ولا يرزق وهو سبحانه لا مانع لما أعطى ولا معطى لما منع ولا ينفع ذا الجد منه الجد ومن دعا من لا يسمع دعاءه أو يسمع ولا يستجيب له فدعاؤه باطل وضلال وكل من سوى الله اما انه لا يسمع دعاء الداعى أو يسمع ولكن لا يستجيب له فان غير الله لا يستقل بفعل شيء البتة وقد قال تعالى قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة فى السموات ولا فى الأرض وما لهم فيهما من شرك وماله منهم من ظهير ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له فغير الله لا مالك لشيء ولا شريك فى شيء ولا هو معاون للرب في شيء بل قد يكون له شفاعة اذ كان من الملائكة والانبياء والصالحين ولكن لا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له فلابد أن يأذن للشافع أن يشفع وأن يأذن للمشفوع له أن يشفع له ومن دونه لا يملكون الشفاعة البتة فلا يصلح من سواه لان يكون الها معبودا كما لا يصلح أن يكون خالقا رازقا لا اله الا هو وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير

﴿ فصل ﴾ وهؤلاء كان من أعظم أسباب ضلالهم مشاركتهم للفلاسفة وتلقيهم عنهم فان أولئك القوم من أبعد الناس عن الاستدلال بما جاء به الرسول فان الرسول بعث بالبينات والهدي بين الادلة العقلية ويخبر الناس بالغيب الذي لا يمكنهم معرفته بعقولهم وهؤلاء المتفلسفة يقولون انه لم يفد الناس علما بخبره ولا بدلالاته وانما خاطب خطابا جمهوريا ليصلح به العامة فيعتقدوا في الرب والمعاد اعتقادا ينفعهم وان كان كذبا

وباطلا وحقيقة كلامهم ان الانبياء تكذب فيما تخبر به لكن كذبا للمصلحة فامتنع أن يطلبوا من خبرهم علما واذا لم تكن أخبارهم مطابقة للمخبر فكيف يثبتون أدلة عقلية على ثبوت ماأخبروا به والمتكلمون الذين يقولون انهم لايخبرون الا بصدق ولكن يسلكون فى العقليات غير طريقهم مبتدعون مع اقرارهم بأن القرآن اشتمل على لادلة العقلية فكيف بهؤلاء الملاحدة المفترين ولهذا لا يعتنون بالقرآن ولا تفسيره ولا بالحديث وكلام السلف وان تعلموا من ذلك شيأ فلاجل تعلق الجمهور به ليعيشوا بينهم بذكره لا لاعتقادهم موجبه في الباطن وهذا بخلاف طوائف المتكلمين فانهم يعظمون القرآن في الجملة وتفسيره مع مافيهم من البدع * ولهذا لما استولى التتار على بغداد وكان الطوسى منجما لهولاكو استولى على كتب الناس الوقف والملك فكان كتب الاسلام مثل التفسير والحديث والفقه والرقائق يعدمها وأخذ كتب الطب والنجوم والفلسفة والعربية فهذه عنده هى الكتب المعظمة وكان بعض من أعرفه قارئا خطيبا لكن كان يعظم هؤلاء ويرتاض رياضة فلسفية سحرية حتى يستخدم الجن وكان بعض الشياطين القى اليه ان هؤلاء يستولون على دار الاسلام فكان يقول لبعض أصحابنا يافلان عن قليل يرى هذا الجامع جامع دمشق يقرأ فيه المنطق والطبيعى والرياضى والالهى ثم يرضيه فيقول والعربية أيضا والعربية انما احتاج المسلمون اليها لاجل خطاب الرسول بها فاذا أعرض عن الاصل كان أهل العربية بمنزلة شعراء الجاهلية أصحاب المعلقات السبع ونحوهم من حطب النار

(فصل) أول التفرق والابتداع فى الاسلام بعد مقتل سيدنا عثمان وافتراق المسلمين فلما اتفق على ومعاوية على التحكيم أنكرت الخوارج , قالوا لاحكم الا لله وفارقوا جماعة المسلمين فارسل اليهم ابن عباس فناظرهم فرجع نصفهم والآخرون أغاروا على ماشية الناس واستحلوا دماءهم فقتلوا ابن خباب وقالوا كلنا قتله فقاتلهم علي وأصل مذهبهم تعظيم القرآن وطلب أتباعه لكن خرجوا عن السنة والجماعة فهم لايرون اتباع السنة التي يظنون أنها تخالف القرآن كالرجم ونصاب السرقة وغير ذلك فضلوا فان الرسول أعلم بما أنزل الله عليه والله قد أنزل عليه الكتاب والحكمة وجوزوا على النبى أن يكون ظالما فلم ينفذوا لحكم النبى ولا لحكم الائمة بعده بل قالوا ان عثمان وعليا ومن والاهما قد حكموا بغير ماأنزل الله ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الكافرون فكفروا المسلمين بهذا وبغيره وتكفيرهم وتكفير سائر أهل البدع مبنى على مقدمتين باطلتين احداهما ان هذا يخالف القرآن والثانية ان من خالف القرآن يكفر ولو كان مخطئا أو مذنبا معتقدا للوجوب والتحريم

وبازائهم الشيعة غلوا في الأئمة وجعلوهم معصومين يعلمون كل شئ وأوجبوا الرجوع اليهم في جميع ماجاءت به الرسل فلا يعرجون لاعلى القرآن ولا على السنة بل على قول من ظنوه معصوما وانتهي الامر الى الائتمام بامام معدوم لاحقيقة له فكانوا أضل من الخوارج فان أولئك يرجعون الي القرآن وهو حق وان غلطوا فيه وهؤلاء لايرجعون

الى شئ بل الى معدوم لاحقيقة له ثم انما يتمسكون بما ينقل لهم عن بعض الموتى فيتمسكون بنقل غير مصدق عن قائل غير معصوم . ولهذا كانوا أكذب الطوائف والخوارج صادقون فحديثهم من أصح الحديث وحديث الشيعة من أكذب الحديث ولكن الخوارج دينهم المعظم مفارقة جماعة المسلمين واستحلال دمائهم وأموالهم والشيعة تختار هذا لكنهم عاجزون والزيدية تفعل هذا والامامية تارة تفعله وتارة يقولون لا نقتل الا تحت راية امام معصوم والشيعة استتبعوا أعداء الملة من الملاحدة والباطنية وغيرهم ولهذا وصت الملاحدة مثل القرامطة الذين كانوا فى البحرين وهم من أكفر الخلق ومثل قرامطة المغرب ومصر وهم كانوا يستترون بالتشيع أوصوا بان يدخل على المسلمين من باب التشيع فانهم يفتحون الباب لكل عدو للاسلام من المشركين وأهل الكتاب والمنافقين وهم من أبعد الناس عن القرآن والحديث كما قد بسط هذا فى مواضع

والمقصود أن النبى صلى الله عليه وسلم قال انى تارك فيكم الثقلين كتاب الله فحض على كتاب الله ثم قال وعترتى أهل بيتى أذكركم الله في أهل بيتي ثلاثا فوصى المسلمين بهم لم يجعلهم أئمة يرجع المسلمون اليهم فانتحلت الخوارج كتاب الله وانتحلت الشيعة أهل البيت وكلاهما غير متبع لما انتحله فان الخوارج خالفوا السنة التى أمر القرآن باتباعها وكفروا المؤمنين الذين أمر القرآن بموالاتهم ولهذا تأول سعد بن أبى وقاص فيهم هذه الآية وما يضل به الا الفاسقين الذين ينقضون عهد

الله من بعد ميثاقه ويقطعون ماأمر الله به أن يوصل و يفسدون في الارض وصاروا يتتبعون المتشابه من القرآن فيتأولونه غير تأويله من غير معرفة منهم بمعناه ولا رسوخ فى العلم ولا اتباع للسنة ولا مراجعة لجماعة المسلمين الذين يفهمون القرآن واما مخالفة الشيعة لاهل البيت فكثيرة جدا قد بسطت فى مواضع

(فصل) ثم حدث في آخر عصر الصحابة القدرية فكانت الخوارج تتكلم فى حكم الله الشرعي أمره ونهيه ومايتبع ذلك من وعده ووعيده وحكم من وافق ذلك ومن خالفه ومن يكون مؤمنا وكافرا وهى مسائل الاسماء والاحكام وسموا محكمة لخوضهم في التحكيم بالباطل وكان الرجل اذا قال لاحكم الا لله قالوا هو محكم أى خائض في حكم الله فخاض أولئك فى شرع الله بالباطل وأما القدرية فخاضوا فى قدره بالباطل وأصل ضلالهم ظنهم ان القدر يناقض الشرع فصاروا حزبين حزبا يعظمون الشرع والامر والنهي والوعد والوعيد واتباع مايحبه الله ويرضاه وهجر مايبغضه وما يسخطه وظنوا ان هذا لايمكن أن يجمع بينه وبين القدر فقطعوا ماأمر الله به أن يوصل ونقضوا عهد الله من بعد ميثاقه كما قطعت الخوارج ماأمر الله به أن يوصل من اتفاق الكتاب والسنة وأهل الجماعة ففرقوا بين الكتاب والسنة و فرقوا بين الكتاب وجماعة المسلمين وفرقوا بين المسلمين فقطعوا ماأمر الله به أن يوصل وكذلك القدرية فصاروا حزبين حزبا يغلب الشرع فيكذب بالقدر وينفيه أو ينفى بعضه وحزبا يغلب القدر فينفى الشرع فى الباطن أو ينفى حقيقته

ويقول لافرق بين ماأمر الله به وما نهى عنـه في نفس الامر الجميع سواء وكذلك أولياؤه واعداؤه وكذلك. اذكر انه يحبه وذكر انه يبغضه لكنه فرق بين المتماثلين بمحض المشيئة يأمر بهذا وينهي عن مثله فجحدوا الفرق والفصل الذى بين التوحيد والشرك وبين الايمـان والكفر وبين الطاعة والمعصية وبين الحلال والحرام كما أن أولئك وان أقروا بالفرق فأنكروا الجمع وأنكروا أن يكون الله على كل شئ قدير ومنهم من أنكر أن يكون الله بكل شيء عليما وأنكروا أن يكون خالقا لكل شئ وأن يكون ماشاء كان ومالم يشأ لم يكن وأنكروا أن يكون الله فعالا لمـا يشاء وأثبتوا لغير الله الانفراد بالاحداث وشركاء خلقوا كخلقه كما فعلت المجوس واعتقدوا انه لايمكن الايمـان بأمره ونهيـه الا مع تعجيزه أو تجهيله وانه لايمكن أن يوصف بالاحسان والكرم ان لم يجعل عاجزا والا لزم أن يكون بخيلا كما أن القـدرية المجبرة قالوا لايمكن أن يجعل عالما قادرا الا بتسفيهه وتجويره فهؤلاء نفوا حكمته وعدله وأولئك نفوا قدرته ومشيئته أوقدرته ومشيئته وعلمه وهؤلاء ضاهوا المجوس في الاشراك بربوبيته حيث جعلوا غيره خالقا وأولئك ضاهوا المشركين الذين لايفرقون بين عبادته وعبادة غيره بل يجوزون عبادة غيره كما يجوزون عبادته ويقولون لوشـاء الله ماأشركنا الآية وهؤلاء منتهي توحيدهم توحيد المشركين وهو توحيـد الربوبية فاما توحيد الالهيـة المتضمن للامر والنهى ولكون الله يحب ماأمر به ويبغض مانهى عنـه فهـم ينكرونه ولهذا هم أكثر اتبـاعا لاهوائهـم وأكثر شركا

وتجويزا من المعتزلة ومنتهي متكلميهم وعبادهم تجويز عبادة الاصنام وان العارف لايستحسن حسنة ولا يستقبح سيئة كما ذكر ذلك صاحب منازل السائرين وأما عبادة الاصنام فباح بها متأخروهم كالرازى صنف فيها مصنفا وابن عربى وابن سبعين وأمثالهما يصرحون بجواز عبادتها وبالانكار على من أنكر ذلك وهم متناقضون في ذلك فالقدرية أصلهم انه لايمكن اثبات قدرته وحكمته اذ لو كان قادراً لفعل عين مافعل فلما لم يفعله دل على أنه غير قادر وقالوا يثبت حكمته كما يثبت حكمه لان نفي ذلك يوجب السفه والظلم وهو منزه عنه بخلاف مالم يقدر عليه فانه معذور اذا لم يفعله فلا يلام عليه وقال المجبرة بل قدرته ثابتة بلا حكمة ولا يجوز أن يفعل لحكمة لان ذلك انما يكون لمن يحتاج الى الفعل وهو منزه عن الحاجة ولا عدل ولا ظلم بل كل ماأمكن فعله فهو عدل وليس في الافعال ماهو حسن ينبغى الامر به وقبيح ينبغى النهى عنه ولا معروف ومنكر بل يجوز أن يأمر بكل شئ وينهي عن كل شئ

ثم من حقق منهم أنكر الشرع بالكلية وأنكر النبوات مع أنه مضطر الى أن يأمر بشئ وينهي عن شئ فان هذا لازم لجميع الخلق لايجدون عنه محيصاً لكن من اتبع الانبياء يأمر بما ينفعه وينفع غيره وينهى عما يضره ويضر غيره ومن خالف الانبياء فلابد أن يأمر بما يضر وينهي عما ينفع فيستحق عذاب الدنيا والآخرة وأما من كان منهم مقراً بالنبوة فأنكر الشرع فى الباطن وقال العارف لايستحسن حسنة ولا يستقبح سيئة فصار منافقاً يظهر خلاف مايبطن ويقول

الشرع لاجل المارستان ولهذا يسمون باطنية كما سموا الملاحدة باطنية فان كلاهما يبطن خلاف مايظهر يبطنون تعطيل ماجاء به الرسول من الامر والنهي

فمنتهى الجهمية المجبرة اما مشركون ظاهراً وباطناً واما منافقون فيبطنون الشرك ولهذا يظنون بالله ظن السوء وأنه لاينصر محمداً وأتباعه كما قال تعالى ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم جهنم وساءت مصيراوهم يعقلون بقوله لا يسئل عما يفعل وأنه يفعل مايشاء ولذلك لما ظهر المشركون التتار وأهل الكتاب كثر في عبادهم وعلمائهم من صار مع المشركين وأهل الكتاب وارتد عن الاسلام اما باطناً وظاهراً واما باطناً وقال انه مع الحقيقة ومع المشيئة الالهية وصاروا يحتجون لمن هو معظم للرسل عما يوافق على تكذيبه بأن مايفعله من الشرك والخروج عن الشريعةو والاة المشركين وأهل الكتاب والدخول في دينهم ومجاهدة المسلمين معهم هو بأمر الرسول فتارة يأتيهم شياطينهم بما يخيلون لهم أنه مكتوب من نور وان الرسول أمر بقتال المسلمين مع الكفار لكون المسلمين قد عصوا ولما ظهر أن مع المشركين وأهل الكتاب خفراً لهم من الرجال المسلمين برجال الغيب وان لهم خوارق يقتضي أنهم أولياء الله صار الناس من أهل العلم ثلاثة أحزاب حزب يكذبون بوجود هؤلاء ولكن عاينهم الناس وثبت ذلك عمن عاينهم أو حدثه الثقاة بما رأوه هؤلاء اذ رأوهم أو تيقنوا وجودهم خضعوا لهم

وحزب عرفوهم ورجعوا الى القدر واعتقدوا أن ثم في الباطن طريقاً الي الله غير طريقة الانبياء وحزب ماأمكنهم أن يجعلوا أولياء الله خارجا عن دائرة الرسول فقالوا يكون الرسول هو ممدا للطائفتين لهؤلاء وهؤلاء فهؤلاء معظمون للرسول جاهلون بدينه وشرعه والذين قبلهم يجوزون لاتباع دين غير دينه وطريق غير طريقه

وكانت هذه الاقوال الثلاثة بدمشق لما فتحت عكة ثم تبين بعد ذلك ان هؤلاء من أتباع الشياطين وان رجال الغيب هم الجن وان الذين مع الكفار شياطين وان من وافقهم من الانس فهو من جنسهم شيطان من شياطين الانس أعداء الانبياء كما قال تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غروراً

وكان سبب الضلال عدم الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان وأصله قول الجهمية الذين يسعون بين المخلوقات فلا يفرقون بين المحبوب والمسخوط ثم أنه بعد ذلك جرت أمور يطول وصفها

ولما جاء قازان وقد أسلم دمشق انكشفت أمور أخري فظهر أن اليونسية كانوا قد ارتدوا وصاروا كفاراً مع الكفار

وحضر عندى بعض شيوخهم واعترف بالردة عن الاسلام وحدثنى بفصول كثيرة فقلت له لما ذكر لى احتجاجهم بما جاءهم من أمر الرسول فهب ان المسلمين كاهل بغداد كانوا قد عصوا وكان فى بغداد بضعة عشر بنى فالجيش الكفار المشركون الذين جاؤا كانوا شراً من

هؤلاء فان هؤلاء كن يزنين اختياراً فأخذ أولئك المشركون عشرات ألوف من حرائر المسلمين وسراريهم بغير اختيارهم وردوهم عن الاسلام الى الكفر وأظهروا الشرك وعبادة الاصنام ودين النصارى وتعظيم الصليب حتى بقى المسلمون مقهورين مع المشركين وأهل الكتاب مع تضاعيف ما كان يفعل من المعاصى فهل يأمر محمد صلى الله عليه وسلم بهذا ويرضى بهذا فتبين له وقال لا والله وأخبرنى عن ردة من ارتد من الشيوخ عن الاسلام لما كانت شياطين المشركين تكرههم على الردة فى الباطن وتعذبهم ان لم يرتدوا

فقلت كل هذا لضعف ايمانهم وتوحيدهم ولمادة التى يشهدونها من جهة الرسول والا فالشياطين لا سلطان لهم على قلوب الموحدين وهذا وأمثاله ما كانوا يعتقدون أنهم شياطين بل انهم رجال من رجال الغيب الانس وكلهم الله بتصريف الامر

فبينت لهم ان رجال الغيب هم الجن كما قال تعالى وأنه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا ومن ظن أنهم انس فمن جهله وغلطه فان الانس يؤنسون أي يشهدون ويرون انما يحتجب الانسى أحيانا لا يكون دائماً محتجباً عن أبصار الانس بخلاف الجن فانهم كما قال الله انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم وكان غير هذا من المشايخ من يذكر عن الشيخ محمد بن السكران ان هولاكو ملك المشركين لما دخل بغداد رأي ابن السكران شيخاً محلوق الرأس على صورة شيخ من مشايخ الدين والطريق آخذا بفرس هولاكو قال

فلما رأيته أنكرت هذا واستعظمت أن يكون شيخ من شيوخ المسلمين يقود فرس ملك المشركين لقتل المسلمين فقلت يا هذا أو كلمة نحو هذا فقال تأمر بأمر أو قال له هل يفعل هذا بأمر أو فعلت هذا بأمر فقلت نعم بأمر فسكت ابن السكران وأقنعه هذا الجواب وكان هذا لقلة علمه بالفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان وظن أن ما يؤمر به الشيوخ فى قلوبهم هو من الله وان من قال حدثنى قلبى عن ربى فان الله هو يناجيه ومن قال أخذتم علمكم ميتا عن ميت وأخذنا علمنا عن الحى الذى لايموت هو كذلك وهذا أضل من ادعى الاستغناء عن الانبياء وانه لايحتاج الي واسطتهم

وجواب هذا أن يقال له بأمر من تأمر فان قال بامر الله قيل بامر الله الذى بعث به رسوله وأنزل به القرآن أم بامر وقع في قلبك فان قال بالاول ظهر كذبه فانه ليس فيما بأمر الله به رسوله أن يأتى بالكفار المشركين وأهل الكتاب لقتل المسلمين وسبيهم وأخذ أموالهم لاجل ذنوب فعلوها ويجعل الدار تعبد بها الاوثان ويضرب فيها بالنواقيس ويقتل قراء القرآن وأهل العلم بالشرع ويعظم النجسية علماء المشركين وقساقسة النصارى وأمثال ذلك فان هؤلاء أعظم عداوة لمحمد صلى الله عليه وسلم وهو من جنس مشركى العرب الذين قاتلوه يوم أحد وأولئك عصاة من عصاة أمته وان كان فيهم منافقون كثيرون فالمنافقون يبطنون نفاقهم وان قال بأمر وقع في قلبي لم يكذب لكن يقال من أين لك أن هذا رحمانى ولم لايكون الشيطان هو الذى أمرك بهذا وقد علمت أن مايقع فى قلوب

المشركين وأهل الكتاب هو من الشيطان فان رجع الى توحيد الربوبيه وان الجميع بمشيئته قيل له فحينئذ يكون مايفعله الشيطان والمشركون وأهل الكتاب هو بالامر ولا ريب انه بالامر الكونى القدرى فجميع الخلق داخلون تحته لكن من فعل بمجرد هذا الامر لابامر الرسول فانما يكون من جنس شياطين الانس والجن وهو مستوجب لعذاب الله فى الدنيا والآخرة وهو عابد لغير الله متبع لهواه وهو ممن قال الله فيه لاملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين وممن قال فيهم الشيطان فبعزتك لاغوينهم أجمعين الا عبادك منهم المخلصين قال الله ان عبادى ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين وقال تعالى انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون انما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون وقال تعالى انا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل ان الله لايأمر بالفحشاء أتقولون على الله مالا تعلمون فكيف تأمر بالشرك والكفر وتسلط الكفار من المشركين وأهل الكتاب على المسلمين وقتل الكفار للمسلمين هذا لايأمر الله به كما لايأمر بالفحشاء فان هذا من أفحش الفواحش اذا جعلت الفاحشة اسما لكل مايعظم قبحه فكانت جميع القبائح السيئة داخلة فى الفحشاء

وكان أيضا بالشام بعض أكابر الشيوخ ببعلبك الشيخ عثمان شيخ دير ناعس يأتيه خفير الفرنج النصارى راكبا أسدا ويخلو به ويناجيه ويقول ياشيخ عثمان وكان يحفظ خنازيرهم فيعذره عثمان وأتباعه في

ذلك ويرون ان الله أمره بهذا كما أمر الخضر أن يفعل مافعل كما عذر ابن السكران وأمثاله لخفراء المشركين التتار

والجواب لهذا كالجواب لذلك بقال له وكلك الله تعالى بهذا أنزل على لسان نبيه الدين أمرأن يوالى المسلمين وأن لايتخذاليهود والنصارى أولياء بل أمرك أن تبغضهم وتجاهدهم بما استطعت هو أمرك أن تتوكل بحفظ خنازيرهم فان قال هذا ظهر كذبه وإن قال بل هو أمر ألقى فى قلبي لم يكذب وقيل له فهذا من أمر الشيطان لامن أمر الرحمن الذى أنزل به كتبه وأرسل به رسله ولكنه من الامر الذي كونه وقدره كشرك المشركين الذين قالوا لو شاء الله ماأشركنا ولا آباؤنا

ومن هؤلاء من يظن الرجال الذين يؤيد بهم الكفار من المشركين وأهل الكتاب هم أولياء الله ولا يجب عليهم اتباع الرسول كالملائكة الموكلة ببنى آدم المعقبات

فقلت لشيخ كان من شيوخهم محمد أرسل الى الثقلين الانس والجن ولم يرسل الي الملائكة فكل انسى أو جني خرج عن الايمان به فهو عدو لله لاولى لله بخلاف الملائكة

ثم يقال له الملائكة لايعاونون الكفار علي المعاصى ولا على قتال المسلمين وانما يعاونوهم على ذلك الشياطين ولكن الملائكة قد تكون موكلة بخلقهم ورزقهم وكتابة أعمالهم فان ذلك ليس بمعصية فهذا الجواب بالفرق بينهم وبين الملائكة من هذين الوجهين

وقد ظهر أنهم من جنس الشياطين لامن جنس الملائكة وكان

هذا الشيخ هو وأبوه من خفراء الكفار وكان والده يقال له محمد الخالدى نسبة الى شيطان كان يقربه يقال له الشيخ خالد وهم يقولون انه من الانس من رجال الغيب

وحدثنى الثقة عنه انه كان يقول الانبياء ضيعوا الطريق ولعمرى لقد ضيعوا طريق الشياطين شياطين الانس والجن وهؤلاء المشايخ لذين يحبون المسلمين ولكن يوالون الشيوخ الذين يوالون المشركين الذين هم خفراء الكفار و يظنون أنهم من أولياء الله اشتركوا هم وهم في أصل ضلالة وهو أنهم جعلوا الخوارق الشيطانية من جنس الكرامات الرحمانية ولم يفرقوا بين أولياء الرحمن كما قال تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين فهؤلاء وهؤلاء عشوا عن ذكر الرحمن الذى أنزله وهو الكتاب والسنة وعن الروح الذى أوحاه الله الى نبيه الذى جعله الله نورا يهدى به من يشاء من عباده وبه يحصل الفرق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ولم يفرقوا بين آيات الانبياء ومعجزاتهم وبين خوارق السحرة والكهان اذ هذا مذهب الجهمية المجبرة وهؤلاء كلهم يشتركون في هذا المذهب فلا يجعلون الله يحب ما أمر به ويبغض مانهي عنه بل يجعلون كل ماقدره وقضاه فانه يحبه ويرضاه فبقي جميع الامور عندهم سواء وانما يتميز بنوع من الخوارق فمن كان له خارق جعلوه من أولياء الله وخضعوا له اما اتباعا له واما موافقة له ومحبة واما ان يسلموا له حاله فلا يحبوه ولا يبغضوه اذ كانت قلوبهم لم يبق فيها من الايمان مايعرفون به المعروف وينكرون به المنكر فى هذا

الموضع

وقد ثبت فى الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان وفي رواية لمسلم من جاهدهم بيده فهو مؤمن ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن ليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل وميت الاحياء الذين لايعرفون معروفا ولا ينكرون منكرا وفي حديث حذيفة الذى في صحيح مسلم ان الفتنة تعرض على القلوب كعرض الصبر عودا عودا فايما قلب أنكرها نكتت فيه نكتة بيضاء وأيما قلب أشربها نكتت فيه نكتة سوداء حتى تبقى القلوب على قلبين قلب أبيض مثل الصفا لايضره فتنة مادامت السماء والارض وقلب أسود مرباد لايعرف معروفا ولا ينكر منكرا الا ماأشرب من هواه

فهؤلاء العباد الزهاد الذين عبدوا الله بآرائهم وذوقهم ووجدهم لابالامر والنهى منتهاهم اتباع أهوائهم ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله لاسيما اذا كانت حقيقتهم هى قول الجهمية المجبرة فرأوا أن جميع الكائنات اشتركت فى المشيئة ولم يميز بعضها عن بعض فان الله يحب هذا ويرضاه وهذا يبغضه ويسخطه فان الله يحب المعروف ويبغض المنكر فاذا لم يفرقوا بين هذا وهذا نكت في قلوبهم نكت سود فسود قلوبهم فيكون المعروف مايهوونه ويحبونه ويجدونه ويذوقونه ويكون المنكر مايهوون بغضه وتنفر عنه قلوبهم كالمشركين الذين كانوا عن

التذكرة معرضين كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة ولهذا يوجد في هؤلاء وأتباعهم من ينفرون عن القرآن والشرع كما تنفر الحمر المستنفرة التي تفر من الرماة ومن الاسد ولهذا يوصفون بانهم اذا قيل لهم قال المصطفى نفروا

وكان الشيخ ابراهيم بن معضاد يقول لمن رآه من هؤلاء كاليونسية والاحمدية ياخنازير ياأبناء الخنازير ماأرى لله ورسوله عندكم رائحة بل يريد كل منهم أن يؤتى صحفا منشرة كل منهم يريد أن يحدثه قلبه عن ربه فيأخذ عن الله بلا واسطة الرسول واذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ماأوتي رسل الله الله أعلم حيث يجعل رسالاته وبسط هذا له موضع آخر

والمقصود هنا ان قول القدرية الجهمية المجبرة أعظم مناقضة لما جاءت به الرسل من قول النفاة ولهذا لم يكن هؤلاء مظهرين لهذا في زمن السلف بل كلما ضعف نور النبوة أظهروا حقيقة قولهم فانه من جنس قول المشركين المكذبين للرسل ومنتهاهم الشرك وتكذيب الرسل وهذا جماع الكفر كما أن التوحيد وتصديق الرسل جماع الايمان ولهذا صاروا مع أهل الكفر المحض من المشركين وأهل الكتاب وبسط هذه الامور له موضع آخر

والمقصود هنا ان القدرية المجبرة من جنس المشركين كما ان النافية من جنس المجوس وان المجبرة ماعندهم سوى القدرة والمشيئة في نفس الامر والنافية تنفي القدرة العامة والمشيئة التامة وتزعم انها تثبت

الحكمة والعدل وفي الحقيقة كلاهما ناف للحكمة والعدل والمشيئة والقدرة كما قد بسط فى مواضع وأولئك يتعلقون بقوله لا يسأل عما يفعل والله يفعل مايشاء وهذا ذكره الله اثباتا لقدرته لا نفيا لحكمته وعدله بل بين سبحانه ان يفعل مايشاء فلا أحد يمكنه أن يعارضه اذا شاء شيئا بل هو قادر على فعل مايشاء بخلاف المخلوق الذى يشاء أشياء كثيرة ولا يمكنه أن يفعلها ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح لا يقولن أحدكم اللهم اغفرلى ان شئت اللهم ارحمنى ان شئت فان الله لامكره له ولكن ليعزم المسئلة وذلك انه انما يقال افعل كذا ان شئت لمن قد يفعله مكرها فيفعل مالا يريد لدفع ضرر الاكراه عنه والله تعالى لامكره له فلا يفعل الا مايشاء فقوله تعالى ان الله يفعل مايشاء ويغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ونحو ذلك هو لاثبات قدرته على مايشاء وهذا رد لقول القدرية النفاة الذين يقولون انه لم يشأ كل ما كان بل لايشاء الا الطاعة ومع هذا فقد شاءها ولم يكن ممن عصاه وليس هو قادرا عندهم على أن يجعل العبد لامطيعا ولا عاصيا

فهذه الأيات التى تحتج بها المجبرة تدل على فساد مذهب النفاة كما أن الآيات التي يحتج بها النفاة التى تدل على أنه حكم عادل لا يظلم مثقال ذرة وانه لم يخلق الخلق عبثا ونحو ذلك يدل على فساد قول المجبرة وليس في هذه الآيات ولا هذه مايدل على صحة قول واحدة من الطائفتين بل ماتحتج به كل طائفة يدل على فساد مذهب الاخرى وكلا القولين باطل وهذا هو الذى نهي عنه النبى صلي الله عليه وسلم في الحديث الذى

في المسند وغيره وبعضه في صحيح مسلم عن عبدالله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم انه خرج على أصحابه وهم يتمارون فى القدر وهذا يقول ألم يقل الله كذا وهذا يقول ألم يقل الله كذا فكانما فقئ فى وجهه حب الرمان فقال أبهذا أمرتم أم الى هذا دعيتم أن تضربوا كتاب الله بعضه ببعض ولهذا قال أحمد فى بعض مناظرته لمن صار يضرب الآيات بعضها ببعض انا قد نهينا عن هذا

فمن دفع نصوصا يحتج بها غيره لم يؤمن بها بل آمن بما يحتج صار ممن يؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعض

وهذا حال أهل الاهواء هم مختلفون فى الكتاب مخالفون للكتاب متفقون على مخالفة الكتاب وقد تركوا كلهم بعض النصوص وهو ما يجمع تلك الاقوال فصاروا كما قال عن أهل الكتاب ومن الذين قالوا انا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظا مما ذكروا به فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة

فاذا ترك الناس بعض ما أنزل الله وقعت بينهم العداوة والبغضاء اذ لم يبق هنا حق جامع يشتركون فيه بل تقطعوا أمرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون وهؤلاء كلهم ليس معهم من الحق الا ما وافقوا فيه الرسول وهو ما تمسكوا به من شرعه مما أخبر به وما أمر به * وأما ما ابتدعوه فكله ضلالة كما قال صلى الله عليه وسلم واياكم ومحدثات الامور فان كل بدعة ضلالة وقد تكون تلك البدعة أعظم عندهم مما أخذوا به من الشرعة يجعلون تلك هى الاصول العقلية كالقدرية المجبرة

والنفاة فكلاهما يجمل ماأحدثوه من الكلام فى الاصول وهو الذى يسمونه العقليات أعظم عندهم مما تلقوه من الشرع فالمعتزلة يجعلون العقليات هى الخبريات والامريات جميعا فالواجبات الشرعية لكن يقولون أيضا ان الشرع أوجبها ولكن لهم فيها تخليط ليس هذا موضعه

وكذلك ماابتدعوه فى الخبريات كاثبات حدوث العالم بطريقة الاعراض واستلزامها للاجسام وهم ينفون الصفات والقدر و يسمون ذلك التوحيد والعدل

وجهم بن صفوان وأتباعه هم أعظم نفيا منهم فانهم ينفون الاسماء مع الصفات وهم رؤس المجبرة والاشعرية وافقتهم في الجبر لكن نازعوهم نزاعا لطيفا في اثبات الكسب والقدرة عليه وهم يرون أن هذه الاصول العقلية وهى العلم بما يجب للرب ويمتنع عليه ومايجوز عليه من الافعال هى أعظم العلوم وأشرفها وانهم برزوا بها على الصحابة وان النبى لم يعلمها الصحابة امالكونه وكلها الى استنباط الامة واما لكون الصحابة كانوا مشغولين عنها بالجهاد واما لكونه قال لهم فى ذلك مالم يبلغوه ولم يشغلهم بالادلة لاشتغالهم بالجهاد

وهذه هى الاصول العقلية التى يعتمدون عليها هم ومن يوافقهم كالقاضى أبي يعلى وأبى المعالى وأبي الوليد الباجى تبعا للقاضى أبى بكر وأمثاله وهو وأتباعه يناقضون عبد الجبار وأمثاله كما ناقض الاشعرى وأمثاله أباعلى وأباالقاسم

وكل الاصول العقلية التى ابتدعها هؤلاء وهؤلاء باطلة فى العقل

والشرع وان كانت كل واحدة من الطائفتين تعتقد أنها أعظم الدين ويقدمونها على الاصول الشرعية فانهم في ذلك بمنزلة مايعظمه العباد والزهاد والفقراء والصوفية من الخوارق الشيطانية ويفضلونها على العبادات الشرعية والعبادات الشرعية هي التي معهم من الاسلام وتلك كلها باطلة وان كانت أعظم عندهم من العبادات حتى يقولوا نهاية الصوفى ابتداء الفقيه ونهاية الفقيه ابتداء المولّه وكذلك صاحب منازل السائرين يذكر فى كل باب ثلاث درجات فالاولى وهى أهونها عندهم توافق الشرع فى الظاهر والثانية قد توافق الشرع وقد لا توافق والثالثة فى الاغلب تخالف لاسيما في التوحيد والفناء والرجاء ونحو ذلك وهذا الذى ابتدعوه هو أعظم عندهم مما وافقوا فيه الرسل وكثير من العباد يفضل نوافله على أداء الفرائض وهذا كثير والله أعلم.

والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله

وصحبه وسلم تسليما كثيرا والحمد

لله رب العالمين

(تمت الرسالة الاولى من رسائل العلامة ابن تيمية)

(ويليها الرسالة الثانية معارج الوصول له أيضاً)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قال الشيخ لامام العالم تقى الدين أوحد المجتهدين أحمد بن تيمية قدس الله روحه ونور ضريحه وهو مما كتبه بقلعة دمشق متأخراً

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له ونشهد أن لا اله الا الله وحده لاشريك له ونشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم تسليماً

(فصل في أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بين جميع الدين أصوله وفروعه باطنه وظاهره علمه وعمله) فان هذا الاصل هو أصل أصول العلم والايمان وكل من كان أعظم اعتصاما بهذا الاصل كان أولى بالحق علماً وعملا ومن كان أبعد عن الحق علماً وعملا كالقرامطة والمتفلسفة الذين يظنون أن الرسل ماكانوا يعلمون حقائق العلوم الالهية والكلية وانما يعرف ذلك بزعمهم من يعرفه من المتفلسفة ويقولون خاصة النبوة هى التخييل ويجعلون النبوة أفضل من غيرها عند الجمهور لاعند أهل المعرفة كما يقول هذا ونحوه الفارابى وأمثاله مثل بشر بن فاتك وأمثاله من الاسماعيلية وآخرون يعترفون بأن الرسول علم الحقائق لكن يقولون لم يبينها بل خاطب الجمهور بالتخييل فيجعلون التخييل فى خطابه لافي علمه كما يقول ذلك ابن سينا وأمثاله وآخرون يعترفون بأن الرسل علموا الحق وبينوه لكن يقولون لايمكن معرفته من كلامهم بل يعرف بطريق آخر اما المعقول عند طائفة واما المكاشفة عند طائفة اما قياس فلسفى واما خيال صوفي ثم بعد ذلك ينظر في كلام

الرسول فما وافق ذلك قبل وما خالفه اما أن يفوض واما أن يؤول وهذه طريقة كثير من أهل الكلام الجهمية والمعتزلة وهي طريقة خيار الباطنية والفلاسفة الذين يعظمون الرسول وينزهونه عن الجهل والكذب لكن يدخلون في التأويل وأبو حامد الغزالي لما ذكر في كتابه طرق الناس في التأويل وان الفلاسفة زادوا فيه حتي انحلوا وان الحق بين جحود الحنابلة وبين انحلال الفلاسفة وان ذلك لا يعرف من جهة السمع بل يعرف الحق بنور يقذف في قلبك ثم ينظر في السمع فما وافق ذلك قبلته والا فلا وكان مقصوده بالفلاسفة المتأولين خيار الفلاسفة وهم الذين يعظمون الرسول عن أن يكذب للمصلحة ولكن هؤلاء وقعوا في نظير مافروا منه نسبوه الى التلبيس والتعمية واضلال الحق بل الى أن يظهر الباطل ويكتم الحق

وابن سينا وأمثاله لما عرفوا أن كلام الرسول لا يحتمل هذه التأويلات الفلسفية بل قد عرفوا أنه أراد مفهوم الخطاب سلك التخييل وقال انه خطاب الجمهور بما يخيل اليهم مع علمه أن الحق في نفس الامر ليس كذلك فهؤلاء يقولون ان الرسل كذبوا للمصلحة وهذا طريق ابن رشد الحفيد وأمثاله من الباطنية فالذين عظموا الرسل من هؤلاء عن الكذب نسبوهم الى التلبيس والاضلال والذين أقروا بأنهم بينوا قالوا انهم كذبوا للمصلحة واما أهل العلم والايمان فتفقون على أن الرسل لم يقولوا الا بالحق وانهم بينوه مع علمهم بأنهم أعلم الخلق بالحق فهم الصادقون المصدوقون علموا الحق وبينوه فمن قال انهم كذبوا للمصلحة فهو من اخوان المكذبين للرسل لكن هذا لما رأى ماعملوا

من الخير والعدل فى العالم لم يمكنه أن يقول كذبوا لطلب العلو والفساد بل قال كذبوا لمصلحة الخلق كما يحكى عن ابن التومرت وأمثاله ولهذا كان هؤلاء لايفرقون بين النبي والساحر الا من جهة حسن القصد فان النبي يقصد الخير والساحر يقصد الشر والا فلكل منهما خوارق هى عندهم قوى نفسانية وكلاهما عندهم يكذب لكن الساحر يكذب للعلو والفساد والنبي عندهم يكذب لمصلحة اذ لم يمكنه اقامة العدل بينهم الا بنوع من الكذب والذين علموا أن النبوة تناقض الكذب على الله وان النبي لا يكون لا صادقا من هؤلاء قالوا انهم لم يبينوا الحق ولو أنهم قالوا سكتوا عن بيانه لكان أقل الحاداً لكن قالوا انهم أخبروا بما يظهر منه للناس الباطل ولم يبينوا لهم الحق فعندهم انهم جمعوا بين شيئين بين كتمان حق لم يبينوه وبين اظهار ما يدل على الباطل وان كانوا لم يقصدوا الباطل فجعلوا كلامهم من جنس المعاريض التي يعنى بها المتكلم معنى صحيحاً لكن لايفهم المستمع منها الا الباطل واذا قالوا قصدوا التعريض كان أقل الحاداً ممن قال انهم قصدوا الكذب

(والتعريض من نوع الكذب) اذ كان كذبا فى الافهام ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم ان ابراهيم لم يكذب الا ثلاث كذبات كلهن في ذات الله وهى معاريض لقوله عن سارة انها أختى اذ كان ليس هناك مؤمن الا هو وهى (١)

وهؤلاء يقولون ان كلام ابراهيم وعامة الانبياء مما اخبروا به عن الغيب كذب من المعاريض

وأما جمهور المتكلمين فلا يقولون بهذا بل يقولون قصدوا البيان

---

(١) ذكر احدي الثلاث والثانية قوله اني سقيم والثالثة قوله بل فعله كبيرهم هذا

دون التعريض لكن مع هذا يقول الجهمية ونحوهم ان بيان الحق ليس في خطابهم بل انما في خطابهم مايدل على الباطل والمتكلمون من الجهمية والمعتزلة والاشعرية ونحوهم ممن سلك في اثبات الصانع طريقة الاعراض يقولون ان الصحابة لم يبينوا أصول الدين بل ولا الرسول اما لشغلهم بالجهاد أو لغير ذلك وقد بسط الكلام على هؤلاء فى غير هذا الموضع

وبين ان أصول الدين الحق الذى أنزل الله به كتابه وأرسل به رسوله وهى الادلة والبراهين والآيات الدالة على ذلك قد بينها الرسول أحسن بيان وأنه دل الناس وهداهم الي الادلة العقلية والبراهين اليقينية التى بها يعلمون المطالب الالهية وبها يعلمون اثبات ربوبية الله ووحدانيته وصفاته وصدق رسوله والمعاد وغير ذلك مما يحتاج الى معرفته بالادلة العقلية بل وما يمكن بيانه بالادلة العقلية وان كان لايحتاج اليها فان كثيراً من الامور يعرف بالخبر الصادق ومع هذا فالرسول بين الادلة العقلية الدالة عليها فجمع بين الطريقين السمعى والعقلي

وبينا أن دلالة الكتاب والسنة على أصول الدين ليست بمجرد الخبر كما تظنه طائفة من الغالطين من أهل الكلام والحديث والفقهاء والصوفية وغيرهم بل الكتاب والسنة دلا الخلق وهدياهم الي الآيات والبراهين والادلة المبينة لاصول الدين وهؤلاء الغالطون الذين أعرضوا عما في القرآن من الدلائل العقلية والبراهين اليقينية صاروا اذا صنفوا في أصول الدين أحزابا

حزب يقدمون فى كتبهم الكلام في النظر والدليل والعلم وان النظر

يوجب العلم وأنه واجب ويتكلمون في جنس النظر وجنس الدليل وجنس العلم بكلام قد اختلط فيه الحق بالباطل ثم اذا صاروا الي ماهو الاصل والدليل للدين استدلوا بحدوث الاعراض على حدوث الاجسام وهو دليل مبتدع في الشرع وباطل في العقل

والحزب الثانى عرفوا أن هذا الكلام مبتدع وهو مستلزم مخالفة الكتاب والسنة وعنه ينشأ القول بأن القرآن مخلوق وأن الله لايرى في الآخرة وليس فوق العرش ونحو ذلك من بدع الجهمية فصنفوا كتباً قدموا فيها مايدل على وجوب الاعتصام بالكتاب والسنة من القرآن والحديث وكلام السلف وذكروا أشياء صحيحة لكنهم قد يخلطون الآثار صحيحها بضعيفها وقد يستدلون بما لا يدل على المطلوب وأيضاً فهم انما يستدلون بالقرآن من جهة اخباره لامن جهة دلالته فلا يذكرون مافيه من الادلة على اثبات الربوبية والوحدانية والنبوة والمعاد وأنه قد بين الادلة العقلية الدالة على ذلك ولهذا سموا كتبهم أصول السنة والشريعة ونحو ذلك وجعلوا الايمان بالرسول قد استقر فلا يحتاج أن يبين الادلة الدالة عليه فذمهم أولئك ونسبوهم الى الجهل اذ لم يذكروا الاصول الدالة على صدق الرسول وهؤلاء ينسبون أولئك الى البدعة بل الى الكفر لكونهم أصلوا أصولا تخالف ماقاله الرسول والطائفتان يلحقهما الملام لكونهما أعرضتا عن الاصول التى بينها الله بكتابه فانها أصول الدين وأدلته وآياته فلما أعرض عنها الطائفتان وقع بينهم العداوة كما قال الله تعالى فنسوا حظاً مما ذكروا به فاغرينا بينهم

العداوة والبغضاء الى يوم القيامة

وحزب ثالث قد عرف تفريط هؤلاء وتعدى أولئك وبدعتهم فذمهم وذم طالب العلم الذكى الذى اشتاقت نفسه الي معرفة الادلة والخروج عن التقليد اذا سلك طريقهم وقال ان طريقهم ضارة وان السلف لم يسلكوها ونحو ذلك بما يقتضى ذمها وهو كلام صحيح لكنه انما يدل على أمر مجمل لا تتبين دلالته على المطلوب بل قد يعتقد طريق المتكلمين مع قوله انه بدعة ولا يفتح أبواب الادلة التى ذكرها الله فى القرآن التى تبين أن ماجاء به الرسول حق ويخرج الذكى بمعرفتها عن التقليد وعن الضلال والبدعة والجهل فهؤلاء أضل بفرقهم لانهم لم يتدبروا القرآن وأعرضوا عن آيات الله التى بينها بكتابه كما يعرض من يعرض عن آيات الله المخلوقة قال لله تعالي وكم من آية فى السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون وقال تعالى وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون وقال تعالى ان الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون وقال تعالى كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الالباب وقال تعالى ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل وقال تعالى وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحى اليهم فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون بالبينات والزبر الآية وقال تعالى وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك وقال تعالى وان يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات والزبر والكتاب المنير ومثل هذا كثير لبسطه مواضع أخر

والمقصود ان هؤلاء الغالطين الذين أعرضوا عما فى القرآن من الدلائل العقلية والبراهين اليقينية لايذكرون النظر والدليل والعلم الذى جاء به الرسول والقرآن مملوء من ذلك والمتكلمون يعترفون بأن فى القرآن من الادلة العقلية الدالة على أصول الدين مافيه لكنهم يسلكون طرقا أخر كطريق الاعراض

ومنهم من يظن ان هذه طريق ابراهيم الخليل وهو غالط

والمتفلسفة يقولون القرآن جاء بالطريق الخطابية والمقدمات الاقناعية التى تقنع الجمهور ويقولون ان المتكلمين جاؤا بالطرق الجدلية ويدعون أنهم هم أهل البرهان اليقينى وهم أبعد عن البرهان فى الالهيات من المتكلمين والمتكلمون أعلم منهم بالعلميات البرهانية في الالهيات والكليات ولكن للمتفلسفة فى الطبيعيات خوض وتفصيل تميزوا به بخلاف الالهيات فانهم من أجهل الناس بها وأبعدهم عن معرفة الحق فيها وكلام ارسطو معلمهم فيها قليل كثير الخطأ فهو لحم جمل غث على رأس جبل وعر لا سهل فيرتقى ولا سمين فينقل وهذا مبسوط فى غير هذا الموضع

والقرآن جاء بالبينات والهدى بالآيات البينات وهى الدلائل اليقينيات وقد قال الله تعالى لرسوله أدع الي سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هي أحسن والمتفلسفة يفسرون ذلك بطرقهم المنطقية فى البرهان والخطابة والجدل وهو ضلال من وجوه قد بسطت فى غير هذا الموضع بل الحكمة هى معرفة الحق والعمل به فالقلوب

التي فاهم وقصد تدعى بالحكمة فيبين لها الحق علما وعملا فتقبله وتعمل به
وآخرون يعترفون بالحق لكن لهم أهواء تصدهم عن اتباعه
فهؤلاء يدعون بالموعظة الحسنة المشتملة على الترغيب في الحق والترهيب
من الباطل والوعظ أمر ونهى بترغيب وترهيب كما قال تعالى ولو انهم
فعلوا مايوعظون به وقال تعالى يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا فالدعوة
بهذين الطريقين لمن قبل الحق ومن لم يقبله فانه يجادل بالتي هى أحسن
والقرآن مشتمل على هذا وهذا ولهذا اذا جادل يسأل و يستفهم عن
المقدمات البينة البرهانية التى لايمكن أحد أن يجحدها لتقرير المخاطب
بالحق ولاعترافه بانكار الباطل كما في مثل قوله أم خلقوا من غير شئ أم
هم الخالقون وقوله أفعيينا بالخلق الاول بل هم في لبس من خلق جديد
وقوله أوليس الذى خلق السموات والارض بقادر على أن يخلق مثلهم
وقوله أيحسب الانسان أن يترك سدى ألم يك نطفة من مني يمنى ثم كان
علقة فخلق فسوي فجعل منه الزوجين الذكر والانثي أليس ذلك
بقادر على أن يحيي الموتى وقوله أفرأيتم ماتمنون أأنتم تخلقونه أم نحن
الخالقون وقوله وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه أولم تأتهم بينة مافي الصحف
الاولى وقوله أولم يكفهم انا أنزلنا عليك الكتاب يتلي عليهم وقوله أولم
يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني اسرائيل وقوله ألم نجعل له عينين ولسانا
وشفتين وهديناه النجدين الى أمثال ذلك مما يخاطبهم باستفهام التقرير
المتضمن اقرارهم واعترافهم بالمقدمات البرهانية التى تدل على المطلوب
فهو من أحسن جدل بالبرهان فان الجدل انما يشترط فيه أن يسلم الخصم

المقدمات وان لم تكن بينة معروفة فاذا كانت بينة معروفة كانت برهانية والقرآن لايحتج في مجادلته بمقدمة لمجرد تسليم الخصم بها كما هى الطريقة الجدلية عند أهل المنطق وغيرهم بل بالقضايا والمقدمات التى تسلمها الناس وهي برهانية وانكان بعضهم يسلمها وبعضهم ينازع فيها ذكر الدليل على صحتها كقوله وماقدروا الله حق قدره اذقالوا ماأنزل الله على بشر من شىء قل من أنزل الكتاب الدي جاء به موسى نورا وهدي للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا وعلمتم مالم تعلموا أنتم ولا آباؤكم فان الخطاب لما كان مع من يقر بنبوة موسى من أهل الكتاب ومع من ينكرها من المشركين ذكر ذلك بقوله قل من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى وقد بين البراهين الدالة على صدق موسي في غير موضع وعلى قراءة من قرأ يبدونها كابن كثير وأبي عمرو وجعلوا قوله وعلمتم مالم تعلموا احتجاجا على المشركين بما جاء به محمد فالحجة على أولئك نبوة موسي وعلى هؤلاء نبوة محمد ولكل منهما من البراهين ماقد بين بعضه في غير موضع وعلى قراءة الاكثرين بالتاء هو خطاب لاهل الكتاب وقوله علمتم مالم تعلموا بيان لما جاءت به الانبياء مما أنكروه فعلمهم الانبياء مالم يقبلوه ولم يعلموه فاستدل بما عرفوه من أخبار الانبياء ومالم يعرفوه

وقد قص سبحانه قصة موسي وأظهر براهين موسى وآياته التى هى من أظهر البراهين والادلة حتى اعترف بها السحرة التي جمعهم فرعون وناهيك بذلك فلما أظهر الله حق موسى وأتى بالآيات التى علم بالاضطرار انها من الله وابتلعت عصاه الحبل والعصى التى أتى بها

السحرة بعد ان جاؤا بسحر عظيم وسحروا أعين الناس واسترهبوا الناس ثم لما ظهر الحق وانقلبوا صاغرين قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهرون فقال لهم فرعون آمنتم به قبل أن آذن لكم انه لكبيركم الذى علمكم السحر فلاقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولاصلبنكم في جذوع النخل ولتعلمن أينا أشد عذابا وأبقى قالوا لن نؤثرك على ماجاءنا من البينات من الدلائل البينات اليقينية القطعية وعلى الذى فطرنا وهو خالقنا وربنا الذى لابد لنا منه لن نؤثرك على هذه الدلائل اليقينية وعلى خالق البرية فاقض ماأنت قاض انما تقضى هذه الحياة الدنيا انا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر والله خير وأبقى

وقد ذكر الله هذه القصة في عدة موضع من القرآن يبين في كل موضع منها من الاعتبار والاستدلال نوعا غير النوع الآخر كما يسمى الله ورسوله وكتابه بأسماء متعددة كل اسم يدل على معنى لم يدل عليه الاسم الآخر وليس فى هذا تكرار بل فيه تنويع الآيات مثل أسماء النبي صلى الله عليه وسلم اذا قيل محمد وأحمد والحاشر والعاقب والمقفى ونبي الرحمة ونبي التوبة ونبي الملحمة فى كل اسم دلالة على معنى ليس فى الاسم الآخر وان كانت الذات واحدة فالصفات متنوعة وكذلك القرآن اذا قيل فيه قرآن وفرقان وبيان وهدي وبصائر وشفاء ونور ورحمة وروح فكل اسم يدل على معنى ليس هو المعني الآخر وكذلك أسماء الرب تعالى اذا قيل الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق البارىء المصور فكل اسم يدل على معنى ليس

هو المعنى الذي في الاسم الآخر فالذات واحدة والصفات متعددة فهذا في الأسماء المفردة وكذلك فى الجمل التامة يعبر عن القصة بجمل تدل على معان فيها ثم يعبر عنها بجمل أخرى تدل على معان أخر وان كانت القصة المذكورة ذاتها واحدة فصفاتها متعددة ففى كل جملة من الجمل معنى ليس فى الجمل الأخر

وليس في القرآن تكرار أصلا وأماماذكره بعض الناس من أنه كرر القصص مع الاكتفاء بالواحدة وكان الحكمة فيه أن وفود العرب كانت ترد على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقرئهم المسلمون شيئا من القرآن فيكون ذلك كافيا وكان يبعث الى القبائل المتفرقة بالسور المختلفة فلولم تكن الآيات والقصص مثناة متكررة لوقعت قصة موسى الى قوم وقصة عيسى الى قوم وقصة نوح الى قوم فاراد الله أن يشهر هذه القصص فى أطراف الارض وأن يلقيها الى كل سمع فهذا كلام من لم يقدر القرآن قدره وأبو الفرج اقتصر على هذا الجواب في قوله مثانى لما قيل لم ثنيت وبسط هذا له موضع آخر فان التثنية هى التنويع والتجنيس وهى استيفاء الاقسام ولهذا يقول من يقول من السلف الاقسام والامثال

والمقصود هنا التنبيه على ان القرآن اشتمل على أصول الدين التى تستحق هذا الاسم وعلى البراهين والآيات والادلة اليقينية بخلاف ماأحدثه المبتدعون والملحدون كما قال الرازي مع خبرته بطرق هؤلاء لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما وجدتها تشفى عليلا

ولا تروى غليلا ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن اقرأ في الاثبات اليه يصعد الكلم الطيب الرحمن على العرش استوى وأقرأ في النفي ليس كمثله شيء ولا يحيطون به علما قال ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي

والخير والسعادة والكمال والصلاح منحصر فى نوعين في العلم النافع والعمل الصالح وقد بعث الله محمدا بافضل ذلك وهو الهدى ودين الحق كما قال هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا وقد قال تعالى واذكر عبادنا ابراهيم واسحاق ويعقوب أولي الايدى والابصار فذكر النوعين قال الوالبي عن ابن عباس يقول أولو القوة فى العبادة قال ابن أبي حاتم وروى عن سعيد بن جبير وعطاء الخراساني والحسن والضحاك والسدى وقتادة وأبي سنان ومبشر بن عبيد نحو ذلك والابصار قال الابصار الفقه في الدين وقال مجاهد الابصار الصواب فى الحكم وعن سعيد بن جبير قال البصيرة بدين الله وكتابه وعن عطاء الخراسانى أولى الأيدى والابصار قال أولو القوة فى العبادة والبصر والعلم بامر الله وعن مجاهد وروى عن قتادة قال أعطوا قوة فى العبادة وبصرا في الدين

وجميع حكماء الامم يفضلون هذين النوعين مثل حكماء اليونان والهند والعرب قال ابن قتيبة الحكمة عند العرب العلم والعمل فالعمل الصالح هو عبادة الله وحده لاشريك له وهو الدين دين الاسلام والعلم والهدى هو تصديق الرسول فيما أخبر به عن الله وملائكته وكتبه

ورسله واليوم الآخر وغير ذلك فالعلم النافع هو الايمان والعمل الصالح هو الاسلام العلم النافع من علم الله والعمل الصالح هو العمل بأمر الله هذا تصديق الرسول فيما أخبر وهذا طاعته فيما أمر وضد الاول أن يقول على الله مالا يعلم وضد الثانى أن يشرك بالله مالم ينزل به سلطانا والاول أشرف فكل مؤمن مسلم وليس كل مسلم مؤمنا قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا وجميع الطوائف تفضل هذين النوعين لكن الذى جاء به الرسول هو أفضل مافيهما كما قال ان هذا القرآن يهدى للتي هى أقوم

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ فى ركعتي الفجر تارة سورة الاخلاص وقل ياأيها الكافرون ففى قل ياأيها الكافرون عبادة الله وحده وهو دين الاسلام وفي قل هو الله أحد صفة الرحمن وأن يقال فيه ويخبر عنه بما يستحقه وهو الايمان هذا هو التوحيد القولى وذلك هو التوحيد العلمي

وكان تارة يقرأ فيهما في الاولى بقوله فى البقرة قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لانفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون وفى الثانية قل ياأهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الى قوله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون

قال أبو العالية فى قوله فلنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون قال خلتان يسئل عنهما كل أحد ماذا كنت تعبد وماذا أجبت المرسلين

فالاول تحقيق شهادة أن لااله الا الله والثاني تحقيق الشهادة بان محمدا رسول الله

والصوفية بنوا أمرهم على الارادة ولا بد منها لكن بشرط أن تكون ارادة عبادة الله وحده بما أمر

والمتكلمون بنوا أمرهم على النظر المقتضى للعلم ولابد منه لكن بشرط أن يكون علما بما أخبر به الرسول والنظر في الادلة التى دل بها الرسول. هى آيات الله ولابد من هذا وهذا

ومن طلب علما بلا ارادة أو ارادة بلا علم فهو ضال ومن طلب هذاوهذا بدون اتباع الرسول فيهمافهو ضال بل كمن قال من السلف الدين والايمان قول وعمل واتباع السنة وأهل الفقه في الاعمال الظاهرة يتكلمون في العبادات الظاهرة وأهل التصوف والزهد يتكلمون فى قصد الانسان وارادته وأهل النظر والكلام وأهل العقائد من اهل الحديث وغيرهم يتكلمون في العلم والمعرفة والتصديق الذى هو أصل الارادة ويقولون العبادة لابد فيها من القصد والقصد لايصح الا بعد العلم بالمقصود المعبود وهذا صحيح فلابد من معرفة المعبود وما يعبد به فالضالون من المشركين والنصارى وأشباههم لهم عبادات وزهادات لكن لغير الله أو بغير أمر الله وانما القصدوالارادة لنافعة هو ارادة عبادة الله وحده وهو انما يعبد بما شرع لا بالبدع

وعلى هذين الاصلين يدور دين الاسلام على أن يعبد الله وحده وأن يعبد بما شرع ولا يعبد بالبدع وأما العلم والمعرفة والتصوف فمدارها

على أن يعرف ماأخبر به الرسول ويعرف أن ماأخبر به حق اما لعلمنا بانه لايقول الا حقا وهذا تصديق عام واما لعلمنا بان ذلك الخبر حق بما أظهر الله من آيات صدقه فانه أنزل الكتاب والميزان وأرى الناس آياته فى الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم ان القرآن حق

(فصل) وأما العمليات وما يسميه ناس الفروع والشرع والفقه فهذا قد بينه الرسول أحسن بيان فماشيء مماأمر الله به أو نهى عنه أو حلله أو حرمه الا بين ذلك وقد قال تعالى اليوم أكملت لكم دينكم وقال تعالى ما كان حديثا يفتري ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون وقال تعالى ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين وقال تعالى كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وقال تعالى تالله لقد أرسلنا الى أمم من قبلك فزين لهم الشيطان أعمالهم فهو وليهم اليوم ولهم عذاب أليم وماأنزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذى اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون فقد بين سبحانه أنه ماانزل عليه الكتاب الا ليبين لهم الذى اختلفوا فيه كما بين انه أنزل جنس الكتاب مع النبيين ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وقال تعالى وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه الى الله ذلكم الله ربي عليه توكلت واليه أنيب وقال تعالى وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هداهم حتى يبين لهم مايتقون

قد بين للمسلمين جميع مايتقونه كما قال وقد فصل لكم ماحرم

عليكم الا مااضطررتم اليه وقال تعالى فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول وهو الرد الى كتاب الله أو الى سنة الرسول بعد موته وقوله فان تنازعتم شرط والفعل نكرة في سياق الشرط فاى شيء تنازعوا فيه ردوه الي الله والرسول ولولم يكن بيان الله والرسول فاصلا للنزاع لم يؤمروا بالرد اليه والرسول أنزل الله عليه الكتاب والحكمة كما ذكر ذلك في غير موضع وقد علم أمته الكتاب والحكمة كما قال ويعلمهم الكتاب وكان يذكر في بيته الكتاب والحكمة وامر ازواج نبيه بذكر ذلك فقال واذكرن مايتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة فآيات الله هى القرآن اذ كان نفس القرآن يدل على انه منزل من الله فهو علامة ودلالة على منزله والحكمة قال غير واحد من السلف هي السنة وقال أيضا طائفة كمالك وغيره هى معرفة الدين والعمل به وقيل غير ذلك وكل ذلك حق فهى تتضمن التمييز بين المأمور والمحظور والحق والباطل وتعليم العلم بالحق دون الباطل وهذه السنة التي فرق بها بين الحق والباطل وبين الاعمال الحسنة من القبيحة والخير من الشر وقد جاء عنه صلى الله عليه وسلم انه قال تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لايزيغ عنها بعدي الا هالك

وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كلام نحو هذا وهذا كثير في الحديث والآثار يذكرونه فى الكتب التى يذكر فيها هذه الآثار كما يذكر مثل ذلك غير واحد فيما يصنفونه في السنة مثل ابن بطة واللالكائي والطلمنكي وقبلهم المصنفون في السنة كاصحاب احمد مثل عبد الله والاثرم وحرب

الكرماني وغيرهم ومثل الخلال وغيره

والمقصود هنا تحقيق ذلك وان الكتاب والسنة وافيان بجميع أمور الدين وأما اجماع الامة فهو في نفسه حق لاتجتمع الامة على ضلالة وكذلك القياس الصحيح حق فان الله بعث رسله بالعدل وأنزل الميزان مع الكتاب والميزان يتضمن العدل وما يعرف به العدل وقد فسروا انزال ذلك بأن ألهم العباد معرفة ذلك والله ورسوله يسوى بين المتماثلين ويفرق بين المختلفين وهذا هو القياس الصحيح وقد ضرب الله في القرآن من كل مثل وبين بالقياس الصحيح وهي الامثال المضروبة ماينه من الحق لكن القياس الصحيح يطابق النص فان الميزان يطابق الكتاب والله أمر نبيه أن يحكم بما أنزل وأمره أن يحكم بالعدل فهو أنزل الكتاب وانما أنزل الكتاب بالعدل قال تعالى وأن احكم بينهم بما أنزل الله وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط واما اجماع الامة فهو حق لاتجتمع الامة ولله الحمد على ضلالة كما وصفها الله بذلك فى الكتاب والسنة فقال تعالي كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله وهذا وصف لهم بأنهم يأمرون بكل معروف وينهون عن كل منكر كما وصف نبيهم بذلك في قوله الذى يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر وبذلك وصف المؤمنين فى قوله والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر فلو قالت الامة في الدين بما هو ضلال لكانت لم تأمر بالمعروف فى ذلك ولم تنه عن المنكر فيه وقال تعالى

وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء علي الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً والوسط العدل الخيار

وقد جعلهم الله شهداء على الناس وأقام شهادتهم مقام شهادة الرسول وقد ثبت فى الصحيح أن النبى صلى الله عليه وسلم مر عليه بجنازة فاثنوا عليها خيراً فقال وجبت وجبت ثم مر عليه بجنازة فاثنوا عليها شراً فقال وجبت وجبت قالوا يارسول الله ماقولك وجبت وجبت قال هذه الجنازة أثنيتم عليها خيراً فقلت وجبت لها الجنة وهذه الجنازة أثنيتم عليها شراً فقلت وجبت لها النار أنتم شهداء الله في الارض

فاذا كان الرب قد جعلهم شهداء لم يشهدوا بباطل فاذا شهدوا ان الله أمر بشئ فقد أمر به واذا شهدوا أن الله نهي عن شئ فقد نهي عنه ولو كانوا يشهدون بباطل أو خطأ لم يكونوا شهداء الله فى الارض بل زكاهم الله فى شهادتهم كما زكى الانبياء فيما يبلغون عنه أنهم لايقولون عليه الا الحق وكذلك الامة لاتشهد على الله الا بحق وقال تعالى واتبع سبيل من أناب الى والامة منيبة الى الله فيجب اتباع سبيلها وقال تعالى والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه فرضى عمن اتبع السابقين الي يوم القيامة فدل على أن متابعهم عامل بما يرضى الله والله لايرضى الا بالحق لا بالباطل وقال تعالى ومن يشاقق الرسول من بعد ماتبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ماتولي ونصله جهنم وساءت مصيرا

وكان عمر بن عبد العزيز يقول كلمات كان مالك يأثرها عنه كثيراً

قال سن رسول الله صلى الله عليه وسلم وولاة الأمر من بعده سننا الاخذ بها تصديق لكتاب الله واستعمال لطاعة الله ومعونة على دين الله ليس لاحد تغييرها ولا النظر في رأى من خالفها فمن خالفها واتبع غير سبيل المؤمنين ولاه الله تعالى ماتولى وأصلاه جهنم وساءت مصيرا

والشافعي رضى الله عنه لما جرد الكلام في أصول الفقه احتج بهذه الآية على الاجماع كما كان هو وغيره من مالك ذكر ذلك عن عمر بن عبد العزيز والآية دلت على أن متبع غير سبيل المؤمنين مستحق للوعيد كما أن مشاق الرسول من بعد ماتبين له الهدى مستحق للوعيد ومعلوم أن هذا الوصف يوجب الوعيد بمجرده فلو لم يكن الوصف الآخر يدخل فى ذلك لكان لافائدة في ذكره

وهنا للناس ثلاثة أقوال قيل اتباع غير سبيل المؤمنين هو بمجرد مخالفة الرسول المذكورة فى الآية وقيل بل مخالفة الرسول مستقلة بالذم فكذلك اتباع غير سبيلهم مستقل بالذم وقيل بل اتباع غير سبيل المؤمنين يوجب الذم كما دلت عليه الآية لكن هذا لايقتضى مفارقة الاول بل قد يكون مستلزما له فكل متابع غير سبيل المؤمنين هو فى نفس الامر مشاق للرسول وكذلك مشاق الرسول متبع غير سبيل المؤمنين وهذا كما فى طاعة الله والرسول فان طاعة الله واجبة وطاعة الرسول واجبة وكل واحد من معصية الله ومعصية الرسول موجب للذم وهما متلازمان فانه من يطع الرسول فقد أطاع الله وفي الحديث الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من أطاعنى فقد أطاع الله

ومن أطاع أميرى فقد أطاعنى ومن عصانى فقد عصى الله ومن عصى أميري فقد عصانى وقال انما الطاعة في المعروف يعنى اذا أمر أميرى بالمعروف فطاعته من طاعتى وكل من عصى الله فقد عصى الرسول فان الرسول يأمر بما أمر الله به بل من أطاع رسولا واحداً فقد أطاع جميع الرسل ومن آمن بواحد منهم فقد آمن بالجميع ومن عصى واحداً منهم فقد عصى الجميع ومن كذب واحداً منهم فقد كذب الجميع لان كل رسول يصدق الآخر ويقول انه رسول صادق ويأمر بطاعته فمن كذب رسولا فقد كذب الذى صدقه ومن عصاه فقد عصى من أمر بطاعته ولهذا كان دين الانبياء واحداً كما في الصحيحين عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلي الله عليه وسلم أنه قال انا معاشر الانبياء ديننا واحد وقال تعالى شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا والذى أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه وقال تعالى ياأيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً اني بما تعملون عليم وان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون فتقطعوا أمرهم بينهم زبراً كل حزب بما لديهم فرحون وقال تعالى فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون منيبين اليه واتقوه وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون ودين الانبياء كلهم الاسلام كما أخبر الله بذلك في غير موضع وهو الاستسلام لله وحده وذلك انما يكون بطاعته فيما أمر به

فى ذلك الوقت فطاعة كل نبي هي من دين الاسلام اذ ذاك واستقبال بيت المقدس كان من دين الاسلام قبل النسخ ثم لما أمر باستقبال الكعبة صار استقبالها من دين الاسلام ولم يبق استقبال الصخرة من دين الاسلام ولهذا خرج اليهود والنصارى عن دين الاسلام فانهم تركوا طاعة الله وتصديق رسوله واعتاضوا عن ذلك بمبدل أو منسوخ وهكذا كل مبتدع ديناً خالف به سنة الرسول لايتبع الا ديناً مبدلا أو منسوخا فكل ماخالف ماجاء به الرسول اما أن يكون ذلك قد كان مشروعا لنبي ثم نسخ على لسان محمد واما أن لايكون شرع قط فهذا كالاديان التى شرعها الشياطين على ألسنة أوليائهم قال تعالى أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله وقال وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم ليجادلوكم وان أطعتموهم انكم لمشركون وقال وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا ولو شاء ربك مافعلوه فذرهم وما يفترون ولهذا كان الصحابة اذا قال أحدهم برأيه شيئا يقول ان كان صوابا فمن الله وان كان خطأ فمني ومن الشيطان والله ورسوله بريء منه كما قال ذلك ابن مسعود وروى عن أبي بكر وعمر فالاقسام ثلاثة فانه اما أن يكون هذا القول موافقاً لقول الرسول أولا يكون واما أن يكون موافقاً لشرع غيره واما أن لايكون فهذا الثالث المبدل كاديان المشركين والمجوس وما كان شرعا لغيره وهو لايوافق شرعه فقد نسخ كالسبت وتحريم كل ذي ظفر وشحم الثرب والكليتين فان اتخاذ السبت عيداً وتحريم هذه الطيبات

قد كان شرعا لموسى ثم نسخ بل قد قال المسيح ولأحل لكم بعض الذى حرم عليكم فقد نسخ الله على لسان المسيح بعض ما كان حراما في شرع موسى وأما محمد فقال الله فيه الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التى كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون والشرك كله من المبدل لم يشرع الله الشرك قط كما قال واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون وقال تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحى اليه أنه لااله الا أنا فاعبدون

وكذلك ما كان يحرمه أهل الجاهلية مما ذكره الله فى القرآن كالسائبة والوصيلة والحام وغير ذلك هو من الدين المبدل ولهذا ذكر الله ذلك عنهم في سورة الانعام بين ان من حرم ذلك فقد كذب على الله وذكر تعالى ماحرمه على لسان محمد وعلى لسان موسى في الانعام فقال قل لاأجد فيما أوحى الى محرما على طاعم يطعمه الا أن يكون ميتة أودما مسفوحا أولحم خنزير فانه رجس أوفسقاً أهل لغيرالله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان ربك غفور رحيم وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الا ماحملت ظهورهما أو الحوايا أو مااختلط بعظم ذلك جزيناهم ببغيهم وانا لصادقون وكذلك قال بعد هذا وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل

فبين ان ماحرمه المشركون لم يحرمه على لسان موسي ولا لسان محمد وهذان هما اللذان جاآ بكتاب فيه الحلال والحرام كما قال تعالى قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما أتبعه وقال تعالى ومن قبله كتاب موسي اماما ورحمة وقال تعالى قل من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى الى قوله وهذا كتاب أنزلناه مبارك مصدق الذى بين يديه وقالت الجن لما سمعت القرآن انا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدى الى الحق والى طريق مستقيم وقال ورقة ابن نوفل ان هذا والذى جاء به موسي ليخرجان من مشكاة واحدة وكذلك قال النجاشى فالقرآن والتوراة هما كتابان جاآ من عند الله لم يأت من عنده كتاب أهدى منهما كل منهما أصل مستقل والذى فيهما دين واحد وكل منهما يتضمن اثبات صفات الله تعالى والامر بعبادته وحده لاشريك له ففيه التوحيد قولا وعملا كما في سورتى الاخلاص قل يأأيها الكافرون وقل هو الله أحد

وأما الزبور فان داود لم يأت بغير شريعة التوراة وانما فى الزبور ثناء على الله ودعاء وأمر ونهى بدينه وطاعته وعبادته مطلقاً وأما المسيح فانه قال ولاحل لكم بعض الذى حرم عليكم فاحل لهم بعض المحرمات وهو في الاكثر متبع اشريعة التوراة ولهذا لم يكن بد لمن اتبع المسيح من ان يقرأ التوراة ويتبع مافيها اذ كان الانجيل تبعاً لها

وأما القرآن فانه مستقل بنفسه لم يحوج أصحابه الى كتاب آخر بل اشتمل على جميع مافى الكتب من المحاسن وعلى زيادات كثيرة

لاتوجد في الكتب فلهذا كان مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه يقرر مافيها من الحق ويبطل ماحرف منها وينسخ مانسخه الله فيقر الدين الحق وهو جمهور مافيها ويبطل الدين المبدل الذى لم يكن فيها والقليل الذي نسخ فيها فان المنسوخ قليل جدا بالنسبة الى المحكم المقرر والانبياء كلهم دينهم واحد وتصديق بعضهم مستلزم تصديق سائرهم وطاعة بعضهم تستلزم طاعة سائرهم وكذلك التكذيب والمعصية لايجوز أن يكذب نبي نبيا بل ان عرفه صدقه والا فهو يصدق بكل ماأنزل الله مطلقا وهو يأمر بطاعة من أمر الله بطاعته * ولهذا كان من صدق محمدا فقد صدق كل نبي ومن أطاعه فقد أطاع كل نبي ومن كذبه فقد كذب كل نبي ومن عصاه فقد عصى كل نبي قال تعالى ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا أولئك هم الكافرون حقا *وقال تعالى أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم الاخزى في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون الى أشد العذاب وماالله بغافل عما تعملون

ومن كذب هؤلاء تكذيبا بجنس الرسالة فقد صرح بأنه يكذب الجميع ولهذا يقول تعالى كذبت قوم نوح المرسلين ولم يرسل اليهم قبل نوح أحد وقال تعالى وقوم نوح لما كذبوا الرسل أغرقناهم وكذلك من كان من الملاحدة والمتفلسفة طاعنا في جنس الرسل كما قدمنا بأن يزعم انهم لم يعلموا الحق أولم يبينوه فهو مكذب لجميع الرسل

كالذين قال فيهم الذين كذبوا بالكتاب و بما أرسلنا به رسلنا فسوف يعلمون اذالاغلال في أعناقهم والسلاسل يسحبون فى الحميم ثم فى النار يسجرون وقال تعالى فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا سنة الله التي قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون وقال تعالى عن الوليد انه فكر وقدر فقتل كيف قدر ثم قتل كيف قدر ثم نظر ثم عبس وبسر ثم أدبر واستكبر فقال ان هذا الا سحر يؤثر ان هذا الا قول البشر

وأهل الكتاب منهم من يؤمن بجنس الرسالة لكن يكذب بعض الرسل كالمسيح ومحمد فهؤلاء لما آمنوا ببعض وكفروا ببعض كانوا كافرين حقا وكثير من لايكذب الرسل تكذيبا صريحا من الفلاسفة والباطنية وكثير من أهل الكلام والتصوف ولا يؤمن بحقيقة النبوة والرسالة بل يقر بفضلهم في الجملة مع كونه يقول ان غيرهم أعلم منهم أوانهم لم يبينوا الحق أو لبسوه أوان النبوة هي فيض يفيض على النفوس من العقل الفعال من جنس مايراه النائم ولا يقر بملائكة مفضلين ولابالجن ونحو ذلك فهؤلاء يقرون ببعض صفات الانبياء دون بعض بما أوتوه دون بعض لايقرون بجميع ماأوتيه الانبياء وهؤلاء قد يكون أحدهم شرا من اليهود والنصاري الذين أقروا بجميع صفات النبوة لكن كذبوا ببعض الانبياء فان الذى أقر به هؤلاء مما جاءت به الانبياء

أعظم وأكثر اذ كان هؤلاء يقرون بأن الله خالق السموات والارض فى ستة أيام ويقرون بقيام القيامة ويقرون بأنه تجب عبادته وحده لاشريك له ويقرون بالشرائع المتفق عليها وأولئك يكذبون بهذا وانما يقرون ببعض شرع محمد ولهذا كان اليهود والنصاري أقل كفرا من الملاحدة الباطنية والمتفلسفة ونحوهم لكن من كان من اليهود والنصارى قد دخل مع هؤلاء فقد جمع نوعى الكفر لم يؤمن بجميع صفاتهم ولا بجميع أعيانهم وهؤلاء موجودون فى دول الكفار كثيرا كما يوجد أيضا في المنتسبين الي الاسلام من هؤلاء وهؤلاء اذ كانوا في دولة المسلمين وأهل الكتاب كانوا منافقين فيهم من النفاق بحسب مافيهم من الكفر والنفاق يتبعض والكفر يتبعض ويزيد وينقص كما ان الايمان يتبعض ويزيد وينقص قال الله تعالي انما النسىء زيادة في الكفر وقال واذا ماأنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه ايمانا فاما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون وأما الذين فى قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم وماتوا وهم كافرون * وقال وننزل من القرآن ماهو شفاء ورحمة للمؤمنين ولايزيد الظالمين الاخسارا * وقال وليزيدن كثيرا منهم ماأنزل اليك من ربك طغيانا وكفرا * وقال ويزيد الله الذين اهتدوا هدى * وقال فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا * وقال ان الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا

وكثير من المصنفين في الكلام لايردون على أهل الكتاب الا مايقولون انه يعلم بالعقل مثل تثليث النصارى ومثل تكذيب محمد

ولايناظرونهم في غيره ـذا من أصول الدين وهـذا تقصير منهم مخالفة لطريقة القرآن فان الله يبين في القرآن ماخالفوا به الانبياء ويذمهم على ذلك والقرآن مملوء من ذلك اذكان الكفر والايمان يتعلق بالرسالة والنبوة فاذاتبين ماخالفوا فيه الانبياء ظهر كفرهم وأولئك المتكلمون لما أصلوا لهم دينا بما أحدثوه من الكلام كالاستدلال بالاعراض على حدوث الاجسام ظنوا ان هذا هوأصول الدين ولو كان ماقالوه حقا لكان ذلك جزأ من الدين فكيف ان كان باطلا

وقد ذكرت في الرد على النصارى من مخالفتهم للانبياء كلهم مع مخالفتهم لصريح العقل مايظهر به من كفرهم مايظهر ولهذا قيل فيه الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح نخاطبهم في مقامين

أحدهما تبديلهم لدين المسيح

والثاني تكذيبهم لمحمد صلى الله عليه وسلم واليهود خطابهم فى تكذيب من بعد موسى الى المسيح ثم في تكذيب محمد كما ذكر الله ذلك في سورة البقرة فى قوله ولقد آتينا موسي الكتاب وقفينا من بعده بالرسل وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس أفكلما جاءكم رسول بما لاتهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون وقالوا قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم فقليلا مايؤمنون ثم قال ولما جاءهم كتاب من عندالله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ماعرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين الى أن ذكر انهم أعرضوا عن كتاب الله مطلقا واتبعوا السحر فقال ولما جاءهم رسول

من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب
الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك
سليمان الى قوله ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق
ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون ولو أنهم آمنوا واتقوا لمثوبة
من عند الله خير لو كانوا يعلمون

والنصارى نذمهم على الغلو والشرك الذى ابتدعوه وعلى تكذيب
الرسول والرهبانية التي ابتدعوها ولا نحمدهم عليها اذ كانوا قد ابتدعوها
وكل بدعة ضلالة لكن اذا كان صاحبها قاصدا للحق فقد يعفى عنه فيبقى
عمله ضائعا لا فائدة فيه وهذا هو الضلال الذى يعذر صاحبه فلا
يعاقب ولا يثاب ولهذا قال غير المغضوب عليهم ولا الضالين
فان المغضوب عليه يعاقب بنفس الغضب والضال فاته المقصود وهو
الرحمة والثواب ولكن قد لا يعاقب كما عوقب ذلك بل يكون
ملعونا مطرودا ولهذا فى حديث زيد بن عمرو بن نفيل ان اليهود قالوا
له لن تدخل في ديننا حتي تأخذ نصيبك من غضب الله وقالوا له النصارى
حتى تأخذ نصيبك من لعنة الله وقال الضحاك وطائفة ان جهنم طبقات
فالعليا لعصاة هذه الامة والتي تليها للنصارى والتى تليها لليهود فجعلوا
اليهود تحت النصاري والقرآن قد شهد بان المشركين واليهود يوجدون
أشد عداوة للذين آمنوا من الذين قالوا انا نصاري وشدة العداوة
زيادة فى الكفر فاليهود أقوى كفرا من النصارى وان كان النصارى
أجهل وأضل لكن أولئك يعاقبون على عملهم اذ كانوا عرفوا الحق

وتركوه عنادا فكانوا مغضوبا عليهم وهؤلاء بالضلال حرموا أجر المهتدين ولعنوا وطردوا عما يستحقه المهتدون ثم اذا قامت عليهم الحجة فلم يؤمنوا استحقوا العقاب اذ كان اسم الضلال عاما

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في الحديث الصحيح في خطبة يوم الجمعة خير الكلام كلام الله وخير الهدى هدي محمد وشر الامور محدثاتها وكل بدعة ضلالة ولم يقل وكل ضلالة في النار بل يضل عن الحق من قصد الحق وقد اجتهد في طلبه فعجز عنه فلا يعاقب وقد يفعل بعض ما أمر به فيكون له أجر على اجتهاده وخطؤه الذي ضل فيه عن حقيقة الامر مغفور له

وكثير من مجتهدي السلف والخلف قد قالوا وفعلوا ما هو بدعة ولم يعلموا انه بدعة اما لاحاديث ضعيفة ظنوها صحيحة وأما لآيات فهموا منها مالم يرد منها واما لرأى رأوه وفي المسئلة نصوص لم تبلغهم

واذا اتقى الرجل ربه ما استطاع دخل في قوله ربنا لاتؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا وفي الصحيح ان الله قال قد فعلت وبسط هذا له موضع آخر

والمقصود هنا ان الرسول بين جميع الدين بالكتاب والسنة وان الاجماع اجماع الامة حق فانها لاتجتمع على ضلالة وكذلك القياس الصحيح حق يوافق الكتاب والسنة

والآية المشهورة التي يحتج بها على الاجماع قوله ومن يشاقق الرسول من بعد ماتبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ماتولى

ومن الناس من يقول انها لاتدل على مورد النزاع فان الذم فيها لمن جمع الامرين وهذا لانزاع فيه أو لمن اتبع غير سبيل المؤمنين التي بها كانوا مؤمنين وهي متابعة الرسول وهذا لانزاع فيه أو أن سبيل المؤمنين هو الاستدلال بالكتاب والسنة وهذا لانزاع فيه فهذا ونحوه قول من يقول لاتدل على محل النزاع وآخرون يقولون بل تدل على وجوب اتباع المؤمنين مطلقا وتكلفوا لذلك ماتكلفوه كما قد عرف من كلامهم ولم يجيبوا عن أسئلة أولئك باجوبة شافية

والقول الثالث الوسط انها تدل على وجوب اتباع سبيل المؤمنين وتحريم اتباع غير سبيلهم ولكن مع تحريم مشاقة الرسول من بعد ماتبين له الهدى وهو يدل على ذم كل من هذا وهذا كما تقدم لكن لاتنفي تلازمهما كما ذكر في طاعة الله والرسول وحينئذ يقول الذم اما أن يكون لاحقا لمشاقة الرسول فقط أو باتباع غير سبيلهم فقط أو أن يكون الذم لايلحق بواحد منهما بل بهما اذا اجتمعا أو يلحق الذم بكل منهما وان انفرد عن الآخر أو بكل منهما لكونه مستلزما للآخر والاولان باطلان لانه لو كان المؤثر أحدهما فقط كان ذكر الآخر ضائعا لافائدة فيه وكون الذم لايلحق بواحد منهما باطل قطعا فان مشاقة الرسول موجبة للوعيد مع قطع النظر عمن أتبعه ولحوق الذم بكل منهما وان انفرد عن الآخر لاتدل عليه الآية فان الوعيد فيها انما هو على المجموع بقي القسم الآخر وهو ان كلا من الوصفين يقتضي الوعيد لانه مستلزم للآخر كما يقال مثل ذلك في معصية الله والرسول

ومخالفة القرآن والاسلام فيقال من خالف القرآن والاسلام أو من خرج عن القرآن والاسلام فهو من أهل النار ومثله قوله ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا فان الكفر بكل من هذه الاصول يستلزم الكفر بغيره فمن كفر بالله كفر بالجميع ومن كفر بالملائكة كفر بالكتب والرسل فكان كافرا بالله اذ كذب رسله وكتبه وكذلك اذا كفر باليوم الآخر كذب الكتب والرسل فكان كافرا وكذلك قوله يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون ذمهم على الوصفين وكل منهما مقتض للذم وهما متلازمان ولهذا نهي عنهما جميعا في قوله ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون فانه من لبس الحق بالباطل فغطاه به فغلط به لزم أن يكتم الحق الذي تبين أنه باطل اذ لو بينه زال الباطل الذى لبس به الحق فهكذا مشاقة الرسول واتباع غير سبيل المؤمنين من شاقه فقد اتبع غير سبيلهم وهذا ظاهر ومن اتبع غير سبيلهم فقد شاقه أيضا فانه قد جعل له مدخلا في الوعيد فدل على انه وصف مؤثر في الذم فمن خرج عن اجماعهم فقد اتبع غير سبيلهم قطعا والآية توجب ذم ذلك واذا قيل هي انما ذمته مع مشاقة الرسول قلنا لانهما متلازمان وذلك لان كل ما أجمع عليه المسلمون فانه يكون منصوصا عن الرسول فالمخالف لهم مخالف للرسول كما أن المخالف للرسول مخالف لله ولكن هذا يقتضي ان كل ما أجمع عليه قد بينه الرسول وهذا هو الصواب

فلا يوجد قط مسئلة مجمع عليها الا وفيها بيان من الرسول ولكن قد يخفى ذلك على بعض الناس ويعلم الاجماع فيستدل به كما أنه يستدل بالنص من لم يعرف دلالة النص وهو دليل ثان مع النص كالامثال المضروبة فى القرآن وكذلك الاجماع دليل آخر كما يقال قد دل على ذلك الكتاب والسنة والاجماع وكل من هذه الاصول يدل على الحق مع تلازمها فان مادل عليه الاجماع فقد دل عليه الكتاب والسنة وما دل عليه القرآن فعن الرسول أخذ فالكتاب والسنة كلاهما مأخوذ عنه ولا يوجد مسئلة يتفق الاجماع عليها الا وفيها نص

وقد كان بعض الناس يذكر مسائل فيها اجماع بلا نص كالمضاربة وليس كذلك بل المضاربة كانت مشهورة بينهم فى الجاهلية لاسيما قريش فان الاغلب كان عليهم التجارة وكان أصحاب الاموال يدفعونها الى العمال ورسول الله صلى الله عليه وسلم قد سافر بمال غيره قبل النبوة كما سافر بمال خديجة والعير التى كان فيها أبو سفيان كان أكثرها مضاربة مع أبي سفيان وغيرها فلما جاء الاسلام أقرها رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أصحابه يسافرون بمال غيرهم مضاربة ولم ينه عن ذلك والسنة قوله وفعله واقراره فلما أقرها كانت ثابتة بالسنة والأثر المشهور فيها عن عمر الذى رواه مالك في الموطأ ويعتمد عليه الفقهاء لما أرسل أبو موسى بمال أقرضه لابنيه واتجرا فيه وربحا وطلب عمر أن يأخذ الربح كله للمسلمين لكونه خصهما بذلك دون سائر الجيش فقال له أحدهما لو خسر المال كان علينا فكيف يكون لك الربح وعلينا الضمان فقال له بعض الصحابة اجعله مضاربا

فجعله مضاربة وانما قال ذلك لان المضاربة كانت معروفة بينهم والعهد بالرسول قريب لم يحدث بعده فعلم انها كانت معروفة بينهم على عهد الرسول كما كانت الفلاحة وغيرها من الصناعات كالخياطة والجزارة وعلى هذا فالمسائل المجمع عليها قد تكون طائفة من المجتهدين لم يعرفوا فيها نصا فقالوا فيها باجتهاد الرأي الموافق للنص لكن كان النص عند غيرهم وابن جرير وطائفة يقولون لا ينعقد الاجماع الا عن نص نقلوه عن الرسول مع قولهم بصحة القياس

ونحن لا نشترط أن يكونوا كلهم علموا النص فنقلوه بالمعنى كما تنقل الاخبار لكن استقرأنا موارد الاجماع فوجدنا كلها منصوصة وكثير من العلماء لم يعلم النص وقد وافق الجماعة كما انه قد يحتج بقياس وفيها اجماع لم يعلمه فيوافق الاجماع وكما يكون فى المسئلة نص خاص وقد استدل فيها بعضهم بعموم كاستدلال ابن مسعود وغيره بقوله وأولات الاحمال أجلهن أن يضعن حملهن وقال ابن مسعود سورة النساء القصري نزلت بعد الطولى أي بعد البقرة وقوله أجلهن أن يضعن حملهن يقتضى انحصار الاجل فى ذلك فلو أوجب عليها أن تعتد بابعد الاجلين لم يكن أجلها أن تضع حملها وعلى وابن عباس وغيرهما أدخلوها في عموم الآيتين وجاء النص الخاص فى قصة سبيعة الاسلمية بما يوافق قول ابن مسعود

وكذلك لما تنازعوا في المفوضة اذا مات زوجها هل لها مهر المثل أفتى ابن مسعود فيها برأيه أن لها مهر المثل ثم رووا حديث بروع بنت

واشق بما يوافق ذلك وقد خالفه على وزيد وغيرهما فقالوا لامهر لها

فثبت ان بعض المجتهدين قديفتى بعموم أو قياس ويكون فى الحادثة نص خاص لم يعلمه فيوافقه ولا تعلم مسئلة واحدة اتفقوا على انه لا نص فيها بل عامة ماتنازعوا فيه كان بعضهم يحتج فيـه بالنصوص أولئك يحتجون بنص كالمتوفي عنها الحامل وهؤلاء احتجوا بشمول الآيتين لها والآخرين قالوا انما يدخل في آية الحمل فقط وان آية الشهور في غير الحامل كما ان آية القروء فى غير الحامل

وكذلك لما تنازعوا فى الحرام احتج من جعله يمينا بقوله لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضات أزواجك والله غفور رحيم قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم

وكذلك لما تنازعوا فى المبتوتة هل لها نفقة أو سكنى احتج هؤلاء بحديث فاطمه وبان السكنى التى فى القرآن للرجعية وأولئك قالوا بل هى لهما ودلالات النصوص قـد تكون خفيـة يخص الله بفهمهن بعض الناس كما قال على الا فهما يؤتيه الله عبدا فى كتابه

وقد يكون النص بينا ويذهل المجتهد عنه كتيمم الجنب فانه بين في القرآن في آيتين ولما احتج أبو موسى على ابن مسعود بذلك قال الحاضر مادرى عبد الله مايقول الا أنه قال لو أرخصنا لهم فى هـذا لاوشك أحدهم اذا وجد المرء البرد أن يتيمم وقد قال ابن عباس وفاطمة بنت قيس وجابر ان المطلقة في القرآن هى الرجعية بدليل قوله لاتدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا وأى أمر يحدثه بعد الثلاثة

وقد احتج طائفة على وجوب العمرة بقوله وأتموا الحج والعمرة لله واحتج بهذه الآية من منع الفسخ وآخرون يقولون انما أمر بالاتمام فقط وكذلك أمر الشارع أن يتم وكذلك في الفسخ قالوا من فسخ العمرة الي غير حج فلم يتمها أما اذا فسخها ليحج من عامه فهذا قد أتي بما تم مما شرع فيه فانه شرع في حج مجرد فأتى بعمرة في الحج ولو لم يكن هذا اتماما لما أمر به النبى صلى الله عليه وسلم أصحابه عام حجة الوداع

وتنازعوا فى الذى بيده عقدة النكاح وفي قوله أو لامستم النساء ونحو ذلك مما ليس هذا موضع استقصائه

وأمامسئلة مجردة اتفقوا على انه لايستدل فيها بنص جلى ولاخفي فهذامالاأعرفه

والجد لما قال أكثرهم انه أب استدلوا على ذلك بالقرآن بقوله كما أخرج أبويكم من الجنة وقال ابن عباس لو كانت الجن تظن ان الانس تسمى أباالاب جدا لما قالت وانه تعالى جد ربنا تقول انما هو أب لكن أب أبعد من أب

وقد روى عن على وزيد أنهما احتجا بقياس فمن ادعى اجماعهم على ترك العمل بالرأى والقياس مطلقا فقد غلط ومن ادعي ان من المسائل مالم يتكلم فيها أحد منهم الا بالرأى والقياس فقد غلط بل كان كل منهم يتكلم بحسب ماعنده من العلم فمن رأى دلالة الكتاب ذكرها ومن رأى دلالة الميزان ذكرها

والدلائل الصحيحة لاتتناقض لكن قد يخفى وجه اتفاقها أو ضعف أحدها على بعض العلماء

وللصحابه فهم في القرآن يخفي على أكثر المتأخرين كما أن لهم معرفة بأمور من السنة وأحوال الرسول لايعرفها أكثر المتأخرين فانهم شهدوا التنزيل وعاينوا الرسول وعرفوا من أقواله وأفعاله وأحواله مايستدلون به على مرادهم مالم يعرفه أكثر المتأخرين الذين لم يعرفوا ذلك فطلبوا الحكم مما اعتقدوه من اجماع أوقياس

ومن قال من المتأخرين ان الاجماع مستند معظم الشريعة فقد أخبر عن حاله فانه لنقص معرفته بالكتاب والسنة احتاج الى ذلك وهذا كقولهم ان أكثر الحوادث يحتاج فيها الي القياس لعدم دلالة النصوص عليها فانما هذا قول من لامعرفة له بالكتاب والسنة ودلالتهما على الاحكام

وقد قال الامام أحمد رضى الله عنه انه مامن مسئلة الا وقد تكلم فيها الصحابه أوفي نظيرها فانه لما فتحت البلاد وانتشر الاسلام حدثت جميع أجناس الاعمال فتكلموا فيها بالكتاب والسنة وانما تكلم بعضهم بالرأى فى مسائل قليلة والاجماع لم يكن يحتج به عامتهم ولا يحتاجون اليه اذهم أهل الاجماع فلا اجماع قبلهم لكن لما جاء التابعون كتب عمر الى شريح اقض بما فى كتاب الله فان لم تجد فبما فى سنة رسول الله فان لم تجد فبما به قضى الصالحون قبلك وفي روايه فبما أجمع عليه الناس وعمر قال قدم الكتاب ثم السنة وكذلك ابن مسعود قال مثل ماقال عمر قدم الكتاب ثم السنة ثم الاجماع وكذلك ابن عباس كان يفتى بمافي

الكتاب ثم بما في السنة ثم بسنة أبي بكر وعمر لقوله اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر

وهذه الآثار ثابتة عن عمر وابن مسعود وابن عباس وهم من أشهر الصحابة بالفتيا والقضاء وهذا هو الصواب ولكن طائفة من المتأخرين قالوا يبدأ المجتهد بأن ينظر أولا في الاجماع فان وجده لم يلتفت الى غيره وان وجد نصاً خالفه اعتقد أنه منسوخ بنص لم يبلغه وقال بعضهم الاجماع نسخه

والصواب طريقة السلف وذلك لان الاجماع اذا خالفه نص فلابد أن يكون مع الاجماع نص معروف به أن ذاك منسوخ فاما أن يكون النص المحكم قد ضيعته الامة وحفظت النص المنسوخ فهذا لايوجد قط وهو نسبة الامة الى حفظ مانهيت عن اتباعه واضاعة ما أمرت باتباعه وهي معصومة عن ذلك

ومعرفة الاجماع قد تتعذر كثيراً أو غالبا فمن ذا الذي يحيط بأقوال المجتهدين بخلاف النصوص فان معرفتها ممكنة متيسرة وهم انما كانوا يقضون بالكتاب أولاً لان السنة لاتنسخ الكتاب فلا يكون في القرآن شيء منسوخ بالسنة بل ان كان فيه منسوخ كان في القرآن ناسخه فلا يقدم غير القرآن عليه ثم اذا لم يجد ذلك طلبه في السنة ولا يكون في السنة شيء منسوخ الا والسنة نسخته لاينسخ السنة اجماع ولا غيره ولا تعارض السنة باجماع وأكثر ألفاظ الآثار فان لم يجد فالطالب قد لايجد مطلوبه في السنة مع أنه فيها وكذلك في القرآن فيجوز له اذا لم يجده

فى القرآن أن يطلبه في السنة واذا كان فى السنة لم يكن مافي السنة معارضاً لما فى القرآن وكذلك الاجماع الصحيح لايعارض كتاباولاسنة

تم بحمد الله وعونه وصلواته على خير بريته محمد وآله

تمت الرسالة الثانية

ويليها الرسالة الثالثة التبيان في نزول القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

(قال الامام العلامة المحقق أبو العباس أحمد بن تيمية)

(رحمه الله تعالى ورضى عنه)

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد

(وآله وصحبه أجمعين)

(أما بعد فهذا) فصل في نزول القرآن ولفظ النزول حيث ذكر فى كتاب الله تعالي فان كثيراً من الناس فسروا النزول فى مواضع من القرآن بغير ماهو معناه المعروف لاشتباه المعنى في تلك المواضع وصار ذاك حجة لمن فسر نزول القرآن بتفسير أهل البدع

فمن الجهمية من يقول انزل بمعنى خلق كقوله تعالى وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد أو يقول خلقه في مكان عال ثم أنزله من ذلك المكان

ومن الكلابية من يقول أنزله بمعنى الاعلام به وافهامه للملك أو نزول الملك بما فهمه

وهذا الذى قالوه باطل فى اللغة والشرع والعقل والمقصود هنا ذكر النزول

فنقول وبالله التوفيق النزول فى كتاب الله عز وجل ثلاثة انواع نزول مقيد بأنه منه ونزول مقيد بأنه من السماء ونزول غير مقيد لابهذا ولا بهذا

فالاول لم يرد الا في القرآن كما قال تعالى والذين آتيناهم الكتاب

يعلمون أنه منزل من ربك بالحق وقال تعالى نزله روح القدس من ربك بالحق وقال تعالي تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم وفيها قولان أحدهما لاحذف فى الكلام بل قوله تنزيل الكتاب مبتدأ وخبره من الله العزيز الحكيم والثانى أنه خبر مبتدأ محذوف أى هذا تنزيل الكتاب وعلى كلا القولين فقد ثبت أنه منزل منه وكذلك قوله حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم والتنزيل بمعنى المنزل تسمية للمفعول باسم المصدر وهو كثير ولهذا يقال القرآن كلام الله ليس بمخلوق منه بدا قال أحمد وغيره واليه يعود أى هو المتكلم به وقال كلام الله من الله ليس ببائن منه أى لم يخلقه فى غيره فيكون مبتدأ منزلا من ذلك المخلوق بل هو منزل من الله كما أخبر به ومن الله بدا لامن مخلوق فهو الذى تكلم به لخلقه

وأما النزول المقيد بالسماء بقوله وأنزلنا من السماء والسماء اسم جنس لكل ماعلا فاذا قيد بشئ معين لقوله في غير موضع من السماء مطلق أي فى العلو ثم قد بينه في موضع آخر بقوله ءأنتم أنزلتموه من المزن وقوله فترى الودق يخرج من خلاله أى انه منزل من السحاب وما يشبه نزول القرآن قوله ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده فنزول الملائكة هو نزولهم بالوحى من أمره الذى هو كلامه وكذلك تنزل الملائكة والروح فيها يناسب قوله فيها يفرق كل أمر حكيم أمرا من عندنا انا كنا مرسلين فهذا شبيه بقوله قل نزله روح القدس

وأما المطلق ففى مواضع منها ما ذكره من انزال السكينة لقوله فانزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وقوله هو الذي أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين الي غير ذلك

ومن ذلك انزال الميزان ذكره مع الكتاب في موضعين وجمهور المفسرين على أن المراد به العدل وعن مجاهد رحمه الله هو مايوزن به ولا منافاة بين القولين وكذلك العدل وما يعرف به العدل منزل في القلوب والملائكة قد تنزل على قلوب المؤمنين لقوله اذ يوحى ربك الي الملائكة أنى معكم فثبتوا الذين آمنوا فذلك الثبات نزل فى القلوب بواسطة الملائكة وهو السكينة قال النبى صلى الله عليه وسلم من طلب القضاء واستعان عليه وكل اليه ومن لم يطلب القضاء ولم يستعن عليه أنزل الله عليه ملكا يسدده فالله ينزل عليه ملكا وذلك الملك يلهمه السداد وهو ينزل في قلبه

ومنه حديث حذيفة رضى الله عنه الذى فى الصحيحين عن النبى صلي الله عليه وسلم قال ان الله أنزل الامانة فى جذر قلوب الرجال فعلموا من القرآن وعلموا من السنة والامانة هى الايمان أنزلها في أصل قلوب الرجال وهو كانزال الميزان والسكينة وفي الصحيح عن النبي صلي الله عليه وسلم أنه قال ما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله الحديث الى آخره فذكر أربعة عشر غشيان الرحمة وهى أن تغشاهم كما يغشى اللباس لابسه وكما يغشى الرجل المرأة والليل

النهار ثم قال ونزلت عليهم السكينة وهو انزالها في قلوبهم وحفتهم الملائكة أى جلست حولهم وذكرهم الله فيمن عنده من الملائكة

وذكر الله الغشيان في مواضع مثل قوله تعالى يغشى الليل النهار وقوله فلما تغشاها حملت حملاً خفيفا وقوله والمؤتفكة أهوى فغشاها ماغشى وقوله ألا حين يستغشون ثيابهم يعلم مايسرون وما يعلنون هذا كله فيه احاطة من كل وجه

وذكر تعالى انزال النعاس في قوله ألا حين يستغشون ثيابهم يعلم مايسرون وما يعلنون هذا كله فيه احاطة من كل وجه

وذكر تعالى انزال النعاس فى قوله ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاسا يغشى طائفة منكم هذا يوم أحد وقال في يوم بدر اذ يغشاكم النعاس أمنة منه والنعاس ينزل فى الرأس بسبب نزول الابخرة التي يدخل فى الدماغ فتنعقد فيحصل منها النعاس

وطائفة من أهل الكلام منهم أبو الحسن الاشعرى ومن اتبعه من أصحاب مالك والشافعى وأحمد جعلوا النزول والاتيان والمجيء حدثا يحدثه منفصلا عنه فذاك هو اتيانه واستوؤه على العرش فقالوا استواؤه فعل يفعله في العرش يصير به مستويا من غير فعل يقوم بالرب لكن أكثر الناس خالفوهم وقالوا المعروف أنه لايجيء شيء من الصفات والاعراض الا بمجيء شيء فاذا قالوا جاء البرد وجاء الحر فقدجاء الهواء الذى يحمل الحر والبرد وهو عين قائمة بنفسها واذا قالوا جاءت الحمى

فالحمى حر وبرد تقوم بعين قائمة بسبب أخلاط تحرك وتحول من حال الي حال فيحدث الحر والبرد بذلك وهذا بخلاف العرض الذى يحدث بلا تحول من حامل مثل لون الفاكهة فانه لايقال فى هذا جاء به الحمرة والصفرة والخضرة بل يقال أحمر وأصفر وأخضر واذا كان كذلك فانزاله تعالى العدل والسكينة والنعاس والامانة وهذه صفات تقوم بالعباد انما تكون اذا أفضى بها اليهم فأعيان قائمة توصف بالنزول كما توصف الملائكة بالنزول بالوحى والقرآن فاذا نزل بها الملائكة قيل انها نزلت

وكذلك لو نزل غير الملائكة كالهواء الذى نزل بالاسباب فيحدث الله منه البخار الذى يكون معه النعاس فكان قد أنزل النعاس سبحانه مايحمله

وقد ذكر سبحانه انزال الحديد والحديد يخلق في المعادن

وما يذكر عن ابن عباس رضى الله عنهما ان آدم عليه السلام نزل من الجنة ومعه خمسة أشياء من حديد السندان والكلبتان والميقعة والمطرقة والابرة فهو كذب لايثبت مثله

وكذلك الحديث الذى رواه الثعلبي عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله أنزل أربع بركات من لسماء الى الارض فأنزل الحديد والماء والنار والملح حديث موضوع مكذوب فى اسناده سيف بن محمد ابن أخت سفيان الثورى رحمه الله من الكذابين المعروفين بالكذب

قال ابن الجوزي هو يف بن محمد ابن أخت سفيان الثوري يروي عن الثورى وعاصم الاحول والاعمش قال أحمد رحمه الله هو كذاب يضع الحديث وقال مرة ليس بشىء وقال يحي كان كذابا خبيثا وقال مرة ليس بثقة ولا مأمون وقال الدار قطني ضعيف متروك والناس يشهدون ان هذه الامة تصنع من حديد المعادن مايريدون فان قيل ان آدم عليه السلام نزل معه جميع الآلات فهذه مكابرة للعيان وان قيل بل نزل معه آلة واحدة وتلك لاتعرف فأى فائدة في هذا لسائر الناس ثم مايصنع بهذه الآلات اذا لم يكن ثم حديد موجود يطرق بهذه الآلات واذا خلق الله الحديد صنعت منه هذه الآلات مع أن المأثور ان أول من خط وخاط ادريس عليه السلام و آدم عليه السلام لم يخط ثوبا فما يصنع بالابرة

ثم أخبر انه أنزل الحديد فكان المقصود الاكبر بذكر الحديد هو اتخاذ آلات الجهاد منه كالسيف والسنان والنصل وما أشبه ذلك الذي به ينصر الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وهذا لم ينزل من السماء فان قيل نزلت الآلة التى يطبع بها قيل فالله أخبر أنه أنزل الحديد لهذه المعاني المتقدمة والآلة وحدها لا تكفي بل لابد من مادة يصنع بها آلات الجهاد لكن لفظ النزول أشكل على كثير من الناس حتي قال قطرب رحمه الله معناه جعله نزلا كما يقال أنزل الامر على فلان نزلا حسنا أى جعله نزلا قال ومثله قوله تعالى وأنزل لكم من الانعام ثمانية أزواج وهذا ضعيف فان النزل انما يطلق على مايؤكل لا على

مايقابل به قال الله تعالى فنزل من حميم والضيافة سميت نزلا لان العادة ان الضيف يكون راكبا فينزل في مكان يؤتى اليه بضيافته فيه فسميت نزلا لاجل نزوله ونزل ببني فلان ضيف ولهذا قال نوح عليه السلام رب أنزلني منزلا مباركا وأنت خير المنزلين لانه كان راكبا في السفينة وسميت المواضع التي ينزل بها المسافرون منازل لانهم يكونون ركبانا فينزلون والمشاة تبع للركبان وتسمى المساكن منازل

وجعل بعضهم نزول الحديد بمعنى الخلق لانه أخرجه من المعادن وعلمهم صنعته فان الحديد انما يخلق في المعادن والمعادن انما تكون في الجبال فالحديد ينزله الله من معادنه التي فى الجبال لينتفع به بنو آدم وقال تعالى وأنزل لكم من الانعام ثمانية أزواج

وهذا مما أشكل أيضا فمنهم من قال جعل ومنهم من قال خلق لكونها تخلق من الماء فان به يكون النبات الذى ينزل أصله من السماء وهو الماء وقال قطرب جعلناه نزلا ولا حاجة الى اخراج اللفظ عن معناه المعروف لغة فان الانعام تنزل من بطون أمهاتها ومن أصلاب آبائها تأتي بطون أمهاتها ويقال للرجل قد أنزل الماء واذا أنزل وجب عليه الغسل مع أن الرجل غالب انزاله وهو على جنب اما وقت الجماع واما بالاحتلام فكيف بالانعام التي غالب انزالها مع قيامها على رجليها وارتفاعها على ظهور الاناث

ومما يبين هذا أنه لم يستعمل النزول فيما خلق من السفليات فلم يقل أنزل النبات ولا أنزل المرعي وانما استعمل فيما يخلق في محل عال وأنزله

الله من ذلك المحل كالحديد والأنعام

وقال تعالى يابنى آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يوارى سوآتكم وريشا الآية وفيها قراءتان احداهما النصب فيكون لباس التقوى أيضا منزلا وأما قراءة الرفع فلا وكلتاهما حق وقد قيل خلقناه وقيل أنزلنا أسبابه وقيل ألهمناهم كيفية صنعته وهذه الاقوال ضعيفة فان النبات الذى ذكروا لم يجىء فيه لفظ أنزلنا ولم يستعمل في كل مايصنع أنزلنا فلم يقل أنزلنا الدور وأنزلنا الطبيخ ونحو ذلك وهو لم يقل انا أنزلنا كل لباس ورياش وقد قيل ان الريش والرياش المراد به اللباس الفاخر كلاهما بمعنى واحد مثل اللبس واللباس وقد قيل هما المال والخصب والمعاش وارتاش فلان حسنت حالته

والصحيح ان الريش هو الاثاث والمتاع قال أبو عمرو العرب تقول أعطانى فلان ريشه أى كسوته وجهازه وقال غيره الرياش في كلام العرب الاثاث وما ظهر من المتاع والثياب والفرش ونحوها وبعض المفسرين أطلق عليه لفظ المال والمراد به مال مخصوص قال ابن زيد جمالا وهذا لانه مأخوذ من ريش الطائر وهو مايروش به ويدفع عنه الحر والبرد وجمال الطائر ريشه وكذلك مايبيت فيه الانسان من الفرش وما يبسطه تحته ونحو ذلك والقرآن مقصوده جنس اللباس الذى يلبس على البدن وفي البيوت كما قال تعالى والله جعل لكم من بيوتكم سكنا الآية فامتن سبحانه بما ينتفعون به من الانعام في اللباس والاثاث وهذا والله أعلم معنى انزاله فانه ينزله من ظهور الانعام وهو كسوة الانعام من

الاصواف والاوبار والاشعار وينتفع به بنو آدم من اللباس والرياش فقد أنزلها عليهم وأكثر أهل الارض كسوتهم من جلود الدواب فهى لدفع الحر والبرد وأعظم مما يصنع من القطن والكتان والله تعالي ذكر في سورة النحل انعامه على عباده فذكر في أول السورة أصول النعم التي لايعيش بنو آدم الا بها وذكر في اثنائها تمام النعم التى لايطيب عيشهم الا بها فذكر في أولها الرزق الذي لابد لهم منه وذكر مايدفع البرد من الكسوة بقوله والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنها تأكلون ثم في اثناء السورة ذكر لهم المساكن ومنافع التى يسكنونها مساكن الحاضرة والبادية ومساكن المسافرين فقال تعالى والله جعل لكم من بيوتكم سكنا الآية ثم ذكر انعامه بالظلال التى تقيهم الحر والبأس فقال والله جعل لكم مما خلق ظلالا وجعل لكم من الجبال أكنانا الي قوله كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون ولم يذكر هنا مايقى من البرد لانه قد ذكره في أول السورة وذلك في أصول النعم لان البرد يقتل فلا يقدر أحد أن يعيش فى البلاد الباردة بلا دفء بخلاف الحر فانه أذى لكنه لايقتل كما يقتل البرد فان الحر قد يتقى بالظلال واللباس وغيرهما وأهله أيضا لايحتاجون الى وقاية كما يحتاج اليه اهل البرد بل أدنى وقاية تكفيهم وهم في الليل وطر في النهار ولا يتأذون به تأذيا كثيرا بل لايحتاجون اليه أحيانا حاجة قوية فجمع بينهما في قوله سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم ولا حذف في اللفظ ولا قصور في المعني كما يظنه من لم يحسن القرآن بل لفظه أتم لفظ ومعناه أكمل المعانى

فاذا كان اللباس والرياش ينزل من ظهور الانعام وكسوة الانعام منزلة من الاصلاب والبطون كما تقدم فهو منزل من الجهتين فانه على ظهور الانعام لاينتفع به بنو آدم حتي ينزل

فقدتبين ان ليس في القرآن ولا فى السنة لفظ نزول الا فيه معني النزول المعروف هذا هو اللائق بالقرآن فانه نزل بلغة العرب ولا تعرف العرب نزولاالا بهذ المعني ولو أريد غير هذا المعني لكان خطابا بغيرلغتها ثم هو استعمال اللفظ المعروف له معني في معني آخر بلا بيان وهذا لايجوز بما ذكرنا وبهذا يحصل مقصود القرآن واللغة الذى أخبر الله تعالى انه بينه وجعله هدي للناس وليكن هذا آخره والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم تسليما كثيرا

وسئل أيضا رحمه الله تعالى عن عرض الاديان عند الموت هل لذلك أصل في الكتاب والسنة أم لا وقوله صلى الله عليه وسلم انكم لتفتنون في قبوركم ما المراد بالفتنة واذا ارتد العبد والعياذ بالله تعالى هل يجازى باعماله الصالحة قبل الردة أم لا

الجواب الحمد لله أما عرض الاديان على العبد وقت الموت فليس هو أمراعاما لكل أحد ولا هو أيضا منتفيا عن كل أحد بل من الناس من تعرض عليه الاديان ومنهم من لاتعرض عليه وقد وقع ذلك لاقوام وذلك كله من فتنة المحيا والممات التي أمرنا أن نستعيذ منها فى صلاتنا منها مافي الحديث الصحيح الذى أمرنا النبى صلى الله عليه وسلم أن

نستعيذ فى صلاتنا من أربع من عذاب جهنم ومن عذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال ولكن وقت الموت يكون الشيطان أحرص مايكون على اغواء ابن آدم لانه وقت الحاجة وقدقال النبى صلي الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح الاعمال بخواتيمها وقال صلي الله عليه وسلم ان العبد ليعمل بعمل أهل الجنة حتى مايكون بينه و بينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخل النار وان العبد ليعمل بعمل أهل النار حتي مايكون بينه وبينها الاذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة ولهذا روى ان الشيطان أشد مايكون على ابن آدم حين الموت يقول لاعوانه دونكم هذا فانه ان فاتكم لن تظفروا به أبدا وحكاية عبد الله بن أحمد بن حنبل مع أبيه وهو يقول لا بعد لا بعد مشهورة ولهذا يقال ان من لم يحج يخاف عليه من ذلك لما روي أنس بن مالك رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال من ملك زادا وراحلة تبلغه الى بيت الله الحرام ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا وان شاء نصرانيا قال الله تعالى ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غني عن العالمين قال عكرمة لما نزلت هذه الآية ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه قالت اليهود والنصارى نحن مسلمون فقال الله لهم ولله على الناس حج البيت فقالوا لانحجه فقال الله تعالى ومن كفر فان الله غني عن العالمين

وأما الفتنة في القبور فهى الامتحان والاختبار للميت حين يسأله الملكان فيقولان له ما ربك وما دينك ومن نبيك و يقولان له

ما كنت تقول في هذا الرجل الذي بعث فيكم محمد فيثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فيقول المؤمن الله ربي والاسلام ديني ومحمد نبي ويقول هو محمد رسول الله جاءنا بالبينات والهدى فآمنا به واتبعناه فينتهرانه انتهارة شديدة وهى آخر فتنة التي يفتن بها المؤمن فيقولان له كما قال أولا

وقد تواترت الاحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الفتنة من حديث البراء بن عازب وأنس بن مالك وأبي هريرة وغيرهم رضى الله عنهم وهى عامة للمكلفين الا النبيين فقد اختلف فيهم وكذلك اختلف في غير المكلفين كالصبيان والمجانين فقيل لايفتنون لان المحنة انما تكون للمكلفين وهذا قول القاضى أبو يعلي وابن عقيل وعلى هذا فلا يلقنون بعد الموت وقيل بل يلقنون ويفتنون أيضا وهذا قول أبي حكيم وأبي الحسن ابن عبيد ونقله عن أصحابه وهو مطابق لقول من يقول انهم مكلفون يوم القيامة كما هو قول أكثر أهل العلم وأهل السنة من أهل الحديث والكلام وهو الذى ذكره أبو الحسن الاشعرى عن أهل السنة واختاره وهو مقتضى نصوص الامام أحمد

وأما الردة عن الايمان بان يصير الرجل كافرا مشركا أو كتابيا فانه اذا مات على ذلك والعياذ بالله تعالي حبط عمله باتفاق العلماء كما نطق بذلك القرآن في غير موضع كقوله تعالى ومن يرتد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون وقوله ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله

وقوله ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون وقوله لئن أشركت ليحبطن عملك والمراد غير لنبي صلى الله عليه وسلم ولكن التنازع فيما اذا ارتد ثم عاد الي الاسلام هل تحبط الاعمال التى عملها قبل الردة ويجب عليه قضاؤها أم لاتحبط الا ذامات مرتدا على قولين مشهورين هما قولان في مذهب الامام أحمد والحبوط مذهب الامامين مالك وأبي حنيفة وهو الراجح والوقف مذهب الشافعى وتنازع الناس أيضاً في المرتد هل يقال كان له ايمان صحيح فحبط بالردة أم يقال بل بالردة تبين ان ايمانه كان فاسداوان الايمان الصحيح لايزول البتة على قولين لطوائف

من الناس وعلى ذلك ينبنى قول المستثني انامؤمن ان شاء الله

هل يعود الاستثناء الى كمال الايمان فى الحال أو

يعود الي الموافاة في المال والله أعلم قاله

أحمد بن تيمية أحسن الله

جزاء وتوفيقه

تمت الرسالة الثالثة

ويليها الرسالة الرابعة له أيضاً

بسم الله الرحمن الرحيم

سؤال أبي القاسم القاسم بن يوسف بن محمد التجيبي السبتي يتفضل سيدنا الشيخ الفقيه الامام الفاضل العالم بقية السلف قدوة الخلف المبدع المغرب المعرب المفصح أعلم من لقيت ببلاد المشرق والمغرب تقي الدين أبو العباس أحمد بن تيمية أبقى الله علينا بركته بأن يوصيني بما يكون فيه صلاح ديني ودنياي ويرشدني الي كتاب يكون عليه اعتمادي في علم الحديث وكذلك في غيره من العلوم الشرعية وينبهني على أفضل الاعمال الصالحة بعد الواجبات ويبين لي أرجح المكاسب كل ذلك على قصد الايماء والاختصار والله تعالي يحفظه والسلام الكريم عليه ورحمة الله وبركاته

قال شيخ الاسلام بحر العلوم ابن تيمية رحمه الله ورضى عنه الحمد لله رب العالمين (اما الوصية) فما أعلم وصية أنفع من وصية الله ورسوله لمن عقلها واتبعها قال الله تعالى ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم واياكم أن اتقوا الله ووصي النبي صلى الله عليه وسلم معاذا لما بعثه الي اليمن فقال يا معاذ اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن وكان معاذ رضى الله عنه من النبي صلى الله عليه وسلم بمنزلة علية فانه قال له يا معاذ والله اني لأحبك وكان يردفه وراءه وروي فيه أنه أعلم الامة بالحلال والحرام وأنه يحشر أمام العلماء برتوة أي بخطوة ومن فضله بعثه النبي صلى الله عليه وسلم مبلغا عنه داعياً ومفقها ومفتياً وحاكماً الى أهل اليمن وكان يشبهه بابراهيم الخليل عليه السلام وابراهيم امام الناس وكان ابن مسعود رضى الله عنه يقول ان معاذا كان أمة قانتا حنيفاً ولم يك من المشركين تشبيهاً له بابراهيم ثم

أنه وصاه هذه الوصية فعلم أنها جامعة وهى كذلك لمن عقلها مع أنها تفسير الوصية القرآنية

اما بيان جمعها فلان العبد عليه حقان حق لله عز وجل وحق لعباده ثم الحق الذى عليه لابد أن يخل ببعضه أحيانا اما ترك مامور به أو فعل منهى عنه فقال النبى صلى الله عليه وسلم اتق الله حيثما كنت وهذه كلمة جامعة وفي قوله حيثما كنت تحقيق لحاجته الى التقوي في السر والعلانية ثم قال وأتبع السيئة الحسنة تمحها فان الطبيب متى تناول المريض شيئا مضراً أمره بما يصلحه والذنب للعبد كأنه أمر حتم فالكيس هو الذى لايزال يأتي من الحسنات بما يمحو السيآت وانما قدم في لفظ الحديث السيئة وان كانت مفعولة لان المقصود هنا محوها لافعل الحسنة فصار كقوله صبوا على بوله ذنوبا من ماء

وينبغي أن تكون الحسنات من جنس السيآت فانه أبلغ فى المحو والذنوب يزول موجبها باشياء *أحدها التوبة* والثانى الاستغفار من غير توبة فان الله تعالى قد يغفر له اجابة لدعائه وان لم يتب فاذا اجتمعت التوبة والاستغفار فهو الكمال *الثالث الاعمال الصالحة المكفرة أما الكفارات المقدرة كما يكفر المجامع في رمضان والمظاهر والمرتكب لبعض محظورات الحج أو تارك بعض واجباته أو قاتل الصيد بالكفارات المقدرة وهى أربعة أجناس هدي وعتق وصدقة وصيام وأما الكفارات المطلقة كما قال حذيفة لعمر فتنة الرجل في أهله وماله وولده يكفرها الصلاة والصيام والصدقة والامر بالمعروف والنهى عن المنكر وقد دل على

ذلك القرآن والاحاديث الصحاح في التكفير بالصلوات الخمس والجمعة والصيام والحج وسائر الاعمال التي يقال فيها من قال كذا وعمل كذا غفر له أو غفر له ماتقدم من ذنبه وهي كثيرة لمن تلقاها من السنن خصوصا ماصنف من فضائل الاعمال

واعلم أن العناية بهذا من أشد ما بالانسان الحاجة اليه فان الانسان من حين يبلغ خصوصاً في هذه الازمنة ونحوها من أزمنة الفترات التي تشبه الجاهلية من بعض الوجوه فان الانسان الذي ينشأ بين أهل علم ودين قد يتلطخ من أمور الجاهلية بعدة أشياء فكيف بغير هذا وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث أبي سعيد رضى الله عنه لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه قالوا يارسول الله اليهود والنصارى قال فمن هذا خبر تصديقه في قوله تعالى فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم كالذي خاضوا ولهذا شواهد في الصحاح والحسان وهذا أمر قد يسري في المنتسبين الى الدين من الخاصة كما قال غير واحد من السلف منهم ابن عيينة فان كثيراً من أحوال اليهود قد ابتلي به بعض المنتسبين الى العلم وكثيراً من أحوال النصاري قد ابتلى به بعض المنتسبين الى الدين كما يبصر ذلك من فهم دين الاسلام الذي بعث الله به محمداً صلى الله عليه وسلم ثم نزله على أحوال الناس واذا كان الامر كذلك فمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه وكان ميتاً فأحياه الله وجعل له نوراً يمشي به في الناس لابد أن يلاحظ أحوال الجاهلية

وطرفي الامتين المغضوب عليهم والضالين من اليهود والنصارى فيرى أن قد ابتلى ببعض ذلك

فأنفع ما للخاصة والعامة العلم بما يخلص النفوس من هذه الورطات وهو اتباع السيآت الحسنات والحسنات ماندب الله اليه على لسان خاتم النبيين من الاعمال والاخلاق والصفات ومما يزيل موجب الذنوب المصائب المكفرة وهى كل مايؤلم من هم أوحزن أو أذى في مال أو عرض أو جسد أوغير ذلك لكن ليس هذا من فعل العبد

فلما قضي بهاتين الكلمتين حق الله من عمل الصالح واصلاح الفاسد قال وخالق الناس بخلق حسن وهو حق الناس

وجماع الخلق الحسن مع الناس أن تصل من قطعك بالسلام والاكرام والدعاء له والاستغفار والثناء عليه والزيارة له وتعطي من حرمك من التعليم والمنفعة والمال وتعفو عن ظلمك في دم أو مال أو عرض وبعض هذا واجب وبعضه مستحب

وأما الخلق العظيم الذى وصف الله به محمداً صلى الله عليه وسلم فهو الدين الجامع لجميع ماأمر الله به مطلقاً هكذا قال مجاهد وغيره وهو تأويل القرآن كما قالت عائشة رضى الله عنها كان خلقه القرآن وحقيقته المبادرة الى امتثال مايحبه الله تعالى بطيب نفس وانشراح صدر

وأما بيان ان هذا كله في وصية الله فهو ان اسم تقوى الله يجمع فعل كل ما أمر الله به ايجابا واستحبابا وما نهى عنه تحريماً وتنزيهاً وهذا يجمع حقوق الله وحقوق العباد لكن لما كان تارة يعنى بالتقوى خشية

العذاب المقتضية للانكفاف عن المحارم جاء مفسراً في حديث معاذ وكذلك فى حديث أبى هريرة رضى الله عنهما الذى رواه الترمذى وصححه قيل يارسول الله ما أكثر مايدخل الناس الجنة قال تقوى الله وحسن الخلق وقيل ما أكثر مايدخل الناس النار قال الأجوفان الفم والفرج وفى الصحيح عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكمل المؤمنين ايماناً أحسنهم خلقاً فجعل كمال الايمان في كمال حسن الخلق ومعلوم أن الايمان كله تقوى الله وتفصيل أصول التقوى وفروعها لايحتمله هذا الموضع فانها الدين كله لكن ينبوع الخير وأصله اخلاص العبد لربه عبادة واستعانة كما في قوله اياك نعبد واياك نستعين وفي قوله فاعبده وتوكل عليه وفى قوله عليه توكلت واليه أنيب وفي قوله فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له بحيث يقطع العبد تعلق قلبه من المخلوقين انتفاعاً بهم أو عملا لاجلهم ويجعل همته ربه تعالى وذلك بملازمة الدعاء له فى كل مطلوب من فاقة وحاجة ومخافة وغير ذلك والعمل له بكل محبوب ومن أحكم هذا فلا يمكن أن يوصف مايعقبه ذلك

وأما ماسألت عنه من أفضل الاعمال بعد الفرائض فانه يختلف باختلاف الناس فيما يقدرون عليه ومايناسب أوقاتهم فلا يمكن فيه جواب جامع مفصل لكل أحد لكن مما هو كالاجماع بين العلماء بالله وأمره ملازمة ذكر الله دائماً هو أفضل ماشغل العبد به نفسه فى الجملة وعلى ذلك حديث أبى هريرة الذى رواه مسلم سبق المفردون قالوا يارسول

انه ومن المفردون قال الذاكرون الله كثيراً والذاكرات وفيما رواه أبو داود عن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من اعطاء الذهب والورق ومن أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم قالوا بلى يارسول الله قال ذكر الله والدلائل القرآنية والايمانية بصرا وخبرا ونظراً على ذلك كثيرة وأقل ذلك أن يلازم العبد الاذكار المأثورة عن معلم الخير وامام المتقين صلى الله عليه وسلم الاذكار المؤقتة في أول النهار وآخره وعند أخذ المضجع وعند الاستيقاظ من المنام وأدبار الصلوات والاذكار المقيدة مثل مايقال عند الاكل والشرب واللباس والجماع ودخول المنزل والمسجد والخلاء والخروج من ذلك وعند المطر والرعد الى غير ذلك وقد صنفت له الكتب المسماة بعمل يوم وليلة ثم ملازمة الذكر مطلقاً وأفضله لا اله الا الله وقد تعرض أحوال يكون بقية الذكر مثل سبحان الله والحمدلله والله أكبر ولا حول ولا قوة الا بالله أفضل منه ثم يعلم ان كل ماتكلم به اللسان وتصوره القلب مما يقرب الى الله من تعلم علم وتعليمه وأمر بمعروف ونهي عن منكر فهو من ذكر الله ولهذا من اشتغل بطلب العلم النافع بعد أداء الفرائض أوجلس مجلساً يتفقه أو يفقه فيه الفقه الذى سماه الله ورسوله فقها فهذا أيضاً من أفضل ذكر الله وعلى ذلك اذا تدبرت لم تجد بين الاولين في كلماتهم في أفضل الاعمال كبير اختلاف وما اشتبه أمره على العبد فعليه بالاستخارة المشروعة فما ندم من استخار

الله تعالى وليكثر من ذلك ومن الدعاء فانه مفتاح كل خير ولا يعجل فيقول قد دعوت فلم يستجب لى وليتحر الاوقات الفاضلة كآخر الليل وأدبار الصلوات وعند الاذان ووقت نزول المطر ونحو ذلك

﴿ وأما أرجح المكاسب ﴾ فالتوكل على الله والثقة بكفايته وحسن الظن به وذلك أنه ينبغي للمهتم بأمر الرزق أن يلجأ فيه الى الله ويدعوه كما قال سبحانه فيما يأثر عنه نبيه كلكم جائع الا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم ياعبادى كلكم عار الا من كسوته فاستكسونى أكسكم وفيما رواه الترمذى عن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليسأل أحدكم ربه حاجته كلها حتى شسع نعله اذا انقطع فانه ان لم ييسره لم يتيسر وقد قال الله تعالى في كتابه واسألوا الله من فضله وقال سبحانه فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله وهذا وان كان في الجمعة فمعناه قائم في جميع الصلوات ولهذا والله أعلم أمر النبي صلى الله عليه وسلم للذي يدخل المسجد أن يقول اللهم افتح لى أبواب رحمتك واذا خرج أن يقول اللهم اني أسألك من فضلك وقد قال الخليل صلى الله عليه وسلم فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له وهذا أمر والامر يقتضى الايجاب فالاستعانة بالله واللجأ اليه في أمر الرزق وغيره أصل عظيم

ثم ينبغى له أن يأخذ المال بسخاوة نفس ليبارك له فيه ولا يأخذه باشراف وهلع بل يكون المال عنده بمنزلة الخلاء الذي يحتاج اليه من غير أن يكون له في القلب مكانة والسعى فيه اذا سعي كاصلاح الخلاء

وفي الحديث المرفوع رواه الترمذى وغيره من أصبح والدنيا أكبر همه شتت الله عليه شمله وفرق عليه ضيعته ولم يأته من الدنيا الاما كتب له ومن أصبح والآخرة أكبر همه جمع الله عليه شمله وجعل غناه فى قلبه وأتته الدنيا وهى راغمة وقال بعض السلف أنت محتاج الي الدنيا وأنت الى نصيبك من الآخرة أحوج فان بدأت بنصيبك من الآخرة مر على نصيبك من الدنيا فانتظمه انتظاما قال الله تعالى وماخلقت الجن والانس الا ليعبدون ماأريد منهم من رزق وماأريد أن يطعمون ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين

فأما تعيين مكسب علي مكسب من صناعة أوتجارة أوبناية أو حراثة أوغير ذلك فهذا مختلف باختلاف الناس ولا أعلم فى ذلك شيئا عاما لكن اذا عن للانسان جهة فليستخر الله تعالى فيها الاستخارة المتلقاة عن معلم الخير صلى الله عليه وسلم فان فيها من البركة مالا يحاط به ثم ماتيسر له فلايتكلف غيره الا أن يكون منه كراهة شرعية

وأماماتعتمد عليه من الكتب في العلوم فهذا باب واسع وهو أيضا يختلف باختلاف نشأ الانسان فى البلاد فقد يتيسر له فى بعض البلاد من العلم أومن طريقه ومذهبه فيه مالا يتيسر له في بلد آخر لكن جماع الخير أن يستعين بالله سبحانه فى تلقى العلم الموروث عن النبي صلي الله عليه وسلم فانه هو الذى يستحق أن يسمي علما وماسواه اما أن يكون علما فلا يكون نافعا واما أن لايكون علما وان سمى به ولان كان علما نافعاً فلابد أن يكون في ميراث محمد صلى الله عليه وسلم مايغنى عنه مماهو مثله وخير

منه ولتكن همته فهم مقاصد الرسول في أمره ونهيه وسائر كلامه فاذا اطمأن قلبه أن هذا هو مراد الرسول فلا يعدل عنه فيما بينه وبين الله تعالي ولا مع الناس اذا أمكنه ذلك

وليجتهد أن يعتصم فى كل باب من أبواب العلم بأصل مأثور عن النبى صلي الله عليه وسلم واذا اشتبه عليه مما قد اختلف فيه الناس فليدع بما رواه مسلم في صحيحه عن عائشة رضى الله عنها ان رسول الله صلي الله عليه وسلم كان يقول اذا قام يصلي من الليل اللهم رب جبريل وميكائيل واسرافيل فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدنى لما اختلف فيه من الحق باذنك أنت تهدي من تشاء الي صراط مستقيم فان الله تعالى قد قال فيما رواه عنه رسوله ياعبادى كلكم ضال الا من هديته فاستهدونى أهدكم

وأما وصف الكتب والمصنفين فقد سمع منا فى أثناء المذاكرة مايسره الله سبحانه ومافى الكتب المصنفة المبوبة كتاب أنفع من صحيح محمد بن اسماعيل البخاري لكن هو وحده لايقوم بأصول العلم ولا يقوم بتمام المقصود للمتبحر فى أبواب العلم اذ لابد من معرفة أحاديث أخر وكلام أهل الفقه وأهل العلم في الامور التي يختص بعلمها بعض العلماء وقد أوعبت الامة في كل فن من فنون العلم ايعابا من نور الله قلبه هداه بما يبلغه من ذلك ومن أعماه لم تزده كثرة الكتب الا حيرة وضلالا كما قال النبى صلى الله عليه وسلم لابن لبيد الانصارى أوليست التوراة والانجيل عند اليهود والنصارى فماذا تغنى عنهم فنسأل الله

العظيم أن يرزقنا الهدى والسداد و يلهمنا رشدنا ويقينا شر أنفسنا وأن لا يزيغ قلوبنا بعد اذ هدانا ويهب لنا من لدنه رحمة انه هو الوهاب والحمد لله رب العالمين وصلواته على أشرف المرسلين

﴿ وجد بأصله مانصه ﴾

سمع هذه الوصية على مصنفها شيخنا امام الائمة الاعلام شيخ الاسلام سيد الحفاظ والمحدثين قدوة المسلمين مفتى الفرق علم الهدي تقى الدين أبى العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحرانى رضى الله عنه أخوه الامام العالم شرف الدين أبو محمد عبد الله والشيخ الامام العالم الزاهد شمس الدين محمد بن أبي العباس الدباهي وعز الدين عبد العزيز بن عبد اللطيف بن عبد العزيز بن عبد السلام بن تيمية ونور الدين محمد بن شرف الدين محمد بن علاء الدين محمد بن عبد القادر بن عبد الخالق الانصارى ابن الصائغ والشيخ أبو بكر بن قاسم بن أبى بكر الرحبى الكنانى وزين الدين عبادة بن عبد الغنى بن منصور بن منصور بن ابراهيم بن سلامة الحراني وجرير بن سعيد بن حميد الغسانى وعبد المجيد ابن محمود بن أحمد الجيلى وناصر الدين محمد بن أحمد بن عبد الغنى بن العلائى الحرانى وذلك بقراءة القاسم بن محمد بن يوسف البرزالى في ليلة ثالث شهر ربيع الآخر سنة سبع و تسعين وستمائة بدار الحديث بالقصاعين بدمشق والحمد لله رب العالمين ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم انتهى

﴿ تمت الرسالة الرابعة ويليها الخامسة له أيضا ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

مسئلة في النية في الطهارة والصلاة والزكاة والصيام والحج والعتق والجهاد وغير ذلك فهل محل ذلك القلب أم اللسان وهل يجب أن يجهر بالنية أم يستحب ذلك أو قال أحد من المسلمين ان لم يفعل ذلك بطلت صلاته وغيرها أو قال أحد ان صلاة الجاهر أفضل من صلاة الخافت اماما كان أو مأموما أو منفردا والتلفظ بها هل هو واجب أولا أو قال أحد من الائمة الاربعة أو غيرهم من أئمة المسلمين ان لم يتلفظ بالنيـة بطلت صلاته وان كانت غير واجبة فهل يستحب التلفظ بها وما السنة التي كان عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشـدون في ذلك واذا أصر على الجهر بها معتقدا أن ذلك مشروع فهل هو مبتـدع مخالف لشريعة الاسلام وهل يستحق التعزير على ذلك والعقوبة عليـه اذا لم ينته أم لا

فأجاب عنها الشيخ الامام العالم الزاهد العابد الورع شيخ الاسلام مفتي الانام أوحـد عصره وفريد دهره تقي الدين أبو العباس أحمـد ابن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني رضي الله عنه وأرضـاه في شهر صفر سنة خمس وعشرين وسبعمائة وهو في دمشق المحروسة

الحمـد لله رب العالمين * محـل النية القلب دون اللسان باتفاق أئمة المسلمين في جميع العبادات الطهارة والصلاة والزكاة والصـيام والحج والعتق والجهاد وغـير ذلك ولو تكلم بلسانه بخلاف ما نوى في قلبه كان الاعتبار بما نوى لا بما لفظ ولو تكلم بلسانه بالنية ولم تحصل النية في قلبه

لم يجز ذلك باتفاق أئمة المسلمين فان النية هى من جنس القصد والعزم تقول العرب نواك الله بخير أى قصدك بخير وقول النبي صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرىء مانوي فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها أو الى امرأة يتزوجها فهجرته الى ماهاجر اليه مراده صلى الله عليه وسلم بالنية النية التى فى القلب دون اللسان باتفاق أئمة المسلمين الائمة الاربعة وغيرهم وسبب الحديث يدل علي ذلك فان سببه ان رجلا هاجر من مكة الى المدينة ليتزوج امرأة يقال لها أم قيس فسمى مهاجر أم قيس فخطب النبى صلى الله عليه وسلم الناس على المنبر وذكر هذا الحديث فهذا كانت نيته فى قلبه

والجهر بالنية لايجب ولا يستحب باتفاق المسلمين ولا تبطل صلاة من لم يجهر بها عند أحد من المسلمين بل الجاهر بالنية مبتدع مخالف للشريعة اذا فعل ذلك معتقدا انه من الشرع فهو جاهل ضال مستحق التعزير والعقوبة على ذلك اذا أصر على ذلك بعد تعزيره والبيان له لاسيما اذا آذى من الى جانبه برفع صوته أو كرر ذلك مرة بعد مرة فانه يستحق التعزير البليغ علي ذلك ولم يقل أحد من المسلمين ان صلاة الجاهر أفضل من صلاة المخافت بها سواء كان اماما أو مأموما أو منفردا وأما التلفظ بها سرا فلا يجب أيضا عند الائمة الاربعة وسائر أئمة المسلمين ولم يقل أحد من الائمة ان التلفظ بالنية واجب لافي طهارة ولا صلاة ولا صيام ولا حج ولا يجب على المصلي أن يقول بلسانه أصلى

الظهر أو العصر ولا يقول اماما ولا مأموما ولا يقول بلسانه فرضا ولا نفلا ولا غير ذلك بل يكفي أن تكون نيته في قلبه والله يعلم ما في القلوب وكذلك نية الغسل من الجنابة والوضوء يكفي فيه نية القلب وكذلك نية الصيام في رمضان لا يجب على أحد أن يقول بلسانه أنا صائم غدا باتفاق الائمة بل يكفي نية قلبه والنية تبايع العلم فمن علم مايريد أن يفعله فلا بد أن ينويه فاذا علم المسلم ان غدا من رمضان فهو ممن يصوم رمضان فلابد أن ينوى الصيام فاذا علم ان غدا العيد لم ينو الصيام تلك الليلة وكذلك الصلاة اذا علم ان الصلاة القائمة صلاة الفجر أو الظهر وهو يعلم انه يريد صلاة الفجر أو الظهر فانه انما ينوى تلك الصلاة لا يمكنه أن يعلم انها الفجر وينوى الظهر وكذلك اذا علم انه يصلى اماما أو مأموما فانه لابد أن ينوى ذلك وان علم أنه يصلى وحده فلا بد أن ينوى ذلك والنية يتبع العلم والاعتقاد اتباعا ضروريا اذا كان يعلم مايريد أن يفعله فاذا كان يعلم انه يريد أن يصلى الظهر وقد علم ان تلك الصلاة صلاة الظهر امتنع أن يقصد غيرها ولو اعتقد ان الوقت باق فنوى الصلاة في وقتها فتبين ان الوقت قد خرج اجزأته صلاته باتفاق الائمة ولو اعتقد انه خرج فنوى الصلاة بعد الوقت فتبين انها في الوقت أجزأته الصلاة باتفاق الائمة واذا كان قصده أن يصلى خلف الامام بعينه مثل زيد فكان الامام غيره لم يكن قد صلي خلف ذلك وانما اذا كان قصده ان يصلى خلف الامام الحاضر أى امام كان واعتقد انه زيد فظهر أنه عمرو لم يضره ذلك وكذلك لو كان مقصوده أن يصلى على الجنازة الحاضرة أى جنازة كانت

فظنها رجلا فكانت امرأة صحت صلاته بخلاف ما اذا كان مقصوده أن لا يصلى الا على من يعتقد أنه فلان فصلى على من يعتقد انه فلان فتبين غيره فانه هنا لم يقصد الصلاة على ذلك الحاضر

والمقصود هنا ان التلفظ بالنية لا يجب عند أحد من الأئمة ولكن بعض المتأخرين خرج وجها من مذهب الشافعي لوجوب ذلك غلطه جماهير أئمة أصحاب الشافعى وكان غلطه ان الشافعى قال ان الصلاة لابد من النطق في أولها فظن هذا الغالط ان الشافعى أراد النطق بالنية ففعله أصحاب الشافعى جميعهم ولكن التلفظ بها هل هو مستحب أم لا فيه قولان معروفان للفقهاء منهم من استحب التلفظ بها كما ذكر ذلك من ذكره من أصحاب أبى حنيفة والشافعى وأحمد وقالوا التلفظ بها أوكد واستحبوا التلفظ بها فى الصلاة والصيام والحج وغير ذلك ومنهم من لم يستحب التلفظ بها كما قال ذلك من قاله من أصحاب مالك وأحمد وغيرهما وهذا هو المنصوص عن مالك وأحمد وغيرهما من الائمة وقال أبو داود قلت لاحمد أتقول قبل التكبير شيئا قال لا وهذا القول هو الصواب فان النبى صلى الله عليه وسلم لم يكن يقول قبل التكبير شيئا ولم يكن يتلفظ بالنية لا في الصلاة ولا في الحج ولا غيرها من العبادات ولا خلفاؤه ولا أمر أحدا أن يتلفظ بالنية بل قال لمن علمه الصلاة اذا قمت الى الصلاة فكبر وكان اذا قام الى الصلاة كبر كما فى الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتتح الصلاة بالتكبير ويفتتح القراءة بالحمد لله رب العالمين ولم يتلفظ قبل التكبير

بنية ولا غيرها ولا علم ذلك أحدا من المسلمين ولو كان ذلك مستحبا لفعله ولعلمه للمسلمين وكذلك في الحج انما كان يفتتح الاحرام بالتلبية ويشرع للمسلمين أن يلبوا في أول الحج وقال لضباعة بنت الزبير حجي واشترطي فقولي لبيك اللهم لبيك ومحلي حيث حبستني فامرها أن تشترط بعد التلبية ولم يشرع لاحد أن يقول قبل التلبية شيئا لايقول اللهم اني أريد العمرة أو الحج أو العمرة والحج ولا أن يقول فيسره على وتقبل مني ولا أن يقول نويت الحج والعمرة أو نويتهما جميعا ولا أن يقول أحرمت لله ولا غير ذلك من العبارات ولا أن يقول قبل التلبية شيئا بل جعل التلبية في الحج كالتكبير في الصلاة وكان هو وأصحابه يقولون فلان أهل بالحج أهل بالعمرة وأهل بهما كما يقال كبر للصلاة والاهلال رفع الصوت بالتلبية وكان يقول في تلبيته لبيك عمرة وحجا فيسمي مايريد فعله بعد التلبية لاقبلها وجميع ماأحدثه الناس من التلفظ بالنية قبل التكبير وقبل التلبية وفي الطهارة وسائر العبادات فهي البدع التي لم يشرعها وكل ما يحدث في العبادات المشروعة من الزيادات التي لم يشرعها رسول الله صلى الله عليه وسلم بل كان يداوم في العبادات على تركها ففعلها والمداومة عليها بدعة وضلالة من وجهين من حيث اعتقاد المعتقد ان ذلك مشروعا مستحبا يكون فعله خيرا من تركه مع أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يفعله البتة فينبغي حقيقة هذا القول أن مافعلناه أكمل وأفضل مما فعله رسول الله صلي الله عليه وسلم وقد سأل رجل مالك بن أنس عن الاحرام قبل الميقات فقال أخاف عليه

الفتنة فقال له السائل وأى فتنـة في ذلك وانما هي زيادة امتثال فى طاعة الله فقال وأي فتنة أعظم من أن تظن فى نفل انك خصصت بفضل لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم وتلا قوله تعالي فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم

وقد ثبت عنـه فى الصحيحين انه قال من رغب عن سنتي فليس مني أى من ظن أن غير سنتى أفضل من سنتى فرغب عما سننته معتقدا ان مارغب فيه أفضل مما رغب عنه فليس مني ألا (ان خير الكلام كلام الله وخير الهدى هدى محمد) كما ثبت في الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم انه كان يخطب بذلك يوم الجمعة فمن قال ان هدى غير محمد أفضل من هدى محمد فهو مفتون ضال قال تعالى فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم وهو قد أمر المسلمين باتباعه وأن يعتـقد وجوب ماأوجبه واستحباب ماأحبه وانه لاأفضل من ذلك فمن لم يعتقد هذا فقد عصى أمره وفي صحيح مسلم عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال قد هلك المتنطعون قالها ثلاثا وقال أبي بن كعب وابن مسعود اقتصاد في سنة خير من اجتهاد في بدعة وفي صحيح مسلم عن ابن عمر انه قال صـلاة السفر ركعتان من خالف السنة فقد كفر أى من اعتقد أن الركعتين في السفر لاتجزئ المسافر فقد كفر

الوجه الثانى من حيث المداومة على خلاف ماداوم عليه رسول الله صلى الله عليه وسـلم فى العبادات فان هذا بدعة باتفاق الائمة وان ظن

الظان ان فيه زيادة خير كما أحدث بعض المتقدمين الاذان والاقامة في العيدين فنهي عن ذلك وكرهه أئمة الاسلام وكما لو صلي عقب السعى ركعتين قياسا على ركعتى الطواف وقد استحب ذلك بعض المتأخرين من أصحاب الشافعى واستحب بعض المتأخرين من أصحاب أحمد في الحاج اذا دخل المسجد الحرام أن يفتتح بتحية المسجد فخالف الأئمة والسنة وانما السنة أن يفتتح المحرم بالطواف كما فعل النبى صلى الله عليه وسلم لما دخل المسجد بخلاف المقيم الذى يريد الصلاة فيه دون الطواف فهذا اذا صلى تحية المسجد فحسن

وفي الجملة فالنبى صلى الله عليه وسلم قد أكمل الله وللامته الدين وأتم عليهم به النعمة فمن جعل عملا واجبا مالم يوجبه الله ورسوله أو مستحبا مالم يستحبه الله ورسوله فهو غالط كما أن جعل حراما أو مكروها مالم يحرمه الله ورسوله أولم يكرهه الله ورسوله فهو غالط فجماع الدين لاحرام الا ماحرمه الله ورسوله ولا دين الاماشرعه الله ورسوله ومن خرج عن هذا وهذا فقد دخل في حزب من شرع من الدين مالم يأذن به الله وحرم مالم يحرمه الله وهذا من دين أهل الجاهلية المخالفين للرسول الذين ذمهم الله في سورة الانعام والاعراف وغيرهما من السور حيث شرعوا من الدين مالم يأذن به الله وحرموا مالم يحرمه الله وأحلوا ماحرمه الله فذمهم الله وعابهم علي ذلك فلهذا كان دين المؤمنين بالله ورسوله ان الاحكام الخمسة الايجاب والاستحباب والتحليل والكراهة والتحريم لاتؤخذ الا عن الله ورسوله فلا واجب الا

ما أوجبه الله ورسوله ولا مستحبا الا ما أحبه الله ورسوله ولا حلال الا ما أحله الله ورسوله ولا مكروه الا ما كرهه الله ورسوله ولا محرم الا ما حرمه الله ورسوله فمن ذلك ما اتفق عليه أئمة الدين ومنه ما تنازعوا فيه فما تنازعوا فيه رد الى الله ورسوله كما قال تعالى يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم فان تنازعتم في شئ فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا وأما من تكلم بجهل وبما خالف اتفاق الأئمة ينهى عن ذلك ويؤدب على الاصرار كما يفعل بأمثاله من الجهال ولا يقتدى في خلاف الشريعة باحد من أئمة الغلاة وان كان مشهورا بالفقه والعلم بل يسأل عما عنده من العلم كما قال بعض السلف لاتنظر الى عمل الفقيه ولكن سله يصدقك والحمد لله وحده

وهذه فتوى أخرى فى المسئلة السابقة

سئل الشيخ الامام العالم العلامة شيخ الاسلام مفتى الانام تقى الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن تيمية رضى الله عنه وأرضاه بالديار المصرية سنة ثمان وسبعمائة

في رجل يجهر بالنية ويقول أصلي فرض كذا وكذا ويعين الصلاة بعينها ويعد الركعات بحيث يشوش على من الى جانبه فأنكر عليه رجل وقال هذا لم يأمر الله به ولا رسوله فقال له بل هذا مما أمر الله به ورسوله وكان يجهر الامام بالتلاوة وهو يقرأ خلفه فهل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعله أو أحد من الصحابة أو أحد من الائمة

الأربعة وغيرهم فاذا لم يكن فعله أحد من أئمة المسلمين وعلمائهم فماذا يجب على من ينسب هذا اليهم ويقول كل من يعمل في دينه مايشتهى بل أنت جاهل فيما تذكره انتهى

أجاب رضى الله عنه وأرضاه الحمد لله رب العالمين * الجهر بلفظ النية ليس بمشروع ولا نقل ذلك أحد من علماء المسلمين ولا فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أحد من الخلفاء الراشدين وأصحابه وسلف الامة وأئمتها ومن ادعى أن ذلك دين الله أو انه واجب فانه يجب تعريفه الشريعة واستتابته من هذا القول فان أصر على ذلك قتل بل النية الواجبة في العبادات كالوضوء والغسل والصلاة والصيام والزكاة والكفارة وغير ذلك محلها القلب باتفاق أئمة المسلمين اذ النية هى القصد والارادة والقصد والارادة محلهما القلب دون اللسان باتفاق العقلاء فلو نوى بقلبه خلاف ماتكلم به بلسانه كانت العبرة بما نواه لا باللفظ ومتى نوى بقلبه ولم يتلفظ بلسانه صحت نيته عند الأئمة الأربعة وسائر أئمة المسلمين من الاولين والآخرين وليس في ذلك خلاف عند أحد ممن يقتدي به ويفتى بقوله ولكن بعض المتأخرين من أتباع الأئمة زعم ان اللفظ بالنية واجب ولم يقل ان الجهر بها واجب ومع هذ فهذا القول خطأ صريح مخالف لاجماع المسلمين لما علم بالاضطرار من دين الاسلام عند من يعلم سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنة خلفائه وكيف كان يصلى الصحابة والتابعون فان كل من يعلم ذلك يعلم أنهم لم يكونوا يتلفظون بالنية ولا أمرهم النبي صلي الله عليه وسلم بذلك ولا علمه لاحد من أصحابه بل

قد ثبت فى الصحيحين وغيرهما أنه قال للأعرابى المسىء فى صلاته اذا
قمت الى الصلاة فكبر ثم اقرأ ماتيسر معك من القرآن وفي السنن عنه
أنه قال مفتاح الصلاة الطهور وتحريمها التكبير وتحليلها التسليم وفى
صحيح مسلم عن عائشة رضى الله عنها أن النبي صلي الله عليه وسلم كان
يفتتح الصلاة بالتكبير والقراءة بالحمد لله رب العالمين وقد ثبت بالنقل
المتواتر واجماع المسلمين أن النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة كانوا
يفتتحون الصلاة بالتكبير ولم ينقل مسلم لاعن النبى صلى الله عليه وسلم
ولا عن أحد من الصحابة أنه تلفظ قبل التكبير بلفظ النية لاجهراً
ولا سراً ولا أنه أمر بذلك مع أنه من المعلوم أن الهمم والدواعى متوفرة
على نقل ذلك لو كان وأنه يمتنع على أهل التواتر عادة وشرعا كتمان نقل
ذلك فاذا لم ينقله أحد علم قطعاً أنه لم يكن ولهذا يتنازع الفقهاء
المتأخرون فى التلفظ بالنية هل هو مستحب مع النية التى في القلب فاستحب
طائفة من أصحاب أبى حنيفة والشافعي وأحمد قالوا لانه أوكدواتم
تحقيقا للنية ولم يستحب طائفة من أصحاب مالك وأحمد وغيرهم بل رأوا
أنه بدعة مكروهة قالوا لانه لو كان مستحباً لفعله رسول الله صلى الله
عليه وسلم ولأمر به فانه صلى الله عليه وسلم قد بين كل مايقرب الى
الله لاسيما الصلاة التي انما تؤخذ صفتها عنه وقد ثبت عنه في الصحيح أنه
قال صلوا كما رأيتمونى أصلي فزيادة هذا وأمثاله فى صفة الصلاة
بمنزلة سائر الزيادات المحدثة فى العبادات كمن زاد فى "العيدين الاذان

والاقامة ومن زاد في السعي صلاة ركعتين على المروة وأمثال ذلك قالوا وأيضاً فان التلفظ بالنية فاسد في العقل فان قول القائل أنوى ان أفعل كذا وكذا بمنزلة قوله أنوى انى آكل هذا الطعام لاشبع وانى ألبس هذا الثوب لاستتر وامثال ذلك من النيات الموجودة فى القلب التي يستقبح النطق بها وقد قال تعالى قل أتعلمون الله بدينكم والله يعلم مافى السموات ومافي الارض وقال طائفة من السلف في قوله انما نطعمكم لوجه الله قالوا لم يقولوا بألسنتهم وانما علمه الله من قلوبهم

وبالجملة فلا بد من النية في القلب بلا نزاع وأما التلفظ بها سراً فهل يكره أو يستحب فيه نزاع بين المتأخرين وأما الجهر بها فهو مكروه منهى عنه غير مشروع باتفاق المسلمين وكذلك تكريرها وسواء الامام والمأموم والمنفرد فكل هؤلاء لايشرع لاحد منهم أن يجهر بلفظ النية ولايكررها باتفاق المسلمين بل ينهون عن ذلك بل جهر المنفرد بالقراءة اذا كان فيه أذى لغيره لم يشرع كما خرج النبي صلى الله عليه وسلم على أصحابه وهم يصلون فقال أيها الناس كلكم يناجي ربه فلا يجهر بعضكم على بعض بالقراءة وأما المأموم فصفته المخافتة باتفاق المسلمين لكن اذا جهر أحيانا بشيء من الذكر فلا بأس كالامام اذا أسمعهم أحيانا الآية في صلاة السر فقد ثبت في الصحيح عن أبي قتادة أنه أخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان فى صلاة الظهر والعصر يسمعهم الآية أحيانا وثبت في الصحيح ان من الصحابة المأمومين من جهر بدعاء حين افتتاح الصلاة وعند رفع رأسه من الركوع ولم ينكر النبي صلى الله عليه وسلم ذلك

ومن أصر على فعل البدع وتحسينها فانه ينبغي أن يعزر تعزيراً يردعه وأمثاله عن مثل ذلك ومن نسب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الباطل خطأ فانه يعرف فان لم ينته عوقب ولا يحل لاحد أن يتكلم في الدين بلا علم ولا يعين من تكلم في الدين بلا علم أو أدخل في الدين ماليس منه

وأما قول القائل كل من يعمل في دينه مايشتهي فهي كلمة عظيمة يجب أن يستتاب منها والا عوقب بل الاصرار على اعتقاد مثل هذه الكلمة توجب القتل فليس لاحد أن يعمل في الدين الا ماشرعه الله ورسوله دون مايشتهيه ويهواه قال تعالي ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله وان كثيراً ليضلون باهوائهم بغير علم وقال ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله وقال ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل وقال تعالى أفرأيت من اتخذ الهه هواه أفانت تكون عليه وكيلا أم تحسب ان أكثرهم يسمعون أو يعقلون ان هم الا كالانعام بل هم أضل سبيلا وقد قال تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتي يحكموك فيما شجر بينهم ثم لايجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما وقد روى عنه أنه قال والذى نفسى بيده لا يؤمن أحدكم حتي يكون هواه تبعاً لما جئت به وقد قال تعالي ألم تر الي الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيداً واذا قيل لهم تعالوا الى ماأنزل الله والى الرسول رأيت

المنافقين يصدون عنك صدودا وقال تعالى أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله وقال تعالي المص كتاب أنزل اليك فلا يكن في صدرك حرج منه وذكرى للمؤمنين اتبعوا ماأنزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلاماتذكرون وقال تعالى ولواتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والارض ومن فيهن وأمثال هذافى القرآن كثير يبين أن على العبد أن يتبع الحق الذى بعث الله به رسوله ولا يجعل دينه تبعاً لهواه والله تعالى أعلم

وأجاب عن المسئلة المذكورة أيضا الشيخ الامام العالم قاضى القضاة جمال الدين أبوالربيع سليمان بن عمر الشافعى رضى الله عنه وأرضاه الحمد لله رب العالمين الله الموفق* النية المعتبرة في الصلاة وجميع العبادات محلها القلب فلا يضر عدم النطق بها كما لو نوى بقلبه الظهر وسبق لسانه الي العصر ولا يكفى النطق بها مع غفلة القلب وانما استحب بعض أصحابنا مساعدة اللسان القلب من غير جهر وقد شذ صاحب الافصاح بما نقله عن بعض أصحابنا أنه لابد من التلفظ بها فى الصلاة وهو خلاف قول جمهور الاصحاب وأما الجهر بها وبالقراءة خلف الامام فليس من السنة بل مكروه فان حصل به تشويش على المصلين فحرام ومن قال بأن الجهر بلفظ النية من السنة فهو مخطئ ولا يحل له ولا لغيره أن يقول في دين الله تعالي بغير علم ولا يجوز لاحد اعانة من قال فى الدين بغير علم وقوله كل من يعمل في دينه مايشتهي فهذا قول جاهل يعزر على ذلك اذ ليس لاحد أن يعمل في دين الله تعالي الا ماشرعه

الله تعالى ورسوله ومن فعل غير ذلك فقد اتبع هواه نعوذ بالله تعالى من اتباع الهوى وقد تكرر في الكتاب العزيز الذم والانكار على من اتبع هواه وقد قال سبحانه وتعالي ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل وقال تعالي وان كثيراً ليضلون بأهوائهم بغير علم الي غير ذلك مما ورد في القرآن من أمثاله والله أعلم والحمد لله وحده

وأجاب عنها الشيخ الامام العالم العلامة شمس الدين أبو عبد الله محمد بن الحريرى الانصارى عفا الله عنه ا* لحمد لله رب العالمين اللهم وفق والطف ماكان النبي صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك ولا أحد من أصحابه رضى الله عنهم ولا أحد من الائمة الاربعة ولا علماء المسلمين تفعل مثل ذلك والنية هي الارادة والشرط أن يعلم بقلبه أى صلاة يصلى أما الذكر باللسان فلا معتبر به ويحسن ذلك لاجتماع عزيمته فان زعم الفاعل لذلك أن هذا هو دين الله تعالى فقد كذب على الله تعالى ورسوله صلي الله عليه وسلم وأدخل فى دين الله تعالى ماليس فيه يستتاب بعد التعريف وتزاح عنه هذه الشبهة التى عرضت له فان تاب والاقتل بذلك والجهر بالتلاوة خلف الامام لايجوز ولانقل عن النبي صلي الله عليه وسلم ولا عن أحد من أصحابه والعلماء على خلافه ويجب تعزيره على ذلك ولايحل لاحد أن يعينه على هذا ومن أعانه وجب تعزيره وقوله كل من يعمل فى دينه مايشتهى فقد كذب على الشريعة المطهرة بل يجب علينا اتباع ماجاء به كتاب الله تعالي وسنة رسوله صلي الله عليه وسلم فان اعتقد ان هذا

هو الدين فقد كفر بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم فيستتاب فان تاب والاقتل والحالة هذه والله أعلم

وأجاب عنها الشيخ الامام العالم العلامة شمس الدين أبوعبدالله محمد بن أبي القاسم التونسي المالكي رحمه الله تعالى الحمد لله اللهم ارحم ووفق النية من أعمال القلوب فالجهر بها بدعة مع ما في ذلك من التشويش على الناس وكذلك الجهر بالقرآن فيزجر عن ذلك ويلزم بالاتباع للسنة وانكاره على المنكر عليه جهل ودعوي باطلة وقوله كل من يعمل فى دينه مايشتهي فهذا أمر شنيع يقارب الكفر يجب تأديبه عليه وأن يتوب منه ونعوذ بالله من الجهل واتباع الهوي ونسأله الهدى والعصمة والله سبحانه وتعالى أعلم

وأجاب عنها الشيخ الامام العالم العلامة علاء الدين بن العطار عفا الله عنه الحمد لله لا يشرع تعيين عدد الركعات ولا الجماعة في النية وأما التلفظ بها من غير تشويش فلا بأس به اذا كان مطابقا للقلب ولا يشترط ولا يجب ورفع الصوت به مع التشويش على المصلين حرام اجماعا ومع عدمه بدعة قبيحة فان قصد به الرياء كان حراما من وجهين كبيرة من الكبائر والمنكر عليه مصيب ومصوبه مخطىء ونسبته الى دين الله تعالى اعتقادا كفر وغير اعتقاد معصية ولا يحل ترك كل أحد ودينه خصوصا اذا كان قدرة وعمله مخالفا للسنة بل يجب على كل مؤمن تمكن فى زجره زجره ومنعه وردعه ولم ينقل هذا النقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عن أحد من أصحابه ولا عن أحد ممن يقتدى به من علماء

الاسلام وأصل النية مشروع في جميع الاعمال الصلاة وغيرها ومحلها القلب وهل يشترط مقارنتها لاول العبادة بمعنى أنها جزء العبادة أو لا يشترط ذلك ويجعلها شرطا لصحة العبادة لا يضر تقدمها عليها .مذهب الشافعي رحمه الله الاول ومذهب بعض أصحابه وجماعة من العلماء الثاني ومن فعل النية على ماذكر فى الاستفتاء فعمله غير صحيح قال معاذ بن جبل رضى الله عنه الذى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه أعلم أمتى بالحلال والحرام قال معاذ العمل الصالح هو الذى يسبقه العلم والنية والصبر والاخلاص مشتمل عليه فكل عمل لم يشتمل على هذه الاربعة فليس بصالح ونية هذا الرجل ليس على وفق العمل ولا قصد بها الصبر على مقتضاه ولا أخلص فيها لله تعالى والله يعلم المفسد من المصلح

تمت الرسالة الخامسة

. ويليها السادسة له أيضا

﷽

سئل شيخ الاسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن تيمية رحمه الله تعالى عن العرش هل هو كرى أم لا فاذا كان كريا والله من ورائه محيط به بائن عنه فما فائدة ان العبد يتوجه الى الله تعالى حين دعائه فيقصد العلو دون التحت فلا فرق حينئذ وقت الدعاء بين قصد جهة العلو وغيرها من الجهات التي تحيط بالداعى ومع هذا نجد قلوبنا قصدا تطلب العلو لا تلتفت يمنة ولا يسرة فأخبرنا عن هذه الضرورة التى نجدها في قلوبنا فقد فطرنا عليها أدام الله النفع بكم وبعلومكم آمين

فأجاب رحمه الله تعالى بما نصه الحمد لله رب العالمين الجواب عن هذا السؤال بثلاث مقالات * احداها ان القائل الذى يقول لم يثبت بدليل يعتمد عليه ان العرش فلك من الافلاك المستديرة الكرية الشكل لا بدليل شرعى ولا بدليل عقلي وانما ذكر هذا طائفة من المتأخرين الذين نظروا فى علم الهيئة وغيرها من الفلسفة فرأوا ان الافلاك تسعة وان التاسع وهو الاطلس يحيط بها مستديرا كاستدارتها وهو الذي يحركها الحركة الشوقية وان كان لكل فلك حركة تخصه غير هذه الحركة العامة ثم سمعوا من أخبار الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم ذكر عرش الله وكرسيه وذكر السموات السبع فقالوا بطريق الظن ان العرش هو الفلك التاسع لاعتقادهم أنه ليس وراء التاسع شى اما مطلقا واما انه ليس وراءه مخلوق ثم ان منهم من رأى ان التاسع هو الذى يحرك الافلاك كلها فجعلوه مبدأ الحوادث وزعموا ان الله يحدث

فيه مايقدره في الارض أو يحدثه في النفس التي زعموا انها متعلقة أو في العقل الذى زعموا انه الذى صدر عنه هذا الفلك وربما سماه بعضهم الروح وربما جعل بعضهم النفس هى الروح وربما جعل بعضهم النفس هي اللوح المحفوظ كما يجعل العقل هو القلم وتارة يجعلون اللوح العقل الفعال العاشر الذى لفلك القمر أوالنفس المتعلقة به وربما جعلوا ذلك بالنسبة الى الحق كالدماغ بالنسبة الي الانسان يقدر فيه مايفعله قبل أن يكون الي غير ذلك من المقالات التي شرحناها وبينا فسادها في غير هذا الموضع * ومنهم من يدعي انه علم ذلك بطريق الكشف والمشاهدة ويكون كاذبا فيما يدعيه وانما أخذ ذلك عن هؤلاء المتفلسفة تقليدا لهم أو موافقة لهم على طريقتهم الفاسدة كما فعل أصحاب رسائل اخوان الصفا وأمثالهم * وقد يتخيل في نفسه مايقلده عن غيره فيظنه كشفا كما يتخيل النصرانى التثليث الذى يعتقده * وقد يرى ذلك في منامه فيظنه كشفا وانما هو تخييل لما اعتقده وكثير من أرباب الاعتقادات الفاسدة اذا ارتاضوا صفات الرياضة نفوسهم فيتمثل لهم اعتقاداتهم فيظنونها كشفا وقد بسطنا الكلام على هذا فى غير ماموضع

والمقصود هنا انماذكروه من ان العرش هو الفلك التاسع قد يقال انه ليس لهم عليه دليل لاعقلى ولا شرعي أما العقل فان أئمة الفلاسفة مصرحون بأنه لم يقم عندهم دليل على ان الافلاك هى تسعة فقط بل يجوز أن تكون أكثر من ذلك ولكن دلتهم الحركات والكسوفات ونحو ذلك علي ماذكروه ومالم يكن لهم دليل على ثبوته

فهم لا يعلمون ثبوته ولا انتفاءه مثال ذلك انهم علموا ان هذا الكوكب
تحت هذا بان السفلى يكسف العلوى من غير عكس فاستدلوا بذلك
على انه من فلك فوقه كما استدلوا بالحركات المختلفة على أفلاك مختلفة
حتي جعلوا في الفلك الواحد عدة أفلاك كفلك التدوير وغيره فاما
ماكان موجودا فوق هذا ولم يكن لهم مايستدلون به علي ثبوته فهم
لا يعلمون نفيه ولا اثباته بطريقهم وكذلك قول القائل ان حركة التاسع
مبدأ الحوادث خطأ وضلال على أصولهم فانهم يقولون ان الثامن له
حركة تخصه بما فيه من الثوابت ولتلك الحركة قطبان غير قطبى التاسع
وكذلك السابع والسادس واذا كان لكل فلك حركة تخصه والحركات
المختلفة هى سبب الاشكال الحادثة المختلفة الفلكية فتلك الاشكال سبب
الحوادث السفلية كانت حركة التاسع جزء السبب لحركة غيره والاشكال
الحادثة في الفلك كمقارنة الكوكب لكوكب في درجة واحدة ومقابلته
له اذا كان بينهما نصف الفلك وهو مائة وثمانون درجة وتثليثه له اذا
كان بينهما ثلث الفلك وهو مائة وعشرون درجة وتربيعه له اذا كان
بينهما ربعه تسعون درجة وتسديسه له اذا كان بينهما سدس الفلك
ستون درجة وأمثال ذلك من الاشكال انما حدثت بحركات مختلفة وكل
حركة ليست عن الاخرى اذ حركة الثامن التى تخصه ليست عن حركة
التاسع وان كان تابعا له في الحركة الكلية كالانسان المتحرك فى السفينة
الى خلاف حركتها وكذلك حركة السابع التى تخصه ليست عن التاسع
ولا عن الثامن وكذلك سائر الافلاك فكيف يجوز أن يجعل مبدأ

الحوادث كلها مجرد حركة التاسع كما زعمه من ظن انه العرش كيف والفلك التاسع عندهم بسيط متشابه الاجزاء لا اختلاف فيه أصلا فكيف يكون سببا لامور مختلفة لا باعتبار القوابل وأسباب أخر

ولكن هم قوم ضالون يجعلونه مع هذا ثلاثمائة وستين درجة ويجعلون لكل درجة من الاثر مايخالف الاخري لا باختلاف القوابل كمن يجيء الى ماء واحد فيجعل لبعض أجزائه من الاثر مايخالف الآخر لا بحسب القوابل بل يجعل أحد أجزائه مسخنا والآخر مبردا والآخر مسعدا والآخر مشقيا وهذا مما يعلمون هم وكل عاقل انه باطل وضلال واذا كان هؤلاء ليس عندهم ماينفي وجود شيء آخر فوق الافلاك التسعة كان الجزم بان ماأخبرت به الرسل من ان العرش هو الفلك التاسع رجما بالغيب تهاولا بلا علم هذا كله بتقدير ثبوت الافلاك التسعة على المشهور عند أهل الهيئة اذ في ذلك من النزاع والاضطراب وفي أدلة ذلك ماليس هذا موضعه وانما نتكلم على هذا التقدير والافلاك فى أشكالها واحاطة بعضها ببعض من جنس واحد فنسبة السابع الى السادس كنسبة السادس الى الخامس واذا كان هناك فلك تاسع فنسبته الي الثامن كنسبة الثامن الى التاسع

وأما العرش فالاخبار تدل على مباينته لغيره من المخلوقات وانه ليس نسبته الى بعضها كنسبة بعضها الى بعض قال الله تعالي الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به الآية وقال سبحانه ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية فاخبر ان للعرش

حملة اليوم ويوم القيامة وان حملته ومن حوله يسبحون ويستغفرون للمؤمنين ومعلوم ان قيام ذلك من الافلاك بقدرة الله تعالى كقيام سائر الافلاك لا فرق في ذلك بين كرة وكرة وان قدر أن لبعضها ملائكة في نفس الامر تحملها فحكمه حكم نظيره وقال تعالى وترى الملائكة حافين من حول العرش الآية فذكر هناك ان الملائكة تحف من حول العرش وذكر في موضع آخر ان له حملة وجمع في موضع ثالث بين حملته ومن حوله فقال الذين يحملون العرش ومن حوله وأيضا فقد أخبر ان عرشه كان على الماء قبل أن يخلق السموات والارض كما قال تعالى وهو الذى خلق السموات والارض في ستة أيام وكان عرشه على الماء وقد ثبت فى صحيح البخاري رحمه الله تعالى عن عمران بن حصين رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال كان الله ولم يكن شيء غيره وكان عرشه على الماء وكتب في الذكر كل شيء وخلق السموات والارض وفي رواية له كان الله ولم يكن شيء قبله وكان عرشه على الماء ثم خلق السموات والارض وكتب في الذكر كل شيء وفي رواية لغيره صحيحة كان الله ولم يكن شيء معه وكان عرشه على الماء ثم كتب في الذكر كل شيء وفى صحيح مسلم رحمه الله تعالي عن عبدالله بن عمرو رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والارض بخمسين ألف سنة انتهى

تمت الرسالة السادسة

ويليها السابعة له أيضا

بسم الله الرحمن الرحيم

من احمد ابن تيمية عفا الله عنه الي من يصل اليه هذا الكتاب من المسلمين المنتسبين الي السنة والجماعة المنتمين الى جماعة الشيخ العارف القدوة أبي البركات عدى بن مسافر الاموى رحمه الله ومن نحا نحوهم وفقهم الله لسلوك سبيله وأعانهم علي طاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم وجعلهم معتصمين بحبله المتين مهتدين لصراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وجنبهم طريق أهل الضلال والاعوجاج الخارجين عما بعث الله به رسوله صلى الله عليه وسلم من الشرعة والمنهاج حتي يكونوا ممن أعظم عليهم المنه بمتابعة الكتاب والسنة سلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد فانا نحمد اليكم الله الذى لا اله الا هو وهو للحمد أهل وهو على كل شئ قدير ونسأله أن يصلي علي خاتم النبيين وسيد ولد آدم صلى الله عليه وسلم وأكرم الخلق علي ربه وأقربهم اليه زلفى وأعظمهم عنده درجة محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا

أما بعد فان الله بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا وأنزل عليه الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه وأكمل له ولامته الدين وأتم عليهم النعمة وجعلهم خير أمة أخرجت للناس فهم يوفون سبعين أمة هم خيرها وأكرمها على الله وجعلهم أمة وسطا أى عدلا

وخيارا ولذلك جعلهم شهداء على الناس هداهم لما بعث به رسله جميعهم من الدين الذي شرعه لجميع خلقه ثم خصهم بعد ذلك بما ميزهم به وفضلهم من الشرعة والمنهاج الذى جعله لهم فالاولى مثل أصول الايمان وأعلاها وأفضلها هو التوحيد وهو شهادة أن لااله الا الله كما قال تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول الا يوحي اليه أنه لااله الا أنا فاعبدون وقال تعالى ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت وقال تعالي واسأل من قد أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون وقال تعالى شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا والذى أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى وقال تعالى ياأيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا اني بما تعملون عليم وان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون ومثل الايمان بجميع كتب الله وجميع رسله كما قال تعالي قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل الي ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وما أوتى موسى وعيسي وما أوتى النبيون من ربهم لانفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون ومثل قوله تعالي قل آمنت بما أنزل الله من كتاب وأمرت لاعدل بينكم ومثل قوله تعالي آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لانفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير الى آخرها ومثل الايمان باليوم الآخر وما فيه من الثواب والعقاب كما أخبر عن ايمان من تقدم من مؤمنى الامم به حيث قال ان

الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ومثل أصول الشرائع كما ذكر فى سورة الأنعام والأعراف وسبحان وغيرهن من السور المكية من أمره بعبادته وحده لاشريك له وأمره ببر الوالدين وصلة الارحام والوفاء بالعهود والعدل فى المقال وتوفية الميزان والمكيال واعطاء السائل والمحروم وتحريم قتل النفس بغير الحق وتحريم الفواحش ماظهر منها وما بطن وتحريم الاثم والبغى بغير الحق وتحريم الكلام في الدين بغير علم مع مايدخل في التوحيد من اخلاص الدين لله والتوكل على الله والرجاء لرحمة الله والخوف من الله والصبر لحكم الله والقيام لامر الله وأن يكون الله ورسوله أحب الى العبد من أهله وماله والناس أجمعين الى غير ذلك من أصول الايمان التى أنزل الله ذكرها في مواضع من القرآن كالسور المكية وبعض المدنية وأما الثاني فما أنزله الله فى السور المدنية من شرائع دينه وما سنه الرسول صلى الله عليه وسلم لامته فان الله سبحانه أنزل عليه الكتاب والحكمة وامتن على المؤمنين بذلك وأمر أزواج نبيه بذكر ذلك فقال وأنزل عليك الكتاب والحكمة وعلمك مالم تكن تعلم وقال لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وقال واذكرن مايتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة قال غير واحد من السلف الحكمة هى السنة لان الذى كان يتلى في بيوت أزواجه رضى الله عنهن سوى القرآن هو سنته

صلى الله عليه وسلم ولهذا قال صلى الله عليه وسلم الا انى أوتيت الكتاب ومثله معه وقال حسان بن عطية كان جبريل عليه السلام ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم بالسنة كما ينزل بالقرآن فيعلمه اياها كما يعلمه القرآن

وهذه الشرائع التى هدى الله بها هذا النبي وأمته مثل الوجهة والمنسك والمنهاج وذلك مثل الصلوات الخمس فى أوقاتها بهذا العدد وهذه القراءة والركوع والسجود واستقبال الكعبة ومثل فرائض الزكاة ونصبها التى فرضها فى أموال المسلمين من الماشية والحبوب والثمار والتجارة والذهب والفضة ومن جعلت له حيث يقول انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم ومثل صيام شهر رمضان ومثل حج البيت الحرام ومثل الحدود التى حدها لهم فى المناكح والمواريث والعقوبات والمبايعات ومثل السنن التى سنها لهم من الاعياد والجمعات والجماعات فى المكتوبات والجماعات في الكسوف والاستسقاء وصلاة الجنازة والتراويح وما سنه لهم فى العادات مثل المطاعم والملابس والولادة والموت ونحو ذلك من السنن والآداب والاحكام التى هى حكم الله ورسوله بينهم في الدماء والاموال والابضاع والاعراض والمنافع والابشار وغير ذلك من الحدود والحقوق الى غير ذلك مما شرعه لهم على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم وحبب اليهم الايمان وزينه في قلوبهم فجعلهم متبعين لرسوله صلى

الله عليه وسلم وعصمهم أن يجتمعوا على ضلالة كما ضلت الامم قبلهم اذ كانت كل أمة اذا ضلت أرسل الله تعالى رسولا اليهم كما قال تعالى ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت وقال تعالى وان من امة الا خلا فيها نذير

ومحمد صلي الله عليه وسلم خاتم الانبياء لانبي بعده فعصم الله أمته أن تجتمع على ضلالة وجعل فيها من تقوم به الحجة الى يوم القيامة ولهذا كان اجماعهم حجة كما كان الكتاب والسنة حجة ولهذا امتاز أهل الحق من هذه الامة والسنة والجماعة عن أهل الباطل الذين يزعمون أنهم يتبعون الكتاب ويعرضون عن سنة رسول الله صلي الله عليه وسلم وعما مضت عليه جماعة المسلمين

فان الله أمر فى كتابه باتباع سنة رسوله صلي الله عليه وسلم ولزوم سبيله وأمر بالجماعة والائتلاف ونهى عن الفرقة والاختلاف فقال تعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله وقال تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول الا ليطاع باذن الله وقال تعالي ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم وقال تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت و يسلموا تسليما وقال تعالى واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا وقال تعالى ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شئ وقال تعالي ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءتهم البينات وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك

دين القيمة وقال تعالى وان هـذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله وقال تعالى في أم الكتاب اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين

وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضالون

فأمر سبحانه فى أم الكتاب التى لم ينزل فى التوراة ولا في الانجيل ولا فى الزبور ولا فى الفرقان مثلها التي أعطيها نبينا صلى الله عليه وسلم من كنز تحت العرش التى لا تجزىء صلاة الا بها ان نسأله ان يهدينا الصراط المستقيم صراط الذين أنعم عليهم غير المغضوب عليهم كاليهود ولا الضالين كالنصارى

وهذا الصراط المستقيم هو دين الاسلام المحض وهو ما في كتاب الله تعالى وهو السنة والجماعة فان السنة المحضة هى دين الاسلام المحض فان النبي صلى الله عليه وسلم روى عنه من وجوه متعددة رواها أهل السنن والمسانيد كالامام أحمد وأبى داود والترمذى وغيرهم أنه قال ستفترق هذه الامة على ثنتين وسبعين فرقة كلها في النار الا واحدة وهى الجماعة وفي رواية من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي

وهذه الفرقة الناجية أهل السنة وهم وسط فى النحل كما ان ملة الاسلام وسط في الملل فالمسلمون وسط فى أنبياء الله ورسله وعباده الصالحين لم يغلوا فيهم كما غلت النصارى فاتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح بن مريم وما أمروا الا ليعبدوا الها واحداً

لا اله الا هو سبحانه عما يشركون ولا جفوا عنهم كما جفت اليهود فكانوا يقتلون الانبياء بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس وكلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم كذبوا فريقاً وقتلوا فريقاً

بل المؤمنون آمنوا برسل الله وعزروهم ونصروهم ووقروهم وأحبوهم وأطاعوهم ولم يعبدوهم ولم يتخذوهم أربابا كما قال تعالى ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أيأمركم بالكفر بعد اذ أنتم مسلمون

ومن ذلك ان المؤمنين توسطوا في المسيح فلم يقولوا هو الله ولا ابن الله ولا ثالث ثلاثة كما تقوله النصارى ولا كفروا به وقالوا على مريم بهتانا عظيما حتي جعلوه ولد غية كما زعمت اليهود بل قالوا هذا عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها الى مريم العذراء البتول وروح منه

وكذلك المؤمنون وسط فى شرائع دين الله فلم يحرموا على الله ان ينسخ ماشاء ويمحو ماشاء ويثبت كما قالته اليهود كما حكي الله تعالى ذلك عنهم بقوله سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها وبقوله واذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقا لما معهم ولا جوزوا لاكابر علمائهم وعبادهم أن يغيروا دين الله فيأمروا بما شاؤا وينهوا عما شاؤا كما يفعله النصاري كما ذكر الله ذلك عنهم بقوله اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون

الله قال عدى بن حاتم رضى الله عنه قلت يارسول الله ماعبدوهم قال ماعبدوهم ولكن أحلوا لهم الحرام فأطاعوهم وحرموا عليهم الحلال فأطاعوهم والمؤمنون قالوا لله الخلق والامر فكما لا يخلق غيره لا يأمر غيره وقالوا سمعنا وأطعنا فاطاعوا كل ماأمر الله به وقالوا ان الله يحكم مايريد وأما المخلوق فليس له ان يبدل أمر الخالق تعالى ولو كان عظيما

وكذلك في صفات الله تعالى فان اليهود وصفوا الله تعالى بصفات المخلوق الناقصة فقالوا هو فقير ونحن أغنياء وقالوا يد الله مغلولة وقالوا انه تعب من الخلق فاستراح يوم السبت الى غير ذلك والنصارى وصفوا المخلوق بصفات الخالق المختصة به فقالوا انه يخلق ويرزق ويغفر ويرحم ويتوب على الخلق ويثيب ويعاقب والمؤمنون آمنوا بالله سبحانه وتعالي ليس سمىّ ولاند ولم يكن له كفواً أحد وليس كمثله شئ فانه رب العالمين وخالق كل شئ وكل ماسواه عباد له فقراء اليه ان كل من في السموات والارض الا آت الرحمن عبداً لقد أحصاهم وعدهم عداً وكلهم آتيه يوم القيامة فرداً

ومن ذلك أمر الحلال والحرام فان اليهود كما قال الله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم فلا يأكلون ذوات الظفر مثل الابل والبط ولا شحم الثرب والكليتين ولا الجدى فى لبن أمه الى غير ذلك مما حرم عليهم من الطعام واللباس وغيرها حتى قيل ان المحرمات عليهم ثلاثمائة وستون نوعا والواجب عليهم مائتان وثمانية

وأربعون أمراً وكذلك شدد عليهم في النجاسات حتى لا يؤاكلوا الحائض ولا يجامعوها فى البيوت وأما النصارى فاستحلوا الخبائث وجميع المحرمات وباشروا جميع النجاسات وانما قال لهم المسيح ولاحل لكم بعض الذى حرم عليكم ولهذا قال تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون وأما المؤمنون فكما نعتهم الله به في قوله ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون الذين يتبعون الرسول النبي الامى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التى كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون وهذا باب يطول وصفه

وهكذا أهل السنة والجماعة فى الفرق فهم في باب أسماء الله وآياته وصفاته وسط بين أهل التعطيل الذين يلحدون فى أسماء الله وآياته ويعطلون حقائق ما نعت الله به نفسه حتى يشبهونه بالعدم والموات وبين أهل التمثيل الذين يضربون له الامثال ويشبهونه بالمخلوقات

فيؤمن أهل السنة والجماعة بما وصف الله به نفسه وما وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف وتمثيل

وهم في باب خلقه وأمره وسط بين المكذبين بقدرة الله الذين لا يؤمنون بقدرته الكاملة ومشيئته الشاملة وخلقه لكل شيء وبين المفسدين لدين الله الذين يجعلون العبد ليس له مشيئة ولا قدرة ولا عمل فيعطلون الأمر والنهي والثواب والعقاب فيصيرون بمنزلة المشركين الذين قالوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء

فيؤمن أهل السنة بأن الله على كل شيء قدير فيقدر أن يهدي العباد ويقلب قلوبهم وأنه ماشاء الله كان وما لم يشأ لم يكن فلا يكون في ملكه مالا يريد ولا يعجز عن انفاذ مراده وانه خالق كل شيء من الاعيان والصفات والحركات

ويؤمنون أن العبد له قدرة ومشيئة وعمل وانه مختار ولا يسمونه مجبوراً اذ المجبور من أكره على خلاف اختياره والله سبحانه جعل العبد مختاراً لما يفعله فهو مختار مريد والله خالقه وخالق اختياره وهذا ليس له نظير فان الله ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله

وهم في باب الاسماء والاحكام والوعد والوعيد وسط بين الوعيدية الذين يجعلون أهل الكبائر من المسلمين مخلدين في النار ويخرجونهم من الايمان بالكلية ويكذبون بشفاعة النبي صلى الله عليه وسلم وبين المرجئة الذين يقولون ايمان الفساق مثل ايمان الانبياء والاعمال الصالحة ليست من الدين والايمان ويكذبون بالوعيد والعقاب بالكلية

فيؤمن أهل السنة والجماعة بأن فساق المسلمين معهم بعض الايمان وأصله وليس معهم جميع الايمان الواجب الذى يستوجبون به الجنة

وأنهم لايخلدون في النار بل يخرج منها من كان في قلبه مثقال حبة من ايمان أومثقال خردلة من ايمان

وأن النبي صلى الله عليه وسلم ادخر شفاعته لاهل الكبائر من أمته

وهم أيضاً فى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم وسط بين الغالية الذين يغالون في على رضى الله عنه فيفضلونه على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ويعتقدون أنه الامام المعصوم دونهما وأن الصحابة ظلموا وفسقوا وكفروا الامة بعدهم كذلك وربما جعلوه نبياً أو الهاً وبين الجافية الذين يعتقدون كفره وكفر عثمان رضى الله عنهما ويستحلون دماءهما ودماء من تولاهما ويستحبون سب على وعثمان ونحوهما ويقدحون فى خلافة على رضى الله عنه وامامته

وكذلك فى سائر أبواب السنة هم وسط لانهم متمسكون بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وما اتفق عليه السابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان

(فصل) وأنتم أصلحكم الله قد من الله عليكم بالانتساب الى الاسلام الذى هو دين الله وعافاكم الله مما ابتلى به من خرج عن الاسلام من المشركين وأهل الكتاب والاسلام أعظم النعم وأجلها فان الله لايقبل من أحد ديناً سواه ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين وعافاكم الله بانتسابكم الى السنة من أكثر البدع المضلة مثل كثير من بدع الروافض والجهمية والخوارج والقدرية بحيث جعل عندكم من البغض لمن يكذب باسماء الله وصفاته وقضائه وقدره

أو يسب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ماهو من طريقة أهل السنة والجماعة وهذا من أكبر نعم الله على من أنعم عليه بذلك فان هذا من تمام الايمان وكمال الدين ولهذا كثر فيكم من أهل الصلاح والدين وأهل القتال المجاهدين مالا يوجد مثله فى طوائف المبتدعين ومازال في عساكر المسلمين المنصورة وجنود الله المؤيدة منكم من يؤيد الله به الدين ويعز به المؤمنين وفى أهل الزهادة والعبادة منكم من له الاحوال الزكيه والطريقة المرضيه وله المكاشفات والتصرفات وفيكم من أولياء الله المتقين من له لسان صدق في العالمين فان قدماء المشايخ الذين كانوا فيكم مثل الملقب بشيخ الاسلام أبي الحسن على بن أحمد بن يوسف القرشي الهكارى وبعده الشيخ العارف القدوة عدى بن مسافر الاموى ومن سلك سبيلهما فيهم من الفضل والدين والصلاح والاتباع للسنة ماعظم الله به أقدارهم ورفع به منارهم والشيخ عدى قدس الله روحه كان من أفاضل عباد الله الصالحين وأكابر المشايخ المتبعين وله من الاحوال الزكيه والمناقب العليه مايعرفه أهل المعرفة بذلك وله في الامة صيت مشهور ولسان صدق مذكور وعقيدته المحفوظة عنه لم يخرج فيها عن عقيدة من تقدمه من المشايخ الذين سلك سبيلهم كالشيخ الامام الصالح أبي الفرج عبد الواحد بن محمد بن على الانصارى الشيرازى ثم الدمشقى وكشيخ الاسلام الهكارى ونحوهما وهؤلاء المشايخ لم يخرجوا في الاصول الكبار عن أصول أهل السنة والجماعة بل كان لهم من الترغيب فى أصول أهل السنة والدعاء اليها والحرص على نشرها ومنابذة من خالفها

مع الدين والفضل والصلاح مارفع الله به أقدارهم وأعلا منارهم وغالب مايقولونه في أصولها الكبار جيد مع أنه لابدوان يوجد في كلامهم وكلام نظرائهم من المسائل المرجوحة والدلائل الضعيفة كاحاديث لاتثبت ومقاييس لاتطرد مايعرفه أهل البصيرة

وذلك ان كل أحد يؤخذ من قوله ويترك الا رسول الله صلى الله عليه وسلم لاسيما المتأخرون من الامة الذين لم يحكموا معرفة الكتاب والسنة والفقه فيهما ويميزوا بين صحيح الاحاديث وسقيمها وناتج المقاييس وعقيمها مع ماينضم الى ذلك من غلبة الاهواء وكثرة الآراء وتغلظ الاختلاف والافتراق وحصول العداوة والشقاق فان هذه الاسباب ونحوها مما يوجب قوة الجهل والظلم اللذين نعت الله بهما الانسان فى قوله وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا فاذا من الله على الانسان بالعلم والعدل أنقذه من هذا الضلال وقد قال سبحانه والعصر ان الانسان لفى خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر وقد قال تعالى وجعلناهم أئمة يهدون بامرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون

وأنتم تعلمون أصلحكم الله أن السنة التي يجب اتباعها ويحمد أهلها ويذم من خالفها هى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمور الاعتقادات وأمور العبادات وسائر أمور الديانات وذلك انما يعرف بمعرفة أحاديث النبى صلي الله عليه وسلم الثابتة عنه فى أقواله وأفعاله وماتركه من قول وعمل ثم ما كان عليه السابقون والتابعون لهم باحسان

وذلك في دواوين الاسلام المعروفة مثل صحيحي البخارى ومسلم وكتب السنن مثل سنن أبى داود والنسائي وجامع الترمذي وموطأ الامام مالك ومثل المسانيد المعروفة كمثل مسند الامام أحمد وغيره ويوجد في كتب التفاسير والمغازى وسائر كتب الحديث جملها وأجزائها من الآثار مايستدل ببعضها على بعض وهذا أمر قد أقام الله له من أهل المعرفة من اعتنى به حتى حفظ الله الدين على أهله

وقد جمع طوائف من العلماء الاحاديث والآثار المروية فى أبواب عقائد أهل السنة مثل حماد بن سلمة وعبد الرحمن بن مهدى وعبد الله بن عبد الرحمن الدارمى وعثمان بن سعيد الدارمى وغيرهم في طبقتهم ومثلها مابوب عليه البخارى وأبو داود والنسائى وابن ماجه وغيرهم فى كتبهم ومثل مصنفات أبى بكر الأثرم وعبدالله بن أحمد وأبى بكر الخلال وأبى القاسم الطبرانى وأبى الشيخ الاصبهاني وأبي بكر الآجرى وأبى الحسن الدارقطنى وأبى عبد الله بن منده وأبى القاسم اللالكائى وأبى عبد الله بن بطه وأبى عمر الطلمنكى وأبى نعيم الاصبهاني وأبى بكر البيهقى وأبى ذر الهروي وان كان يقع في بعض هذه المصنفات من الاحاديث الضعيفة مايعرفه أهل المعرفة

(وقد) يروى كثير من الناس فى الصفات وسائر أبواب الاعتقادات وعامة أبواب الدين أحاديث كثيرة تكون مكذوبة موضوعة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي قسمان

منها مايكون كلاما باطلا لايجوز أن يقال فضلا عن ان يضاف الى

النبي صلى الله عليه وسلم

والقسم الثاني من الكلام مايكون قد قاله بعض السلف أو بعض العلماء أو بعض الناس ويكون حقا أو مما يسوغ فيه الاجتهاد أو مذهباً لقائله فيعزى الى النبي صلى الله عليه وسلم وهذا كثير عند من لا يعرف الحديث مثل المسائل التي وضعها الشيخ أبو الفرج عبد الواحد بن محمد بن على الانصارى وجعلها محنة يفرق فيها بين السنى والبدعى وهى مسائل معروفة عمل بعض الكذابين وجعل لها اسنادا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعلها من كلامه وهذا يعلمه من له أدني معرفة انه مكذوب مفترى وهذه المسائل وان كان غالبها موافقاً لاصول السنة ففيها ما اذا خالفه الانسان لم يحكم بأنه مبتدع مثل أول نعمة أنعم بها على عبده فان هذه المسئلة فيها نزاع بين أهل السنة والنزاع فيها لفظي لان مبناها على أن اللذة يعقبها ألم هل تسمي نعمة أم لا وفيها أيضاً أشياء مرجوحة

فالواجب أن يفرق بين الحديث الصحيح والحديث الكذب فان السنة هى الحق دون الباطل وهى الاحاديث الصحيحة دون الموضوعة فهذا أصل عظيم لاهل الاسلام عموما ولمن يدعى السنة خصوصاً

﴿ فصل ﴾ وقد تقدم ان دين الله وسط بين الغالى فيه والجافي عنه والله تعالى ما أمر عباده بأمر الا اعترض الشيطان فيه بأمرين لا يبالى بأيهما ظفر اما افراط فيه واما تفريط فيه واذا كان الاسلام الذى هو دين الله لا يقبل من أحد سواه قد اعترض الشيطان كثيراً ممن ينتسب

اليه حتى أخرجه عن كثير من شرائعه بل أخرج طوائف من أعبد هذه الامة وأورعها عنه حتى مرقوا منه كما يمرق السهم من الرمية وأمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتال المارقين منه فثبت عنه في الصحاح وغيرها من رواية أمير المؤمنين على بن أبى طالب وأبى سعيد الخدري وسهيل بن حنيف وأبى ذر الغفارى وسعد بن أبي وقاص وعبد الله ابن عمر وابن مسعود رضى الله عنهم وغير هؤلاء ان النبي صلى الله عليه وسلم ذكر الخوارج فقال يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم وقراءته مع قراءتهم يقرؤن القرآن لايجاوز حناجرهم يمرقون من الاسلام كما يمرق السهم من الرمية أينما لقيتموهم فاقتلوهم أو فقاتلوهم فان فى قتلهم أجراً عند الله لمن قتلهم يوم القيامة لئن أدركتهم لاقتلنهم قتل عاد وفي رواية شر قتلى تحت أديم السماء خير قتلى من قتلوه وفي رواية لو يعلم الذين يقاتلونهم مازوي لهم على لسان محمد صلى الله عليه وسلم لنكلوا عن العمل وهؤلاء لما خرجوا فى خلافة أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضى الله عنه قاتلهم هو وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بأمر النبى صلى الله عليه وسلم وتحضيضه على قتالهم واتفق على قتالهم جميع أئمة الاسلام

وهكذا كل من فارق جماعة المسلمين وخرج عن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وشريعته من أهل الاهواء المضلة والبدع المخالفة ولهذا قاتل المسلمون أيضاً الرافضة الذين هم شر من هؤلاء وهم الذين يكفرون جماهير المسلمين مثل الخلفاء الثلاثة وغيرهم ويزعمون

أنهم هم المؤمنون ومن سواهم كافر ويكفرون من يقول ان الله يري في الآخرة أو يؤمن بصفات الله وقدرته الكاملة ومشيئته الشاملة ويكفرون من خالفهم في بدعهم التي هم عليها فانهم يمسحون القدمين ولا يمسحون على الخف ويؤخرون الفطور والصلاة الي طلوع النجم ويجمعون بين الصلاتين من غير عذر ويقنتون في الصلوات الخمس ويحرمون الفقاع وذبائح أهل الكتاب وذبائح من خالفهم من المسلمين لانهم عندهم كفار ويقولون على الصحابة رضي الله عنهم أقوالا عظيمة لاحاجة الى ذكرها هنا الى أشياء أخرفقة تلهم المسلمون بامر الله ورسوله

فاذا كان على عهد رسول الله صلي الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين قد انتسب الي الاسلام من مرق منه مع عبادته العظيمة حتى أمر النبي صلي الله عليه وسلم بقتالهم فيعلم أن المنتسب الى الاسلام أو السنة في هذه الازمان قد يمرق أيضا من الاسلام والسنة حتى يدعى السنة من ليس من أهلها بل قد مرق منها وذلك باسباب

منها الغلو الذى ذمه الله تعالى في كتابه حيث قال ياأهل الكتاب لاتغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق انما المسيح عيسي بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه الى قوله وكفى بالله وكيلا وقال تعالى ياأهل الكتاب لاتغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل وقال النبي صلي الله عليه وسلم اياكم والغلو فى الدين فانه أهلك من كان قبلكم الغلو فى الدين وهو حديث صحيح

ومنها التفرق والاختلاف الذى ذكره الله تعالى فى كتابه العزيز

ومنها أحاديث تروى عن النبى صلى الله عليه وسلم وهى كذب عليه باتفاق أهل المعرفة يسمعها الجاهل بالحديث فيصدق بها لموافقة ظنه وهواه

وأصل الضلال اتباع الظن والهوى كما قال الله تعالى في حق من ذمهم ان يتبعون الا الظن وما تهوي الانفس ولقد جاءهم من ربهم الهدي وقال فى حق نبيه صلى الله عليه وسلم والنجم اذا هوى ماضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوي ان هو الا وحى يوحي فنزهه عن الضلال والغواية اللذين هما الجهل والظلم فالضال هو الذى لا يعلم الحق والغاوى الذى يتبع هواه وأخبر أنه ماينطق عن هوى النفس بل هو وحى أوحاه الله اليه فوصفه بالعلم ونزهه عن الهوى

وأنا أذكر جوامع من أصول الباطل التي ابتدعها طوائف ممن ينتسب الى السنة وقد مرق منها وصار من أكابر الظالمين وهى فصول

(الفصل الاول) أحاديث رووها في الصفات زائدة على الاحاديث التي في دواوين الاسلام مما نعلم باليقين القاطع انها كذب وبهتان بل كفر شنيع وقد يقولون من أنواع الكفر مالا يروون فيه حديثا مثل حديث يروونه ان الله ينزل عشية عرفة على جمل أورق يصافح الركبان ويعانق المشاة وهذا من أعظم الكذب على الله ورسوله صلي الله عليه وسلم وقائله من اعظم القائلين على الله غير الحق ولم يرو هذا الحديث أحد من علماء المسلمين أصلا بل أجمع علماء المسلمين وأهل المعرفة

بالحديث على انه مكذوب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أهل العلم كابن قتيبة وغيره هذا وأمثاله انما وضعه الزنادقة الكفار ليشينوا به أهل الحديث ويقولون انهم يرون مثل هذا

وكذلك حديث آخر فيه انه رأى ربه حين أفاض من مزدلفة يمشي أمام الحجيج وعليه جبة صوف أوما يشبه هذا البهتان والافتراء على الله الذي لايقوله من عرف الله ورسوله صلى الله عليه وسلم

وهكذا حديث فيه ان الله يمشي على الارض فاذا كان موضع خضرة قالوا هذا موضع قدميه ويقرؤن قوله تعالى فانظر الى آثار رحمة الله كيف يحيي الارض بعد موتها هذا أيضا كذب باتفاق العلماء ولم يقل الله فانظر الى آثار خطي الله وانما قال أثر رحمة الله ورحمته هنا النبات

وهكذا أحاديث في بعضها ان محمدا صلى الله عليه وسلم رأي ربه في الطواف وفى بعضها انه رآه وهو خارج من مكة وفى بعضها انه رآه فى بعض سكك المدينة الى أنواع أخر

وكل حديث فيه ان محمدا صلى الله عليه وسلم رأى ربه بعينه في الارض فهو كذب باتفاق المسلمين وعلمائهم هذا شئ لم يقله أحد من علماء المسلمين ولا رواه أحد منهم

وانما كان النزاع بين الصحابة في ان محمدا صلى الله عليه وسلم هل رأى ربه ليلة المعراج فكان ابن عباس رضى الله عنهما وأكثر علماء السنة يقولون ان محمدا صلى الله عليه وسلم رأي ربه ليلة المعراج وكانت عائشة رضى الله عنها وطائفة معها تنكر ذلك ولم ترو عائشة رضى الله

عنها في ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم شيئا ولا سألته عن ذلك ولا نقل في ذلك عن الصديق رضى الله عنه كما يروونه ناس من الجهال ان أباها سأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال نعم وقال لعائشة لا فهذا الحديث كذب باتفاق العلماء ولهذا ذكر القاضي أبو يعلى وغيره أنه اختلفت الرواية عن الامام أحمد رحمه الله هل يقال ان محمدا صلى الله عليه وسلم رأى ربه بعيني رأسه أو يقال بعين قلبه أو يقال رآه ولا يقال بعين رأسه ولا بعين قلبه على ثلاث روايات

وكذلك الحديث الذي رواه أهل العلم انه قال رأيت ربي في صورة كذا وكذا يروى من طريق ابن عباس ومن طريق أم الطفيل وغيرهما وفيه أنه وضع يده بين كتفي حتى وجدت بردانامله على صدري هذا الحديث لم يكن ليلة المعراج فان هذا الحديث كان بالمدينة وفي الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم نام عن صلاة الصبح ثم خرج اليهم وقال رأيت كذا وكذا وهو من رواية من لم يصل خلفه الا بالمدينة كام الطفيل وغيرها والمعراج انما كان من مكة باتفاق أهل العلم وبنص القرآن والسنة المتواترة كما قال الله تعالى سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى

فعلم ان هذا الحديث كان رؤيا منام بالمدينة كما جاء مفسرا في كثير من طرقه انه كان رؤيا منام مع أن رؤيا الانبياء وحي لم يكن رؤيا يقظة ليلة المعراج وقد اتفق المسلمون على ان النبي صلى الله عليه وسلم لم ير ربه بعينيه في الارض وان الله لم ينزل له الى الارض وليس عن النبي

صلى الله عليه وسلم قط حديث فيه ان الله نزل له الي الارض

بل الاحاديث الصحيحة ان الله يدنو عشية عرفة وفى رواية الى سماء الدنيا كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول من يدعونى فاستجيب له من يسألني فاعطيه من يستغفرني فاغفر له

وثبت في الصحيح ان الله يدنو عشية عرفة وفي رواية الى سماء الدنيا فيباهى الملائكة باهل عرفة فيقول انظروا الى عبادى أتوني شعثا غبرا ماأراد هؤلاء وقد روى ان الله ينزل ليلة النصف من شعبان ان صح الحديث فان هذا مما تكلم فيه أهل العلم

وكذلك ماروى بعضهم ان النبي صلى الله عليه وسلم لما نزل من حراء تبدى له ربه على كرسى بين السماء والارض غلط باتفاق أهل العلم بل الذى في الصحاح ان الذى تبدى له الملك الذى جاءه بحراء في أول مرة وقال له اقرأ فقلت لست بقارئ فاخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلنى فقال اقرأ فقلت لست بقارئ فاخذني فغطنى حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم الذى علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم فهذا أول مانزل على النبي صلى الله عليه وسلم ثم جعل النبي صلى الله عليه وسلم يحدث عن فترة الوحى قال فبينا أنا أمشي اذ سمعت صوتا فرفعت رأسى فاذا الملك الذى جاءنى بحراء جالس على كرسى بين السماء والارض رواه جابر رضى الله عنه فى الصحيحين فاخبر ان الملك الذى جاءه بحراء رآه بين السماء والارض وذكر أنه رعب منه فوقع في

بعض الروايات الملك فظن القارئ انه الملك وانه الله وهذا غلط وباطل

وبالجملة ان كل حديث فيه ان النبي صلى الله عليه وسلم رأى ربه بعينيه في الارض وفيه انه نزل له الى الارض وفيه ان رياض الجنة من خطوات الحق وفيه انه وطئ على صخرة بيت المقدس كل هذا كذب باطل باتفاق علماء المسلمين من أهل الحديث وغيرهم

وكذلك كل من ادعى انه رأى ربه بعينيه قبل الموت فدعواه باطل باتفاق أهل السنة والجماعة لانهم اتفقوا جميعهم على ان أحدا من المؤمنين لا يرى ربه بعيني رأسه حتى يموت وثبت ذلك في صحيح مسلم عن النواس ابن سمعان عن النبي صلى الله عليه وسلم انه لما ذكر الدجال قال واعلموا ان أحدا منكم لن يرى ربه حتى يموت وكذلك روى هذا عن النبي صلى الله عليه وسلم من وجوه أخر يحذر أمته فتنة الدجال و بين لهم ان أحدا منهم لن يري ربه حتى يموت فلا يظنن أحد ان هذا الدجال الذي رآه هو ربه ولكن الذى يقع لاهل حقائق الايمان من المعرفة بالله ويقين القلوب ومشاهدتها وتجلياتها هو على مراتب كثيرة قال النبي صلى الله عليه وسلم لما سأله جبريل عليه السلام عن الاحسان قال الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك

وقد يرى المؤمن ربه فى المنام في صور متنوعة على قدر ايمانه ويقينه فاذا كان ايمانه صحيحا لم يره الا في صورة حسنة واذا كان فى ايمانه نقص رأى ما يشبه ايمانه ورؤيا المنام لها حكم غير رؤيا الحقيقة فى اليقظة ولها تعبير وتأويل لما فيها من الامثال المضروبة للحقائق

(وقد) يحصل لبعض الناس فى اليقظة أيضا من الرؤيا نظير مايحصل للنائم في المنام فيرى بقلبه مثل مايرى النائم * وقد يتجلى له من الحقائق مايشهده بقلبه فهذا كله يقع في الدنيا

وربما غلب أحدهم مايشهده قلبه وتجمعه حواسه فيظن انه رأى ذلك بعينى رأسه حتي يستيقظ فيعلم انه منام وربما علم فى المنام انه منام

فهكذا من العباد من يحصل له مشاهدة قلبية تغلب عليه حتي تفنيه عن الشعور بحواسه فيظنها رؤية بعينه وهو غالط في ذلك وكل من قال من العباد المتقدمين أو المتأخرين انه رأى ربه بعينى رأسه فهو غالط فى ذلك باجماع أهل العلم والايمان

نعم رؤية الله بالابصار هى للمؤمنين في الجنة وهى أيضا للناس في عرصات القيامة كما تواترت الاحاديث عن النبى صلى الله عليه وسلم حيث قال انكم سترون ربكم كما ترون الشمس فى الظهيرة ليس دونها سحاب وكما ترون القمر ليلة البدر صحوا ليس دونه سحاب وقال صلى الله عليه وسلم جنات الفردوس أربع جنتان من ذهب آنيتهما وحليتهما ومافيهما وجنتان من فضة آنيتهما وحليتهما ومافيهما ومابين القوم وبين أن ينظروا الى ربهم الارداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن وقال صلي الله عليه وسلم اذا دخل أهل الجنة الجنة نادي مناد ياأهل الجنة ان لكم عند الله موعدا يريد أن ينجزكموه فيقولون ماهو ألم يبيض وجوهنا ويثقل موازيننا ويدخلنا الجنة ويجرنا من النار فيكشف الحجاب فينظرون اليه فما أعطاهم شيئا أحب اليهم من النظر اليه وهى الزيادة

وهذه الاحاديث وغيرها فى الصحاح وقد تلقاها السلف والائمة بالقبول واتفق عليها أهل السنة والجماعة وانما يكذب بها أو يحرفها الجهمية ومن تبعهم من المعتزلة والرافضة ونحوهم الذين يكذبون بصفات الله تعالى وبرؤيته وغير ذلك وهم المعطلة شرار الخلق والخليقة

ودين الله وسط بين تكذيب هؤلاء بما أخبر به رسوله صلى الله عليه وسلم فى الآخرة وبين تصديق الغالية بأنه يرى بالعيون فى الدنيا وكلاهما باطل

وهؤلاء الذين يزعم أحدهم انه يراه بعينى رأسه في الدنيا هم ضلال كما تقدم فان ضموا الى ذلك انهم يرونه فى بعض الاشخاص اما بعض الصالحين أو بعض المردان أو بعض الملوك أو غيرهم عظم ضلالهم وكفرهم وكانوا حينئذ أضل من النصارى الذين يزعمون انهم رأوه في صورة عيسى ابن مريم بل هم أضل من اتباع الدجال الذى يكون فى آخر الزمان ويقول للناس أنا ربكم ويأمر السماء فتمطر والارض فتنبت ويقول للخربة اخرجي كنوزك فتتبعه كنوزها وهذا هو الذى حذر منه النبي صلى الله عليه وسلم أمته وقال مامن خلق آدم الى قيام الساعة فتنة أعظم من الدجال وقال اذا جلس أحدكم في الصلاة فليستعذ بالله من أربع ليقل اللهم انى أعوذ بك من عذاب جهنم وأعوذ بك من عذاب القبر وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال فهذا ادعى الربوبية وأتى بشبهات فتن بها الخلق حتى قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم انه أعور وان ربكم ليس بأعور واعلموا ان

أحدا منكم لن يرى ربه حتى يموت فذكر لهم علامتين ظاهرتين يعرفهما جميع الناس لعلمه صلى الله عليه وسلم بأن من الناس من يضل فيجوز أن يرى ربه في الدنيا في صورة البشر كهؤلاء الضلال الذين يعتقدون ذلك وهؤلاء قد يسمون الحلولية والاتحادية

وهم صنفان قوم يخصونه بالحلول أو الاتحاد في بعض الاشياء كما يقوله النصارى في المسيح عليه السلام والغالية فى على رضى الله عنه ونحوه وقوم فى أنواع من المشايخ وقوم في بعض الملوك وقوم فى بعض الصور الجميلة الى غير ذلك من الاقوال التي هى شر من مقالة النصارى

وصنف يعمون فيقولون بحلوله أو اتحاده فى جميع الموجودات حتى الكلاب والخنازير والنجاسات وغيرها كما يقول ذلك قوم من الجهمية ومن تبعهم من الاتحادية كأصحاب ابن عربى وابن سبعين وابن الفارض والتلمسانى والبليانى وغيرهم

ومذهب جميع المرسلين ومن تبعهم من المؤمنين وأهل الكتب ان الله سبحانه خالق العالمين ورب السموات والارض ومابينهما ورب العرش العظيم والخلق جميعهم عباده وهم فقراء اليه

وهو سبحانه فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه ومع هذا فهو معهم أينما كانوا كما قال سبحانه وتعالى هو الذى خلق السموات والارض ومابينهما فى ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم مايلج فى الارض ومايخرج منها وماينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير

فهؤلاء الضلال الكفار الذين يزعم أحدهم انه يرى ربه بعينيه وربما زعم انه جالسه وحادثه أو ضاجعه وربما يعين أحدهم آدميا اما شخصا أو صبيا أو غير ذلك ويزعم انه كلمهم يستتابون فان تابوا والا ضربت أعناقهم وكانوا كفارا اذهم أكفر من اليهود والنصارى الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم فان المسيح رسول كريم وجيه عند الله فى الدنيا والآخرة ومن المقربين فاذا كان الذين قالوا انه هو الله وانه اتحد به أو حل فيه قد كفرهم وعظم كفرهم بل الذين قالوا انه اتخذ ولدا حتى قال وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا ادا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا أن دعوا للرحمن ولداً وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولداً ان كل من في السموات والارض الا آت الرحمن عبداً فكيف بمن يزعم فى شخص من الاشخاص انه هو هذا ا كفر من الغالية الذين يزعمون ان علياً رضى الله عنه أوغيره من أهل البيت هو الله

وهؤلاء هم الزنادقة الذين حرقهم على رضى الله عنه بالنار وأمر باخاديد خدت لهم عند باب كنده وقذفهم فيها بعد ان أجلهم ثلاثا ليتوبوا فلما لم يتوبوا أحرقهم بالنار واتفقت الصحابة رضى الله عنهم على قتلهم لكن ابن عباس رضى الله عنهما كان مذهبه أن يقتلوا بالسيف بلا تحريق وهو قول أكثر العلماء وقصتهم معروفة عند العلماء

﴿ فصل ﴾ وكذلك الغلو في بعض المشايخ اما في الشيخ عدى ويونس القتى أو الحلاج وغيرهم بل الغلو في علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه

ونحوه بل الغلو فى المسيح عليه السلام ونحوه فكل من غلا فى حى
أو فى رجل صالح كمثل على رضى الله عنه أوعدى أو نحوه أو في
من يعتقد فيه الصلاح كالحلاج أو الحاكم الذى كان بمصر أو يونس القتى
ونحوهم وجعل فيه نوعا من الالهية مثل أن يقول كل رزق لايرزقنيه
الشيخ فلان ما أريده أو يقول اذا ذبح شاة باسم سيدى أو يعبده بالسجود
له أو لغيره أو يدعوه من دون الله تعالى مثل أن يقول ياسيدى فلان
اغفرلى أو ارحمنى أو انصرنى أو ارزقني أو أغثني أو أجرنى اوتوكلت
عليك أو أنت حسبى أو أنا في حسبك أو نحو هذه الاقوال والافعال
التى هى من خصائص الربوبية التى لاتصلح الا لله تعالى فكل هذا
شرك وضلال يستتاب صاحبه فان تاب والا قتل فان الله انما أرسل
الرسل وأنزل الكتب لنعبد الله وحده لاشريك له ولا نجعل مع الله
الها آخر

والذين كانوا يدعون مع الله آلهة أخرى مثل الشمس والقمر
والكواكب والعزير والمسيح والملائكة واللات والعزى ومناة الثالثة
الاخرى ويغوث ويعوق ونسرا وغير ذلك لم يكونوا يعتقدون انها
تخلق الخلائق أو انها تنزل المطر أو انها تنبت النبات وانما كانوا يعبدون
الانبياء والملائكة والكواكب والجن والتماثيل المصورة لهؤلاء أو
يعبدون قبورهم ويقولون انما نعبدهم ليقربونا الى الله زلفى

ويقولون هم شفعاؤنا عند الله فارسل الله رسله تنهي أن يدعى
أحد من دونه لادعاء عبادة ولا دعاء استغاثة وقال تعالي قل ادعوا الذين

زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا

قال طائفة من السلف كان اقوام يدعون المسيح وعزيرا والملائكة فقال الله لهم هؤلاء الذين تدعونهم يتقربون الىّ كما تتقربون ويرجون رحمتي كما ترجون رحمتي ويخافون عذابي كما تخافون عذابي وقال تعالي قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا فى الارض وما لهم فيهما من شرك وماله منهم من ظهير ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له فاخبر سبحانه ان ما يدعى من دون الله ليس له مثقال ذرة في الملك ولا شرك في الملك وانه ليس له من الخلق عون يستعين به وانه لا تنفع الشفاعة عنده الا باذنه

وقال تعالى وكم من ملك في السموات لا تغنى شفاعتهم شيأ الا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى وقال تعالى أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل أو لو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون قل لله الشفاعة جميعا له ملك السموات والارض ثم اليه ترجعون وقال تعالي ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبؤن الله بما لا يعلم في السموات ولا فى الارض الآية

وعبادة الله وحده هى أصل الدين وهو التوحيد الذى بعث الله به الرسل وأنزل به الكتب فقال تعالى واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون وقال تعالى ولقد بعثنا فى

كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت وقال تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول الا يوحي اليه أنه لا اله الا أنا فاعبدون

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يحقق التوحيد ويعلمه أمته حتي قال له رجل ماشاء الله وشئت فقال أجعلتني لله ندا بل ماشاء الله وحده وقال لاتقولوا ماشاء الله وشاء محمد ولكن ماشاء الله ثم ماشاء محمد ونهي عن الحلف بغير الله فقال من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت وقال من حلف بغير الله فقد أشرك وقال لا تطروني كما اطرت النصارى عيسى بن مريم انما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله

ولهذا اتفق العلماء على انه ليس لاحد أن يحلف بمخلوق كالكعبة ونحوها

ونهى النبي صلى الله عليه وسلم عن السجود له ولما سجد بعض أصحابه نهاه عن ذلك وقال لا يصلح السجود الا لله وقال لو كنت آمرا أحدا أن يسجد لاحد لامرت المرأة أن تسجد لزوجها وقال لمعاذ بن جبل رضى الله عنه أرأيت لو مررت بقبرى أكنت ساجدا له قال لا قال فلا تسجد لى

ونهي النبي صلي الله عليه وسلم عن اتخاذ القبور مساجد فقال في مرض موته لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد يحذر مافعلوا قالت عائشة رضى الله عنها ولولا ذلك لابرز قبره ولكن كره أن يتخذ مسجدا وفى الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم انه قال

قبل أن يموت بخمس ان من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد ألا فلا تتخذوا بيتى عيدا ولا بيوتكم قبورا وصلوا على حيثما كنتم فان صلاتكم تبلغنى ولهذا اتفق أئمة الاسلام على انه لا يشرع بناء المسجد على القبور ولا تشرع الصلاة عند القبور بل كثير من العلماء يقول الصلاة عندها باطلة

والسنة فى زيارة قبور المسلمين نظير الصلاة عليهم قبل الدفن قال الله تعالى في كتابه عن المنافقين ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره فكان دليل الخطاب ان المؤمنين يصلى عليهم ويقام على قبورهم

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يعلم أصحابه اذا زاروا القبور أن يقولوا السلام عليكم أهل دار قوم مؤمنين وانا ان شاء الله بكم لاحقون يرحم الله المستقدمين منا ومنكم والمستأخرين نسأل الله لنا ولكم العافية اللهم لا تحرمنا أجرهم ولا تفتنا بعدهم واغفر لنا ولهم

وذلك ان من أكبر أسباب عبادة الاوثان كان التعظيم للقبور بالعبادة ونحوها قال الله تعالى فى كتابه وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا

قال طائفة من السلف كانت هذه أسماء قوم صالحين فلما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم وعبدوها

ولهذا اتفق العلماء على ان من سلم على النبى صلى الله عليه وسلم عند قبره أنه لا يتمسح بحجرته ولا يقبلها لان التقبيل والاستلام انما

تكون لاركان بيت الله الحرام فلا يشبه بيت المخلوق ببيت الخالق

وكذلك الطواف والصلاة والاجتماع للعبادات انما تقصد في بيوت الله وهى المساجد التي أذن الله أن ترفع و يذكر فيها اسمه فلا تقصد بيوت المخلوقين فتتخذ عيدا كما قال صلى الله عليه وسلم لاتتخذوا بيتي عيدا كل هذا لتحقيق التوحيد الذى هو أصل الدين و رأسه الذى لايقبل الله عملا الا به ويغفر لصاحبه ولا يغفر لمن تركه وكما قال تعالي ان الله لايغفر أن يشرك به و يغفر مادون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما

ولهذا كانت كلمة التوحيد أفضل الكلام وأعظمه فاعظم آية فى القرآن آية الكرسى الله لااله الا هو الحي القيوم لاتأخذه سنة ولانوم وقال صلى الله عليه وسلم من كان آخر كلامه لااله الا الله دخل الجنة والاله الذى يألهه القلب عبادة له واستعانة ورجاء له وخشية واجلالا واكراما

(فصل)ومن ذلك الاقتصاد في السنة واتباعها كما جاءت بلا زيادة ولا نقصان مثل الكلام في القرآن وسائر الصفات فان مذهب سلف الامة وأهل السنة ان القرآن كلام الله منزل غير مخلوق منه بدا واليه يعود هكذا قال غير واحد من السلف روى عن سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار وكان من التابعين الاعيار قال مازلت أسمع الناس يقولون ذلك

والقرآن الذى أنزله الله على رسوله صلى الله عليه وسلم هو هذا

القرآن الذي يقرؤه المسلمون ويكتبونه في مصاحفهم وهو كلام الله لا كلام غيره وان تلاه العباد وبلغوه بحركاتهم وأصواتهم فان الكلام لمن قاله مبتدئا لا لمن قاله مبلغا مؤديا قال الله تعالى وان أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه وهذا القرآن فى المصاحف كما قال تعالى بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ وقال تعالى يتلو صحفا مطهرة فيها كتب قيمة وقال انه لقرآن كريم فى كتاب مكنون والقرآن كلام الله بحروفه ونظمه ومعانيه كل ذلك يدخل فى القرآن وفى كلام الله واعراب الحروف هو من تمام الحروف كما قال النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ القرآن فاعربه فله بكل حرف عشر حسنات وقال أبو بكر وعمر رضى الله عنهما حفظ اعراب القرآن أحب الينا من حفظ بعض حروفه

واذا كتب المسلمون مصحفا فان أحبوا ان لا ينقطوه ولا يشكلوه جاز ذلك كما كان الصحابة يكتبون المصاحف من غير تنقيط ولا تشكيل لان القوم كانوا عربا لا يلحنون وهكذا هى المصاحف التى بعث بها عثمان رضى الله عنه الي الامصار في زمن التابعين

ثم فشا اللحن فنقطت المصاحف وشكلت بالنقط الحمر ثم شكلت بمثل خط الحروف فتنازع العلماء فى كراهة ذلك وفيه خلاف عن الامام أحمد رحمه الله وغيره من العلماء قيل يكره ذلك لانه بدعة وقيل لا يكره للحاجة اليه وقيل يكره النقط دون الشكل لبيان الاعراب والصحيح انه لا بأس به

والتصديق بما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يتكلم بصوت وينادي آدم عليه السلام بصوت الي أمثال ذلك من الاحاديث فهذه الجملة كان عليها سلف الامة وأئمة السنة

وقال أئمة السنة القرآن كلام الله تعالى غير مخلوق حيث تلي وحيث كتب فلا يقال لتلاوة العبد بالقرآن انها مخلوقة لان ذلك يدخل فيه القرآن المنزل ولا يقال غير مخلوقة لان ذلك يدخل فيه أفعال العباد

ولم يقل قط احد من أئمة السلف ان اصوات العباد بالقرآن قديمة بل انكروا على من قال لفظ العبد بالقرآن غير مخلوق واما من قال ان المداد قديم فهذا من اجهل الناس وابعدهم عن السنة قال الله تعالى قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا فاخبر ان المداد يكتب به كلماته

وكذلك من قال ليس القرآن في المصحف وانما في المصحف مداد وورق أو حكاية وعبارة فهو مبتدع ضال بل القرآن الذي انزله الله على محمد صلى الله عليه وسلم هو ما بين الدفتين والكلام في المصحف على الوجه الذي يعرفه الناس له خاصة يمتاز بها عن سائر الاشياء

وكذلك من زاد على السنة فقال ان ألفاظ العباد واصواتهم قديمة فهو مبتدع ضال كمن قال ان الله لا يتكلم بحرف ولا بصوت فانه أيضا مبتدع منكر للسنة

وكذلك من زاد وقال ان المداد قديم فهو ضال كمن قال ليس

في المصاحف كلام الله واما من زد على ذلك من الجهال الذين يقولون ان الورق والجلد والوتد وقطعة من الحائط كلام الله فهو بمنزلة من يقول ماتكلم الله بالقرآن ولا هو كلامه هذا الغلو من جانب الاثبات يقابل التكذيب من جانب النفي وكلاهما خارج عن السنة والجماعة

وكذلك افراد الكلام في النقطة والشكلة بدعة نفيا واثباتا وانما حدثت هذه البدعة من مائة سنة أو أكثر بقليل فان من قال ان المداد الذى تنقط به الحروف ويشكل به قديم فهو ضال جاهل ومن قال ان اعراب حروف القرآن ليس من القرآن فهو ضال مبتدع

بل الواجب أن يقال هذا القرآن العربي هو كلام الله وقد دخل في ذلك حروفه باعرابها كما دخلت معانيه ويقال مابين اللوحين جميعه كلام الله فان كان المصحف منقوطا مشكولا أطلق على مابين اللوحين جميعه انه كلام الله وان كان غير منقوط ولا مشكول كالمصاحف القديمة التى كتبها الصحابة كان أيضا مابين اللوحين هو كلام الله فلا يجوز أن تلقى الفتنة بين المسلمين بأمر محدث ونزاع لفظي لا حقيقة له ولا يجوز أن يحدث في الدين ماليس منه

(فصل) وكذلك يجب الاقتصاد والاعتدال في أمر الصحابة والقرابة رضي الله عنهم فان الله تعالى أثنى على أصحاب نبيه صلى الله عليه وسلم من السابقين والتابعين لهم باحسان وأخبر أنه رضى عنهم ورضوا عنه وذكرهم في آيات من كتابه مثل قوله تعالى محمد رسول الله والذين معه أشداء على

الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم في الانجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجراً عظيما وقال تعالى لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم مافى قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً

وفي الصحاح عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال لاتسبوا أصحابى فوالذى نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً مابلغ مد احدهم ولا نصيفه

وقد اتفق أهل السنة والجماعة على ماتواتر عن أمير المؤمنين على ابن أبى طالب رضى الله عنه أنه قال خير هذه الامة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر رضي الله عنهما واتفق أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على بيعة عثمان بعد عمر رضى الله عنهما وثبت عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال خلافة النبوة ثلاثون سنة ثم تصير ملكا وقال صلى الله عليه وسلم عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ واياكم ومحدثات الامور فان كل بدعة ضلالة

وكان أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه آخر الخلفاء الراشدين المهديين

وقد اتفق عامة أهل السنة من العلماء والعباد والامراء والاجناد على أن يقولوا أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم على رضى الله عنهم ودلائل ذلك وفضائل الصحابة كثير ليس هذا موضعه

وكذلك نؤمن بالامساك عما شجر بينهم ونعلم أن بعض المنقول فى ذلك كذب وهم كانوا مجتهدين اما مصيبين لهم اجران أو مثابين على عملهم الصالح مغفور لهم خطؤهم وما كان لهم من السيآت وقد سبق لهم من الله الحسنى فان الله يغفرها لهم اما بتوبة أو بحسنات ماحية أو مصائب مكفرة أو غير ذلك فانهم خير قرون هذه الامة كما قال صلى الله عليه وسلم خير القرون قرنى الذي بعثت فيهم ثم الذين يلونهم وهذه خير أمة أخرجت للناس

ونعلم مع ذلك ان على بن أبي طالب رضى الله عنه كان أفضل وأقرب الى الحق من معاوية وممن قاتله معه لما ثبت في الصحيحين عن أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال تمرق مارقة على حين فرقة من المسلمين تقتلهم أدنى الطائفتين الي الحق وفي هذا الحديث دليل على أنه مع كل طائفة حق وان عليا رضى الله عنه أقرب الي الحق

وأما الذين قعدوا عن القتال في الفتنة كسعد بن أبى وقاص وابن عمر وغيرهما رضى الله عنهم فاتبعوا النصوص التي سمعوها في ذلك عن القتال في الفتنة وعلى ذلك أكثر أهل الحديث

وكذلك آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم من الحقوق

ما يجب رعايتها فان الله جعل لهم حقاً فى الخمس والفىء وأمر بالصلاة عليهم مع الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لنا قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل ابراهيم انك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل ابراهيم انك حميد مجيد وآل محمد هم الذين حرمت عليهم الصدقة هكذا قال الشافعى وأحمد ابن حنبل وغيرهما من العلماء رحمهم الله فان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الصدقة لاتحل لمحمد ولا لآل محمد وقد قال الله تعالى فى كتابه انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا وحرم الله عليهم الصدقة لانها أوساخ الناس وقد قال بعض السلف حب أبي بكر وعمر ايمان وبغضهما نفاق وفي المسانيد والسنن أن النبى صلى الله عليه وسلم قال للعباس لما شكا اليه جفوة قوم لهم قال والذي نفسى بيده لايدخلون الجنة حتي يحبوكم من أجلى

وفي الصحيح عن النبي صلي الله عليه وسلم أنه قال ان الله اصطفى بنى اسماعيل واصطفى بنى كنانة من بنى اسماعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى بنى هاشم من قريش واصطفانى من بنى هاشم

وقد كانت الفتنة لما وقعت بقتل عثمان وافتراق الامة بعده صار قوم ممن يحب عثمان ويغلو فيه ينحرف عن علىّ رضى الله عنه مثل كثير من أهل الشام ممن كان اذ ذاك يسب علياً رضى الله عنه ويبغضه

وقوم ممن يحب علياً رضى الله عنه ويغلو فيه ينحرف عن عثمان رضى الله عنه مثل كثير من أهل العراق ممن كان يبغض عثمان ويسبه

رضى الله عنه

ثم تغلظت بدعتهم بعد ذلك حتى سبوا أبا بكر وعمر رضى الله عنهما وزاد البلاء بهم حينئذ

والسنة محبة عثمان وعلى جميعا وتقديم أبى بكر وعمر عليهما رضى الله عنهم لما خصهما الله به من الفضائل التى سبقا بها عثمان وعليا جميعاً وقد نهي الله في كتابه عن التفرق والتشتت وأمر بالاعتصام بحبله

فهذا موضع يجب للمؤمن أن يتثبت فيه ويعتصم بحبل الله فان السنة مبناها على العلم والعدل والاتباع لكتاب الله وسنة رسوله صلي الله عليه وسلم

فالرافضة لما كانت تسب الصحابة صار العلماء يأمرون بعقوبة من يسب الصحابة ثم كفرت الصحابة وقالت عنهم أشياء قد ذكرنا حكمهم فيها في غير هذا الموضع

ولم يكن أحد اذذاك يتكلم فى يزيد بن معاوية ولا كان الكلام فيه من الدين ثم حدثت بعد ذلك أشياء فصار قوم يظهرون لعنة يزيد ابن معاوية وربما كان غرضهم بذلك التطرق الى لعنة غيره فكره أكثر أهل السنة لعنة أحد بعينه فسمع بذلك قوم ممن كان يتسنن فاعتقد أن يزيد كان من كبار الصالحين وأئمة الهدي وصار الغلاة فيه على طرفي نقيض هؤلاء يقولون انه كافر زنديق وانه قتل ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وقتل الانصار وأبناءهم بالحرة ليأخذ بثأر أهل بيته الذين قتلوا كفاراً مثل جده لامه عتبة بن ربيعة وخاله الوليد

وغيرهما ويذكرون عنه من الاشتهار بشرب الخمر واظهار الفواحش أشياء وأقوام يعتقدون أنه كان اماما عادلا هاديا مهديا وانه كان من الصحابة أو أكابر الصحابة وانه كان من أوليا الله تعالى وربما اعتقد بعضهم انه كان من الانبياء ويقولون من وقف فى يزيد وقفه الله على نار جهنم ويروون عن الشيخ حسن بن عدى انه كان كذا وكذا ولياً وقفوا على النار لقولهم فى يزيد وفى زمن الشيخ حسن زادوا أشياء باطلة نظماً ونثراً وغلوا فى الشيخ عدى وفي يزيد باشياء مخالفة لما كان عليه الشيخ عدى الكبير قدس الله روحه فان طريقته كانت سليمة لم يكن فيها من هذه البدع وابتلوا بروافض عادوهم وقتلوا الشيخ حسنا وجرت فتن لايحبها الله ولارسوله

وهذا الغلو فى يزيد من الطرفين خلاف لما أجمع عليه أهل العلم بالايمان

فان يزيد بن معاوية ولد في خلافة عثمان بن عفان رضى الله عنه ولم يدرك النبي صلى الله عليه وسلم ولا كان من الصحابة باتفاق العلماء ولا كان من المشهورين بالدين والصلاح وكان من شبان المسلمين ولا كان كافراً ولا زنديقاً وتولى بعد أبيه على كراهة من بعض المسلمين ورضا من بعضهم وكان فيه شجاعة وكرم ولم يكن مظهراً للفواحش كما يحكي عنه خصومه

وجرت فى امارته أمور عظيمة أحدها مقتل الحسين رضى الله عنه وهو لم يأمر بقتل الحسين ولا أظهر الفرح بقتله ولا نكت بالقضيب

على ثناياه رضى الله عنه ولا حمل رأس الحسين رضى الله عنه الى الشام لكن أمر بمنع الحسين رضى الله عنه وبدفعه عن الامر ولو كان بقتاله فزاد النواب على أمره وحض الشمر ذى الجيوش على قتله لعبيد الله ابن زياد فاعتدي عليه عبيدالله بن زياد فطلب منهم الحسين رضى الله عنه أن يجيء الى يزيد أو يذهب الي الثغر مرابطاً أو يعود الى مكة فمنعوه رضى الله عنه الا أن يستأسر لهم وأمر عمر بن سعد بقتاله فقتلوه مظلوما له ولطائفة من أهل بيته رضى الله عنهم

وكان قتله رضي الله عنه من المصائب العظيمة فان قتل الحسين وقتل عثمان قبله كانا من أعظم أسباب الفتن فى هذه الامة وقتلتهما من شرار الخلق عند الله ولما قدم أهلهم رضى الله عنهم على يزيد بن معاوية أكرمهم وسيرهم الى المدينة وروى عنه انه لعن زيادا على قتله وقال كنت أرضى من طاعة أهل العراق بدون قتل الحسين لكنه مع هذا لم يظهر منه انكار قتله والانتصار له والاخذ بثاره كان هو الواجب عليه فصار أهل الحق يلومونه على تركه الواجب مضافا الى أمور أخري وأما خصومه فيزيدون عليه من الفرية أشياء

وأما الامر الثاني فان أهل المدينة النبوية نقضوا بيعته وأخرجوا نوابه وأهله فبعث اليهم جيشاً وأمره اذا لم يطيعوه بعد ثلاث أن يدخلها بالسيف ويبيحها ثلاثا فصار عسكره في المدينة النبوية ثلاثا يقتلون وينهبون و يفتضون الفروج المحرمة ثم أرسل جيشاً الي مكة المشرفة

فحاصروا مكة وتوفي يزيدوهم محاصرون مكة وهذامن العدوان والظلم الذى فعل بأمره

ولهذا كان الذى عليه مقتصد أهل السنة وأئمة الامة أنه لا يسب ولا يحب قال صالح بن أحمد بن حنبل قلت لابى ان قوما يقولون انهم يحبون يزيد قال يابني وهل يحب يزيد أحد يؤمن بالله واليوم الآخر فقلت ياأبتي فلماذا لاتلعنه قال يابنى ومتي رأيت أباك يلعن أحداً

وروى عنه قيل له تكتب الحديث عن يزيد بن معاوية فقال لا ولا كرامة أو ليس هو الذى فعل بأهل المدينة مافعل

فيزيد عند علماء أئمة المسلمين ملك من الملوك لايحبونه محبة الصالحين وأولياء الله ولا يسبونه فانهم لايحبون لعنة المسلم المعين لما روى البخارى فى صحيحه عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن رجلا كان يدعى حمارا وكان يكثر شرب الخمر وكان كلما أتي به الى النبى صلى الله عليه وسلم ضربه فقال رجل لعنه الله ماأكثر ما يؤتى به الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال النبى صلى الله عليه وسلم لاتلعنه فانه يحب الله ورسوله

ومع هذا فطائفة من أهل السنة يجيزون لعنه لانهم يعتقدون أنه فعل من الظلم مايجوز لعنة فاعله وطائفة أخرى ترى محبته لانه مسلم تولى على عهد الصحابة وبايعه الصحابة ويقولون لم يصح عنه مانقل عنه وكانت له محاسن ولم يصح عنه مانقل عنه أوكان مجتهدا فيما فعله

والصواب هو ماعليه الائمة من أنه لم يخص بمحبة ولا يلعن ومع هذا فان كان فاسقا أوظالما فالله يغفر للفاسق والظالم لاسيما اذا أتى بحسنات

عظيمة

وقد روى البخاري في صحيحه عن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال أول جيش يغزو القسطنطينية مغفور له وأول جيش غزاها كان أميرهم يزيد بن معاوية وكان معه أبو أيوب الانصاري رضى الله عنه

وقد يشتبه يزيد بن معاوية بعمه يزيد بن أبى سفيان فان يزيد بن أبي سفيان كان من الصحابة وكان من خيار الصحابة وهو خير آل حرب وكان أحد أمراء الشام الذين بعثهم أبو بكر رضى الله عنه فى فتوح الشام ومشى أبو بكر في ركابه يوصيه مشيعا له فقال له ياخليفة رسول الله اما أن تركب واما أن أنزل فقال لست براكب ولست بنازل انى أحتسب خطاى هذه في سبيل الله فلما توفى بعد فتوح الشام فى خلافة عمر ولى عمر رضى الله عنه مكانه أخاه معاوية وولد له يزيد فى خلافة عثمان بن عفان رضى الله عنه وأقام معاوية بالشام الي أن وقع ما وقع

فالواجب الاقتصار فى ذلك والاعراض عن ذكر يزيد بن معاوية وامتحان المسلمين به فان هذا من البدع المخالفة لاهل السنة والجماعة فانه بسبب ذلك اعتقد قوم من الجهال أن يزيد بن معاوية من الصحابة وانه من أكابر الصالحين وأئمة العدل وهو خطأ بين

(فصل) وكذلك التفريق بين الامة وامتحانها بما لم يأمر الله به ولا رسوله مثل أن يقال للرجل أنت شكيلى أو قرفندى فان هذه أسماء باطلة ما أنزل الله بها من سلطان وليس فى كتاب الله ولا سنة رسوله ولا في الآثار المعروفة عن سلف الائمة لا شكيلي ولا قرفندي والواجب

على المسلم اذا سئل عن ذلك أن يقول لا أنا شكيلى ولا قرفندى بل أنا مسلم متبع لكتاب الله وسنة رسوله

وقد روينا عن معاوية بن أبى سفيان انه سأل عبد الله بن عباس رضى الله عنهما فقال أنت على ملة على أو ملة عثمان فقال لست على ملة علي ولا على ملة عثمان بل أنا على ملة رسول الله صلي الله عليه وسلم وكذلك كان كل من السلف يقولون كل هذه الاهواء في النار ويقول أحدهم ماأبالى أي النعمتين أعظم على ان هدانى الله للاسلام أو ان جنبنى هذه الاهواء والله تعالى قد سمانا في القرآن المسلمين المؤمنين عباد الله فلا نعدل عن الاسماء التي سمانا الله بها الي اسماء أحدثها قوم وسموها هم وآباؤهم ماأنزل الله بها من سلطان

بل الاسماء التى قد يسوغ التسمى بها مثل انتساب الناس الي امام كالحنفى والمالكي والشافعى والحنبلي أو الى شيخ كالقادرى والعدوي ونحوهم أو مثل الانتساب الى القبائل كالقيسى واليمانى والي الامصار كالشامى والعراقي والمصرى

فلا يجوز لاحد أن يمتحن الناس بها ولا يوالي بهذه الاسماء ولا يعادى عليها بل أكرم الخلق عند الله أتقاهم من أى طائفة كان

وأولياء الله الذين هم أولياؤه هم الذين آمنوا وكانوا يتقون فقد أخبر سبحانه ان أولياءه هم المؤمنون المتقون وقد بين المتقين في قوله تعالى ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال

على حبه ذوى القربي واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون والتقوى هى فعل ماأمر الله به وترك مانهى الله عنه

وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن حال أولياء الله وماصاروا به أولياء ففى صحيح البخارى عن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تبارك وتعالي من عادى لى وليا فقد بارزني بالمحاربة وما تقرب الي عبدى بمثل آداء ماافترضت عليه ولايزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التي يمشى بها فبي يسمع وبى يبصر وبي يبطش ولان سألني لاعطينه ولان استعاذني لاعيذنه ومانرددت عن شئ أنا فاعله ترددى عن قبض نفس عبدى المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولابدله منه

فقد ذكر في هذا الحديث ان التقرب الى الله تعالي على درجتين * احداهما التقرب اليه بالفرائض * والثانية هى التقرب الى الله بالنوافل بعد آداء الفرائض * فالاولى درجة المقتصدين الابرار أصحاب اليمين * والثانية درجة السابقين المؤمنين كما قال الله تعالي ان الابرار لفى نعيم على الارائك ينظرون تعرف في وجوههم نضرة النعيم يسقون من رحيق مختوم ختامه مسك وفى ذلك فليتنافس المتنافسون

قال ابن عباس رضى الله عنهما يمزج لاصحاب اليمين مزجا ويشربه

المقربون صرفا

وقد ذكر الله هذا المعني في عدة مواضع من كتابه فكل من آمن بالله ورسوله واتقى الله فهو من أولياء الله

والله سبحانه قد أوجب موالاة المؤمنين بعضهم لبعض وأوجب عليهم معاداة الكافرين فقال تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فانه منهم ان الله لا يهدي القوم الظالمين فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتى بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا علي ما أسروا فى أنفسهم نادمين ويقول الذين آمنوا أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم انهم لمعكم حبطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتى الله بقوم يحبهم و يحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون

فقد أخبر سبحانه ان ولى المؤمن هو الله ورسوله وعباده المؤمنين وهذا عام فى كل مؤمن موصوف بهذه الصفة سواء كان من أهل نسبة أو بلدة أو مذهب أو طريقة أو لم يكن وقال الله تعالى والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض وقال تعالي ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم

في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض الى قوله والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فاولئك منكم وقال تعالي وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا الى قوله تعالى فاصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا ان الله يحب المقسطين انما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون

وفى الصحاح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر وفي الصحاح أيضاً أنه قال المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً وشبك بين أصابعه وفي الصحاح أيضاً انه قال والذي نفسي بيده لايؤمن أحدكم حتي يحب لاخيه مايحب لنفسه وقال صلى الله عليه وسلم المسلم أخو المسلم لا يسلمه ولا يظلمه وأمثال هذه النصوص في الكتاب والسنة كثيرة

وقد جعل الله فيها عباده المؤمنين بعضهم أولياء بعض وجعلهم اخوة وجعلهم متناصرين متراحمين متعاطفين وأمرهم سبحانه بالائتلاف ونهاهم عن الافتراق والاختلاف فقال واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا

وقال ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شئ انما أمرهم الى الله الآية

فكيف يجوز مع هذا لامة محمد صلى الله عليه وسلم ان تفترق

وتختلف حتى يوالي الرجل طائفة ويعادى طائفة أخري بالظن والهوى بلا برهان من الله تعالى وقد برأ الله نبيه صلى الله عليه وسلم ممن كان هكذا

فهذا فعل أهل البدع كالخوارج الذين فارقوا جماعة المسلمين واستحلوا دماء من خالفهم

وأما أهل السنة والجماعة فهم معتصمون بحبل الله وأقل مافي ذلك ان يفضل الرجل من يوافقه على هواه وان كان غيره أتقى لله منه

وانما الواجب أن يقدم من قدمه الله ورسوله ويؤخر من أخره الله ورسوله ويحب ماأحبه الله ورسوله ويبغض ماأبغضه الله ورسوله وينهي عما نهى الله عنه ورسوله وأن يرضى بما رضى الله به ورسوله وأن يكون المسلمون يداً واحدة فكيف اذا بلغ الامر ببعض الناس الي أن يضلل غيره ويكفره وقد يكون الصواب معه وهو الموافق للكتاب والسنة ولو كان أخوه المسلم قد أخطأ فى شئ من أمور الدين فليس كل من أخطأ يكون كافراً ولا فاسقاً بل قد عفا الله لهذه الامة عن الخطأ والنسيان وقد قال تعالى فى كتابه فى دعاء لرسول صلي الله عليه وسلم والمؤمنين ربنا لاتؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا وثبت في الصحيح ان الله قال قد فعلت

لاسيما وقد يكون من يوافقكم في أخص من الاسلام مثل أن يكون مثلكم على مذهب الشافعى أو منتسباً الى الشيخ عدى ثم بعد

هذا قد يخالف في شئ وربما كان الصواب معه فكيف يستحل عرضه ودمه أو ماله مع ماقد ذكر الله تعالى من حقوق المسلم والمؤمن

وكيف يجوز التفريق من الامة باسماء مبتدعة لاأصل لها في كتاب الله ولا سنة رسوله صلى الله عليه وسلم

وهذا التفريق الذى حصل من الامة علمائها ومشايخها وأمرائها وكبرائها هو الذي أوجب تسلط الاعداء عليها وذلك بتركهم العمل بطاعة الله ورسوله كما قال تعالى ومن الذين قالوا انا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظاً مما ذكروا به فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء

فمتى ترك الناس بعض ما أمرهم الله به وقعت بينهم العداوة والبغضاء واذا تفرق القوم فسدوا وهلكوا واذا اجتمعوا صلحوا وملكوا فان الجماعة رحمة والفرقة عذاب

وجماع ذلك في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر كما قال تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا الي قوله ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون

فمن الامر بالمعروف الامر بالائتلاف والاجتماع والنهي عن الاختلاف والفرقة ومن النهى عن المنكر اقامة الحدود على من خرج من شريعة الله تعالى

فمن اعتقد في بشر انه اله أو دعا ميتاً أوطلب منه الرزق والنصر والهدايه وتوكل عليه أو سجد له فانه يستتاب فان تاب والا ضربت عنقه

ومن فضل أحداً من المشايخ على النبي صلى الله عليه وسلم أو اعتقد أن أحدا يستغنى عن طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم استتيب فان تاب والا ضربت عنقه

وكذلك من اعتقد ان أحداً من أولياء الله يكون مع محمد صلى الله عليه وسلم كما كان الخضر مع موسى عليه السلام فانه يستتاب فان تاب والا ضربت عنقه لان الخضر لم يكن من أمة موسى عليه السلام ولا كان يجب عليه طاعته بل قال له انى على علم من علم الله علمنيه الله لا تعلمه وأنت على علم من علم الله علمكه الله لا أعلمه وكان مبعوثا الى بنى اسرائيل كما قال نبينا صلى الله عليه وسلم وكان النبي يبعث الى قومه خاصة و بعثت الى الناس عامة

ومحمد صلى الله عليه وسلم مبعوث الي جميع الثقلين انسهم وجنهم فمن اعتقد انه يسوغ لاحد الخروج عن شريعته وطاعته فهو كافر يجب قتله

وكذلك من كفر المسلمين أو استحل دماءهم وأموالهم ببدعة ابتدعها ليست في كتاب الله ولا سنة رسوله فانه يجب عن ذلك وعقوبته بما يزجره ولو بالقتل أو القتال فانه اذا عوقب المعتدون من جميع الطوائف وأكرم المتقون من جميع الطوائف كان ذلك من أعظم الاسباب التى ترضى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ويصلح أمر المسلمين ويجب على أولى الامر وهم علماء كل طائفة وأمراؤها ومشايخها أن يقوموا عامتهم ويأمروهم بالمعروف وينهوهم عن المنكر فيأمرونهم

بما أمر الله به ورسوله وينهونهم عما نهى الله عنه ورسوله صلى الله عليه وسلم

فالاول مثل شرائع الاسلام وهي الصلوات الخمس فى مواقيتها واقامة الجمعة والجماعات من الواجبات والسنن الراتبات كالاعياد وصلاة الكسوف والاستسقاء والتراويح وصلاة الجنائز وغير ذلك وكذلك الصدقات المشروعة والصوم المشروع وحج البيت الحرام ومثل الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والايمان بالقدر خيره وشره ومثل الاحسان وهو ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك ومثل سائر ماأمر الله به ورسوله من الامور الباطنة والظاهرة ومثل اخلاص الدين لله والتوكل على الله وأن يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما والرجاء لرحمة الله والخشية من عذابه والصبر لحكم الله والتسليم لامر الله ومثل صدق الحديث والوفاء بالعهود وأداء الامانات الي أهلها وبر الوالدين وصلة الارحام والتعاون على البر والتقوى والاحسان الى الجار واليتيم والمسكين وابن السبيل والصاحب والزوجة والمملوك والعدل في المقال والفعال ثم اندب الي مكارم الاخلاق مثل أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك قال الله تعالي وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فاجره على الله انه لايحب الظالمين ولمن انتصر بعد ظلمه فاولئك ماعليهم من سبيل انما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الارض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور

وأما المنكر الذى نهى الله عنه ورسوله فاعظمه الشرك بالله وهو أن يدعو مع الله الها آخر أما الشمس واما القمر أو الكواكب أو ملكا من الملائكة أو نبياً من الانبياء أو رجلا من الصالحين أو أحداً من الجن أو تماثيل هؤلاء أو قبورهم أو غير ذلك مما يدعى من دون الله تعالى أو يستغاث به أو يسجد له فكل هذا وأشباهه من الشرك الذى حرمه الله على لسان جميع رسله

وقد حرم الله قتل النفس بغير حقها وأكل أموال الناس بالباطل اما بالغصب واما بالربا أو الميسر كالبيوع والمعاملات التى نهى عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك قطيعة الرحم وعقوق الوالدين وتطفيف المكيال والميزان و لاثم والبغي بغير الحق

وكذلك ماحرمه الله تعالى أن يقول الرجل على الله مالا يعلم مثل أن يروى عن الله ورسوله أحاديث يجزم بها وهو لايعلم صحتها أو يصف الله بصفات لم ينزل بها كتاب من الله ولا اثارة من علم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سواء كانت من صفات النفى والتعطيل مثل قول الجهمية انه ليس فوق العرش ولا فوق السموات وانه لايري في الآخرة وانه لايتكلم ولا يحب ونحو ذلك مما كذبوا به الله ورسوله أو كانت من صفات الاثبات والتمثيل مثل من يزعم انه يمشى فى الارض أو يجالس الخلق أو انهم يرون باعينهم أو ان السموات تحويه وتحيط به أو انه سار في مخلوقاته الى غير ذلك من أنواع الفرية على الله

وكذلك العبادات المبتدعة التي لم يشرعها الله ورسوله صلى الله عليه

وسلم كما قال تعالى أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله فان الله شرع لعباده المؤمنين عبادات فاحدث لهم الشيطان عبادات ضاهاها بها مثل انه شرع لهم عبادة الله وحده لاشريك له فشرع لهم شركاء وهي عبادة ماسواه والاشراك به وشرع لهم الصلوات الخمس وقراءة القرآن فيها والاستماع له والاجتماع لسماع القرآن خارج الصلاة أيضاً فاول سورة أنزلها على نبيه صلى الله عليه وسلم اقرأ باسم ربك الذى خلق أمر فى أولها بالقراءة وفى آخرها بالسجود بقوله تعالى فاسجد واقترب

ولهذا كان أعظم الاذكار التي في الصلاة قراءة القرآن وأعظم الافعال السجود لله وحده لاشريك له وقال تعالى وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهودا وقال تعالي واذا قرىء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون

وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اجتمعوا امروا واحداً منهم ان يقرأ والباقي يستمعون وكان عمر بن الخطاب يقول لابي موسى رضى الله عنهما ذكرنا ربنا فيقرأوهم يستمعون ومر النبي صلى الله عليه وسلم بابى موسي رضى الله عنه وهو يقرأ فجعل يستمع لقراءته فقال ياأبا موسى مررت بك البارحة فجعلت استمع لقراءتك فقال لو علمت لحبرته لك تحبيراً وقال لله أشد اذنا أى استماعا الى الرجل يحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة الى قينته

وهذا هو سماع المؤمنين وسلف الامة وأكابر المشايخ كمعروف

الكرخي والفضيل بن عياض وأبي سليمان الداراني ونحوهم وهو سماع المشايخ المتأخرين الاكابر كالشيخ عبد القادر والشيخ عدى بن مسافر والشيخ أبي مدين وغيرهم من المشايخ رحمهم الله وأما المشركون فكان سماعهم كما ذكره الله تعالى في كتابه بقوله تعالى وما كان صلاتهم عند البيت الامكاء وتصدية

قال السلف المكاء الصفير والتصدية التصفيق باليد فكان المشركون يجتمعون في المسجد الحرام يصفقون ويصوتون يتخذون ذلك عبادة وصلاة فذمهم الله على ذلك وجعل ذلك من الباطل الذي نهي عنه

فمن اتخذ نظير هذا السماع عبادة وقربة يتقرب بها الى الله فقد ضاها هؤلاء في بعض أمورهم وكذلك لم تفعله القرون الثلاثة التى أثنى عليها النبي صلى الله عليه وسلم ولا فعله أكابر المشايخ

وأما سماع الغناء على وجه اللعب فهذا من خصوصية الافراح للنساء والصبيان كما جاءت به الآثار فان دين الاسلام واسع لاحرج فيه

وعماد الدين الذي لايقوم الا به هو الصلوات الخمس المكتوبات ويجب على المسلمين من الاعتناء بها مالا يجب من الاعتناء بغيرها

كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يكتب الى عماله ان أهم أمركم عندي الصلاة فمن حفظها او حافظ عليها حفظ دينه ومن ضيعها كان لما سواها من عمله أشد اضاعة

وهى أول ماأوجبه الله من العبادات والصلوات الخمس تولى الله ايجابها بمخاطبة رسوله ليلة المعراج وهى آخر ماوصى به النبي صلى الله

عليه وسلم أمته وقت فراق الدنيا جعل يقول الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم وهي أول مايحاسب عليه العبد من عمله و آخر مايفقد من الدين فاذا ذهبت ذهب الدين كله وهي عمود الدين فمتى ذهبت سقط الدين

قال النبي صلى الله عليه وسلم رأس الامر الاسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله وقد قال الله في كتابه فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا

قال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه وغيره اضاعتها تأخيرها عن وقتها ولو تركوها كانو كفاراً وقال تعالى حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطي والمحافظة عليها فعلها في أوقاتها وقال تعالى فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون وهم الذين يؤخرونها حتي يخرج الوقت

وقد اتفق المسلمون على أنه لايجوز تأخير صلاة النهار الى الليل ولا تأخير صلاة الليل الى النهار لا لمسافر ولا لمريض ولا غيرهما لكن يجوز عند الحاجة أن يجمع المسلم بين صلاتى النهار وهى الظهر والعصر في وقت احداها ويجمع بين صلاتي الليل وهى المغرب والعشاء في وقت احداهما وذلك لمثل المسافر والمريض وعند المطر ونحو ذلك من الاعذار

وقد أوجب الله على المسلمين أن يصلوا بحسب طاقتهم كما قال الله تعالى فاتقوا الله مااستطعتم فعلي الرجل أن يصلى بطهارة كاملة وقراءة كاملة وركوع وسجود كامل فان كان عادما للماء أو يتضرر باستعماله لمرض أو برد أو غير ذلك وهو محدث أو جنب يتيمم الصعيد الطيب وهو التراب يمسح به وجهه ويديه ويصلي ولا يؤخرها عن وقتها باتفاق العلماء

وكذلك اذا كان محبوساً أو مقيداً أوزمناً أو غير ذلك صلى على حسب حاله واذا كان بازاء عدوه صلى أيضاً صلاة الخوف قال الله تعالى واذا ضربتم في الارض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة ان خفتم أن يفتنكم الذين كفروا ان الكافرين كانوا لكم عدواً مبيناً واذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك الي قوله وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم الى قوله فاذا اطمأننتم فأقيموا الصلاة ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا

ويجب على أهل القدرة من المسلمين ان يأمروا بالصلاة كل أحد من الرجال والنساء حتى الصبيان

قال النبي صلي الله عليه وسلم مروهم بالصلاة لسبع واضربوهم على تركها لعشر وفرقوا بينهم في المضاجع

والرجل البالغ اذا امتنع من صلاة واحدة من الصلوات الخمس أوترك بعض فرائضها المتفق عليها فانه يستتاب فان تاب والا قتل

فمن العلماء من يقول يكون مرتداً كافراً لايصلى عليه ولا يدفن بين المسلمين ومنهم من يقول يكون كقاطع الطريق وقاتل النفس والزاني المحصن وأمر الصلاة عظيم شأنها أن تذكر ههنا فانها قوام الدين وعماده وتعظيمه تعالى لها في كتابه فوق جميع العبادات فانه سبحانه يخصها بالذكر تارة ويقرنها بالزكاة تارة وبالصبر تارة وبالنسك تارة كقوله تعالى وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وقوله واستعينوا بالصبر والصلاة وقوله فصل لربك وانحر وقوله ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين

لاشريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين وتارة يفتتح بها أعمال البر ويختمها بها كما ذكره في سورة سأل سائل وفي أول سورة المؤمنين قال تعالى قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون والذين هم للزكاة فاعلون والذين هم لفروجهم حافظون الا على أزواجهم أوما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون والذين هم على صلواتهم يحافظون أولئك هم اوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون

فنسأل الله العظيم أن يجعلنا واياكم من الذين يرثون الفردوس
هم فيها خالدون والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته
والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا
محمد وآله وصحبه وسلم
تسليماً كثيرا

تمت الرسالة السابعة

ويليها الرسالة الثامنة له أيضا

بسم الله الرحمن الرحيم

سؤال ورد على الشيخ تقي الدين رضى الله عنه من الديار المصرية في شوال سنة أربع عشرة وسبعمائة في حسن ارادة الله تعالى لخلق الخلق وانشاء الانام وهل يخلق لعلة أو لغير علة فان قيل لا لعلة فهو عبث تعالى الله عنه وان قيل لعلة فان قلتم انها لم تزل لزم أن يكون المعلول لم يزل وان قلتم انها محدثة لزم أن يكون لها علة والتسلسل محال

الجواب * الحمد لله رب العالمين * هذه المسئلة من أجل المسائل الكبار التي تكلم فيها الناس وأعظمها شعوبا وفروعا وأكثرها شبهاً ومحارات فان لها تعلقاً بصفات الله تعالى وأسمائه وأفعاله وأحكامه من الامر والنهي والوعد والوعيد وهي داخلة في خلقه وأمره فكل ما في الوجود متعلق بهذه المسئلة فان المخلوقات جميعها متعلقة بها وهي متعلقة بالخالق سبحانه وكذلك الشرائع كلها الامر والنهي والوعد والوعيد متعلق بها وهي متعلقة بمسائل القدر والامر ومسائل الصفات والافعال وهذه جوامع علوم الناس فعلم الفقه هو الامر والنهي

وقد تكلم الناس في تعليل الاحكام الشرعية والامر والنهي كالامر بالتوحيد والصدق والعدل والصلاة والزكاة والصيام والحج والنهي عن الشرك والكذب والظلم والفواحش هل أمر بذلك لحكمة ومصلحة وعلة اقتضت ذلك أم ذلك لمحض المشيئة وصرف الارادة وهل علل الشرع بمعنى الداعي والباعث أو بمعنى الامارة والعلامة

وهل يسوغ في الحكمة أن ينهي الله عن التوحيد والصدق والعدل

ويأمر بالشرك والكذب والظلم أم لا

وتكلم الناس في تنزيه الله تعالى عن الظلم هل هو منزه عنه مع قدرته عليه أم الظلم ممتنع لنفسه لايمكن وقوعه وتكلموا في محبة الله ورضاه وغضبه وسخطه هل هو بمعني ارادته وهو الثواب والعقاب المخلوق أم هذه صفات أخص من الارادة

وتنازعوا فيما وقع في الارض من الكفر والفسوق والعصيان هل يريده ويحبه ويرضاه كما يريد ويحب سائر مايحدث أم هو واقع بدون قدرته ومشيئته وهو لايقدر أن يهدي ضالا ولا يضل مهتديا أم هو واقع بقدرته ومشيئته ولا يكون في ملكه مالا يريد وله في جميع خلقه حكمة بالغة وهو يبغضه ويكرهه ويمقت فاعله ولا يحب الفساد ولا يرضى لعباده الكفر ولا يريده الارادة الدينية المتضمنة لمحبته ورضاه وان ارادة الارادة الكونية التي تتناول ماقدره وقضاه وفروع هذه المسئلة كثيرة ولاجل تجاذب الاصل ووقوع الاشتباه فيه صار الناس فيه الى التقديرات الثلاثة المذكورة في سؤال السائل وكل تقدير قال به طوائف من بني آدم من المسلمين وغير المسلمين

(فالتقدير الاول) هو قول من يقول خلق المخلوقات وأمر بالمأمورات لا لعلة ولا لداع ولا باعث بل فعل ذلك لمحض المشيئة وصرف الارادة وهذا قول كثير ممن يثبت القدر وينتسب الى السنة من أهل الكلام والفقه وغيرهم وقد قال بهذا طوائف من أصحاب مالك والشافعي وأحمد وغيرهم وهو قول الاشعري وأصحابه وقول كثير من نفاة القياس

الظاهرية كابن حزم وأمثاله

ومن حجة هؤلاء أنه لو خلق الخلق لعلة لكان ناقصاً بدونها مستكملاً بها فانه اما أن يكون وجود تلك العلة وعدمها بالنسبة اليه سواء أو يكون وجودها أولى به فان كان الاول امتنع أن يفعل لاجلها وان كان الثانى ثبت ان وجودها أولي به فيكون مستكملاً بها فيكون قبلها ناقصاً

ومن حجتهم ماذكره السائل من أن العلة ان كانت قديمة وجب قدم المعلول لان العلة الغائية وان كانت متقدمة على المعلول فى العلم والقصد كما يقال أول الفكرة آخر العمل وأول البغية آخر الدرك ويقال ان العلة الغائية بها صار الفاعل فاعلا فلا ريب أنها متأخرة في الوجود عن العمل فمن فعل فعلا لمطلوب يطلبه بذلك الفعل كان حصول المطلوب بعد الفعل فاذا قدر أن ذلك المطلوب الذى هو العلة قديماً كان الفعل قديماً بطريق الاولى (فلو قيل) انه يفعل لعلة قديمة لزم أن لا يحدث شيء من الحوادث وهو خلاف المشاهدة وان قيل أنه فعل لعلة حادثة لزم محذور ان أحدهما أن يكون محلا للحوادث فان العلة اذا كانت منفصلة عنه فان لم يعد اليه منها حكم امتنع أن يكون وجودها أولى به من عدمها واذا قدر أنه عاد اليه منها حكم كان ذلك حادثا فيقوم به الحوادث والمحذور الثانى ان ذلك يستلزم التسلسل من وجهين أحدهما أن تلك العلة الحادثة المطلوبة بالفعل هى أيضاً مما يحدثه الله تعالى بقدرته ومشيئته فان كانت لغير علة لزم العبث كما تقدم وان كان

لعلة عاد التقسيم فيها فاذا كان كلما أحدثه أحدثه لعلة والعلة مما أحدثه لزم تسلسل الحوادث الثانى ان تلك العلة اما أن تكون مرادة لنفسها أولعلة أخرى فان كانت مرادة لنفسها امتنع حدوثها لان ماأراده الله تعالى لذاته وهو قادر عليه لا يؤخر احداثه وان كانت مرادة لغيرها فالقول فى ذلك الغير كالقول فيها ويلزم التسلسل وهذا ونحوه من حجج من ينفى تعليل أفعال الله تعالي وأحكامه

والتقدير الثاني قول من يجعل العلة الغائية قديمة كما يجعل العلة الفاعلية قديمة كما يقول ذلك طوائف من المسلمين كما سيأتى بيانه كما يقول ذلك من يقوله من المتفلسفة القائلين بقدم العالم وهؤلاء أصل قولهم ان المبدع للعالم علة تامة تستلزم معلولها لايجوز أن يتأخر عنها معلولها وأعظم حججهم قولهم ان جميع الامور المعتبرة في كونه فاعلا ان كانت موجودة في الازل لزم وجود المفعول في الازل لان العلة التامة لايتأخر عنها معلولها فانه لو تأخر لم تكن جميع شروط الفعل وجدت فى الازل فانا لا نعنى بالعلة التامة الاما يستلزم المعلول فاذا قدر انه تخلف عنها المعلول لم تكن تامة وان لم تكن العلة التامة التي هى جميع الامور المعتبرة في الفعل وهى المقتضى التام لوجود الفعل وهى جميع شروط الفعل التى يلزم من وجودها وجود الفعل وان لم يكن جميعها في الازل فلا بد اذا وجد المفعول بعد ذلك من تجدد سبب والا لزم ترجيح أحد طرفي الممكن بلا مرجح واذا كان هناك سبب حادث فالقول في حدوثه كالقول في الحادث الاول ويلزم التسلسل قالوا فالقول بانتفاء العلة التامة المستلزمة

للمفعول يوجب اما التسلسل واما الترجيح بلا مرجح

ثم أكثر هؤلاء يثبتون علة غائية للفعل وهي بعينها الفاعلة لكونهم متناقضين فانهم يثبتون له العلة الغائية ويثبتون لفعله العلة الغائية ويقولون مع هذا ليس له ارادة بل هو موجب بالذات لا فاعل بالاختيار

وقولهم باطل من وجوه كثيرة * منها أن يقال هذا القول يستلزم أن لا يحدث شيء وان كان كلما حدث حدث بغير احداث محدث ومعلوم ان بطلان هذا بين من بطلان التسلسل وبطلان الترجيح بلا مرجح وذلك ان العلة التامة المستلزمة لمعلولها يقترن بها معلولها ولا يجوز أن يتأخر عنها شيء من معلولها فكل ما حدث من الحوادث لا يجوز أن يحدث عن هذه العلة التامة وليس هناك ما يصدر عنه الممكنات سوي الواجب بنفسه الذى سماه هؤلاء علة تامة فاذا امتنع صدور الحوادث عنه وليس هناك ما يحدثها غيره لزم أن يحدث بلا محدث وأيضا فلو قدر أن غيره أحدثها فان كان واجبا بنفسه كان القول فيه كالقول في الواجب الاول وأصل قولهم ان الواجب بنفسه علة تامة تستلزم مقارنة معلوله له فلا يجوز أن يصدر على قولهم عن العلة التامة حادث لا بواسطة ولا بغير واسطة لان تلك الواسطة ان كانت من لوازم وجود كانت قديمة معه فامتنع صدور الحوادث عنها وان كانت حادثة كان القول فيها كالقول في غيرها وان قدر ان المحدث الحوادث غير واجب بنفسه كان ممكنا مفتقرا الى موجب يجب به ثم ان قيل انه محدث كان من الحوادث وان قيل انه قديم كان له علة تامة مستلزمة له وامتنع حينئذ حدوث

الحوادث عنه فان الممكن لايوجد هو ولاشىء من صفاته وأفعاله الاعن الواجب بنفسه فاذا قدر حدوث الحوادث عن ممكن قديم معلول لعلة قديمة قيل هل حدث فيه سبب يقتضى الحدوث أم لا فان قيل لم يحدث سبب لزم الترجيح بلا مرجح وان قيل حدث سبب لزم التسلسل كما تقدم

الوجه الثانى لذى يبين بطلان قولهم أن يقال مضمون الحجة انه اذا لم يكن ثم علة قديمة لزم التسلسل أو الترجيح بلا مرجح والتسلسل عندكم جائز فان أصل قولهم ان هذه الحوادث متسلسلة شيأ بعد شىء وان حركات الفلك توجب استعداد القوابل لان تفيض عليها الصور الحادثة من العلة القديمة سواء قلتم هى العقل الفعال أو هى الواجب الذى يصدر عنه بتوسط العقول أوغير ذلك من الوسائط واذا كان التسلسل جائزا عندكم لم يمتنع حدوث الحوادث من غير علة موجبة للمعلول وان لزم التسلسل بل هذا خير في الشرع والعقل من قولكم وذلك ان الشرع أخبر ان الله خلق السموات والارض فى ستة أيام وهذا مما اتفق عليه الملل المسلمون واليهود والنصارى فان قيل انه خلقها بسبب حادث قبل ذلك كان خيرا من قولهم انها قديمة أزلية معه في الشرع وكان أولي في العقل لان العقل ليس فيه مايدل على قدم هذه الافلاك حتى يعارض الشرع وهذه الحجة العقلية انما تقتضى أنه لايحدث شىء الا بسبب حادث فاذا قيل ان السموات والارض خلقها الله تعالى بما حدث قبل ذلك لم يكن في حجتكم العقلية مايبطل هذا

الوجه الثالث أن يقال حدوث حادث بعد حادث بلانهاية اما أن يكون ممكنا في العقل أو ممتنعا فان كان ممتنعا في العقل لزم ان الحوادث جميعها لها أول كما يقول ذلك من يقوله من أهل الكلام وبطل قولهم بقدم حركات الافلاك وان كان محدثا أمكن أن يكون حدوث ما أحدثه الله تعالى كالسموات والارض موقوفا على حوادث قبل ذلك كما تقولون أنتم فيما يحدث فى هذا العالم من الحيوان والنبات والمعادن والمطر والسحاب وغير ذلك فيلزم فساد حجتكم على التقديرين ثم يقال اما أن تثبتوا لمبدع العالم حكمة وغاية مطلوبة واما أن لا تثبتوا فان لم تثبتوا بطل قولكم باثبات العلة الغائية وبطل ماتذكرونه من حكمة البارى تعالى فى خلق الحيوان وغير ذلك من المخلوقات وأيضا فالوجود يبطل هذا القول فان الحكمة الموجودة في الوجود أمر يفوق العد والاحصاء كاحداثه سبحانه لما يحدثه من نعمته ورحمته وقت حاجة الخلق اليه كاحداث المطر وقت الشتاء بقدر الحاجة واحداثه للانسان الآلات التى يحتاج اليها بقدر حاجته وأمثال ذلك مما ليس هذا موضع بسطه وان أثبتم له حكمة مطلوبة وهي باصطلاحكم العلة الغائية لزمكم أن تثبتوا له المشيئة والارادة بالضرورة فان القول بأن الفاعل فعل كذا لحكمة كذا بدون كونه مريدا لتلك الحكمة المطلوبة جمع بين النقيضين وهؤلاء المتفلسفة من أكثر الناس تناقضا ولهذا يجعلون العلم هو العالم والعلم هو الارادة والارادة هى القدرة وأمثال ذلك

وأما التفسير الثالث وهو انه فعل المفعولات وأمر بالمأمورات لحكمة

محمودة فهذا قول أكثر الناس من المسلمين وغير المسلمين وقول طوائف من أصحاب أبي حنيفة والشافعي ومالك وأحمد وغيرهم وقول طوائف من أهل الكلام من المعتزلة والكرامية والمرجئة وغيرهم وقول أكثر أهل الحديث والتصوف وأهل التفسير وأكثر قدماء الفلاسفة وكثير من متأخريهم كأبي البركات وأمثاله لكن هؤلاء على أقوال * منهم من قال ان الحكمة المطلوبة مخلوقة منفصلة عنه أيضا كما يقول ذلك من يقوله من المعتزلة والشيعة ومن وافقهم وقالوا الحكمة في ذلك احسانه الي الخلق والحكمة في الامر تعريض المكلفين للثواب وقالوا ان فعل الاحسان الى الغير حسن محمود في العقل فخلق الخلق لهذه الحكمة من غير أن يعود اليه من ذلك حكم ولا قام به فعل ولا نعت فقال لهم الناس أنتم متناقضون في هذا القول لان الاحسان الى الغير محمود لكونه يعود منه على فاعله حكم يحمد لاجله اما لتكميل نفسه بذلك واما لقصده الحمد والثواب بذلك واما لرقة وألم يجده في نفسه يدفع بذلك الاحسان الالم واما لالتذاذه وسروره وفرحه بالاحسان فان النفس الكريمة تفرح وتسر وتلتذ بالخير الذي يحصل منها الي غيرها فالاحسان الي الغير محمود لكون المحسن يعود اليه من فعله هذه الامور اما اذا قدر أن وجود الاحسان وعدمه بالنسبة الى الفاعل سواء لم يعلم ان مثل هذا الفعل يحسن منه بل مثل هذا يعد عبثاً في عقول العقلاء وكل من فعل فعلا ليس فيه لنفسه لذة ولا مصلحة ولا منفعة بوجه من الوجوه لاعاجلة ولا آجلة كان عبثاً ولم يكن محموداً على هذا وأنتم

علمتم أفعاله فراراً من العبث فوقعتم في العبث فان العبث هو الفعل الذى ليس فيه مصلحة ولا منفعة ولا فائدة تعود على الفاعل ولهذا لم يأمر الله تعالي ولا رسوله صلى الله عليه وسلم ولا أحد من العقلاء أحداً بالاحسان الى غيره ونفعه ونحو ذلك الا لماله في ذلك من المنفعة والمصلحة والا فامر الفاعل بفعل لا يعود اليه منه لذة ولا سرور ولا منفعة ولا فرح بوجه من الوجوه لافي العاجل ولا في الآجل لا يستحسن من الآمر

ونشأ من هذا الكلام نزاع بين المعتزلة وغيرهم ومن وافقهم في مسئله التحسين والتقبيح العقلى فاثبت ذلك المعتزلة وغيرهم ومن وافقهم من أصحاب أبى حنيفة ومالك والشافعى وأحمد وأهل الحديث وغيرهم وحكوا ذلك عن أبى حنيفة نفسه ونفى ذلك الاشعرية ومن وافقهم من أصحاب مالك والشافعى وأحمد وغيرهم واتفق الفريقان على أن الحسن والقبح اذا فسر بكون الفعل نافعا للفاعل ملائما له وكونه ضاراً للفاعل منافراً له انه يمكن معرفته بالعقل كما يعرف بالشرع وظن من ظن من هؤلاء ان الحسن والقبح المعلوم بالشرع خارج عن هذا وهذا ليس كذلك بل جميع الافعال التى أوجبها الله تعالى وندب اليها هي نافعة لفاعليها ومصلحة لهم وجميع الافعال التى نهى الله عنها هى ضارة لفاعلها ومفسدة في حقهم والثواب المترتب على طاعة الشارع نافع للفاعل ومصلحة له والذم والعقاب المترتب على معصيته ضار للفاعل ومفسدة له .

والمعتزلة أثبتت الحسن في أفعال الله تعالي لابمعنى حكم يعود اليه من أفعاله ومنازعوهم لما اعتقدوا ان لاحسن ولا قبح الا ماعاد الي الفاعل منه حكم نفوا ذلك وقالوا القبيح في حق الله تعالي هو الممتنع لذاته وكل مايقدر ممكنا من الافعال فهو حسن اذ لافرق بالنسبة اليه عندهم بين مفعول ومفعول وأولئك أثبتوا حسنا وقبحا لايعود الى الفاعل منه حكم يقوم بذاته اذ عندهم لايقوم بذاته وصف ولا فعل ولا غير ذلك وان كانوا قد يتناقضون ثم أخذوا يقيسون ذلك على مايحسن من العبد ويقبح فجعلوا يوجبون على الله سبحانه مايوجبون على العبد ويحرمون عليه من جنس مايحرمون على العبد و يسمون ذلك العدل والحكمة مع قصور عقلهم عن معرفة حكمته فلا يثبتون له مشيئة عامة ولا قدرة تامة فلا يجعلونه على كل شئ قديرا ولايقولون ماشاء الله كان ومالم يشأ لم يكن ولا يقرون بانه خالق كل شئ ويثبتون له من الظلم مانزه نفسه عنه سبحانه فانه قال ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلماً ولا هضما أى لايخاف أن يظلم فيحمل عليه من سيئات غيره ولا يهضم من حسناته وقال تعالي مايبدل القول لدىّ وما أنا بظلام للعبيد وقال صلى الله عليه وسلم فى حديث البطاقة الذى رواه الترمذى وغيره يجاء برجل من أمتي يوم القيامة فتنشر له تسعة وتسعون سجلا كل سجل مد البصر فيقال له هل تنكر من هذا شيئا فيقول لا يارب فيقال له لاظلم عليك اليوم و يؤتى ببطاقة فيها شهادة أن لااله الا الله فتوضع البطاقة في كفة والسجلات في كفة فطاشت

السجلات وثقلت البطاقة فقد أخبر النبى صلى الله عليه وسلم انه لايظلم بل يثاب على ماأتى به من التوحيد كما قال تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره

وجمهور هؤلاء الذين يسمون أنفسهم عدلية يقولون من فعل كبيرة واحدة أحبطت جميع حسناته وخلد فى نار جهنم فهذا الذى سماه الله ورسوله ظلما يصفون الله به مع دعواهم تنزيهه عن الظلم ويسمون تخصيصه من يشاء برحمته وفضله وخلقه ماخلقه لما فيه من الحكمة البالغة ظلما

والكلام فى هذه الامور مبسوط في غير هذا الموضع لكن نبهنا على مجامع أصول الناس في هذا المقام وهؤلاء المعتزلة ومن وافقهم من الشيعة يوجبون على الله سبحانه انه يفعل بكل عبد ماهو الاصلح في دينه وتنازعوا في وجوب الاصلح في دنياه ومذهبهم أنه لايقدر أن يفعل مع مخلوق من المصلحة الدينية غير مافعل ولا يقدر أن يهدى ضالا ولا يضل مهتديا

وأما سائر الطوائف الذين يقولون بالتعليل من الفقهاء وأهل الحديث والصوفية وأهل الكلام وغيرهم والمتفلسفة أيضاً فلا يوافقونهم على هذا بل يقولون انه يفعل مايفعل سبحانه لحكمة يعلمها وهو يعلم العباد أو بعض العباد من حكمته مايطلعهم عليه وقد لا يعلمون ذلك والامور العامة التي يفعلها تكون لحكمة عامة ورحمة عامة كارساله محمداً صلى الله عليه وسلم فانه كما قال تعالى وما أرسلناك الا رحمة للعالمين فان

ارساله كان من أعظم النعمة على الخلق وفيه أعظم حكمة للخالق ورحمة منه لعباده كما قال تعالى لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته و يزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وقال تعالى وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين وقال تعالى ألم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفراً قالوا هو محمد صلى الله عليه وسلم

فاذا قال القائل فقد تضرر برسالته طائفة من الناس كالذين كذبوه من المشركين وأهل الكتاب

كان عن هذا جوابان * أحدهما انه نفعهم بحسب الامكان فانه أضعف شرهم الذى كانوا يفعلونه لولا الرسالة باظهار الحجج والآيات التي زلزلت مافي قلوبهم وبالجهاد والجزية التى أخافتهم وأذلتهم حتى قل شرهم ومن قتله منهم مات قبل أن يطول عمره فى الكفر فيعظم كفره وكان ذلك تقليلا لشره والرسل صلوات الله عليهم بعثوا لتحصيل المصالح وتكميلها وتعطيل المفاسد وتقليلها بحسب الامكان * والجواب الثانى ان ماحصل من الضرر أمر مغمور في جنب ماحصل من النفع كالمطر الذى نفعه اذا خرب به بعض البيوت أو احتبس به بعض المسافرين والمكتسبين كالقصارين ونحوهم وما كان نفعه ومصلحته عامة كان خيراً مقصوداً ورحمة محبوبة وان تضرر به بعض الناس وهذا الجواب أجاب به طوائف من المسلمين وأهل الكلام والفقه وغيرهم من الحنفية والحنبلية وغيرهم ومن الكرامية والصوفية وهو جواب كثير من المتفلسفة

وقال هؤلاء جميع مايحدثه في الوجود من الضرر فلا بد فيه من حكمة قال تعالي صنع الله الذى أتقن كل شئ وقال الذى أحسن كل شئ خلقه والضرر الذى يحصل به حكمة مطلوبة لايكون شراً مطلقا وان كان شراً بالنسبة الى من تضرر به

ولهذا لايجيء في كلام الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم اضافة الشر وحده الى الله بل لايذكر الشر الا على أحد وجوه ثلاثة اما أن يدخل في عموم المخلوقات فانه اذا دخل في العموم أفاد عموم القدرة والمشيئة والخلق وتضمن مااشتمل عليه من حكمة تتعلق بالعموم واما أن يضاف الى السبب الفاعل واما ان يحذف فاعله فالاول كقوله تعالى الله خالق كل شئ ونحو ذلك

ومن هذا الباب أسماء الله المقترنة كالمعطي المانع والضار النافع المعز المذل الخافض الرافع فلا يفرد الاسم المانع عن قرينه ولا الضار عن قرينه لان اقترانهما يدل على العموم وكل ما في الوجود من رحمة ونفع ومصلحة فهو من فضله تعالى ومافي الوجود من غير ذلك فمن عدله فكل نعمة منه فضل وكل نقمة منه عدل كما فى الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يمين الله ملأى لايغيضها نفقة سحاء الليل والنهار أرأيتم ماأنفق منذ خلق السموات والارض فانه لم يغض مافي يمينه والقسط بيده الاخرى يخفض ويرفع فاخبر ان يده اليمنى فيها الاحسان الي الخلق و يده الاخرى فيها العدل والميزان الذي به يخفض ويرفع فخفضه ورفعه من عدله واحسانه الى خلقه من فضله

وأما حذف الفاعل فمثل قول الجن وانا لا ندري أشر أريد بمن في الارض أم أراد بهم ربهم رشدا وقوله تعالي صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ونحو ذلك

واضافته الى السبب كقوله من شر ما خلق وقوله فاردت أن أعيبها مع قوله فاراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما وقوله تعالي ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك وقوله ربنا ظلمنا أنفسنا وقوله تعالى أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أني هذا قل هو من عند أنفسكم وأمثال ذلك

ولهذا ليس في أسماء الله الحسني اسم يتضمن الشر وانما يذكر الشر في مفعولاته كقوله نبيء عبادى أنى أنا الغفور الرحيم وأن عذابي هو العذاب الاليم وقوله ان ربك لسريع العقاب وانه لغفور رحيم وقوله اعلموا أن الله شديد العقاب الآية وقوله ان بطش ربك لشديد انه هو يبدئ ويعيد وهو الغفور الودود فبين سبحانه ان بطشه شديد وانه هو الغفور الودود

واسم المنتقم ليس من أسماء الله الحسني الثابتة عن النبى صلى الله عليه وسلم وانما جاء في القرآن مقيدا كقوله تعالي انا من المجرمين منتقمون وقوله ان الله عزيز ذو انتقام والحديث الذى في عدد الاسماء الحسنى الذى يذكر فيه المنتقم وذكر فى سياقه البر التواب المنتقم العفو الرؤف ليس هو عند أهل المعرفة بالحديث من كلام النبي صلى الله عليه وسلم بل هذا ذكره الوليد بن مسلم عن بعض شيوخه ولهذا لم يروه

احد من أهل الكتب المشهورة الا الترمذى رواه من طريق الوليد ابن مسلم بسياق ورواه غيره باختلاف فى الاسماء وفى ترتيبها يبين انه ليس من كلام النبى صلى الله عليه وسلم وسائر من روى هذا الحديث عن أبي هريرة ثم عن الاعرج ثم عن أبي الزناد لم يذكروا أعيان الاسماء بل ذكروا قوله صلى الله عليه وسلم ان لله تسعة وتسعين اسما مائة الا واحدا من أحصاها دخل الجنة وهكذا أخرجه أهل الصحيح كالبخارى ومسلم وغيرهما ولكن روي عدد الاسماء من طريق أخرى من حديث محمد بن سيرين عن أبي هريرة ورواه ابن ماجه واسناده ضعيف يعلم أهل الحديث انه ليس من كلام النبي صلى الله عليه وسلم وليس فى عدد الاسماء عن النبى صلى الله عليه وسلم الا هذان الحديثان كلاهما مرويان من طريق أبى هريرة وهذا مبسوط في موضعه

والمقصود هنا التنبيه على أصول تقع في معرفة هذه المسئلة فان نفوس بنى آدم لاتزال يجول فيها من هذه المسئلة أمر عظيم

واذ علم العبد من حيث الجملة ان لله فيما خلقه وما أمر به حكمة عظيمة كفاه هذا ثم كلما ازداد علماً وايمانا ظهر له من حكمة الله ورحمته مايبهر عقله ويبين له تصديق ماأخبر الله به فى كتابه حيث قال سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق فانه صلى الله عليه وسلم قال في الحديث الصحيح لله أرحم بعباده من الوالدة بولدها وفي الصحيحين عنه أنه قال ان الله خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة أنزل

منها رحمة واحدة فبها يتراحم الخلق حتى ان الدابة لترفع حافرها عن ولدها من تلك الرحمة واحتبس عنده تسعة وتسعين رحمة فاذا كان يوم القيامة جمع هذه الي تلك فرحم بها عباده أو كما قال

ثم هؤلاء الجمهور من المسلمين وغيرهم كأئمة المذاهب الاربعة وغيرهم من السلف والعلماء الذين يثبتون حكمة فلا ينفونها كما نفاها الاشعرية ونحوهم الذين يثبتون ارادة بلا حكمة ومشيئة بلا رحمة ولا محبة ولا رضا وجعلوا جميع المخلوقات بالنسبة اليه سواء لايفرقون بين الارادة والمحبة والرضا بل ماوقع من الكفر والفسوق والعصيان قالوا انه يحبه ويرضاه كما يريده واذا قالوا لايحبه ولا يرضاه ديناً قالوا انه لايريده ديناً ومالم يقع من الايمان والتقوى فانه لايحبه ولا يرضاه عندهم كما لايريده وقد قال تعالى اذ يبيتون مالا يرضى من القول فأخبر أنه لايرضاه مع أنه قدره وقضاه ولا يوافقون المعتزلة على انكار قدر الله تعالى وعموم خلقه ومشيئته وقدرته ولا يشبهونه بخلقه فيما يجب ويحرم كما فعل هؤلاء ولا يسلبونه ماوصف به نفسه من صفاته وأفعاله بل أثبتوا له ماأثبته لنفسه من الصفات والافعال ونزهوه عما نزه نفسه من الصفات والافعال وقالوا ان الله خالق كل شئ ومليكه وما شاء كان ومالم يشأ لم يكن وهو على كل شئ قدير وهو يحب المحسنين والمتقين ويرضى عن السابقين الاولين من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان ولايرضى لعباده الكفر ولا يرضى بالقول المخالف لامر الله ورسوله وقالوا مع أنه خالق كل شئ وربه ومليكه فقد فرق بين المخلوقات أعيانها

وأفعالها كما قال تعالى أفنجعل المسلمين كالمجرمين وكما قال أم حسب الذين اجترحوا السيآت أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء مايحكمون وقال تعالى أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض أم نجعل المتقين كالفجار وقال وما يستوى الاعمي والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل والحرور وما يستوى الاحياء ولا الاموات وأمثال ذلك مما يبين الفرق بين المخلوقات وانقسام الخلق الى شقي وسعيد كما قال تعالى هو الذى خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن وقال تعالى فريقاً هدى وفريقاً حق عليهم الضلالة وقال تعالى يدخل من يشاء في رحمته والظالمين أعد لهم عذابا أليماً وقال تعالى ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة يحبرون وأما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة فاولئك فى العذاب محضرون ونظائر هذا في القرآن كثير

وينبغي أن يعلم ان هذا المقام زل فيه طوائف من أهل الكلام والتصوف وصاروا فيه الى ماهو شر من قول المعتزلة ونحوهم من القدرية فان هؤلاء يعظمون الامر والنهي والوعد والوعيد وطاعة الله ورسوله ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر لكن ضلوا في القدر واعتقدوا أنهم اذا أثبتوا مشيئة عامة وقدرة شاملة وخلقاً متناولا لكل شئ لزم من ذلك القدح في عدل الرب وحكمته وغلطوا فى ذلك فقابل هؤلاء قوم من العلماء والعباد وأهل الكلام والتصوف فأثبتوا القدر وآمنوا بان الله رب كل شئ ومليكه وانه ماشاء كان وما لم يشأ لم يكن وانه خالق

كل شئ وهذا حسن وصواب لكنهم قصروا فى الامر والنهى والوعد والوعيد وافرطوا حتى غلا بهم الى الالحاد فصاروا من جنس المشركين الذين قالوا لو شاء الله ماأشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شئ فاولئك القدرية وان كانوا يشبهون المجوس من حيث انهم أثبتوا فاعلا لما اعتقدوه شراً غير الله سبحانه فهؤلاء شابهوا المشركين الذين قالوا لو شاء الله ماأشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شئ فالمشركون شر من المجوس فان المجوس يقرون بالجزية باتفاق المسلمين وذهب بعض العلماء الى حل نسائهم وطعامهم وأما المشركون فاتفقت الامة على تحريم نكاح نسائهم ومذهب الشافعى وأحمد في المشهور عنه وغيرهما أنهم لايقرون بالجزية وجمهور العلماء على أن مشركى العرب لايقرون بالجزية وان أقرت المجوس فان النبي صلى الله عليه وسلم لم يقبل الجزية من المشركين بل قال أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله وانى رسول الله فاذا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم الا بحقها وحسابهم على الله عز وجل

والمقصود هنا ان من أثبت القدر واحتج به على ابطال الامر والنهي فهو شر ممن أثبت الامر والنهى ولم يثبت القدر وهذا متفق عليه بين المسلمين وغيرهم من أهل الملل بل جميع الخلق فان من احتج بالقدر وشهد الربوبية العامة لجميع المخلوقات ولم يفرق بين المأمور والمحظور والمؤمن والكافر وأهل الطاعة وأهل المعصية لم يؤمن بأحد من الرسل ولا بشئ من الكتب وكان عنده آدم وابليس سواء ونوح وقومه سواء وموسى وفرعون سواء والسابقون الاولون والكافرون سواء وهذا

الضلال قد كثر في كثير من أهل التصوف والزهد والعبادة لاسيما اذا قرنوا به توحيد أهل الكلام المثبتين للقدر والمشيئة من غير اثبات المحبة والبغض والرضا والسخط الذين يقولون التوحيد هو توحيد الربوبية والالهية عندهم هي القدرة على الاختراع ولا يعرفون توحيد الالهية ولا يعلمون ان الاله هو المألوه المعبود وان مجرد الاقرار بأن الله رب كل شيء لايكون توحيداً حتى تشهد أن لا اله الا الله كما قال تعالى وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون قال عكرمة نسألهم من خلق السموات والارض فيقولون الله وهم يعبدون غيره

وهؤلاء يدعون التوحيد والفناء في التوحيد ويقولون ان هذا نهاية المعرفة وان العارف اذا صار في هذا المقام لايستحسن حسنة ولا يستقبح سيئة لشهوده الربوبية العامة والقيومية الشاملة

وهذا الموضع وقع فيه من الشيوخ الكبار من شاء الله ولاحول ولا قوة الا بالله

وهؤلاء غاية توحيدهم هو توحيد المشركين الذين كانوا يعبدون الاصنام الذين قال تعالى عنهم قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل أفلا تذكرون قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله قل أفلا تتقون قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل فاني تسحرون وقال تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فاني يؤفكون وقال ولئن سألتهم من

خلق السموات والارض ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون وقال تعالي قل من يرزقكم من السماء والارض أم من يملك السمع والابصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الامر فسيقولون الله قل أفلا تتقون فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق الا الضلال فانى تصرفون كذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا أنهم لا يؤمنون قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده فاني تؤفكون قل هل من شركائكم من يهدى الى الحق قل الله يهدى للحق أفمن يهدى الي الحق أحق أن يتبع أم من لا يهدي الا أن يهدى فمالكم كيف تحكمون وقال تعالى أمن خلق السموات والارض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها أءله مع الله بل هم قوم يعدلون أم من جعل الارض قراراً وجعل خلالها أنهاراً وجعل لها رواسى وجعل بين البحرين حاجزاً أءله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون أم من يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الارض أءله مع الله قليلا ماتذكرون أم من يهديكم في ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشراً بين يدى رحمته أءله مع الله تعالي الله عما يشركون أم من يبدأ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والارض أءله مع الله قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين فان هؤلاء المشركين كانو مقرين بان الله خالق السموات والارض وخالقهم وبيده ملكوت كل شيء وكانوا مقرين بالقدر

فان العرب كانوا يثبتون القدر في الجاهلية وهو معروف عنهم في النظم والنثر ومع هذا فانما لم يكونوا يعبدون الله وحده لاشريك له بل عبدوا غيره كانوا مشركين شراً من اليهود والنصارى

فمن كان غاية توحيده وتحقيقه هو هذا التوحيد كان غاية توحيده توحيد المشركين

وهذا المقام مقام وأى مقام زلت فيه أقدام وضلت فيه افهام وبدل فيه دين المسلمين والتبس فيه أهل التوحيد بعباد الاصنام على كثير ممن يدعون نهاية التوحيد والتحقيق والمعرفة والكلام

ومعلوم عند كل من يؤمن بالله ورسوله ان المعتزلة والشيعة القدرية المثبتين للامر والنهي والوعد والوعيد خير ممن يسوى بين المؤمن والكافر والبر والفاجر والنبي الصادق والمتنبيء الكاذب وأولياء الله وأعدائه الذين ذمهم السلف بل هم أحق بالذم من المعتزلة كما قال الخلال في كتاب السنة فى الرد على القدرية وقولهم ان الله أجبر العباد على المعاصى وذكر المروزى قال قلت لابي عبد الله رجل يقول ان الله أجبر العباد فقال هكذا لانقول وأنكر ذلك وقال يضل الله من يشاء ويهدى من يشاء

وذكر عن المروزى ان رجلا قال ان الله لم يجبر العباد على المعاصى فرد عليه آخر فقال ان الله جبر العباد أراد بذلك اثبات القدر فسألوا عن ذلك أحمد بن حنبل فأنكر عليهما جميعاً حتي قال أو أمر أن يقال يضل الله من يشاء ويهدى من يشاء وذكر عن عبد الرحمن بن مهدى

قال أنكر سفيان الثورى جبر وقال ان الله جبل العباد

قال المروزي أراد قول النبى صلى الله عليه وسلم لاشج عبد القيس يعنى قوله ان فيك لخلتين يحبهما الله الحلم والاناة فقال اخلقين تخلقت بهما أم خلقين جبلت عليهما فقال بل خلقين جبلت عليهما فقال الحمد لله الذى جبلنى على خلقين يحبهما

وذكر عن أبى اسحاق الفزارى قال قال الاوزاعى أتانى رجلان فسألانى عن القدر فاحببت ان آتيك بهما تسمع كلامهما وتجيبهما فقلت رحمك الله أنت أولى بالجواب قال فأتانى الاوزاعى ومعه الرجلان فقال تكلما فقالا قدم علينا ناس من أهل القدر فنازعونا فى القدر ونازعناهم فيه حتى بلغ بنا وبهم الي أن قلنا الله جبرنا علي مانهانا عنه وحال بيننا وبين ماأمرنا به ورزقنا ماحرم علينا فقلت ياهؤلاء ان الذين أتوكم بما أتوكم به قد ابتدعوا بدعة وأحدثوا حدثا وانى أراكم قد خرجتم من البدعة الى مثل ماخرجوا اليه فقال أصبت وأحسنت ياأبا اسحاق

وذكر عن بقية بن الوليد قال سألت الزبيدى والاوزاعى عن الجبر فقال الزبيدى أمر الله أعظم وقدرته أعظم من أن يجبر أو يعضل ولكن يقضى ويقدر ويخلق ويجبل عبده على ماأحب

وقال الاوزاعى ماأعرف للجبر أصلا من القرآن والسنة فأهاب أن أقول ذلك ولكن القضاء والقدر والخلق والجبل فهذا يعرف فى القرآن والحديث * وقال مطرف بن الشخير لم نوكل الى القدر واليه نصير * وقال ضمرة بن ربيعة لم نؤمر أن نتوكل على القدر واليه نصير

وقد ثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مامنكم من أحد الاوقد علم مقعده من الجنة ومقعده من النار قالوا يارسول الله أفلاندع العمل ونتكل على الكتاب فقال لااعملوا فكل ميسر لما خلق له وهذا باب واسع

والمقصود هنا ان الخلال وغيره أدخلوا القائلين بالجبر في مسمى القدرية وان كانوا لايحتجون بالقدر على المعاصي فكيف بمن يحتج به على المعاصي * ومعلوم انه يدخل في ذم من ذم الله من القدرية من يحتج به على اسقاط الامر والنهي اعظم مما يدخل فيه المنكر له فان ضلال هذا أعظم ولهذا قرنت القدرية بالمرجئة في كلام غير واحد من السلف وروى في ذلك حديث مرفوع لان كلا من هاتين البدعتين تفسد الامر والنهي والوعد والوعيد فالارجاء يضعف الايمان بالوعيد ويهون أمر الفرائض والمحارم والقدري ان احتج به كان عونا للمرجئ وان كذب به كان هو والمرجئ قد تقابلا هذا يبالغ في التشديد حتى لايجعل العبد يستعين بالله على فعل ماأمر به وترك مانهى عنه وهذا يبالغ في الناحية الاخرى

ومن المعلوم ان الله تعالى أرسل الرسل وأنزل الكتب لتصدق الرسل فيما أخبرت وتطاع فيما أمرت كما قال تعالى وما أرسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله وقال تعالي ومن يطع الرسول فقد أطاع الله والايمان بالقدر من تمام ذلك فمن أثبت القدر وجعل ذلك معارضا للامر فقد أذهب الاصل ومعلوم ان من أسقط الامر والنهي

الذي بعث الله به رسله فهو كافر باتفاق المسلمين واليهود والنصارى بل هؤلاء قولهم متناقض لا يمكن أحدهم أن يعيش به ولا تقوم به مصلحة أحد من الخلق ولا يتعاشر عليه اثنان فان القدر ان كان حجة فهو حجة لكل أحد والافليس حجة لاحد فاذا قدر ان الرجل ظلمه ظالم أو شتمه شاتم أو أخذ ماله أو أفسد أهله أو غير ذلك فمتى لامه أو ذمه أو طلب عقوبته أبطل الاحتجاج بالقدر ومن ادعى ان العارف اذا شهد الارادة سقط عنه الامر كان هذا الكلام من الكفر الذي لا يرضاه اليهود ولا النصارى بل ذلك ممتنع في العقل محال في الشرع فان الجائع يفرق بين الخبز والتراب والعطشان يفرق بين الماء والشراب فيحب ما يشبعه ويرويه دون ما لا ينفعه والجميع مخلوق لله تعالى فالحي وان كان من كان لابد أن يفرق بين ما ينفعه وينعمه ويسره وبين ما يضره ويشقيه ويؤلمه هذا حقيقة الامر فان الله تعالى أمر العباد بما ينفعهم ونهاهم عما يضرهم

﴿ والناس في الشرع والقدر على أربعة أنواع فشر الخلق ﴾ من يحتج بالقدر لنفسه ولا يراه حجة لغيره يستند اليه في الذنوب والمعائب ولا يطمئن اليه في المصائب كما قال بعض العلماء أنت عند الطاعة قدري وعند المعصية جبري أي مذهب وافق هواك تمذهبت به وبازاء هؤلاء خير الخلق الذين يصبرون على المصائب ويستغفرون من المعائب كما قال تعالى فاصبر ان وعد الله حق واستغفر لذنبك * وقال ما أصاب من مصيبة في الارض ولا في أنفسكم الا في كتاب من قبل أن نبرأها ان ذلك على الله يسير لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله

لايحب كل مختال فخور * وقال تعالى ماأصاب من مصيبة الا باذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه * قال بعض السلف هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عندالله فيرضى ويسلم * قال تعالى والذين اذافعلوافاحشة أوظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الاالله ولم يصروا على مافعلوا وهم يعلمون

وقدذكر الله تعالى عن آدم عليه السلام انه لما فعل مافعل قال ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين وعن ابليس انه قال فبما أغويتني لازينن لهم فى الارض ولاغوينهم أجمعين فمن تاب أشبه أباه آدم ومن أصر واحتج بالقدر أشبه ابليس

(والحديث الذي في الصحيحين فى احتجاج آدم وموسى عليهما السلام) لما قال له موسى أنت آدم أبوالبشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وعلمك أسماء كل شئ لماذا أخرجتنا ونفسك من الجنة فقال له آدم أنت موسى الذى اصطفاك الله برسالاته وبكلامه وخط لك التوراة بيده فبكم وجدت مكتوبا علي قبل أن أخلق وعصى آدم ربه فغوى قال بكذا وكذا سنة قال فحج آدم موسي وهذا الحديث في الصحيحين من حديث أبى هريرة وقدروى باسناد جيد عن عمر رضى الله عنه فآدم انما حج موسى لان موسى لامه على مافعل لاجل ماحصل لهم من المصيبة بسبب أكله من الشجرة ولم يكن لومه لاجل حق الله في الذنب فان آدم كان قدتاب من الذنب كما قال تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه وقال تعالى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى ومن

هو دون موسى عليه السلام يعلم انه بعد التوبة والمغفرة لا يبقى ملام
علي الذنب وآدم أعلم بالله من أن يحتج بالقدر على الذنب وموسى عليه
السلام أعلم بالله تعالى من أن يقبل هذه الحجة فان هذه لو كانت حجة
على الذنب لكانت حجة لابليس عدو آدم وحجة لفرعون عدو
موسى وحجة لكل كافر وبطل أمر الله ونهيه بل انما كان القدر حجة
لآدم على موسى لانه لام غيره لاجل المصيبة التي حصلت له بفعل ذلك
وتلك المصيبة كانت مكتوبة عليه * وقد قال تعالى ما أصاب من مصيبة
الا باذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه * وقال أنس خدمت النبي صلي الله
عليه وسلم عشر سنين فما قال لي أف قط ولا قال لي لشيء فعلته لم فعلته
ولا لشيء لم أفعله لم لا فعلته * وكان بعض أهله اذا عتبني على شيء يقول
دعوه فلو قضى شيء لكان * وفي الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها
قالت ماضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده خادما ولا امرأة ولا
دابة ولا شيئا قط الا أن يجاهد في سبيل الله ولا نيل منه قط شيء فانتقم
لنفسه الا أن تنتهك محارم الله فاذا انتهكت محارم الله لم يقم لغضبه شيء
حتى ينتقم لله * وقد قال صلي الله عليه وسلم لو أن فاطمة بنت محمد سرقت
لقطعت يدها ففي أمر الله ونهيه يسارع الى الطاعة ويقيم الحدود
على من تعدي حدود الله ولا تأخذه في الله لومة لائم واذا آذاه
مؤذ أو قصر مقصر في حقه عفا عنه ولم يؤاخذه نظرا الى القدر فهذا
سبيل الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين
وحسن أولئك رفيقا وهذا واجب فيما قدر من المصائب بغير فعل آدمي

كالمصائب السماوية أو بفعل لاسبيل فيه الى العقوبة كفعل آدم عليه السلام فانه لاسبيل الي لومه شرعا لاجل التوبة ولا قدرا لاجل القضاء والقدر واما اذا ظلم رجل رجلا فله أن يستوفى مظلمته على وجه العدل وان عفا عنه كان أفضل له كما قال تعالى والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له

وأما الصنف الثالث فهم الذين لاينظرون الى القدر لافي المعائب ولا فى المصائب التى هى من أفعال العباد بل يضيفون ذلك الى العبد واذا أساؤا استغفروا وهذا حسن لكن اذا أصابتهم مصيبة بفعل العبد لم ينظروا الى القدر الذى مضى بها عليهم ولا يقولون لمن قصر فى حقهم دعوه فلو قضى شئ لكان لاسيما وقد تكون تلك المصيبة بسبب ذنوبهم فلا ينظرون اليها وقد قال تعالى أولما أصابتكم مصيبة قدأصبتم مثليها قلتم أني هذا قل هو من عند أنفسكم وقال تعالى وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم وقال تعالى وان تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم فان الانسان كفور ومن هذا قوله تعالى أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك قل كل من عند الله فمالهؤلاء القوم لايكادون يفقهون حديثا ماأصابك من حسنة فمن الله وماأصابك من سيئة فمن نفسك

فان هذه الآية تنازع فيها كثير من مثبتى القدر ونفاته هؤلاء يقولون الافعال كلها من الله لقوله تعالى قل كل من عند الله وهؤلاء

يقولون الحسنة من الله والسيئة من نفسك لقوله ماأصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك وقد يجيبهم الاولون بقراءة مكذوبة فمن نفسك بالفتح على معني الاستفهام وربما قدر بعضهم تقديرا أى أفمن نفسك وربما قدر بعضهم القول في قوله تعالى ماأصابك فيقولون تقدير الآية فمالهؤلاء القوم لايكادون يفقهون حديثا يقولون فيحرفون لفظ القرآن ومعناه ويجعلون ماهو من قول الله قول الصدق من قول المنافقين الذين أنكر الله قولهم ويضمرون في القرآن مالا دليل على ثبوته بل سياق الكلام ينفيه من هاتين الطائفتين جاهلة بمعنى القرآن وبحقيقة المذهب الذي ينصره وأما القرآن فالمراد هنابالحسنات والسيئات النعم والمصائب ليس المراد الطاعات والمعاصى وهذا كقوله تعالى ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها وان تصبروا وتتقوا لايضركم كيدهم شيئا وكقوله ان تصبك حسنة تسؤهم وان تصبك مصيبة يقولوا قد أخذنا أمرنا من قبل ويتولوا وهم فرحون قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولانا الآية ومنه قوله تعالى وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون كما قال تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة والينا ترجعون أى بالنعم والمصائب هذا بخلاف قوله تعالى من جاء بالحسنة فله خير منها وقوله تعالى ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها وأمثال ذلك فان المراد بها الطاعة والمعصية وفى كل موضع مايبين المراد باللفظ فليس فى القرآن العزيز بحمد الله تعالي اشكال بل هو مبين

وذلك انه اذا قال ماأصابك وما مسك ونحو ذلك كان من فعل

غيرك بك كما قال ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن
نفسك وكما قال تعالى ان تصبك حسنة تسؤهم وقال تعالى وان تصبهم
سيئة بما قدمت أيديهم واذا قال من جاء بالحسنة كانت من فعله لانه هو
الجائى بها فهذا يكون فيما فعله العبد لا فيما فعل به وسياق الآيتين يبين
ذلك فانه ذكر هذا في سياق الحض على الجهاد وذم المتخلفين عنه فقال
تعالى يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم فانفروا ثبات أو انفروا جميعا
وان منكم لمن ليبطئن فان أصابتكم مصيبة قال قد أنعم الله على اذ لم أكن
معهم شهيدا ولئن أصابكم فضل من الله ليقولن كان لم تكن بينكم وبينه
مودة ياليتني كنت معهم فافوز فوزا عظيما فامر سبحانه بالجهاد وذم
المثبطين وذكر ما يصيب المؤمنين تارة من المصيبة فيه وتارة من فضل
الله فيه كما أصابهم يوم أحد فقال أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها
قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم وأصابهم يوم بدر فضل من الله بنصره
لهم وتأييده كما قال تعالى ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة ثم انه سبحانه
قال فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة الآية وقال تعالى
ومالكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان
الى قوله أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة وان
تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم سيئة يقولوا هذه
من عندك فهذا من كلام الكفار والمنافقين اذا أصابهم نصر وغيره من
النعم قالوا هذه من عند الله وان أصابهم ذل وخوف وغير ذلك من
المصائب قالوا هذه من عند محمد بسبب الدين الذى جاء به فان الكفار

كانوا يضيفون ما أصابهم من المصائب الى فعل أهل الايمان وقد ذكر نظير ذلك في قصة موسى وفرعون قال تعالي ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه ونظيره قوله تعالي في سورة يس قالوا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون وما علينا الا البلاغ المبين قالوا انا تطيرنا بكم لئن لم تنتهوا لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب أليم فاخبر الله تعالى ان الكفار كانوا يتطيرون بالمؤمنين فاذا أصابهم بلاء جعلوه بسبب أهل الايمان وما أصابهم من الخير جعلوه من الله عز وجل فقال تعالي فما لهؤلاء القوم لايكادون يفقهون حديثا والله تعالى نزل أحسن الحديث فلو فهموا القرآن لعلموا أن الله أمرهم بالمعروف ونهاهم عن المنكر أمر بالخير ونهى عن الشر فليس فيما بعث الله به رسله مايكون سبباً للشر بل الشر حصل بذنوب العباد فقال تعالي ما أصابك من حسنة فمن الله أى ما أصابك من نصر ورزق وعافية فمن الله نعمة أنعمها عليك وان كانت بسبب أعمالك الصالحة فهو الذى هداك وأعانك ويسرك لليسرى ومن عليك بالايمان وزينه في قلبك وكره اليك الكفر والفسوق والعصيان وفي آخر الحديث الصحيح الالهي حديث أبى ذر عن النبى صلى الله عليه وسلم فيما يروي عن ربه تبارك وتعالى ياعبادى انما هى أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم اياها فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه

وفى الصحيح سيد الاستغفار اللهم أنت ربي لااله الا أنت خلقتنى

وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك على وأبوء بذنبي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا أنت من قالها اذا أصبح موقنا بها فمات من يومه دخل الجنة ومن قالها اذا أمسي موقنا بها فمات من ليلته دخل الجنة ثم قال تعالي وما أصابك من سيئة من ذل وخوف وهزيمة كما أصابهم يوم أحد فمن نفسك أى بذنوبك وخطاياك وان كان ذلك مكتوبا مقدرا عليك

فان القدر ليس حجة لاحد على الله ولا على خلقه ولو جاز لاحد ان يحتج بالقدر على مايفعله من السيئات لم يعاقب ظالم ولم يقتل مشرك ولم يقم حد ولم يكف أحد عن ظلم أحد وهذا من الفساد فى الدين والدنيا المعلوم ضرورة وافساده بصريح المعقول المطابق لما جاء به الرسول فالقدر يؤمن به ولا يحتج به فمن لم يؤمن بالقدر ضارع المجوس ومن احتج به ضارع المشركين ومن أقر بالامر والقدر وطعن فى عدل الله وحكمته كان شبيها بابليس فان الله تعالي ذكر عنه انه طعن فى حكمته وعارضه برأيه وهواه وانه قال فبما اغويتني لازينن لهم فى الارض

وقد ذكر طائفة من اهل الكتاب وبعض المصنفين في المقالات كالشهرستاني انه ناظر الملائكة في ذلك معارضاً لله تعالى في خلقه وامره لكن هذه المناظرة بين ابليس والملائكة التى ذكرها الشهرستانى في اول المقالات ونقلها عن بعض اهل الكتاب ليس لها اسناد يعتمد عليه ولو وجدناها فى كتب أهل الكتاب لم يجز أن نصدقها لمجرد ذلك فان

النبي صلى الله عليه وسلم ثبت عنه في الصحيح انه قال اذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم فاما أن يحدثوكم بحق فتكذبونه واما أن يحدثوكم بباطل فتصدقونه ويشبه والله أعلم ان تكون المناظرة من وضع بعض المكذبين بالقدر اما من أهل الكتاب واما من المسلمين والشهرستاني نقلها من كتب المقالات والمصنفون في المقالات ينقلون كثيرا من المقالات من كتب المعتزلة كما نقل الاشعرى وغيره مانقله فى المقالات من كتب المعتزلة فانهم من أكثر الطوائف وأولها تصنيفاً في هذا الباب ولهذا توجد المقالات منقولة بعباراتهم فوضعوا هذه المناظرة على لسان ابليس كما رأينا كثيراً منهم يضع كتابا أو قصيدة على لسان بعض اليهود أوغيرهم ومقصودهم بذلك الرد على المثبتين للقدر يقولون ان حجة الله على خلقه لاتتم لا بالتكذيب بالقدر كما وضعوا فى مثالب ابن كلاب انه كان نصرانياً لانه أثبت الصفات وعندهم من أثبت الصفات فقد أشبه النصارى وتتلقى أمثال هذه الحكايات بالقبول من المنتسبين الى السنة ممن لم يعرف حقيقة أمرها

والمقصود هنا أن الآية الكريمة حجة على هؤلاء وهؤلاء على من يحتج بالقدر فان الله تعالى أخبر انه عذبهم بذنوبهم فلو كانت حجتهم مقبولة لم يعذبهم بذنوبهم وحجة على من كذب بالقدر فانه سبحانه أخبر ان الحسنة من الله وان السيئة من نفس العبد والقدرية متفقون على ان العبد هو المحدث للمعصية كما هو المحدث للطاعة والله عندهم ماأحدث هذا ولا هذا ولا هذا بل أمر بهذا ونهى عن هذا وليس عندهم لله

نعمة أنعمها على عباده المؤمنين فى الدين الا وقد أنعم بمثلها على الكفار فعندهم ان على بن أبى طالب رضى الله عنه وأبالهب مستويان في نعمة الله الدينية اذ كل منهما أرسل اليه الرسول وأقدر على الفعل وأجبر عليه لكن هذا فعل الايمان بنفسه من غير أن يخصه بنعمة آمن بها وهذا فعل الكفر بنفسه من غير أن يفضل الله عليه ذلك المؤمن ولا خصه بنعمة آمن لاجلها وعندهم ان الله حبب الايمان الى الكفار كابى لهب وامثاله كما حببه الى المؤمنين كعلى رضي الله عنه وامثاله وزينه في قلوب الطائفتين وكره الكفر والفسوق والعصيان الى الطائفتين سواء لكن هؤلاء كرهوا ما كرهه الله اليهم بغير نعمة خصهم بها وهؤلاء لم يكرهوا ما كرهه الله اليهم

ومن توهم منهم أومن نقل عنهم ان الطاعة من الله والمعصية من العبد فهو جاهل بمذهبهم فان هذا لم يقله أحد من علماء القدرية ولا يمكن أن يقوله فان أصل قولهم ان فعل العبد للطاعة كفعله للمعصية كلاهما فعله بقدرة تحصل له من غير أن يخصه بارادة خلقها فيه تختص باحدها فاذا احتجوا بهذه الآية على مذهبهم كانوا جاهلين بمذهبهم وكانت الآية حجة عليهم لالهم لانه قال تعالى قل كل من عند الله وعندهم ليس الحسنات المفعولة ولا السيئات المفعولة من عند الله بل كلاهما من العبد وقوله تعالى ماأصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك مخالف لقولهم فان عندهم الحسنة المفعولة من العبد لامن الله سبحانه وتعالى

وكذلك من احتج من مثبتة القدر بالآية على اثباته اذا احتج بقوله تعالى قل كل من عند الله كان مخطئا فان الله ذكر هذه الآية ردا على من يقول الحسنة من الله والسيئة من العبد ولم يقل أحد من الناس ان الحسنة المفعولة من الله والسيئة المفعولة من العبد وأيضاً فان نفس فعل العبد وان قال أهل الاثبات ان الله خلقه وهو مخلوق له ومفعول له فانهم لاينكرون ان العبد هو المتحرك بالافعال وبه قامت ومنه نشأت وان كان الله خلقها وأيضاً فان قوله بعد هذا ماأصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك يمتنع أن يفسر بالطاعة والمعصية فان أهل الاثبات لايقولون ان الله خلق احداهما دون الاخرى بل يقولون بان الله خالق لجميع الافعال وكل الحوادث

(ومما ينبغي أن يعلم) ان مذاهب سلف الامة مع ان قولهم الله خالق كل شيء وربه ومليكه وانه ماشاء كان ومالم يشأ لم يكن وانه على كل شيء قدير وأنه هو الذي خلق العبد هلوعا اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا ونحو ذلك ان العبد فاعل حقيقة وله مشيئة وقدرة قال تعالى لمن شاء منكم أن يستقيم وما تشاؤن الا أن يشاء الله رب العالمين وقال تعالي ان هذه تذكرة فمن شاء ذكره وما يذكرون الا أن يشاء الله هو أهل التقوى وأهل المغفرة

وهذا الموضع اضطرب فيه الخائضون فى القدر فقالت المعتزلة ونحوهم من النفاة الكفر والفسوق والعصيان أفعال قبيحة والله منزه عن فعل القبيح باتفاق المسلمين فلا يكون فعلا له وقال من رد عليهم

من المائلين الى الجبر بل هى فعله وليست أفعالا للعباد بل هى كسب للعبد وقالوا ان قدرة العبد لاتأثير لها في حدوث مقدورها ولا في صفة من صفاتها وان الله أجرى العادة بخلق مقدورها مقارنا لها فيكون الفعل خلقا من الله وابداعا وإحداثا وكسبا من العبد لوقوعه مقارنا لقدرته

وقالوا ان العبد ليس محدثا لافعاله ولا موجداً لها ومع هذا فقد يقولون انا لانقول بالجبر المحض بل نثبت للعبد قدرة حادثة والجبر المحض الذى لايثبت للعبد قدرة وأخذوا يفرقون بين الكسب الذى أثبتوه وبين الخلق فقالوا الكسب عبارة عن اقتران المقدور بالقدرة الحادثة والخلق هو المقدور بالقدرة القديمة وقالوا أيضاً الكسب هو الفعل القائم بمحل القدرة عليه والخلق هو الفعل الخارج عن محل القدرة عليه فقال لهم الناس هذا لايوجب فرقا بين كون العبد كسباو بين كونه فعلاوأوجد وأحدث وصنع وعمل ونحو ذلك فان فعله واحداثه وعمله وصنعه هو أيضاً مقدور بالقدرة الحادثه وهو قائم فى محل القدرة الحادثة وأيضاً فهذا فرق لاحقيقة له فان كون المقدور في محل القدرة أوخارجا عن محلها لايعود الى تأثير القدرة فيه وهو مبنى على أصلين ان الله لايقدر على فعل يقوم بنفسه وان خلقه للعالم هو نفس العالم وأكثر العقلاء من المسلمين وغيرهم على خلاف ذلك والثانى ان قدرة العبد لايكون مقدورها خارجا عن محلها وفى ذلك نزاع طويل ليس هذا موضعه وأيضاً فاذا فسر التأثير بمجرد الاقتران فلا فرق بين أن يكون الفارق

في المحل أو خارجا عن المحل وأيضاً قال لهم المنازعون من المستقر في فطر الناس ان من فعل العدل فهو عادل ومن فعل الظلم فهو ظالم ومن فعل الكذب فهو كاذب فاذا لم يكن العبد فاعلا لكذبه وظلمه وعدله بل الله هو فاعل ذلك لزم أن يكون هو المتصف بالكذب والظلم

قالوا وهذا كما قلتم أنتم وسائر الصفاتية من المستقر في فطر الناس أن من قام به العلم فهو عالم ومن قامت به القدرة فهو قادر ومن قامت به الحركة فهو متحرك ومن قام به التكلم فهو متكلم ومن قامت به الارادة فهو مريد وقلتم اذا كان الكلام مخلوقا كان كلاما للمحل الذى خلقه فيه كسائر الصفات فهذه القاعدة المطردة فيمن قامت به الصفات نظيرها أيضاً من فعل الافعال وقالوا أيضاً القرآن مملوء بذكر اضافة هذه الافعال الى العباد كقوله تعالى جزاء بما كنتم تعملون وقوله اعملوا ماشئتم وقوله وقل اعملوا فسيرى الله عملكم وقوله ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأمثال ذلك وقالوا أيضاً ان الشرع والعقل متفقان على أن العبد يحمد ويذم على فعله ويكون حسنة له فلولم يكن الا فعل غيره لكان ذلك الغير هو المحمود المذموم عليها

وفي المسئلة كلام ليس هذا موضع بسطه لكن ننبه على نكت نافعة في هذا الموضع المشكل

فنقول قول القائل هذا فعل هذا وفعل هذا لفظ فيه اجمال فانه تارة يراد بالفعل نفس الفعل وتارة يراد به مسمى المصدر فيقول فعلت هذا أفعله فعلا وعملت هذا أعمله عملا فاذا أريد بالعمل نفس الفعل

الذى هو مسمى المصدر كصلاة الانسان وصيامه ونحو ذلك فالعمل هنا المعمول قال تعالى يعملون له مايشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات فجعل هذه المصنوعات معمولة للجن ومن هذا الباب قوله تعالى والله خلقكم وما تعملون فانه في أصح القولين مابمعنى الذى والمراد به ماتنحتونه من الاصنام كما قال تعالى أتعبدون ماتنحتون والله خلقكم وما تعملون أى والله خلقكم وخلق الاصنام التي تنحتونها ومنه حديث حذيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله خالق كل صانع وصنعته لكن قد يستدل بالآية على ان الله خالق أفعال العباد من وجه آخر فيقال اذا كان خالقاً لما يعملونه من المنحوتات لزم أن يكون هو الخالق للتأليف الذى أحدثوه فيها فانها انما صارت معمولة بذلك التأليف والا فهي بدون ذلك ليست معمولة لهم واذا كان خالقاً لما يعملونه من المنحوتات لزم أن يكون هو الخالق للتأليف الذى أحدثوه فيها فانها انما صارت معمولة بذلك التأليف والا فهى بدون ذلك ليست معمولة لهم واذا كان خالقاً للتأليف كان خالقا لافعالهم

والمقصود ان لفظ الفعل والعمل والصنع أنواع وذلك كلفظ البناء والخياطة والتجارة تقع على نفس مسمى المصدر وعلي المفعول وكذلك لفظ التلاوة والقراءة والكلام والقول يقع على نفس مسمى المصدر وعلى ما يحصل بذلك من نفس القول والكلام فيراد بالتلاوة والقراءة المقروء والمتلو كما يراد بها مسمى المصدر

والمقصود هنا ان القائل اذا قال هذه التصرفات فعل الله أوفعل

العبد فان أراد بذلك أنها فعل الله بمعنى المصدر فهذا باطل باتفاق المسلمين وبصريح العقل ولكن من قال هو فعل الله أراد به انها مفعولة مخلوقة لله كسائر المخلوقات ثم من هؤلاء من قال انه ليس لله فعل يقوم به فلا فرق عنده بين فعله ومفعوله وخلقه ومخلوقه

وأما الجمهور الذين يفرقون بين هذا وهذا يقولون هذه مخلوقة لله مفعولة ليست هي نفس فعله وأما العبد فهي فعله القائم به وهي أيضاً مفعولة له اذا أريد بالعمل المفعول فمن لم يفرق في حق الرب تعالى بين الفعل والمفعول اذا قال انها فعل لله تعالي وليس لمسمى فعل الله عنده معنيان فحينئذ فلا تكون فعلا للعبد ولا مفعولة له بطريق الاولي

وبعض هؤلاء قال هي فعل للرب وللعبد فأثبت مفعولا بين مفعولين وأكثر المعتزلة يوافقون هؤلاء على أن فعل الرب تعالى لايكون الا بمعنى مفعوله مع أنهم يفرقون في العبد بين الفعل والمفعول فلهذا عظم النزاع وأشكلت المسئلة على الطائفتين وحاروا فيها

وأما من قال خلق الرب تعالى لمخلوقاته ليس هو نفس مخلوقاته قال ان أفعال العباد مخلوقة كسائر المخلوقات ومفعولة للرب كسائر المفعولات ولم يقل انها نفس فعل الرب وخلقه بل قال انها نفس فعل العبد وعلى هذا تزول الشبهة فانه يقال الكذب والظلم ونحو ذلك من القبائح يتصف بها من كانت فعلا له كما يفعلها العبد وتقوم به ولا يتصف بها من كانت مخلوقة له اذا كان قد جعلها صفة لغيره كما أنه سبحانه لايتصف بما خلقه في غيره من الطعوم والالوان والروائح والاشكال

والمقادير والحركات وغير ذلك فاذا كان قد خلق لون الانسان لم يكن هو المتلون به واذا خلق رائحة منتنة أوطعماً مراً أو صورة قبيحة ونحو ذلك مما هو مكروه مذموم مستقبح لم يكن هو متصفاً بهذه المخلوقات القبيحة المذمومة المكروهة والافعال القبيحة ومعنى قبحها كونها ضارة لفاعلها وسبباً لذمه وعقابه وجالبة لالمه وعذابه وهذا أمر يعود على الفاعل الذى قامت به لاعلى الخالق الذى خلقها فعلا لغيره

ثم على قول الجمهور الذين يقولون له حكمة فيما خلقه في العالم مما هو مستقبح وضار ومؤذ يقولون له فيما خلقه من هذه الافعال القبيحة الضارة لفاعلها حكمة عظيمة كماله حكمة عظيمة فيما خلقه من الامراض والغموم ومن يقول لاتعلل أفعاله لايعلل لاهذا ولا هذا

يوضح ذلك ان الله تعالى اذا خلق في الانسان عمى ومرضاً وجوعا وعطشاً ووصبا ونصبا ونحو ذلك كان العبد هو المريض الجائع العطشان المتألم نضرر هذه المخلوقات وما فيها من الاذى والكراهة عاد اليه ولا يعود الى الله تعالى شئ من ذلك فكذلك ماخلق فيه من كذب وظلم وكفر ونحو ذلك هي أمور ضارة مكروهة مؤذية وهذا معنى كونها سيآت وقبائح أى انها تسؤ صاحبها وتضره وقد تسؤ أيضاً غيره وتضره كما ان مرضه ونتن ريحه ونحو ذلك قد يسؤ غيره ويضره يبين ذلك ان القدرية سلموا ان الله تعالى قد يخلق فى العبد كفراً أو فسوقا على سبيل الجزاء كما في قوله تعالي ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة وقوله فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا وقوله فلما زاغوا

أزاغ الله قلوبهم ثم انه من المعلوم ان هذه المخلوقات تكون فعلا للعبد وكسبا له يجزى عليها ويستحق الذم عليها والعقاب وهى مخلوقة لله تعالى فالقول عند أهل الاثبات فيما يخلقه من أعمال العباد ابتداء كالقول فيما يخلقه جزاء من هـذا الوجه وان افترقا من وجه آخر وهم لايمكنهم أن يفرقوا بينهما بفرق يعود الي كون هذا فعلا لله دون هذا وهـذا فعل للعبد دون هذا لكن يقولون هـذا يحسن من الله تعالى لكونه جزاء للعبد وذلك لايحسن منـه لكونه ابتداء العبـد بما يضره وهم لايقولون لايحسن منه أن يضر الحيوان الابجرم سابق أوعوض لاحق وأما أهل الاثبات للقدر فمن لم يعلل منهم لايفرق بين مخلوق ومخلوق

وأما القائلون بالحكمة وهم الجمهور فيقولون لله تعالى فيما يخلقه من الحيوان حكم عظيمة كماله حكم في غير هذا ونحن لانحصر حكمته في الثواب والعوض فان هذا قياس لله تعالى على الواحد من الناس وتمثيل لحكمة الله وعدله بحكمة الواحد من الناس وعدله والمعتزلة مشبهة في الافعال معطلة في الصفات * ومن أصولهم الفاسدة انهم يصفون الله بما يخلقه في العالم اذليس عندهم صفة لله قائمة به ولا فعل قائم به يسمونه به ويصفونه بما يخلقه في العالم مثـل قولهم هو متكلم بكلام يخلقه فى غيره ومريد بارادة يحدثها لافى محل وقولهم ان رضاه وغضبه وحبه وبغضه هو نفس المخلوق الذى يخلقه من الثواب والعقاب وقولهم انه لو كان خالقا لظلم العبـد وكذبه لكان هو الظالم الكاذب وأمثال ذلك من الاقوال التي اذا تدبرها العاقل علم فسادها بالضرورة

ولهذا اشتد نكير السلف و الأئمة عليهم لاسيما لما أظهروا القول بأن القرآن مخلوق وعلم السلف ان هذا في الحقيقة هو انكار لكلام الله تعالى وانه لو كان كلامه هو مايخلقه للزم أن يكون كل كلام مخلوق كلاما له فيكون انطاقه للجلود يوم القيامة وانطاقه للجبال والحصا بالتسبيح وشهادة الايدى والارجل ونحو ذلك كلاما له واذا كان خالقا لكل شيء كان كل كلام موجود كلامه وهذا قول الحلولية والجهمية كصاحب الفصوص وأمثاله ولهذا يقولون

وكل كلام في الوجود كلامه * سواء علينا نثره ونظامه

علم بصريح المعقول ان الله تعالى اذا خلق صفة فى محل كانت صفة لذلك المحل فاذا خلق حركة فى محل كان ذلك المحل هو المتحرك بها واذا خلق لونا أوريحا في جسم كان هو المتلون المتروح بذلك واذا خلق علما أوقدرة أوحياة فى محل كان ذلك المحل هو العالم القادر الحى فكذلك اذا خلق ارادة وحبا وبغضا في محل كان هو المريد المحب المبغض فاذا خلق فعلا لعبد كان العبد هو الفاعل فاذاخلق له كذبا وظلما وكفرا كان هو الكاذب الظالم الكافر وان خلق له صلاة وصوما وحجا كان العبد هو المصلي الصائم الحاج والله تعالى لايوصف بشيء من مخلوقاته بل صفاته قائمة بذاته وهذا مطرد على أصول السلف وجمهور المسلمين من أهل السنة وغيرهم ويقولون ان خلق الله السموات والارض ليس هو نفس السموات والارض بل الخلق غير المخلوق لاسيما مذهب السلف والأئمة وأهل السنة الذين وافقوهم على اثبات صفات الله وأفعاله

فان المعتزلة ومن وافقهم من الجهمية القدرية نقضوا هذا الاصل على من لم يقل ان الخالق غير المخلوق كالاشعري ومن وافقه فقالوا اذا قلتم ان الصفة اذا قامت بمحل عاد حكمها على ذلك المحل دون غيره كما ذكرتم في الحركة والعلم والقدرة وسائر الاعراض انتقض ذلك عليكم بالعدل والاحسان وغيرهما من أفعال الله تعالى فانه يسمي عادلا بعدل خلقه في غيره محسنا باحسان خلقه فى غيره فكذا يسمي متكلما بكلام خلقه فى غيره

والجمهور من أهل السنة وغيرهم يجيبون بالتزام هذا الاصل ويقولون انما كان عادلا بالعدل الذى قام بنفسه ومحسنا بالاحسان الذى قام بنفسه وأما المخلوق الذى حصل للعبد فهو أثر ذلك كما انه رحمن رحيم بالرحمة التي هى صفته وأما ما يخلقه من الرحمة فهو أثر تلك الرحمة واسم الصفة تقع تارة على الصفة التى هى المصدر وتقع تارة على متعلقها الذي هو مسمى المفعول كلفظ الخلق يقع تارة على الفعل وعلى المخلوق أخري والرحمة تقع على هذا , هذا وكذلك الامر يقع على أمره الذى هو مصدر أمر يأمر أمرا ويقع على المفعول تارة كقوله تعالى وكان أمر الله قدرا مقدورا , وكذلك لفظ العلم يقع على المعلوم والقدرة تقع علي المقدور ونظائر هذا متعددة

وقد استدل أحمد وغيره من ائمة السنة فى جملة ما استدلوا علي ان كلام الله غير مخلوق بقوله عليه الصلاة والسلام أعوذ بكلمات الله التامات ونحو ذلك وقالوا الاستعاذة لا تحصل لمخلوق وطرد هذا قول النبى صلى الله

عليه وسلم اللهم اني أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وبك منك

ومن تدبر هذا الباب وجد أهل البدع والضلال لا يستطيلون على فريق منتسبين الى السنة والهدى الا بما دخلوا فيه من نوع بدعة أخرى وضلال آخر لاسيما اذا وافقوهم على ذلك فيحتجون عليهم بما وافقوهم عليه من ذلك ويطلبون لوازمه حتى يخرجوهم من الدين ان استطاعوا خروج الشعرة من العجين كما فعلت القرامطة الباطنية والفلاسفة وأمثالهم بفريق فريق من طوائف المسلمين والمعتزلة استطالوا على الاشعرية ونحوهم من المثبتين للصفات والقدر بما وافقوهم عليه من نفى الافعال القائمة بالله تعالى فنقضوا بذلك أصلهم الذى استدلوا به عليهم من أن كلام الله غير مخلوق وان الكلام وغيره من الامور اذا خلق بمحل عاد حكمه على ذلك المحل واستطالوا عليهم بذلك فى مسئلة القدر واضطروهم الي أن جعلوا نفس مايفعله العبد من القبيح فعلا لله رب العالمين دون العبد

ثم أثبتوا كسبا لاحقيقة له فانه لا يعقل من حيث تعلق القدرة بالمقدور فرق بين الكسب والفعل ولهذا صار الناس يسخرون بمن قال هذا ويقولون ثلاثة أشياء لاحقيقة لها طفرة النظام وأحوال أبى هاشم وكسب الاشعرى اضطروهم الى أن فسروا تأثير القدرة في المقدور بمجرد الاقتران العادى والاقتران العادى يقع بين كل ملزوم ولازمه ويقع بين المقدور والقدرة فليس جعل هذا مؤثرا في هذا الباب بأولي من العكس و يقع بين المعلول وعلته المنفصلة عنه مع أن

قدرة العباد عنده لا يتجاوز بمحلها ولهذا فر القاضي أبو بكر الى قول وأبو اسحاق الاسفرايني الى قول وأبو المعالى الجويني الى قول لما رأوا في هذا القول من التناقض والكلام على هذا مبسوط في موضعه والمقصود هنا التنبيه

ومن النكت فى هذا الباب ان لفظ التأثير ولفظ الجبر ولفظ الرزق ونحو ذلك ألفاظ مجملة فاذا قال القائل هل قدرة العبد مؤثرة في مقدورها أم لا قيل له أولا لفظ القدرة يتناول نوعين أحدهما القدرة الشرعية المصححة للفعل التي هى مناط الامر والنهى والثانى القدرة القدرية الموجبة للفعل التى هى مقارنة للمقدور لا يتأخر عنها فالاولى هى المذكورة في قوله تعالى ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا فان هذه الاستطاعة لو كانت هى المقارنة للفعل لم يجب حج البيت الا على من حج فلا يكون من لم يحج عاصيا بترك الحج سواء كان له زاد وراحلة وهو قادر على الحج أو لم يكن وكذلك قول النبى صلى الله عليه وسلم لعمران بن حصين صل قائما فان لم تستطع فقاعدا فان لم تستطع فعلي جنب وكذلك قوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم وقوله صلى الله عليه وسلم اذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم لو أراد استطاعة لا تكون الا مع الفعل لكان قد قال فافعلوا منه ما تفعلون فلا يكون من لم يفعل شيئا عاصيا له وهذه الاستطاعة المذكورة في كتب الفقه ولسان العموم والناس متنازعون فى مسمى الاستطاعة والقدرة فمنهم من لا يثبت استطاعة الا ما قارن الفعل وتجد كثيراً من الفقهاء يتناقضون فاذا خاضوا مع من يقول من المتكلمين

المثبتين للقدر ان الاستطاعة لاتكون الا مع الفعل وافقوهم على ذلك واذا خاضوا فى الفقه ثبتوا الاستطاعة المتقدمة التي هى مناط الامر والنهي وعلى هذا تتفرع مسئلة تكليف مالا يطاق فان الطاقة هى الاستطاعة وهى لفظ مجمل فالاستطاعة الشرعية التى هى مناط الامر والنهى لم يكلف الله أحداً شيئا بدونها فلا يكلف مالا يطاق بهذا التفسير وأما الطاقة التي لاتكون الا مقارنة للفعل فجميع الامر والنهى تكليف مالا يطاق بهذا الاعتبار فان هذه ليست مشروطة في شيء من الامر والنهي باتفاق المسلمين وكذا تنازعهم في العبد هل هو قادر على خلاف المعلوم فاذا أريد بالقدرة القدرة الشرعية التى هى مناط الامر والنهى كالاستطاعة المذكورة في قوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم فكل من أمره الله ونهاه فهو مستطيع بهذا الاعتبار وان علم انه لايطيعه وان أريد بالقدرة القدرية التي لاتكون الا مقارنة للمفعول فمن علم انه لايفعل الفعل لم تكن هذه القدرة ثابتة له

ومن هذا الباب تنازع الناس في الامر والارادة هل يأمر بما لايريد أولا يأمر الا بما يريد فان الارادة لفظ فيه اجمال يراد بالارادة الارادة الكونية الشاملة لجميع الحوادث كقول المسلمين ماشاء الله كان ومالم يشأ لم يكن وكقوله تعالى فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجا كأنما يصعد في السماء وقول نوح عليه السلام ولا ينفعكم نصحى ان أردت أن أنصح لكم ان كان الله يريد أن يغويكم ولا ريب ان الله يأمر العباد بما لايريده بهذا التفسير

والمعنى كما قال تعالى ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها فدل على أنه لم يؤت كل نفس هداها مع انه أمر كل نفس بهداها وكما اتفق العلماء على أن من حلف بالله ليقضين دين غريمه غدا ان شاء الله أو ليردن وديعته أو غصبه أو ليصلين الظهر أو العصر ان شاء الله أو ليصومن رمضان ان شاء الله ونحو ذلك مما أمره الله به فانه اذا لم يفعل المحلوف عليه لايحنث مع ان الله أمره به لقوله ان شاء الله فعلم ان الله لم يشأه مع أمره به وأما الارادة الدينيه فهي بمعنى المحبة والرضا وهي ملازمته للامر كقوله تعالى يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم ومنه قول المسلمين هذا يفعل شيأ لايريده الله اذا كان يفعل بعض الفواحش أى انه لايحبه ولا يرضاه بل ينهى عنه ويكرهه

وكذلك لفظ الجبر فيه اجمال يراد فيه اكراه الفعل على الفعل بدون رضاه كما يقال ان الاب يجبر المرأة على النكاح والله تعالى أجل وأعظم من أن يكون مجبرا بهذا التفسير فانه يخلق للعبد الرضا والاختيار بما يفعله وليس ذلك جبرا بهذا الاعتقاد ويراد بالجبر خلق مافي النفوس من الاعتقادات والارادات كقول محمد بن كعب القرظى الجبار الذى جبر العباد على ماأراد كما فى الدعاء المأثور عن على رضي الله عنه جبار القلوب على فطرتها شقيها وسعيدها والجبر ثابت بهذا التفسير فلما كان لفظ الجبر مجملا نهى الائمة عن اطلاق اثباته أو نفيه وكذلك لفظ الرزق فيه اجمال فقد يراد بلفظ الرزق ماأباحه الله أو ملكه فلايدخل الحرام في مسمى هذا الرزق كما في قوله تعالى ومما رزقناهم ينفقون وقوله

تعالى وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت وقوله ومن رزقناه منا رزقا حسناً فهو ينفق منه سراً وجهراً وأمثال ذلك وقد يراد بالرزق ماينتفع به الحيوان وان لم يكن هناك اباحة ولا تمليك فيدخل فيه الحرام كما فى قوله تعالى وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها وقوله عليه الصلاة والسلام في الصحيح فيكتب رزقه وعمله وأجله وشقى أو سعيد ولما كان لفظ الجبر والرزق ونحوهما فيه اجمال منع الائمة من اطلاق ذلك نفياً واثباتاً كما تقدم عن الاوزاعى وأبى اسحاق الفزارى وغيرهما وكذا لفظ التأثير فيه اجمال فان القدرة مع المقدور كالسبب مع المسبب والعلة مع المعلول والشرط مع المشروط فان أريد بالقدرة القدرة الشرعية المصححة للفعل المتقدمة للفعل فتلك شرط للفعل وسبب من أسبابه وعلة ناقصة له وان أريد بالقدرة القدرة المقارنة للفعل المستلزمة له فتلك علة للفعل وسبب ومعلوم انه ليس فى المخلوقات شئ هو وحده علة تامة وسبب تام للحوادث بمعنى ان وجوده مستلزم لوجود الحوادث بل ليس هذا الا مشيئة الله تعالى خاصة فما شاء الله كان ومالم يشأ لم يكن

وأما الاسباب المخلوقة كالنار في الاحراق والشمس في الاشراق والطعام والشراب في الاشباع والارواء فجميع هذه الامور سبب لايكون الحادث به وحده بل لابد أن ينضم اليه سبب آخر ومع هذا فلهما موانع تمنعهما عن الاثر فكل سبب فهو موقوف على وجود الشروط وانتفاء الموانع وليس فى المخلوقات واحد يصدر عنه وحده شئ

وهذا مما يبين لك خطأ المتفلسفة الذين قالوا الواحد لا يصدر عنه الا واحد واعتبر ذلك بالاسباب الطبيعية كالمسخن والمبرد ونحو ذلك فان هذا غلط فان التسخين لا يكون الا بشيئين أحدهما فاعل كالنار والثانى قابل كالجسم القابل للسخونة والاحتراق والا فالنار اذا وقعت على السمندل والياقوت لم تحرقه وكذلك الشمس فان شعاعها مشروط بالجسم المقابل للشمس الذى ينعكس عليه الشعاع وله موانع من السحاب والسقوف وغير ذلك فهذا الواحد الذى قدروه فى أنفسهم لا وجود له في الخارج وقد بسط هذا في موضع آخر فان الواحد العقلى الذى يثبته الفلاسفة كالوجود المجرد عن الصفات وكالعقول المجردة وكالكليات التى يدعون تركب الانواع منها وكالمادة والصورة العقليتين وامثال ذلك لا وجود لها فى الخارج بل انما توجد فى الاذهان لا فى الاعيان وهى أشد بعدا عن الوجود من الجوهر الفرد الذى يثبته من يثبته من أهل الكلام فان هذا الواحد لا حقيقة له فى الخارج وكذلك الواحد كما قد بسط في موضعه

والمقصود هنا ان التأثير اذا فسر بوجود شرط الحادث أو بسبب يتوقف حدوث الحادث به على سبب آخر وانتفاء موانع وكل ذلك بخلق الله تعالى فهذا حق وتأثير قدرة العبد فى مقدورها ثابت بهذا الاعتبار وان فسر التأثير بأن المؤثر مستقل بالاثر من غير مشارك معاون ولا معاوق مانع فليس شئ من المخلوقات مؤثرا بل الله وحده خالق كل شئ فلا شريك له ولا ندله فما شاء كان ومالم يشأ لم يكن مايفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده قل

ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وما لهم فيهما من شرك وماله منهم من ظهير ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له قل أفرأيتم ماتدعون من دون الله ان أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون ونظائر هذا في القرآن كثيرة فاذا عرف ما في لفظ التأثير من الاجمال والاشتراك ارتفعت الشبهة ورفع العدل المتوسط من الطائفتين فمن قال ان المؤمن والكافر سواء فيما أنعم الله عليهما من الاسباب المقتضية للايمان وان المؤمن لم يخصه الله بقدرة ولا ارادة آمن بها وان العبد اذا آمن لم تحدث له معرفة من الله وارادة لم تكن قبل الفعل فقوله معلوم الفساد وقيل لهؤلاء فعل العبد من جملة الحوادث والممكنات فكل مابه يعلم ان الله تعالى أحدث غيره يعلم به ان الله أحدثه فيكون العبد فاعلا بعد أن لم يكن أمر ممكن حادث فان أنكر صدور هذا الممكن بدون محدث واجب يحدثه ويرجح وجوده على عدمه أمكن ذلك في غيره فانتقض دليل اثبات الصانع ولا ريب ان كثيراً من متكلمة الاثبات القائلين بالقدر سلموا للمعتزلة ان القادر المختار يمكنه ترجيح أحد مقدوريه على الآخر بلا مرجح وقالوا في مسئلة احداث العالم ان القادر المختار أو الارادة القديمة التي نسبتها الي جميع الحوادث والازمنة نسبة واحدة رجحت أنواعا من الممكنات في الوقت الذي رجحته بلا حدوث سبب اقتضى الرجحان وادعوا أن القادر المختار يمكنه الترجيح بلا مرجح أو الارادة

القديمة ترجح بلا مرجح آخر فاعترض عليهم هناك من نازعهم من أهل الملل والفلاسفة القائلين بأن الله لم يحدث الحوادث بأفعال تقوم بنفسه وان الله خلق السموات والارض وما بينهما في ستة أيام والقائلين بقدم العالم قالوا هذا الذى قلتموه معلوم الفساد بالضرورة وتجويز هذا يقتضي جواز حدوث الحوادث بلا سبب والترجيح بلا مرجح وذلك يسد باب اثبات الصانع

ثم ان هؤلاء المثبتين للقدر احتجوا بهذه الحجة على نفاة القدر وقالوا حدوث فعل العبد بعد ان لم يكن لابد له من محدث مرجح تام غير العبد فان ما كان من العبد فهو محدث وعند وجود ذلك المحدث المرجح التام يجب وجود فعل العبد وهذا الذى قالوه حق وهو حجة قاطعة على القدرية لكنهم نقضوه وتناقضوا فيه في فعل الرب تعالى وادعوا هناك ان البديهة فرقت بين فعل القادر وبين الموجب بالذات فان كان هذا الفرق صحيحاً بطلت حجتهم على المعتزلة ولم يبطل قول القدرية وان كان باطلا بطل قولهم في احداث الله وفعله للعالم وهذا هو الباطل في نفس الامر فان القول بأن الممكن لايترجح وجوده على عدمه الا بمرجح تام أمر معلوم بالفطرة الضرورية لايمكن القدح فيه وهو عام لاتخصيص فيه فالفرق المذكور باطل وذلك يبطل قولهم بأن خلق العالم هو العالم وانه حدث بعد ان لم يكن بغير سبب حادث ومن قال ان قدرة العبد وغيرها من الاسباب التي خلق الله تعالى بها المخلوقات ليست أسبابا أوان وجودها كعدمها وليس هناك الا مجرد اقتران عادى

كاقتران الدليل بالمداول فقد جحد مافى خلق الله وشرعه من الاسباب والحكم ولم يجعل فى العين قوة تمتاز بها عن الخد تبصر بها ولا في القلب قوة يمتاز بها عن الرجل يعقل بها ولا فى النار قوة تمتاز بها عن التراب تحرق بها وهؤلاء ينكرون مافى الاجسام المطبوعة من الطبائع والغرائز

قال بعض الفضلاء تكلم قوم من الناس في ابطال الاسباب والقوى والطبائع فاضحكوا العقلاء على عقولهم ثم ان هؤلاء يقولون لاينبغى للانسان أن يقول انه شبع بالخبز وروى بالماء بل يقول شبعت عنده ورويت عنده فان الله يخلق الشبع والرى ونحو ذلك من الحوادث عند هذه المقترنات بها عادة لابها وهذا خلاف الكتاب والسنة فان الله تعالى يقول وهو الذى يرسل الرياح بشراً بين يدى رحمته حتي اذا أقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات الآية وقال تعالى وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الارض بعد موتها وقال تعالى قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم وقال ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا وقال ونزلنا من السماء ماء فأنبتنا به جنات وحب الحصيد وقال وهو الذى أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شئ وقال هو الذى أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات وقال تعالى ان الله لايستحيي أن يضرب مثلا ما الي قوله يضل به كثيراً ويهدى به كثيراً وقال قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ومثل

هذا فى القرآن كثير وكذلك في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم كقوله لايموتن أحد منكم الا آذنتمونى حتي أصلي عليه فان الله جاعل بصلاتى عليه بركة ورحمة وقال صلى الله عليه وسلم ان هذه القبور مملوءة على أهلها ظلمة وان الله جاعل بصلاتى عليهم نوراً ومثل هذا كثير

ونظير هؤلاء الذين أبطلوا الاسباب المقدورة في خلق الله من ابطال الاسباب المشروعة في أمر الله كالذين يظنون ان مايحصل بالدعاء والاعمال الصالحة وغير ذلك من الخيرات ان كان مقدراً حصل بدون ذلك وان لم يكن مقدراً لم يحصل بذلك وهؤلاء كالذين قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم أفلا ندع العمل ونتكل على الكتاب فقال اعملوا فكل ميسر لما خلق له وفى السنن انه قيل يارسول الله أرأيت أدوية نتداوى بها وأرقية نسترقى بها وتقاة نتقيها هل ترد من قدر الله شيئا فقال هى من قدر الله ولهذا قال من قال من العلماء الالتفات الى الاسباب شرك في التوحيد ومحو الاسباب أن تكون أسبابا تغيير في وجوه العقل والاعراض عن الاسباب بالكلية قدح في الشرع والله سبحانه خالق الاسباب والمسببات وجعل هذا سبباً لهذا فاذا قال القائل ان كان هذا مقدوراً حصل بدون السبب والا لم يحصل

جوابه انه مقدور بالسبب وليس مقدوراً بدون السبب كما قال النبى صلى الله عليه وسلم ان الله خلق للجنة خلقا خلقها لهم وهم فى أصلاب آبائهم وبعمل أهل النار يعملون وقال صلى الله عليه وسلم اعملوا فكل

ميسر لما خلق له اما من كان من أهل السعادة فسييسر لعمل أهل السعادة وأما من كان من أهل الشقاوة فسييسر لعمل أهل الشقاوة وفى الصحيحين عن ابن مسعود رضي الله عنه قال حدثنا رسول الله صلي الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق ان خلق أحدكم يجمع فى بطن أمه أربعين يوما ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يرسل اليه الملك فيؤمر باربع كلمات فيكتب رزقه وعمله وأجله وشقى أو سعيد ثم ينفخ فيه الروح فوالذى نفسى بيده ان أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى مايكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها وان أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتي مايكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها فبين صلي الله عليه وسلم ان هذا يدخل الجنة بالعمل ألذى يعمله ويختم له به وهذا يدخل النار بالعمل الذى يعمله ويختم له به كما قال صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالخواتيم وذلك لان جميع الحسنات تحبط بالردة وجميع السيئات تغفر بالتوبة ونظير ذلك من صام ثم أفطر قبل الغروب أو صلى وأحدث عمداً قبل كمال الصلاة ثم أبطل عمله وبالجملة فالذى عليه سلف الامه وأئمتها مابعث الله به رسله وأنزل كتبه فيؤمنون بخلق الله وأمره بقدره وشرعه بحكمه الكونى وحكمه الدينى وارادته الكونية والدينية كما قال فى الاول فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كانما يصعد في السماء وقال نوح عليه السلام ولا ينفعكم نصحي

ان أردت أن أنصح لكم ان كان الله يريد أن يغويكم وقال تعالى فى الاراده الدينية يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وقال يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم وقال مايريد الله ليجعل عليكم فى الدين من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم وهم مع اقرارهم بان الله خالق كل شئ وربه ومليكه وانه خالق الاشياء بقدرته ومشيئته يقرون بانه لااله الا هو لايستحق العبادة غيره ويطيعونه ويطيعون رسله ويحبونه ويرجونه ويخشونه ويتكلون عليه وينيبون اليه ويوالون أولياءه ويعادون أعداءه ويقرون بمحبته لما أمر به ولعباده المؤمنين أيضا ورضاه بذلك وبغضه لما نهي عنه وللكافرين وسخطه لذلك ومقته له ويقرون بما استفاض عن النبى صلى الله عليه وسلم من ان الله أشد فرحا بتوبة عبده التائب من رجل أضل راحلته بارض دوية مهلكة عليها طعامه وشرابه فطلبها فلم يجدها فقال تحت شجرة فلما استيقظ اذا بدابته عليها طعامه وشرابه فالله أشد فرحا بتوبة عبده من هذا براحلته

فهو الههم الذى يعبدونه وربهم الذى يسألونه كما قال تعالى الحمد لله رب العالمين الي قوله اياك نعبد واياك نستعين فهو المعبود المستعان والعبادة تجمع كمال الحب مع كمال الذل فهم يحبونه أعظم مما يحب كل محب لمحبوبه كما قال تعالى ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله وكل مايحبونه سواه فانما يحبونه لاجله كما في الصحيحين عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ثلاث من

كن فيه وجد حلاوة الايمان من كان الله و رسوله أحب اليه مما سواهما ومن كان يحب المرء لايحبه الا لله ومن كان يكره أن يرجع فى الكفر بعد ان أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى فى النار وفي الترمذى وغيره أوثق عري الايمان الحب في الله والبغض في الله ومن أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الايمان وهو سبحانه يحب عباده المؤمنين

وكمال الحب هو الخلة التي جعلها الله لابراهيم ومحمد صلى الله عليهما وسلم فان الله اتخذ ابراهيم خليلا واستفاض عن النبى صلى الله عليه وسلم في الصحيح من غير وجه انه قال ان الله اتخذنى خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا وقال لو كنت متخذا خليلا من أهل الارض لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن صاحبكم خليل الله يعني نفسه ولهذا اتفق سلف الامة وأئمتها وسائر أهل السنة وأهل المعرفة ان الله نفسه يحب ويحب وانكرت الجهمية ومن تبعهم محبته وأول من أنكر ذلك الجعد بن درهم شيخ الجهم بن صفوان فضحى به خالد بن عبد الله القسرى بواسط وقال يأيها الناس ضحوا تقبل الله ضحايا كم فانى مضح بالجعد بن درهم انه زعم ان الله لم يتخذ ابراهيم خليلا ولم يكلم موسي تكليما تعالى الله عما يقول الجعد علواً كبيراً ثم نزل فذبحه. وهذا أصل مسئلة ابراهيم الذي جعله الله اماما للناس قال تعالي واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال انى جاعلك للناس اماما وقال ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة ابراهيم حنيفا واتخذ الله ابراهيم خليلا ومن

قال ان المراد بمحبة الله محبة التقرب اليه فقوله متناقض فان محبة التقرب اليه تبع لمحبته فمن أحب الله نفسه أحب التقرب اليه ومن كان لايحبه نفسه امتنع أن يحب التقرب اليه وأما من كان لايطيعه ولا يمتثل أمره الا لاجل غرض آخر فهو فى الحقيقة انما يحب ذلك الغرض الذى عمل لاجله وقد جعل طاعة الله وسيلة اليه وقد ثبت فى الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال اذا دخل أهل الجنة الجنة نادى مناديا أهل الجنة ان لكم عند الله موعدا يريد أن ينجزكموه فيقولون ماهو ألم يبيض وجوهنا ويثقل موازيننا ويدخلنا الجنة ويجرنا من النار فيكشف الحجاب فينظرون اليه فما أعطاهم شيئا أحب اليهم من النظر اليه وهو الزيادة فاخبر ان النظر اليه أحب اليهم من كل مايتنعمون فيه ومحبة النظر اليه تبع لمحبته فانما أحبوا النظر اليه لمحبتهم اياه وما من مؤمن الا ويجد في قلبه محبة الله وطمأنينة بذكره وتنعما بمعرفته ولذة وسرورا بذكره ومناجاته وذلك يقوى ويضعف ويزيد وينقص بحسب ايمان الخلق فكل من كان ايمانه أكمل كان تنعمه بهذا أكمل ولهذا قال صلى الله عليه وسلم فى الحديث الذى رواه أحمد وغيره حبب الىّ من دنياكم النساء والطيب ثم قال وجعلت قرة عيني فى الصلاة وكان صلى الله عليه وسلم يقول أرحنا بالصلاة يابلال وهذا مبسوط فى غير هذا الموضع

والمقصود هنا ان عباده المؤمنين يحبونه وهو يحبهم سبحانه وحبهم له بحسب فعلهم لما يحبه كما فى صحيح البخاري عن أبي هريرة عن النبي

صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تعالى من عادى لى وليا فقد بارزنى بالمحاربة وما تقرب الى عبدى بمثل أداءماافترضت عليه ولايزال عبدى يتقرب الىّ بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشى بها فبي يسمع وبي يبصر وبى يبطش وبى يمشى ولئن سألنى لاعطينه ولئن استعاذني لاعيذنه وما ترددت عن شىء أنا فاعله ترددى عن قبض نفس عبدى المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه

فقد بين ان العبد اذا تقرب الى الله بما يحبه من النوافل بعد الفرائض أحبه الله فحب الله لعبده بحسب فعل العبد لما يحبه الله ومايحبه الله من عبادته وطاعته فهو تبع لحب نفسه وحب ذلك هو سبب حب عباده المؤمنين فكان حبه للمؤمنين تبعا لحب نفسه فالمؤمنون وان كانوا يحمدون ربهم ويثنون عليه فهم لايحصون ثناء عليه بل هو كما أثني على نفسه كما في الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم انه كان يقول اللهم انى أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وبك منك لاأحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك وفي الصحيح انه قال لاأحد أحب اليه المدح من الله من أجل ذلك مدح نفسه وقال له الاسود بن سريع اني حمدت ربي فقال ان ربك يحب الحمد فهو يحب حمد العباد له وحمده لنفسه أعظم من حمد العباد له ويحب ثناءهم عليه وثناؤه على نفسه أعظم من ثنائهم عليه وكذلك حبه لنفسه وتعظيمه لنفسه فهو سبحانه أعلم بنفسه من كل أحد وهو الموصوف بسمات

الكمال التي لايبلغها عقول الخلائق فالعظمة ازاره والكبرياء رداؤه وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قرأ وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه قال يقبض الله الارض و يطوى السموات بيمينه ثم يهزهن ثم يقول أنا الملك أنا القدوس أنا السلام أنا المؤمن أنا المهيمن أنا الذى بدأت الدنيا ولم تك شيئا أنا الذى أعيدها وفى رواية يحمد الرب نفسه فهو يحمد نفسه ويثنى عليها ويمجد نفسه سبحانه وهو الغنى بنفسه لايحتاج الى أحد غيره بل كل ماسواه فقير اليه يسأله من في السموات والارض كل يوم هو في شان وهو الاحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد فاذا فرح بتوبة التائب وحب من تقرب اليه بالنوافل ورضى عن السابقين الاولين لم يجز أن يقال هو مفتقر بذلك الى غيره ولامستكمل بسواه فانه هو الذى خلق هؤلاء وهداهم وأعانهم حتى فعلوا مايحبه ويرضاه ويفرح به فهذه المحبوبات لم تحصل الا بقدرته ومشيئته وخلقه فله الملك لاشريك له وله الحمد فى الاولى والآخرة وله الحكم واليه ترجعون فهذا ونحوه يحتج به الجمهور الذين يثبتون لافعاله حكمة تتعلق به يحبها ويرضاها ويفعل لاجلها قالوا وقول القائل ان هذا يقتضى انه مستكمل بغيره فيكون ناقصا قبل ذلك

فعنه أجوبة * أحدها ان هذا منقوض بنفس مايفعله من المفعولات فما كان جوابا في المفعولات كان جوابا عن هذا ونحن لا نعقل في الشاهد فاعلا لا مستكملا بفعله

الثاني انهم قالوا كماله أن يكون لايزال قادرا على الفعل بحكمة فلو قدر كونه غير قادر على ذلك لكان ناقصا

الثالث قول القائل انه مستكمل بغيره باطل فان ذلك انما حصل بقدرته ومشيئته لاشريك له فى ذلك فلم يكن في ذلك محتاجا الى غيره واذا قيل كمل بفعله لذي لايحتاج فيه الى غيره كان كالو قيل كمل بصفاته أو بذاته

الرابع قول القائل كان قبل ذلك ناقصا ان أراد به عدم ماتجدد فلا نسلم ان عدمه قبل ذلك الوقت الذى اقتضت الحكمة وجودة فيه يكون نقصا وان أراد بكونه ناقصا معنى غير ذلك فهو ممنوع بل يقال عدم الشئ فى الوقت الذى لم تقتض الحكمة وجوده فيه من الكمال كما ان وجوده فى وقت اقتضاء الحكمة وجود كمال فليس عدم كل شئ نقصا بل عدم مايصلح وجوده هو النقص كما ان وجود مالا يصلح وجوده نقص فتبين ان وجود هذه الامور حين اقتضت الحكمة عدمها هو النقص لاان عدمها هو النقص ولهذا كان الرب تعالى موصوفا بالصفات الثبوتية المتضمنة لكماله وموصوفا بالصفات السلبية المستلزمة لكماله أيضا فكان عدم ماينفى عنه هو من الكمال كما ان وجود مايستحق ثبوته من الكمال واذا عقل مثل هذا في الصفات فكذلك في الافعال ونحوها وليس كل زيادة يقدرها الذهن من الكمال بل كثير من الزيادات تكون نقصا فى كال المزيد كما يفعل مثل ذلك فى كثير من الموجودات والانسان قد يكون وجود أشياء فى وقت نقصا وعيبا فى

حقه وفي وقت آخر كمالا ومدحا في حقه كما يكون في وقت مضرة له وفي وقت منفعة له

الخامس انا اذا قدرنا من يقدر على احداث الحوادث لحكمة ومن لايقدر على ذلك كان معلوما ببديهة العقل ان القادر على ذلك أكمل مع ان الحوادث لايمكن وجودها الا حوادث لاتكون قديمة واذا كانت القدرة على ذلك أكمل وهذا المقدور لايكون الا حادثا كان وجوده هو الكمال وعدمه قبل ذلك من تمام الكمال وعدم الممتنع الذى هو شرط فى وجود الكمال

ثم الجمهور القائلون بهذا الاصل هنا ثلاث فرق فرقة تقول ارادته وحبه ورضاه ونحو هذا قديم لم يزل راضيا عمن علم أنه يموت مؤمنا ولم يزل ساخطا على من علم أنه يموت كافرا كما يقول ذلك من يقوله من الكلابية وأهل الحديث والفقهاء والصوفية فهؤلاء لايلزمهم التسلسل لاجل حلول الحوادث لكن يعارضهم الاكثرون الذين ينازعونهم في الحكمة المحبوبة كما ينازعونهم فى الارادة فانهم قالوا اذا كانت الارادة قديمة لم تزل ونسبتها الى جميع الازمنة والحوادث سواء فاختصاص زمان دون زمان بالحدوث ومفعول دون مفعول تخصيص بلا مخصص قال أولئك الارادة من شأنها ان تخصص قال لهم المعارضون من شأنها جنس التخصيص وأما تخصيص هذا المعين على هذا المعين فليس من لوازم الارادة بل لابد من سبب يوجب اختصاص أحدهما بالارادة دون الآخر والانسان يجد من نفسه أنه يخصص بارادته ولكنه

يعلم أنه لا يريد هذا دون هذا الا لسبب اقتضاء التخصيص والا فلو تساوى ما يمكن ارادته من جميع الوجوه امتنع تخصيص الارادة لواحد من ذلك دون أمثاله فان هذا ترجيح بلا مرجح ومتي جوز هذا انسد باب اثبات الصانع قالوا ومن تدبر هذا وأمعن النظر فيه علمه حقيقة وانما ينازع فيه من يقلد قولا قاله غيره من غير اعتبار لحقيقته وهكذا يقول الجمهور اذا كان الله تعالى راضياً في أزله ومحباً وفرحا بما يحدثه قبل أن يحدثه فاذا أحدثه هل حصل باحداثه حكمة يحبها ويرضاها ويفرح بها أولم يحصل الا ما كان في الازل فان قلتم لم يحصل الا ما كان فى الازل قيل ذلك كان حاصلا بدون ماأحدثه من المفعولات فامتنع أن تكون المفعولات فعلت لكي يحصل ذلك فقولكم كما تضمن أن المفعولات تحدث بلا سبب يحدثه الله تتضمن أنه يفعلها بلا حكمة يحبها ويرضاها قالوا فقولكم يتضمن نفى ارادته المقارنة ومحبته وحكمته التى لا يحصل الفعل الا بها

والفرقة الثانية قالوا ان الحكمة المتعلقة به تحصل بمشيئته وقدرته كما يحصل الفعل بمشيئته وقدرته كما يقول ذلك من يقوله من الكلابية وأهل الحديث والصوفية قالوا وان قام ذلك بذاته فهو كقيام سائر ماأخبر به من صفاته وأفعاله بذاته والمعتزلة تنفى قيام الصفات والافعال به وتسمى الصفات أعراضاً والافعال حوادث ويقولون لاتقوم به لا اعراض ولا الحوادث فيتوهم من لم يعرف حقيقة قولهم انهم ينزهون الله تعالى عن النقائص والعيوب والآفات ولا ريب ان الله يجب تنزيهه عن كل

عيب ونقص وآفة فانه القدوس السلام الصمد السيد الكامل في كل نعت من نعوت الكمال كما لايدرك الخلق حقيقته منزهاً عن كل نقص تنزيهاً لايدرك الخلق كماله وكل كمال ثبت لموجود من غير استلزام نقص فالخالق تعالى أحق به وأكمل فيه منه وكل نقص تنزه عنه مخلوق فالخالق أحق بتنزيهه عنه وأولى ببراءته منه

روينا من طريق غير واحد كعثمان بن سعيد الدارمى وأبي جعفر الطبرى والبيهقى وغيرهم في تفسير على بن أبى طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى الصمد قال السيد الذى كمل في سودده والشريف الذي قد كمل في شرفه والعظيم الذى قد كمل في عظمته والحكيم الذى قد كمل في حكمته والغنى الذى قد كمل فى غناه والجبار الذي قد كمل في جبروته والعالم الذى قد كمل فى علمه والحليم الذى قد كمل في حلمه وهو الذى قد كمل فى أنواع الشرف والسودد وهو الله عز وجل هذه صفته لاتنبغى الا له ليس له كفؤ ولا كمثله شيء سبحانه الواحد القهار وهذا التفسير ثابت عن عبد الله بن أبي صالح عن على ابن أبى طلحة الوالبى لكن يقال انه لم يسمع التفسير عن ابن عباس ولكن مثل هذا الكلام ثابت عن السلف وروى عن سعيد بن جبير أنه قال الصمد الكامل فى صفاته وأفعاله وثبت عن أبى وائل شقيق بن سلمة أنه قال الصمد السيد الذي انتهى سؤدده وهذه الاقوال وما أشبهها الاثبات في ماقاله كثير من السلف كسعيد بن المسيب وابن جبير ومجاهد والحسن والسدى والضحاك وغيرهم من أن الصمد هو الذي لاجوف له وهذا منقول

عن ابن مسعود وعن عبد الله بن بريدة عن أبيه موقوفا أو مرفوعا فان كلا القولين حق كما بسط الكلام عليه ولفظ الاعراض في اللغة قد يفهم منه ما يعرض للانسان من الامراض ونحوها وكذلك لفظ الحوادث والمحدثات قد يفهم منه ما يحدثه الانسان من الافعال المذمومة والبدع التي ليست مشروعة أو ما يحدث بالانسان من الامراض ونحو ذلك والله تعالى يجب تنزيهه عما هو فوق ذلك مما فيه نوع نقص فكيف تنزيهه عن هذه الامور ولكن لم يكن مقصود المعتزلة بقولهم هو منزه عن الاعراض والحوادث الا نفي صفاته وأفعاله فعندهم لا يقوم به علم ولا قدرة ولا مشيئة ولا رحمة ولا حب ولا رضا ولا فرح ولا خلق ولا احسان ولا عدل ولا اتيان ولا مجيء ولا نزول ولا استواء ولا غير ذلك من صفاته وأفعاله وجماهير المسلمين يخالفونهم في ذلك ومن الطوائف من ينازعهم في الصفات دون الافعال ومنهم من ينازعهم في بعض الصفات دون بعض ومن الناس من ينازعهم في العلم القديم ويقول ان فعله قديم وان كان المفعول محدثا كما يقول في نظير من يقوله في الارادة وبسط هذه الاقوال وذكر قائليها وأدلتهم مذكورة في غير هذا الموضع

والمقصود هنا التنبيه على مجامع أجوبة الناس عن السؤال المذكور وهذا الفريق الثاني اذا قال لهم الناس اذا أثبتم حكمة حدثت بعد ان لم تكن لزمكم التسلسل قالوا القول في حدوث الحكمة كالقول في سائر ما أحدثه من المفعولات ونحن نخاطب من يسلم لنا انه اذا أحدث المحدثات بعد ان لم تكن فاذا قلنا انه أحدثها بحكمة حادثة لم يكن له ان يقول

هذا يستلزم التسلسل بل يقول له القول فى حدوث الحكمة كالقول فى حدوث المفعول الذى ترتبت عليه الحكمة فما كان جوابك عن هذا كان جوابنا عن هذا

فلما خصم الفريق الثانى للفريق الاول قال لهم الفريق الثالث من أئمة الحديث والفقهاء والصوفية وأهل الكلام هذه حجة جدلية الزامية ولم تشفوا الغليل بهذا الجواب وليس معكم في الادلة الشرعية ولا العقلية ماينفى مثل هذا التسلسل بل التسلسل نوعان والدور نوعان أحدهما التسلسل في العلل والمعلولات فهذا ممتنع وفاقا والثانى التسلسل فى الشروط والآثار فهذا في جوازه قولان معروفان للمسلمين وغيرهم وطوائف من أهل الكلام والحديث والفلسفة يجوزون هذا ومن هؤلاء السلف والائمة الذين يقولون لم يزل الله متكلماً اذا شاء وانه لم يزل يقوم به مايتعلق بمشيئته وقدرته من الافعال وغيرها وبين هؤلاء ان ما استدل به منازعوهم على نفى التسلسل فى الآثار امتناع وجود مالا يتناهي في الماضى أدلة ضعيفة كدليل المطابقة بين الجملتين مع زيادة أحدهما وكزيادة الشفع والوتر ونحو ذلك من الادلة التى بين هؤلاء فسادها ونقضوها عليهم بالحوادث في المستقبل وبعقود الاعداد وبمعلومات الله مع مقدوراته وغير ذلك مما قد بسط في موضعه

والدور نوعان فالدور القبلى السبقي ممتنع واما الدور المعي الاقترانى وهو أن لايكون هذا الا مع هذا فهذا الدور فى الشروط وما أشبهها من المتضايفات والمتلازمات ومثل هذا جائز فهذه مجامع أجوبة الناس

عن هذا السؤال وهي عدة أقوال

الاول قول من لا يعلل لا أفعاله ولا أحكامه

والثانى قول من يعلل ذلك بأمور مباينة له منفصلة عنه من جملة مفعولاته

والثالث قول من يعلل ذلك بأمور قائمة به متعلقة بقدرته ومشيئته لكن يقول جنسها حادث

والخامس قول من يعلل ذلك بأمور متعلقة بمشيئته وقدرته فان كان الفعل المقضى للحكمة حادث النوع كانت الحكمة كذلك وان قدر أنه قام به كلام أو فعل متعلق بمشيئته وانه لم يزل كذلك كانت الحكمة كذلك ويكون النوع قديماً وان كانت آحاده حادثة

ويمكن الجواب عن السؤال بتقسيم حاصر بأن يقال لاريب ان الله عز وجل يحدث مفعولات لم تكن فاما أن تكون الافعال المحدثة يجب أن يكون لها ابتداء ويجوز أن تكون غير متناهية في الابتداء كما هى غير متناهية في الانتهاء فان وجب أن يكون لها ابتداء أمكن حدوث الحوادث بدون تسلسها فاذا قال القائل اوفعل لعلة محدثة لكان القول في حدوث تلك العلة كالقول فى حدوث معلولها ويلزم التسلسل كان جوابه على هذا التقدير ان الحوادث يجب أن يكون لها ابتداء واذا فعل الفعل لحكمة محدثة كان الفعل وحكمته محدثين ولا يجب أن يكون للعلة المحدثة علة محدثة الا اذا جاز أن لا يكون للحوادث ابتداء فاما اذا جاز أن لا يكون لها ابتداء بطل هذا السؤال فكيف اذا وجب أن يكون لها ابتداء وان

قيل يجوز أن تكون الحوادث غير متناهية في الابتداء كما انها غير متناهية في الانتهاء عند المسلمين وسائر أهل الحق ولم ينازع في ذلك الا بعض أهل البدع الذين يقولون بفناء الجنة والنار كما يقوله الجهم بن صفوان أو بفناء حركات أهل الجنة كما يقوله أبو الهذيل فان هذين أوجبا أن يكون لجنس الحوادث انتهاء كما يجوز أن يكون لها عندهم ابتداء وأكثر الذين وافقوهم على وجوب الابتدا خالفوهم في الانتهاء وقالوا لها ابتداء وليس لها انتهاء والاقوال الثلاثة معروفة في طوائف المسلمين

والمقصود هنا ان الجواب يحصل على التقديرين فمن جوز أن يكون لها نهاية في الابتداء جوز تسلسل الحوادث وقال هذا تسلسل في الآثار والشروط لا تسلسل فى العلل والمؤثرات والممتنع انما هو الثانى دون الاول وقال انه لا يقوم دليل على امتناع الثاني كما يقول ذلك طوائف من متقدمى أهل الكلام ومتأخريهم ومن أوجب أن يكون لها ابتداء قال في حدوث العلة مايقوله في حدوث المفعول اذ لافرق بينهما فى هذا المعنى

ومن الاجوبة الحاصرة أن يقال خلق الله اما أن يجوز تعليله أولا فان لم يجز تعليله كان هذا هو التقدير الاول وعلى هذا التقدير فلا يسمى هذا عبثاً واذا سماه المسمى عبثاً لم تكن تسميته عبثاً قدحا فيما تحقق فانا نتكلم على تقدير امتناع التعليل واذا كان التعليل ممتنعاً وجب القول به ولو سماه المسمي بأى شئ سماه وان جاز تعليله فلا يخلو اما ان يجوز تعليله بعلة حادثة واما أن لا يجوز فان قيل لا يجوز

ذلك لزم كون العلة قديمة وامتنع على هذا التقدير قدم المعلول فانا نتكلم على تقدير جواز تعليل المفعول الحادث بعلة قديمة وان قيل يجوز تعليله بعلة حادثة أمكن القول بذلك ثم اما أن يقال يجوز تعليل الحوادث بعلل متناهية الفاعل لئلا يلزم أن يقوم به شيء حادث يجب أن يقوم به لحكمة وان كانت مقدورة مرادة له فان قيل بالاول لزم كون العلة الحادثة منفصلة عنه ولزم على هذا كون الفاعل يحدث الحوادث بعد ان لم تكن لعلة حادثة بغيره من غير حدوث سبب يوجب أول الحوادث ولا قيام حادث بالمحدث وان قيل بل لايجوز أن يحدث الحوادث لغير معنى يعود اليه بل يجب أن يقوم به ماهو السبب والحكمة في حدوث الحوادث فانه يجب القول بذلك ثم اما أن يقال هذا يستلزم التسلسل أولا يستلزمه فان قيل لا يستلزمه لم يكن التسلسل على هذا التقدير محذورا لان التقدير انه يجوز تعليل أفعاله بعلة حادثة وان ذلك يستلزم التسلسل ومن المعلوم ان الامر الجائز لا يستلزم ممتنعا فانه لو استلزم ممتنعا لكان ممتنعا بغيره وان كان جائزا بنفسه والتقدير انه جائز جوازا مطلقا لاامتناع فيه وما كان جائزا جوازا مطلقا لاامتناع فيه لم يلزمه مايمتنع ثبوته فيكون التسلسل على هذا التقدير غير ممتنع فهذا جواب عن السؤال من غير التزام قول بعينه بل نبين انه ليس في نفس الامر محذور ولكن السؤال مبني على ست مقدمات لزوم العبث وانه منتف ولزوم قدم المفعول وانه منتف ولزوم التسلسل وانه منتف فصاحب القول الاول يقول لاأسلم انه يلزم العبث وصاحب القول الثاني يقول لاأسلم انه يلزم قدم المفعول

وصاحب القول الثالث يقول لا أسلم انه يلزم التسلسل أو يقول لا أسلم ان التسلسل فى الآثار ممتنع فهذه أربع ممانعات لابد منها ويمتنع أن تكون كلها فاسدة بل لابد من صحة واحد منها وأيها صح اندفع السؤال به وهو المقصود لان القسمة العقلية تحصر من الاقسام فيما ذكر فمن توجه عنده أحد الاقسام قال به ونحن قد بسطنا الكلام على أصول هذه المسئلة ولوازمها وأقوال الناس فيها في غير هذا الموضع

والمقصود هنا الذب عن مجموع المسلمين فان هذا السؤال مما أورده على الناس القائلون بقدم العالم وقد ذكرنا عنه أجوبة متعددة فيما كتبناه فى جواب شبهة القائلين بقدم العالم

ومن جملة أجوبتهم أن يقال هذا السؤال ليس مختصا بحدوث العالم بل هو وراد فى كل مايحدث في الوجود من الحوادث والحدوث مشهود محسوس متفق عليه بين العقلاء فكل مايورده المورد على حدوث خلق السموات والارض يورد عليه نظيره فى الحوادث المشهودة

وقد نبهنا على جنس مايحتج به كل طائفة من الطوائف في هذا المقام لكن استقصاء الكلام فى ذلك لاتسعه هذه الاوراق ومن فهم ما كتب انفتح له الكلام في هذا الباب وأمكنه أن يحصل تمام الكلام فى جنس هذه المسائل فان الكلام فيها بالتدريج مقاما بعد مقام هو الذي يحصل به المقصود والا فاذا هجم على القلب الجزم بمقالات لم يحكم أدلتها وطرقها والجواب عما يعارضها كان الي دفعها والتكذيب بها أقرب منه الى

التصديق بها فلهذا يجب أن يكون الخطاب فى المسائل المشكلة بطريق
ذكر كل قول ومعارضة الآخر له حتى يتبين الحق بطريقه
لمن يريد هدايته ومن لم يجعل الله له نورا فماله
من نور والله يقول الحق وهو يهدى
السبيل والله سبحانه
وتعالى أعلم

﴿ تمت الرسالة الثامنة ﴾

﴿ ويليها الرسالة التاسعة له أيضا ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا * وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له اقرارا به وتوحيدا * وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليما مزيدا

(اعتقاد الفرقة الناجية المنصورة الى قيام الساعة أهل السنة والجماعة)

الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت والايمان بالقدر خيره وشره

ومن الايمان بالله الايمان بما وصف به نفسه في كتابه وبما وصفه به رسوله محمد صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل بل يؤمنون بأن الله ليس كمثله شيء وهو السميع البصير فلا ينفون عنه ما وصف به نفسه ولا يحرفون الكلم عن مواضعه ويلحدون في أسماء الله و آياته ولا يمثلون صفاته بصفات خلقه لانه سبحانه لا سمي له ولا كفؤ له ولا ند له ولا يقاس بخلقه سبحانه وتعالى فانه سبحانه أعلم بنفسه وبغيره وأصدق قيلا وأحسن حديثا من خلقه ثم رسله صادقون مصدوقون بخلاف الذين يقولون عليه ما لا يعلمون ولهذا قال سبحانه وتعالى سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين فسبح نفسه عما وصفه به المخالفون للرسل وسلام على المرسلين لسلامة ما قالوه من النقص والعيب وهو

سبحانه قد جمع فيما وصف وسمى به نفسه بين النفي والاثبات فلا عدول لاهل السنة والجماعة عما جاءت به المرسلون فانه الصراط المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وقد دخل في هذه الجملة ما وصف به نفسه في سورة الاخلاص التى تعدل ثلث القرآن حيث يقول قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد وما وصف به نفسه في أعظم آية من كتاب الله حيث يقول الله لااله الا هو الحي القيوم لاتأخذه سنة ولا نوم له مافى السموات وما في الارض من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه يعلم مابين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء وسع كرسيه السموات والارض ولا يؤده حفظهما (أي لا يكرثه ولا يثقله) وهو العلى العظيم فلهذا كان من قرأ هذه الآية في ليلة لم يزل عليه من الله حافظ ولا يقربه شيطان حتى يصبح وقوله سبحانه وتعالى وتوكل على الحى الذى لايموت وقوله سبحانه هو الاول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شىء عليم وقوله سبحانه وهو العليم الخبير يعلم مايلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ويعلم مافى البر والبحر وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين وما تحمل من أنثى ولا تضع الا بعلمه وقوله ليعلموا ان الله على كل شىء قدير وأن الله قد أحاط بكل شىء علما وقوله ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين وقوله ليس كمثله شىء وهو السميع البصير ان الله نعما

يعظكم به ان الله كان سميعاً بصيرا وقوله ولولا اذ دخلت جنتك قلت ماشاء الله لاقوة الا بالله ولو شاء الله مااقتتل الذين من بعدهم من بعد ماجاءتهم البينات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ولوشاء الله مااقتتلوا ولكن الله يفعل مايريد أحلت لكم بهيمة الانعام الامايتلى عليكم غير محلى الصيد وأنتم حرم ان الله يحكم مايريد فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كانما يصعد في السماء وقوله وأحسنوا ان الله يحب المحسنين وأقسطوا ان الله يحب المقسطين فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم ان الله يحب المتقين ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم وقوله رضى الله عنهم ورضوا عنه وقوله بسم الله الرحمن الرحيم ربنا وسعت كل شئ رحمة وعلما وكان بالمؤمنين رحيما كتب ربكم على نفسه الرحمة وهو الغفور الرحيم فالله خير حافظا وهو أرحم الراحمين وقوله ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وقوله ذلك بأنهم اتبعوا ماأسخط الله وكرهوا رضوانه وقوله فلما آسفونا انتقمنا منهم ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقوله كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالاتفعلون وقوله هل ينظرون الاأن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وقضى الامر والى الله ترجع الامور هل ينظرون الا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك كلا اذا

دكت الارض دكا دكا وجاء ربك والملك صفا صفا يوم تشقق السماء بالغمام
ونزل الملائكة تنزيلا وقوله ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام
كل شيء هالك الا وجهه وقوله ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدى
وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه
مبسوطتان ينفق كيف يشاء وقوله واصبر لحكم ربك فانك باعيننا
وقوله وحملناه على ذات ألواح ودسر تجرى باعيننا جزاء لمن كان كفر وألقيت
عليك محبة مني ولتصنع على عيني وقوله قد سمع الله قول التي تجادلك
في زوجها وتشتكي الى الله والله يسمع تحاوركما لقد سمع الله قول
الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء سنكتب ماقالوا أم يحسبون أنا
لانسمع سرهم ونجواهم بلي ورسلنا لديهم يكتبون انى معكما أسمع
وأري وقوله ألم تعلم بان الله يري الذى يراك حين تقوم وتقلبك فى
الساجدين وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وقوله
شديد المحال وقوله ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لايشعرون وقوله
انهم يكيدون كيدا وأكيد كيدا وقوله ان تبدوا خيراً أو تخفوه أو تعفوا
عن سوء فان الله كان عفوا قديرا وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن
يغفر الله لكم والله غفور رحيم وقوله فلله العزة ولرسوله فبعزتك لاغوينهم
أجمعين وقوله تبارك اسم ربك ذى الجلال والاكرام وقوله فاعبده
واصطبر لعبادته هل تعلم له سميا ولم يكن له كفوا أحد فلا تجعلوا لله
أندادا وأنتم تعلمون ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم
كحب الله وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك

ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيراً يسبح لله مافي السموات ومافي الارض له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا الذي له ملك السموات والارض ولم يتخذ ولدا وخلق كل شيء فقدره تقديرا ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون فلا تضربوا لله الامثال ان الله يعلم وأنتم لا تعلمون قل انما حرم ربي الفواحش ماظهر منها وما بطن والاثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله مالم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله مالا تعلمون وقوله الرحمن على العرش استوى ثم استوي على العرش في ستة مواضع ياعيسى اني متوفيك ورافعك الي بل رفعه الله اليه اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ياهامان ابن لي صرحا لعلي أبلغ الاسباب أسباب السموات فاطلع الي اله موسى واني لاظنه كاذبا أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الارض فاذا هي تمور أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبا فستعلمون كيف نذير وقوله هو الذي خلق السموات والارض في ستة أيام ثم استوي على العرش يعلم مايلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير مايكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر الا هو معهم أينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة ان الله بكل شيء عليم لاتحزن ان الله معنا انني معكما أسمع وأرى ان الله مع

الذين اتقوا والذين هم محسنون واصبروا ان الله مع الصابرين كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين وقوله ومن أصدق من الله حديثا ومن أصدق من الله قيلا واذ قال الله ياعيسى بن مريم وتمت كلمت ربك صدقا وعدلا وكلم الله موسى تكليما منهم من كلم الله ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه وناديناه من جانب الطور الايمن وقربناه نجيا واذ نادى ربك موسى أن ائت القوم الظالمين وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين وان أحد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ماعقلوه يريدون أن يبدلوا كلام الله قل لن تتبعونا واتل ما أوحي اليك من كتاب ربك لامبدل لكلماته ان هذا القرآن يقص على بنى اسرائيل وهذا كتاب أنزلناه مبارك لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله واذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا انما أنت مفتر بل أكثرهم لايعلمون قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدي وبشرى للمسلمين ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر لسان الذى يلحدون اليه أعجمى وهذا لسان عربى مبين وجوه يومئذ ناضرة الي ربها ناظرة على الارائك ينظرون للذين أحسنوا الحسني وزيادة لهم مايشاؤن عند ربهم لهم مايشاؤن فيها ولدينا مزيد

وهذا الباب في كتاب الله تعالى كثير من تدبر القرآن طالب الهدى

منه تبين له طريق الحق ثم سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم تفسر القرآن وتبينه وتدل عليه وتعبر عنه وما وصف الرسول به ربه من الاحاديث الصحاح التي تلقاها أهل المعرفة بالقبول وجب الايمان بها كذلك مثل قوله صلى الله عليه وسلم ينزل ربنا الى سماء الدنيا كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول من يدعوني فاستجيب له من يسألني فاعطيه من يستغفرني فاغفر له متفق عليه وقوله صلى الله عليه وسلم لله أشد فرحا بتوبة عبده من أحدكم براحلته الحديث متفق عليه وقوله صلى الله عليه وسلم يضحك الله الى رجلين أحدهما يقتل الآخر كلاهما يدخل الجنة متفق عليه وقوله عجب ربنا من قنوط عباده وقرب خيره ينظر اليكم أذلين قنطين يظل يضحك يعلم ان فرحكم قريب حديث حسن وقوله صلى الله عليه وسلم لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول هل من مزيد حتي يضع رب العزة فيها قدمه وفي رواية عليها قدمه فينزوى بعضها الى بعض وتقول قط قط متفق عليه وقوله صلى الله عليه وسلم يقول الله يا آدم فيقول لبيك وسعديك فينادى بصوت ان الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثاً الي النار متفق عليه وقوله في رقية المريض ربنا الله الذى في السماء تقدس اسمك أمرك في السماء والارض كما رحمتك في السماء اجعل رحمتك فى الارض اغفر لنا حوبتنا وخطايانا أنت رب الطيبين انزل رحمة من رحمتك وشفاء من شفائك على هذا الوجع رواه أبو داود وقوله صلي الله عليه وسلم الا تأمنونى وأنا أمين من فى السماء رواه البخارى وغيره وقوله والعرش فوق ذلك والله فوق ذلك

والله فوق عرشه وهو يعلم ما أنتم عليه رواه أبو داود والترمذي وغيرهما وقوله صلى الله عليه وسلم للجارية أين الله قالت في السماء قال من أنا قالت أنت رسول الله قال أعتقها فانها مؤمنة رواه مسلم وقوله صلى الله عليه وسلم أفضل الايمان ان تعلم ان الله معك حيثما كنت حديث حسن وقوله اذا قام أحدكم الى الصلاة فان الله قبل وجهه فلا يبصق قبل وجهه ولا عن يمينه ولكن عن يساره أو تحت قدمه متفق عليه وقوله صلى الله عليه وسلم اللهم رب السموات السبع ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شيء فالق الحب والنوى منزل التوراة والانجيل والقرآن أعوذ بك من شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها أنت الاول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء اقض عني الدين واغنني من الفقر رواه مسلم وقوله لما رفع أصحابه أصواتهم بالذكر أيها الناس أربعوا على أنفسكم فانكم لا تدعون أصم ولا غائباً انما تدعون سميعاً قريباً ان الذين تدعونه أقرب الى أحدكم من عنق راحلته متفق عليه وقوله انكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون في رؤيته فان استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة بعد غروبها فافعلوا متفق عليه الى أمثال هذه الاحاديث التي يخبر فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ربه بما يخبر به

﴿ فان الفرقة الناجية ﴾ أهل السنة والجماعة يؤمنون بذلك كما يؤمنون بما أخبر الله به في كتابه من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير

تكييف ولا تمثيل بل هم الوسط في فرق الامة كما ان الامة هى الوسط في الامم فهم وسط في باب صفات الله سبحانه وتعالى بين أهل التعطيل الجهمية وأهل التمثيل المشبهة وهم وسط في باب أفعال الله تعالي بين القدرية والجبرية وفي باب وعيد الله بين المرجئة وبين اوعيدية من القدرية وغيرهم وفى باب الايمان والدين بين الحرورية والمعتزلة وبين المرجئة والجهمية وفي أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الخوارج وبين الروافض

وقد دخل فيما ذكرناه من الايمان بالله الايمان بما أخبر الله به في كتابه وتواتر عن رسوله صلى الله عليه وسلم واجمع عليه سلف الامة من أنه سبحانه فوق سمواته على عرشه عليّ على خلقه وهو معهم سبحانه أينما كانوا يعلم ماهم عاملون كما جمع بين ذلك في قوله هو الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم مايلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير وليس معني قوله وهو معكم أينما كنتم أنه مختلط بالخلق فان هذا لاتوجبه اللغة وهو خلاف ماأجمع عليه سلف الامة وخلاف مافطر الله عليه الخلق بل القمر آية من آيات الله من أصغر مخلوقاته هو موضوع في السماء وهو مع المسافر أينما كان وهو سبحانه فوق العرش رقيب على خلقه مهيمن عليهم مطلع اليهم الي غير ذلك من معاني ربوبيته وكل هذا الكلام الذي ذكره الله من أنه فوق العرش وانه معنا حق على حقيقته لايحتاج الى تحريف ولكن يصان عن

الظنون الكاذبة ودخل في ذلك الايمان بأنه قريب من خلقه كما قال تعالى وإذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداعي اذا دعانى فليستجيبوا لى وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون وقال النبى صلى الله عليه وسلم ان الذى تدعونه أقرب الى أحدكم من عنق راحلته وما ذكر في الكتاب والسنة من قربه ومعيته لاينافي ماذكر من علوه وفوقيته فانه سبحانه ليس كمثله شئ في جميع نعوته وهو علىّ فى دنوه قريب في علوه

ومن الايمان به وبكتبه الايمان بأن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق منه بدا واليه يعود وان الله تكلم به حقيقة وان هذا القرآن الذى أنزله على محمد صلى الله عليه وسلم هو كلام الله حقيقة لا كلام غيره ولا يجوز اطلاق القول بانه حكاية عن كلام الله أو عبارة بل اذا قرأه الناس أو كتبوه في المصاحف لم يخرج بذلك عن أن يكون كلام الله حقيقة فان الكلام انما يضاف حقيقة الى من قاله مبتدئا لا الى من قاله مبلغاً مؤديا وقد دخل أيضاً فيما ذكرناه من الايمان به وبكتبه وبرسله الايمان بأن المؤمنين يرونه يوم القيامة عيانا بابصارهم كما يرون الشمس صحوا ليس دونها سحاب وكما يرون القمر ليلة البدر لا يضامون في رؤيته يرونه سبحانه وهم في عرصات القيامة ثم يرونه بعد دخول الجنة كما يشاء الله سبحانه وتعالي

ومن الايمان باليوم الآخر الايمان بكل ماأخبر عنه النبي صلى الله عليه وسلم مما يكون بعد الموت فيؤمنون بفتنة القبر وبعذاب القبر وبنعيمه فأما الفتنة فان الناس يفتنون فى قبورهم فيقال للرجل من ربك وما دينك ومن نبيك فيثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فيقول المؤمن

الله ربي والاسلام ديني ومحمد نبيي صلى الله عليه وسلم وأما المرتاب فيقول آه آه لا أدري سمعت الناس يقولون شيئا فقلته فيضرب بمرزبة من حديد يصيح صيحة يسمعها كل شيء الا الانسان ولو سمعها الانسان لصعق ثم بعد هذه الفتنة اما نعيم واما عذاب الى يوم القيامة الكبرى فتعاد الارواح الى الاجساد فتقوم القيامة التي أخبر الله تعالي بها فى كتابه على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم وأجمع عليها المسلمون فيقوم الناس من قبورهم لرب العالمين حفاة عراة غرلا وتدنو منهم الشمس ويلجمهم العرق وتنصب الموازين فتوزن فيها أعمال العباد فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا أنفسهم فى جهنم خالدون وتنشر الدواوين وهى صحائف الاعمال فآخذ كتابه بيمينه وآخذ كتابه بشماله أو من وراء ظهره كما قال سبحانه وكل انسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا ويحاسب الله الخلائق ويخلو بعبده المؤمن فيقرره بذنوبه كما وصف ذلك في الكتاب والسنة وأما الكفار فلا يحاسبون حساب من توزن حسناته وسيآته فانهم لاحسنات لهم ولكن تعد أعمالهم وتحصر فيوقفون عليها ويقررون بها ويجزون بها وفي عرصة القيامة الحوض المورود لمحمد صلي الله عليه وسلم ماؤه أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل آنيته عدد نجوم السماء طوله شهر وعرضه شهر من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً والصراط منصوب على متن جهنم وهو الجسر الذي بين الجنة والنار

يمر الناس عليه على قدر أعمالهم فمنهم من يمر كلمح البصر ومنهم من يمر كالبرق ومنهم من يمر كالريح ومنهم من يمر كالفرس الجواد ومنهم من يمر كركاب الابل ومنهم من يعدو عدوا ومنهم من يمشي مشياً ومنهم من يزحف زحفاً ومنهم من يخطف فيلقي في جهنم فان الجسر عليه كلاليب تخطف الناس بأعمالهم فمن مر على الصراط دخل الجنة فاذا عبروا عليه وقفوا على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض فاذا هذبوا ونقوا اذن لهم فى دخول الجنة

وأول من يستفتح باب الجنة محمد صلى الله عليه وسلم وأول من يدخل الجنة

وله فى القيامة ثلاث شفاعات اما الشفاعة الاولي فيشفع في أهل الموقف حتي يقضى بينهم بعد أن يتراجع الانبياء آدم ونوح وابراهيم وموسي وعيسى بن مريم الشفاعة حتى تنتهى اليه وأما الشفاعة الثانية فيشفع في أهل الجنة أن يدخلوا الجنة وهاتان الشفاعتان خاصتان له وأما الشفاعة الثالثة فيشفع فيمن استحق النار وهذه الشفاعة له ولسائر النبيين والصديقين وغيرهم فيمن استحق النار أن لايدخلها ويشفع فيمن دخلها أن يخرج منها ويخرج الله من النار أقواما بغير شفاعة بل بفضل رحمته ويبقى في الجنة فضل عمن دخلها من أهل الدنيا فينشىء الله له أقواما فيدخلهم الجنة وأصناف ماتتضمنه الدار الآخرة من الحساب والعقاب والجنة والنار وتفاصيل ذلك مذكورة في الكتب المنزلة من السماء والآثارة من العلم المأثورة عن الانبياء وفي العلم الموروث عن محمد صلى

الله عليه وسلم من ذلك ما يشفي ويكفي فمن ابتغاه وجده

وتؤمن الفرقة الناجية من أهل السنة والجماعة بالقدر خيره وشره والايمان بالقدر على درجتين كل درجة تتضمن شيئين فالدرجة الاولى الايمان بأن الله تعالى علم ما الخلق عاملون بعلمه القديم الذى هو موصوف به أزلا وأبداً وعلم جميع أحوالهم من الطاعات والمعاصى والارزاق والآجال ثم كتب الله تعالى في اللوح المحفوظ مقادير الخلائق فأول ما خلق الله القلم فقال اكتب فقال ما أكتب قال اكتب ماهو كائن الى يوم القيامة فما أصاب الانسان لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه جفت الاقلام وطويت الصحف كما قال سبحانه ألم تعلم أن الله يعلم ما فى السماء والارض ان ذلك فى كتاب ان ذلك على الله يسير وقال ما أصاب من مصيبة في الارض ولا فى أنفسكم الا فى كتاب من قبل أن نبرأها وهذا التقدير التابع لعلمه سبحانه يكون في مواضع جملة وتفصيلا فقد كتب في اللوح المحفوظ ماشاء فاذا خلق جسد الجنين قبل نفخ الروح فيه بعث اليه ملكا فيؤمر بأربع كلمات فيقال له اكتب رزقه وأجله وعمله وشقى أم سعيد ونحو ذلك فهذا القدر قد كان ينكره غلاة القدرية قديما ومنكروه اليوم قليل وأما الدرجة الثانية فهو مشيئة الله تعالى النافذة وقدرته الشاملة وهو الايمان بأن ماشاء الله كان ومالم يشأ لم يكن وانه مافي السموات والارض من حركة ولا سكون الا بمشيئة الله سبحانه لايكون فى ملكه الا مايريد وانه سبحانه وتعالى على كل شئ قدير من الموجودات والمعدومات فما من مخلوق فى الارض ولا في السماء

الا الله خالقه سبحانه لاخالق غيره ولارب سواه وقد أمر العباد بطاعته وطاعة رسله ونهاهم عن معصيته وهو سبحانه يحب المتقين والمحسنين والمقسطين ويرضى عن الذين آمنوا وعملوا الصالحات ولايرضي عن القوم الفاسقين ولا يأمر بالفحشاء ولا يرضى لعباده الكفر ولا يحب الفساد

والعباد فاعلون حقيقة والله خالق أفعالهم والعبد هو المؤمن والكافر والبر والفاجر والمصلى والصائم وللعباد قدرة على أعمالهم وارادة والله خالقهم وخالق قدرتهم وارادتهم كما قال لمن شاء منكم أن يستقيم وما تشاؤن الا أن يشاء الله رب العالمين * وهذه الدرجة من القدر يكذب بها عامة القدرية الذين سماهم النبي صلى الله عليه وسلم مجوس هذه الامة ويغلو فيها قوم من أهل الاثبات حتى يسلبوا العبد قدرته واختياره ويخرجون عن أفعال الله وأحكامه حكمها ومصالحها

ومن أصول الفرقة الناجية ان الدين والايمان قول وعمل قول القلب واللسان وعمل القلب واللسان والجوارح * وان الايمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية * وهم مع ذلك لايكفرون أهل القبلة بمطلق المعاصى والكبائر كما يفعله الخوارج بل الاخوة الايمانية ثابتة مع المعاصى كما قال سبحانه فى آية القصاص فمن عفى له من أخيه شيء وقال وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى أمر الله فان فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا ان الله يحب المقسطين انما المؤمنون اخوة

ولا يسلبون الفاسق الملى اسم الايمان بالكلية ويخلدونه في النار كما تقول المعتزلة بل الفاسق يدخل فى اسم الايمان في مثل قوله فتحرير رقبة ولا يدخل فى اسم الايمان المطلق كما في قوله انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم وقول النبي صلى الله عليه وسلم لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ولا ينتهب نهبة ذات شرف يرفع الناس اليها فيها أبصارهم وهو حين ينتهبها مؤمن ويقولون هو مؤمن ناقص الايمان أو مؤمن بايمانه فاسق بكبيرته فلا يعطى الاسم المطلق ولا يسلب مطلق الاسم

ومن أصول أهل السنة والجماعة سلامة قلوبهم وألسنتهم لاصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كما وصاهم الله في قوله والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤف رحيم وطاعة النبي صلى الله عليه وسلم في قوله لا تسبوا أصحابى فوالذى نفسى بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً مابلغ مد احدهم ولا نصيفه ويقبلون ماجاء به الكتاب أو السنة أو الاجماع من فضائلهم ومراتبهم فيفضلون من أنفق من قبل الفتح وقاتل وهو صلح الحديبية على من أنفق بعده وقاتل ويقدمون المهاجرين على الانصار

ويؤمنون بان الله قال لاهل بدر وكانوا ثلاثمائة وبضعة عشر اعملوا ماشئتم فقد غفرت لكم

وبأنه لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة كما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم بل قد رضى عنهم ورضوا عنه وكانوا أكثر من ألف وأربعمائة

ويشهدون بالجنة لمن شهد له النبي صلى الله عليه وسلم كالعشرة وكثابت بن قيس بن شماس وغيرهم من الصحابة

ويقرون بما تواتر به النقل عن أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضى الله عنه وغيره من ان خير هذه الامة بعد نبيها أبو بكر الصديق ثم عمر ثم يثلثون بعثمان ويربعون بعلى كما دلت عليه الآثار وكما أجمعت الصحابة على تقديم عثمان في البيعة مع ان بعض أهل السنة كانوا قد اختلفوا فى عثمان وعلى بعد اتفاقهم على أبى بكر وعمر أيهما أفضل فقدم قوم عثمان وسكتوا أو ربعوا بعلى وقدم قوم عليا وقوم توقفوا لكن استقر أمر أهل السنة على تقديم عثمان ثم على وان كانت هذه المسئلة مسئلة عثمان وعلى ليست من الاصول التى يضلل المخالف فيها عند جمهور أهل السنة لكن المسئلة التى يضلل المخالف فيها مسئلة الخلافة وذلك بأنهم يؤمنون ان الخليفة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم على * ومن طعن فى خلافة أحد من هؤلاء الائمة فهو أضل من حمار أهله

ويحبون أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ويتولونهم ويحفظون فيهم وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال في يوم غدير خم أذكركم الله في أهل بيتى أذكركم الله في أهل بيتى وقال أيضا للعباس عمه وقد شكا اليه ان بعض قريش يجفو بنى هاشم فقال والذي نفسى بيده لا يؤمنون حتى يحبوكم لله ولقرابتى وقال ان الله اصطفى بنى

اسماعيل واصطفى من بنى اسماعيل كنانة واصطفى من كنانة قريشا واصطفى من قريش بنى هاشم واصطفانى من بني هاشم

ويتولون أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم أمهات المؤمنين ويقرون بأنهم أزواجه فى الآخرة خصوصا خديجة أم أكثر الاولاد وأول من آمن به وعضده على أمره وكان لها منه المنزلة العلية والصديقة بنت الصديق التى قال النبى صلى الله عليه وسلم فيها فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام

ويتبرؤن من طريقة الروافض الذين يبغضون الصحابة ويسبونهم وطريقة النواصب الذين يؤذون أهل البيت بقول أو عمل

ويمسكون عما شجر بين الصحابة ويقولون ان هذه الآثار المروية فى مساويهم منها ماهو كذب ومنها ما قد زيد ونقص وغير من وجهه والصحيح منه هم فيه معذورون اما مجتهدون مصيبون واما مجتهدون مخطؤن وهم مع ذلك لا يعتقدون ان كل واحد من الصحابة معصوم عن كبائر الاثم وصغائره بل يجوز عليهم الذنوب فى الجملة ولهم من السوابق والفضائل مايوجب مغفرة مايصدر منهم ان صدر حتي انه يغفر لهم من السيئات مالا يغفر لمن بعدهم لان لهم من الحسنات ماليس لمن بعدهم وقد ثبت بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم انهم خير القرون فان المد من أحدهم اذا تصدق به كان أفضل من جبل أحد ذهبا ممن بعدهم ثم اذا كان صدر عن أحد منهم ذنب فيكون قد تاب منه أو أتى بحسنات تمحوه أو غفر له بفضل سابقته أو بشفاعة محمد صلى الله عليه وسلم الذين

أحق الناس بشفاعته أو ابتلى ببلاء في الدنيا كفر عنه فاذا كان هذا في الذنوب المحققة فكيف بالامور الذى كانوا فيها مجتهدين ان أصابوا فلهم أجران وان أخطؤا فلهم أجر واحد والخطأ مغفور

ثم القدر الذى ينكر من فضل بعضهم قليل نزر مغمور في جنب فضائل القوم ومحاسنهم من الايمان بالله ورسوله والجهاد في سبيله والهجرة والنصرة والعلم النافع والعمل الصالح ومن نظر في سيرة القوم بعلم وبصيرة وما من الله به عليهم من الفضائل علم يقينا انهم خير الخلق بعد الانبياء لا كان ولا يكون مثلهم فانهم الصفوة من قرون هذه الامة التى هى خير الامم وأكرمها على الله

ومن أصول أهل السنة التصديق بكرامات الاولياء وما يجري الله على أيديهم من خوارق العادات فى العلوم والمكاشفات وأنواع القدرة والتأثيرات كالمأثور عن سالف الامم في سورة الكهف وغيرها وعن صدر هذه الامة من الصحابة والتابعين وسائر فرق الامة وهى موجودة فيها الى يوم القيامة

ثم من طريقة أهل السنة والجماعة اتباع آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم باطنا وظاهرا واتباع سبيل السابقين الاولين من المهاجرين والانصار واتباع وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ واياكم ومحدثات الامور فان كل بدعة ضلالة

ويعلمون ان أصدق الكلام كلام الله وخير الهدى هدى محمد

رسول الله صلى الله عليه وسلم ويؤثرون كلام الله على غيره من كلام أخبار الناس ويقدمون هدى محمد صلى الله عليه وسلم على هدى كل أحد

وبهذا سموا أهل الكتاب والسنة وسموا أهل الجماعة لان الجماعة هى الاجتماع وضدها الفرقة وان كان لفظ الجماعة قد صار اسما لنفس القوم المجتمعين والاجتماع هو الاصل الثالث الذى يعتمد عليه في العلم والدين

وهم يزنون بهذه الاصول الثلاثة جميع ما عليه الناس من أعمال وأفعال باطنة أو ظاهرة مما له تعلق بالدين

والاجتماع الذى ينضبط هو ما كان عليه السلف الصالح اذ بعدهم كثر الاختلاف وانتشرت الامة

ثم هم مع هذه الاصول يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر على ما توجبه الشريعة * ويرون اقامة الحج والجهاد والجمع والاعياد مع الامراء أبرارا كانوا أو فجارا ويحافظون على الجماعات * ويدينون بالنصيحة للامة ويعتقدون معنى قوله صلى الله عليه وسلم المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا وشبك بين أصابعه وقوله صلى الله عليه وسلم مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر * ويأمرون بالصبر عند البلاء والشكر عند الرخاء والرضا بمر القضاء * ويدعون الى مكارم الاخلاق ومحاسن الاعمال * ويعتقدون معنى قول النبى صلى الله عليه وسلم أكمل المؤمنين ايمانا أحسنهم خلقا * ويندبون الى أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك * ويأمرون ببر الوالدين وصلة الارحام

وحسن الجوار والاحسان الى اليتامي والمساكين وابن السبيل والرفق بالمملوك وينهون عن الفخر والخيلاء والبغي والاستطالة على الخلق بحق أو بغير حق * ويأمرون بمعالى الاخلاق وينهون عن سفسافها * وكل مايقولونه أو يفعلونه من هذا أوغيره فانما هم فيه متبعون الكتاب والسنة وطريقتهم هى دين الاسلام الذى بعث الله به محمدا صلى الله عليه وسلم لكن لما أخبر صلى الله عليه وسلم ان أمته ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة كلهم في النار الا واحدة وهي الجماعة وفى حديث عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال هم من كان على مثل ماأنا عليه وأصحابي صار المتمثلون بالاسلام المحض الخالص عن المشوب أهل السنة والجماعة * وفيهم الصديقون والشهداء والصالحون ومنهم أعلام الهدى ومصابيح الدجى أولو المناقب المأثورة والفضائل المذكورة وفيهم الابدال وفيهم الائمة الذين أجمع المسلمون على هدايتهم ودرايتهم وهم الطائفة المنصورة التي قال فيها النبى صلى الله عليه وسلم لاتزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لايضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى تقوم الساعة

فنسأل الله العظيم أن يجعلنا منهم وأن لايزيغ قلوبنا بعد اذ هدانا ويهب لنا من لدنه رحمة انه هو الوهاب والحمد لله رب العالمين وصلواته وسلامه على سيدنا محمد وآله وصحبه وعلى سائر النبيين وآل كل وسائر الصالحين وحسبنا الله ونعم الوكيل

تمت الرسالة التاسعة

ويليها الرسالة العاشرة له أيضا

بسم الله الرحمن الرحيم

ذكر ما وقع في هذه العقيدة المباركة من الابحاث التي جلاها جامعها للمعترضين

نقل الشيخ علم الدين ان الشيخ قدس سره قال فى مجلس نائب السلطنة الافرم لما سأله عن اعتقاده وكان أحضر الشيخ عقيدته الواسطية قال هذه كتبتها من نحو سبع سنين قبل مجىء التتار الى الشام فقرئت في المجلس ثم نقل علم الدين عن الشيخ انه قال كان سبب كتابتها بعض قضاة واسط من أهل الخير والدين شكى ما الناس فيه ببلادهم فى دولة التتر من غلبة الجهل والظلم ودروس الدين والعلم وسألني أن أكتب له عقيدة فقلت له قد كتب الناس عقائد أئمة السنة فألح في السؤال وقال ما أحب الا عقيدة تكتبها أنت فكتبت له هذه العقيدة وأنا قاعد بعد العصر فأشار الامير لكاتبه فقرأها علي الحاضرين حرفا حرفا فاعترض بعضهم على قولي فيها

ومن الايمان بالله الايمان بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل ومقصوده ان هذا ينفى التأويل الذى هو صرف اللفظ عن ظاهره اما وجوبا واما جوازا فقلت انى عدلت عن لفظ التأويل الى لفظ التحريف لان التحريف اسم جاء القرآن بذمه وأنا تحريت في هذه العقيدة اتباع الكتاب والسنة فنفيت ما ذمه الله من التحريف ولم أذكر فيها لفظ التأويل لأنه لفظ له عدة معان كما بينته في موضعه من القواعد فان معنى لفظ التأويل في كتاب الله غير لفظ التأويل فى اصطلاح المتأخرين من أهل الاصول

والفقه وغير معنى لفظ التأويل في اصطلاح كثير من أهل التفسير والسلف

وقلت لهم ذكرت فى النفى التمثيل ولم أذكر التشبيه لان التمثيل نفاه الله بنص كتابه حيث قال ليس كمثله شئ وأخذوا يذكرون نفى التشبيه والتجسيم ويطنبون في هذا ويعرضون بما ينسبه بعض الناس الينا من ذلك

فقلت قولى من غير تكييف ولا تمثيل ينفي كل باطل وانما اخترت هذين الاسمين لان التكييف مأثور نفيه عن السلف كما قال ربيعة ومالك وابن عيينة وغيرهم المقالة التى تلقاها العلماء بالقبول الاستواء معلوم والكيف مجهول والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة

فاتفق هؤلاء السلف على ان الكيف غير معلوم لنا فنفيت ذلك اتباعا لسلف الامة وهو أيضا منفى بالنص فان تأويل آيات الصفات يدخل فيها حقيقة الموصوف وحقيقة صفاته غير معلومة وهذا من التأويل الذى لا يعلمه الا الله كما قررت ذلك في قاعدة مفردة ذكرتها في التأويل والمعنى والفرق بين علمنا بمعنى الكلام وبين علمنا بتأويله

وكذلك التمثيل منفي بالنص والاجماع القديم مع دلالة العقل على نفيه ونفى التكييف اذ كنه البارى غير معلوم للبشر

وذكرت في ضمن ذلك كلام الخطابي الذى نقل انه مذهب السلف وهو اجراء آيات الصفات وأحاديثها على ظاهرها مع نفى الكيفية والتشبيه عنها اذ الكلام فى الصفات فرع الكلام فى الذات يحتذى حذوه ويتبع

فيه مثاله فاذا كان اثبات الذات اثبات وجود لا اثبات تكييف فكذلك اثبات الصفات اثبات وجود لا اثبات تكييف

فقال أحد كبراء المخالفين فحينئذ يجوز أن يقال هو جسم لا كالاجسام فقلت له أنا وبعض الفضلاء انما قيل انه يوصف الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله وليس فى الكتاب والسنة أن الله جسم حتى يلزم هذا

وأول من قال ان الله جسم هشام بن الحكم الرافضى وأما قولنا فهو فيهم الوسط في فرق الامة كما ان الامة هي الوسط في الامم فهم وسط فى باب صفات الله بين أهل التعطيل الجهمية وأهل التمثيل المشبهة

فقيل لى أنت صنفت اعتقاد الامام أحمد وأرادوا قطع النزاع لكونه مذهبا متبوعا فقلت ما خرجت الا عقيدة السلف الصالح جميعهم ليس للامام أحمد اختصاص بهذا

وقلت قد أمهلت من خالفني فى شئ منها ثلاث سنين فان جاء بحرف واحد عن القرون الثلاثة يخالف ماذكرته فانا أرجع عن ذلك وعلى أن آتي بنقول جميع الطوائف عن القرون الثلاثة يوافق ماذكرته من الحنفية والمالكية والشافعية والحنبلية والاشعرية وأهل الحديث وغيرهم

ثم طلب المنازع الكلام في مسئلة الحرف والصوت فقلت هذا الذى يحكى عن أحمد وأصحابه ان صوت القارئين ومداد المصاحف قديم أزلى كذب مفتري لم يقل ذلك أحمد ولا أحد من علماء المسلمين

وأخرجت كراساوفيه ماذكره أبو بكر الخلال في كتاب السنة عن الامام أحمد وما جمعه صاحبه أبو بكر المروزى من كلام أحمد وكلام أئمة زمانه في أن من قال لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمى ومن قال غير مخلوق فهو مبتدع قلت فكيف بمن يقول لفظي أزلي فكيف بمن يقول صوتي قديم

فقال المنازع انه انتسب الي أحمد أناس من الحشوية والمشبهة ونحو هذا الكلام

فقلت المشبهة والمجسمة في غير أصحاب الامام أحمد أكثر منهم فيهم فهؤلاء أصناف الاكراد كلهم شافعية وفيهم من التشبيه والتجسيم مالا يوجد فى صنف آخر وأهل جيلان فيهم شافعية وحنبلية وأما الحنبلية المحضة فليس فيهم من ذلك مافى غيرهم والكرامية المجسمة كلهم حنفية

وقلت له من في أصحابنا حشوى بالمعنى الذى تريده الأثرم • أبوداود • المروزى • الخلال • أبوبكر بن عبدالعزيز • أبوالحسن التميمى • ابن حامد • القاضى أبو يعلي • أبوالخطاب • ابن عقيل •

ورفعت صوتى وقلت سمهم قل لى من هم

أبكذب ابن الخطيب وافترائه على الناس في مذاهبهم تبطل الشريعة وتندرس معالم الدين كما نقل هو وغيره عنهم انهم يقولون القرآن القديم هو أصوات القارئين ومداد الكاتبين وان الصوت والمداد قديم أزلى من قال هذا وفي أى كتاب وجد منهم هذا قل لى وكما نقل عنهم ان الله لايرى في الآخرة باللزوم الذي ادعاه والمقدمة التي نقلها عنهم

ولما جاءت مسئلة القرآن وانه كلام الله غير مخلوق منه بدا واليه يعود نازع بعضهم فى كونه منه بدأ واليه يعود وطلبوا تفسير ذلك

فقلت أما هذا القول فهو المأثور والثابت عن السلف مثل مانقله عمرو بن دينار قال أدركت الناس منذ سبعين سنة يقولون الله الخالق وما سواه مخلوق الا القرآن فانه كلام الله غير مخلوق منه بدا واليه يعود

ومعنى منه بدا أى هو المتكلم به وهو الذى أنزله من لدنه ليس هو كما تقوله الجهمية انه خلق فى الهواء أو غيره وبدأ من غيره

وأما اليه يعود فانه يسرى به في آخر الزمان من المصاحف والصدور فلا يبقى في الصدور منه كلمة ولا فى المصاحف منه حرف ووافق على ذلك غالب الحاضرين

فقلت هكذا قال النبي صلى الله عليه وسلم ماتقرب العباد الى الله بمثل ماخرج منه يعني القرآن وقال خباب بن الارت ياهنتاه تقرب الى الله بما استطعت فلن يتقرب الي الله بشيء أحب اليه مما خرج منه

وقلت وان الله تكلم به حقيقة وان هذا القرآن الذى أنزله الله على محمد صلى الله عليه وسلم هو كلام الله حقيقة لا كلام غيره ولا يجوز اطلاق القول بانه حكاية عن كلام الله أو عبارة بل اذا قرأ الناس القرآن أو كتبوه فى المصاحف لم يخرج بذلك عن أن يكون كلام الله فان الكلام انما يضاف حقيقة الى من قاله مبلغا مؤديا فامتعض بعضهم من اثبات كونه كلام الله حقيقة بعد تسليمه أن الله تكلم به حقيقة ثم انه سلم ذلك لما بين له أن المجاز يصح نفيه وهذا لايصح نفيه وان أقوال

المتقدمين المأثورة عنهم وشعر الشعراء المضاف اليهم هو كلامهم حقيقة ولما ذكر فيها أن الكلام انما يضاف حقيقة الى من قاله مبتدئا لا الى من قاله مبلغا استحسنوا هذا الكلام وعظموه

وذكرت ماأجمع عليه سلف الامة من أنه سبحانه فوق العرش وانه معنى حق على حقيقته لايحتاج الي تحريف ولكن يصان عن الظنون الكاذبة وليس معني قوله وهو معكم أينما كنتم أنه مختلط بالخلق فان هذا لاتوجبه اللغة وهو خلاف ماأجمع عليه سلف الامة وخلاف مافطر الله عليه الخلق بل القمر آية من آيات الله من أصغر مخلوقاته وهو موضوع فى السماء وهو مع المسافر أينما كان

ولما ذكرت أن جميع أسماء الله التى يسمى بها المخلوق كلفظ الوجود الذى هو مقول بالحقيقة على الواجب والممكن تنازع كبيران هل هو مقول بالاشتراك أو بالتواطىء فقال أحدهما هو متواطيء وقال آخر هو مشترك لئلا يلزم التركيب وقال هذا قد ذكر فخر الدين ان هذا النزاع مبنى على ان وجوده هل هو عين ماهيته أم لا فمن قال ان وجود كل شئ عين ماهيته قال انه مقول بالاشتراك ومن قال ان وجوده قد زائد على ماهيته قال انه مقول بالتواطؤ فاخذ الاول يرجح قول من يقول ان الوجود زائد على الماهية لينصر أنه مقول بالتواطؤ فقال الثانى مذهب الاشعرى وأهل السنة ان وجوده عين ماهيته فانكر الاول ذلك

فقلت أما متكلموا أهل السنة فعندهم ان وجود كل شئ عين ماهيته وأما القول الآخر فهو قول المعتزلة ان وجود كل شئ قدر

زائد على ماهيته وكل منهما أصاب من وجه فان الصواب ان هذه الاسماء مقولة بالتواطؤ كما قد قررته في غير هـذا الموضع وأما بناء ذلك على كون وجود الشيء عـين ماهيته أوليس فهو من الغلط المضاف الي ابن الخطيب فانا وان قلنا ان وجود الشيء عين ماهيته لايجب أن يكون الاسم مقولا عليه وعلى نظيره بالاشتراك اللفظى فقط كما في جميع أسماء الاجناس فان اسم السواد مقول على هذا السواد وهذا السواد بالتوطؤ وليس عين هذا السواد هو عين هذا السواد اذ الاسم دال على القدر المشترك بينهما وهو المطلق الكلى لكنه لايوجد مطلقا بشرط الاطلاق الا فى الذهن ولا يلزم من ذلك نفى القدر المشترك بين الاعيان الموجودة فى الخارج فانه على ذلك تنتفى الاسماء المتواطئة وهى جمهور الاسـماء الموجودة فى اللغات وهى أسماء الاجناس اللغوية وهو الاسم المعلق على الشيء وما أشبهه سواء كان اسم عين أو اسم صفة جامدا أو مشتقا وسواء كان جنسا منطقيا أو فقهيا أو لم يكن بل اسم الجنس في اللغة يدخل فيه الاجناس والاصناف والانواع ونحو ذلك وكلها أسماء متواطئة وأعيان مسمياتها في الخارج متميزة هـذا آخر بعض ماعلقـه الشيخ فيما يتعلق بالمناظرة بحضرة نائب السلطنة والقضاة والفقهاء وغيرهم قال الحافظ الذهبي ثم وقع الاتفاق على ان هذا معتقد سلفي جيد

تمت الرسالة العاشرة

ويليها الرسالة الحادية عشر له أيضا

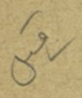
بسم الله الرحمن الرحيم

(ماقول السادة العلماء أئمة الدين أحسن الله اليهم أجمعين)

فى آيات الصفات كقوله تعالي الرحمن على العرش استوى وقوله ثم استوى الي السماء الى غير ذلك من الآيات وأحاديث الصفات أيضاً كقوله صلى الله عليه وسلم ان قلوب بنى آدم بين أصبعين من أصابع الرحمن وقوله يضع الجبار قدمه فى النار الى غير ذلك وما قالت العلماء فيه وليبسطوا القول في ذلك مأجورين ان شاء الله تعالي

فاجاب شيخنا شيخ الاسلام تقى الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية رضى الله عنه وأرضاه

الحمد لله رب العالمين * قولنا فيها ماقاله الله ورسوله والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان وما قاله أئمة الهدى بعد هؤلاء الذين أجمع المسلمون على هدايتهم ودرايتهم وهذا هو الواجب على جميع الخلق في هذا الباب وفي غيره فان الله سبحانه وتعالى بعث محمداً صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق ليخرج الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم الى صراط العزيز الحميد وشهد له بأنه بعثه داعياً اليه باذنه وأمره أن يقول هذه سبيلى ادعو الي الله على بصيرة أنا ومن أتبعنى ومن المحال فى العقل والدين أن يكون السراج المنير الذى أخرج به الناس من الظلمات الى النور وأنزل معه الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وأمر الناس أن يردوا ماتنازعوا فيه من دينهم الى مابعث به من الكتاب والحكمة وهو يدعو الى الله والى



سبيله باذنه على بصيرة وقد أخبره الله بأنه أكمل له ولامته دينهم وأتم عليهم نعمته محال مع هذا وغيره أن يكون قد ترك باب الايمان بالله والعلم به ملتبساً مشتبها ولم يميز ما يجب لله من الاسماء الحسنى والصفات العليا وما يجوز عليه وما يمتنع عليه فان معرفة هذا أصل الدين وأساس الهداية وأفضل وأوجب ما اكتسبته القلوب وحصلته النفوس وأدركته العقول فكيف يكون ذلك الكتاب وذلك الرسول وأفضل خلق الله بعد النبيين لم يحكموا هذا الباب اعتقاداً وقولا ومن المحال أيضاً أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم قد علم أمته كل شيء حتى الخراءة وقال تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لايزيغ عنها بعدي الا هالك وقال فيما صح عنه أيضاً مابعث الله من نبي الا كان حقاً عليه أن يدل أمته على خير مايعلمه لهم وينهاهم عن شر مايعلمه لهم وقال أبو ذر لقد توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وما طائر يقلب جناحيه في السماء الا ذكرنا منه علماً وقال عمر بن الخطاب قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاما فذكر بدء الخلق حتى دخل أهل الجنة منازلهم وأهل النار منازلهم حفظ ذلك من حفظه ونسيه من نسيه رواه البخارى ومحال مع تعليمهم كل شيء لهم فيه منفعة في الدين وان دقت أن يترك تعليمهم مايقولونه بألسنتهم وقلوبهم في ربهم ومعبودهم ورب العالمين الذى معرفته غاية المعارف وعبادته أشرف المقاصد والوصول اليه غاية المطالب بل هذا خلاصة الدعوة النبوية وزبدة الرسالة الالهية فكيف يتوهم من فى قلبه أدنى مسكة من ايمان وحكمة أن لايكون بيان هذا الباب قد وقع من الرسول على غاية التمام ثم اذا

كان قد وقع ذلك منه فمن المحال ان خير أمة وأفضل قرونها قصروا فى هذا الباب زائدين فيه أو ناقصين عنه

ثم من المحال أيضاً ان تكون القرون الفاضلة القرن الذى بعث فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم كانوا غير عالمين وقائلين فى هذا الباب بغير الحق المبين لان ضد ذلك اما عدم العلم والقول واما اعتقاد نقيض الحق وقول خلاف الصدق وكلاهما ممتنع أما الاول فلان من في قلبه أدنى حياة وطلب للعلم أو نهمة في العبادة يكون البحث عن هذا الباب والسؤال عنه ومعرفة الحق فيه أكبر مقاصده وأعظم مطالبه وليست النفوس الصحيحة الي شئ أشوق منها الى معرفة هذا الامر وهذا أمر معلوم بالفطرة لوجدية فكيف يتصور مع قيام هذا المقتضى الذى هو من أقوى المقتضيات أن يتخلف عنه مقتضاه في أولئك السادة فى مجموع عصورهم هذا لايكاد يقع فى أبلد الخلق وأشدهم اعراضاً عن الله وأعظمهم اكبابا على طلب الدنيا والغفلة عن ذكر الله فكيف يقع في أولئك

وأما كونهم كانوا فيه معتقدين غير الحق أوقائليه فهذا لايعتقده مسلم ولا عاقل عرف حال القوم

ثم الكلام فى هذا الباب عنهم أكثر من أن يمكن سطره في هذه الفتوى أو أضعافها يعرف ذلك من طلبه وتتبعه ولا يجوز أيضاً أن يكون الخالفون أعلم بالله من السالفين كما قد يقوله بعض الاغبياء ممن لم يقدر قدر السلف بل ولا عرف الله ورسوله والمؤمنين به حقيقة المعرفة

المأمور بها من أن طريقة السلف أسلم وطريقة الخلف أعلم أو أحكم فان هذا القول اذا تدبره الانسان وجده فى غاية الجهالة بل فى غاية الضلالة كيف يكون هؤلاء المتأخرون لاسيما والاشارة بالخلف الى ضرب من المتكلمين الذين كثر في باب الدين اضطرابهم وغلظ عن معرفة الله حجابهم وأخبر الواقف على نهاية اقدامهم بما انتهى اليه من مرامهم حيث يقول

لعمرى قد طفت المعاهد كلها * وسيرت طرفى بين تلك المعالم
فلم أر الا واضعاً كف حائر * على ذقن أو قارعا سن نادم

وأقروا على أنفسهم بما قالوه متمثلين به أو منشئين له فيما صنفوه من كتبهم مثل قول بعض رؤسائهم

نهاية اقدام العقول عقال * وأكثر سعى العالمين ضلال
وأرواحنا في وحشة من جسومنا * وحاصل دنيانا أذى ووبال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا * سوى ان جمعنا فيه قيل وقالوا

ويقول الآخر منهم لقد خضت البحر الخضم وتركت أهل الاسلام وعلومهم وخضت فى الذى نهوني عنه والآن ان لم يتداركني ربى برحمته فالويل لفلان وها أنا ذا أموت على عقيدة أمى

ويقول الآخر منهم أكثر الناس شكا عند الموت أصحاب الكلام ثم اذا حقق عليهم الأمر لم يوجد عندهم من حقيقة العلم بالله وخالص المعرفة به خبر ولا وقعوا من ذلك على عين ولا أثر كيف يكون هؤلاء المنقوصون المحجوبون المفضولون المسبوقون الحياري المتهوكون أعلم بالله

وآياته من السابقين الاولين من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان من ورثة الانبياء وخلفاء الرسل واعلام الهدى ومصابيح الدجى الذين بهم قام الكتاب وبه قاموا وبهم نطق الكتاب وبه نطقوا الذين وهبهم الله من العلم والحكمة مابرزوا به على سائر أتباع الانبياء وأحاطوا من حقائق المعارف وبواطن الحقائق بمالو جمعت حكمة غيرهم اليها لاستحيا من يطلب المقابلة ثم كيف يكون خير قرون الامة أنقص فى العلم والحكمة لاسيما العلم بالله وأحكام أسمائه وآياته من هؤلاء الاصاغر بالنسبة اليهم أم كيف يكون أفراخ المتفلسفة واتباع الهند واليونان أعلم بالله من ورثة الانبياء وأهل القرآن والايمان وانما قدمت هذه المقدمة لأن من استقرت هذه المقدمة عنده علم طريق الهدى أين هو في هذا الباب وغيره وعلم أن الضلال والتهوك انما استولى على كثير من المتأخرين بنبذهم كتاب الله وراء ظهورهم وأعراضهم عما بعث الله به محمداً صلي الله عليه وسلم من البينات والهدى وتركهم البحث عن طريق السابقين والتابعين والتماسهم علم معرفة الله ممن لم يعرف الله باقراره على نفسه وبشهادة الامة على ذلك وبدلالات كثيرة

وليس غرضى واحداً معيناً وانما أصف نوع هؤلاء ونوع هؤلاء واذا كان كذلك فهذا كتاب الله من أوله الى آخره وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم من أولها الى آخرها ثم عامة كلام الصحابة والتابعين ثم كلام سائر الائمة مملوء بما هو اما نص واما ظاهر فى ان الله سبحانه وتعالي فوق كل شيء وعلى كل شيء وأنه فوق العرش وأنه فوق السماء مثل

قوله اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه اني متوفيك ورافعك الى أأمنتم من فى السماء أن يخسف بكم الارض أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصباً بل رفعه الله اليه تعرج الملائكة والروح اليه يخافون ربهم من فوقهم ثم استوى علي العرش فى ستة مواضع الرحمن علي العرش استوي ياهامان ابن لى صرحا لعلي أبلغ الاسباب أسباب السموات فاطلع الى اله موسى واني لأظنه كاذبا تنزيل من حكيم حميد منزل من ربك الي أمثال ذلك مما لايكاد يحصى الا بكلفة

وفي الاحاديث الصحاح والحسان مالا يحصى مثل قصة معراج الرسول صلي الله عليه وسلم الى ربه ونزول الملائكة من عند الله وصعودها اليه وقوله في الملائكة الذين يتعاقبون بالليل والنهار فيعرج الذين باتوا فيكم الى ربهم فيسألهم وهو أعلم بهم وفي الصحيح فى حديث الخوارج ألا تأمنونى وأنا أمين من في السماء يأتيني خبر السماء صباحا ومساء وفي حديث الرقية الذى رواه أبو داود وغيره ربنا الله الذى فى السماء تقدس اسمك أمرك فى السماء والارض كما رحمتك في السماء اجعل رحمتك في الارض اغفر لنا حوبنا وخطايانا أنت رب الطيبين أنزل رحمة من رحمتك وشفاء من شفائك على هذا الوجع وقال صلى الله عليه وسلم اذا اشتكى أحد منكم أواشتكى أخ من اخوانه فليقل ربنا الله الذى في السماء وذكره وقوله في حديث الاوعال والعرش فوق ذلك والله فوق عرشه وهو يعلم ما أنتم عليه وقوله فى حديث قبض الروح حتى يعرج به الى السماء التي فيها الله

وقول عبد الله بن رواحة الذى أنشده النبى صلى الله عليه وسلم وأقره عليه

شهدت بأن وعد الله حق * وان النار مثوى الكافرينا

وان العرش فوق الماء طاف * وفوق العرش رب العالمينا

وقول أمية بن أبى الصلت الثقفى الذى أنشده النبى صلى الله عليه وسلم هو وغيره من شعره فاستحسنه وقال آمن شعره وكفر قلبه

مجدوا الله فهو للمجد أهل * ربنا في السماء أمسى كبيرا

بالبناء الاعلى الذى سبق النا * س وسوى فوق السماء سريرا

شرجعا ماينا له بصر العين ترى دونه الملائك صورا (١)

الى أمثال ذلك مما لايحصيه الا الله مما هو من أبلغ التواترات اللفظية والمعنوية التي تورث علما يقينيا من أبلغ العلوم الضرورية ان الرسول المبلغ عن الله ألقى الى أمته المدعوين أن الله سبحانه على العرش استوي وانه فوق السماء كما فطر الله على ذلك جميع الامم عربهم وعجمهم في الجاهلية والاسلام الامن اجتالته الشياطين عن فطرته

ثم عن السلف في ذلك من الاقوال مالوجمع لبلغ مئين أو الوفا * ثم ليس في كتاب الله ولا فى سنة رسول الله صلي الله عليه وسلم ولا عن أحد من سلف الامة لا من الصحابة والتابعين ولا عن الائمة الذين أدركوا زمن الاهواء والاختلاف حرف واحد يخالف ذلك لا نصا ولا ظاهرا ولم يقل أحد منهم قط ان الله ليس في السماء ولا انه ليس على العرش ولا انه في كل مكان ولا أن جميع الامكنة بالنسبة اليه سواء ولا انه لا داخل

(١) الشرجع الطويل .. والصور جمع أصور المائل العنق

العالم ولا خارجه ولا متصل ولا منفصل ولانه لاتجوز الاشارة الحسية اليه بالاصابع ونحوها بل قد ثبت فى الصحيح عن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم لما خطب خطبته العظيمة يوم عرفات في أعظم مجمع حضره رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل يقول ألا هل بلغت فيقولون نعم فيرفع أصبعه الى السماء وينكبها اليهم ويقول اللهم أشهد غير مرة وأمثال ذلك كثيرة فلئن كان الحق مايقوله هؤلاء السالبون النافون من هذه العبارات ونحوها دون مايفهم من الكتاب والسنة امانصا واما ظاهرا كيف يجوز على الله ثم على رسوله ثم على خير الامة انهم يتكلمون دائما بماهو نص أوظاهر فى خلاف الحق ثم الحق الذى يجب اعتقاده لايبوحون به قط ولا يدلون عليه لانصا ولاظاهرا حتي يجيء انباط الفرس والروم وفروخ اليهود والفلاسفة يبينون للامة العقيدة الصحيحة التى تجب على كل مكلف أوكل فاضل أن يعتقدها * لئن كان مايقوله هؤلاء المتكلمون المتكلفون هو الاعتقاد الواجب وهم مع ذلك أحيلوا في معرفته على مجرد عقولهم وان يدفعوا بمقتضى قياس عقولهم مادل عليه الكتاب والسنة ظاهرا لقد كان ترك الناس بلا كتاب ولا سنة أهدى لهم وأنفع على هذا التقدير بل كان وجود الكتاب والسنة ضررا محضا فى أصل الدين فان حقيقة الامر على مايقوله هؤلاء انكم يامعشر العباد لاتطلبوا معرفة الله ولامايستحقه من الصفات نفيا واثباتا لامن الكتاب ولامن السنة ولا من طريق سلف الامة ولكن انظروا أنتم فما وجدتموه مستحقا له من الصفات فصفوه به سواء كان موجودا في

الكتاب والسنة أولم يكن ومالم تجدوه مستحقا له في عقولكم فلا تصفوه به * ثم هم ههنا فريقان أكثرهم يقولون مالم تثبته عقولكم فانفوه ومنهم من يقول بل توقفوا فيه ومانفاه قياس عقولكم الذى أنتم فيه مختلفون ومضطربون اختلافا أكثر من جميع احتلاف على وجه الارض فانفوه واليه عند التنازع فارجعوا فانه الحق الذى تعبدتكم به وماكان مذكورا في الكتاب والسنة مما يخالف قياسكم هذا أو يثبت مالم تدركه عقولكم على طريقة أكثرهم فاعلموا انى امتحنتكم بتنزيله لالتأخذوا الهدي منه لكن لتجتهدوا في تخريجه على شواذ اللغة ووحشى الالفاظ وغرائب الكلام أوان تسكتوا عنه مفوضين علمه الي

هذا حقيقة الامر على رأى المتكلمين وهذا الكلام قدرأيته صرح بمعناه طائفة منهم وهو لازم لجماعتهم لزوما لامحيد عنه ومضمونه أن كتاب الله لايهتدى به في معرفة الله وان الرسول معزول عن التعليم والاخبار بصفات من أرسله وان الناس عند التنازع لايردون ماتنازعوا فيه الي الله والرسول بل الى مثل ماكانوا عليه في الجاهلية والى مثل مايتحاكم اليه من لايؤمن بالانبياء كالبراهمة والفلاسفة وهم المشركون والمجوس وبعض الصابئين وان كان هذا الرد لايزيد الامر الاشدة ولا يرتفع به الخلاف اذلكل فريق طواغيت يريدون أن يتحاكموا اليهم وقد أمروا أن يكفروا بهم وما أشبه حال هؤلاء المتكلمين بقوله سبحانه ألم ترالى الذين يزعمون انهم آمنوا بما أنزل اليك وماأنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد

الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا واذا قيل لهم تعالوا الى ماأنزل الله والى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا فكيف اذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم ثم جاؤك يحلفون بالله ان أردنا الا احسانا وتوفيقاً فان هؤلاء اذا دعوا الى ما أنزل الله من الكتاب والي الرسول والدعاء اليه بعد وفاته الدعاء الى سنته أعرضوا عن ذلك وهم يقولون انا قصدنا الاحسان علماً وعملا بهذه الطريق التى ملكناها والتوفيق بين الدلائل العقلية والنقلية

ثم عامة هذه التسليمات التى يسمونها دلائل انما تقلدوا أكثرها عن طاغوت من طواغيت المشركين والصابئين أوبعض ورثتهم الذين أمروا أن يكفروا بهم مثل فلان وفلان فلا وربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لايجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه الا الذين أوتوه من بعد ماجاءتهم البينات بغيا بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه

ولازم هذه المقالة أن لايكون الكتاب هدى للناس ولا بيانا ولا شفاء لما في الصدور ولانورا ولامردا عند التنازع لانا نعلم بالاضطرار ان مايقوله هؤلاء المتكلفون انه الحق الذى يجب اعتقاده لم يدل عليه الكتاب والسنة لانصا ولا ظاهرا وانما غاية المتحذلق أن يستنتج هذا من قوله ولم يكن له كفوا أحد هل تعلم له سميا وبالاضطرار يعلم كل عاقل

ان من دل الخلق على ان الله ليس على العرش ولا فوق السموات ونحو ذلك بقوله هل تعلم له سميا لقد أبعد النجعة وهو اما ملغز أو مدلس لم يخاطبهم بلسان عربي مبين

ولازم هذه المقالة أن يكون ترك الناس بلا رسالة خيرالهم في أصل دينهم لان مردهم قبل الرسالة وبعدها واحد وانما الرسالة زادتهم عمى وضلالا ياسبحان الله كيف لم يقل الرسول يوما من الدهر ولا أحد من سلف الامة هذه الآيات والاحاديث لاتعتقدوا مادلت عليه ولكن اعتقدوا الذى تقتضيه مقاييسكم أو اعتقدوا كذا وكذا فانه الحق وما خالفه ظاهره فلا تعتقدوا ظاهره أو انظروا فيها فما وافق قياس عقولكم فاعتقدوه ومالا يوافقه فتوقفوا فيه أو انفوه

ثم الرسول صلي الله عليه وسلم قد أخبر بان أمته ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة فقد علم ماسيكون ثم قال اني تارك فيكم ماان تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله

وروى عنه انه قال فى صفة الفرقة الناجية هو من كان على مثل ماأناعليه اليوم وأصحابي فهلا قال من تمسك بظاهر القرآن في باب الاعتقاد فهو ضال وانما الهدى رجوعكم الي مقاييس عقولكم وما يحدثه المتكلمون منكم بعد القرون الثلاثة وان كان قد نبغ أصلها في أواخر عصر التابعين

ثم أصل هذه المقالة انما هو مأخوذ عن تلامذة اليهود والمشركين وضلال الصابئين فان أول من حفظ عنه أنه قال هذه المقالة أعني ان

الله ليس على العرش حقيقة وانما استوى استولى ونحو ذلك أول ما ظهرت هذه المقالة من جعد بن درهم وأخذها عنه الجهم بن صفوان وأظهرها فتنسب مقالة الجهمية اليه والجعد أخذ مقالته عن ابان بن سمعان وأخذها أبان من طالوت ابن أخت لبيد بن أعصم وأخذها طالوت من لبيد بن أعصم اليهودي الساحر الذى سحر النبي صلي الله عليه وسلم وكان الجعد هذا فيما قيل من أهل حران وكان فيهم خلق كثير من الصابئة والفلاسفة بقايا أهل دين النمروذ الكنعانيين الذين صنف بعض المتأخرين فى سحرهم وكانوا يعبدون الكواكب ويبنون لها الهياكل ومذهبهم في الرب انه ليس له الا صفات سلبية أو اضافية أو مركبة منهما وهم الذين بعث ابراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم اليهم فيكون الجعد قد أخذها عن الصائبة الفلاسفة وأخذها الجهم أيضاً فيما ذكره الامام أحمد وغيره من السمنية بعض فلاسفة الهند وهم الذين يجحدون من العلوم ماسوى الحسيات فهذه أسانيد الجهم ترجع الى اليهود والصابئين والمشركين والفلاسفة الضالون هم اما من الصابئين واما من المشركين

ثم لما عربت الكتب الرومية في حدود المائة الثانية زاد البلاء مع ما ألقى الشيطان فى قلوب الضلال ابتداء من جنس ما ألقاه فى قلوب أشباههم ولما كان فى حدود المائة الثانية انتشرت هذه المقالة التى كان السلف يسمونها مقالة الجهمية بسبب بشر بن غياث المريسى وطبقته وكلام الائمة مثل مالك رضى الله عنه وسفيان بن عيينة وأبى يوسف

والشافعي وأحمد واسحاق والفضيل بن عياض وبشر الحافي وغيرهم في بشر المريسي هذا كثير في ذمه وتضليله وهذه التأويلات الموجودة اليوم بايدي الناس مثل أكثر التأويلات التي ذكرها أبو بكر بن فورك في كتاب التأويلات وذكرها أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي في كتابه الذي سماه تأسيس التقديس ويوجد كثير منها في كلام خلق غير هؤلاء مثل أبي علي الجبائي وعبد الجبار بن أحمد الهمداني وأبي الحسين البصري وابن عقيل وأبي حامد الغزالي وغيرهم وهي بعينها التأويلات التي ذكرها بشر المريسي في كتابه وان كان قد يوجد في كلام بعض هؤلاء رد التأويل وابطاله أيضا ولهم كلام حسن في أشياء فانما بينت ان عين تأويلاتهم هي عين تأويلات المريسي وعلمنا ذلك بكتاب الرد الذي صنفه عثمان بن سعيد الدارمي احد الائمة المشاهير في زمن البخاري صنف كتابا سماه نقض عثمان بن سعيد على الكاذب العنيد فيما افترى على الله في التوحيد

حكى فيه هذه التأويلات باعيانها عن بشر المريسي بكلام يقتضي ان المريسي أقعد بها وأعلم بالمعقول والمنقول من هؤلاء المتأخرين الذين اتصلت اليهم من جهته ثم ردها عثمان بن سعيد بكلام اذا طالعه العاقل الذكي علم حقيقة ما كان عليه السلف فيتبين له ظهور الحجة لطريقهم وضعف حجة من خالفهم

ثم اذا رأى الائمة أئمة الهدى قد أجمعوا على ذم المريسة وأكثرهم كفروهم أو ضللوهم وعلم ان هذا القول الساري في هؤلاء المتأخرين

هو مذهب المريسي تبين الهدى لمن يريد الله هدايته ولا حول ولا قوة الا بالله والفتوى لاتحتمل البسط فى هذا الباب وانما أشير اشارة الى مبادئ الامور والعاقل يسير فينظر وكلام السلف في هذا الباب موجود فى كتب كثيرة لايمكن ان نذكر ههنا الا قليلا منه مثل كتاب السنن اللالكائى والابانة لابن بطة والسنة لابى ذر الهروى والاسماء والصفات للبيهقى وقبل ذلك السنة للطبرانى ولابي الشيخ الاصبهانى وقبل ذلك السنة للخلال والتوحيد لابن خزيمة وكلام أبى العباس بن سريج والرد على الجهمية لجماعة وقبل ذلك السنة لعبد الله بن أحمد وكلام عبد العزيز المكى صاحب الحيدة في الرد على الجهمية وكلام الامام أحمد بن حنبل واسحاق بن راهويه وأشياء كثيرة

وعندنا من الدلائل السمعية والعقلية مالا يتسع هذا الموضع لذكره وأنا أعلم ان المتكلمين لهم شبهات موجودة لكن لا يمكن ذكرها فى الفتوى فمن نظر فيها وأراد ابانة ماذكروه من الشبه فانه يسير واذا كان أصل هذه المقالة مقالة التعطيل والتأويل مأخوذا عن تلامذة المشركين والصابئين واليهود فكيف تطيب نفس مؤمن بل نفس عاقل ان يأخذ سبيل هؤلاء المغضوب عليهم والضالين ويدع سبيل الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين

ثم القول الشامل في جميع هذا الباب أن يوصف الله بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله وبما وصفه به السابقون الاولون لايتجاوز القرآن والحديث

قال الامام أحمد رضى الله عنه لايوصف الله الابما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله لايتجاوز القرآن والحديث ونعلم ان ماوصف الله به من ذلك فهو حق ليس فيه لغز ولا أحاجي بل معناه يعرف من حيث يعرف مقصود المتكلم بكلامه وهو سبحانه مع ذلك ليس كمثله شيء في نفسه المقدسة المذكورة باسمائه وصفاته ولا في أفعاله فكما نتيقن ان الله سبحانه له ذات حقيقة وله أفعال حقيقة فكذلك له صفات حقيقة وهو ليس كمثله شيء لافى ذاته ولا في صفاته ولا فى أفعاله وكل ماأوجب نقصا أو حدوثا فان الله منزه عنه حقيقة وانه سبحانه مستحق للكمال الذى لاغايه فوقه وممتنع عليه الحدوث لامتناع العدم عليه واستلزام الحدوث سابقة العدم ولافتقار المحدث الى محدث ولوجوب وجوده بنفسه سبحانه وتعالي

ومذهب السلف بين التعطيل وبين التمثيل فلا يمثلون صفات الله بصفات خلقه كما لايمثلون ذاته بذات خلقه ولا ينفون عنه ماوصف به نفسه أو وصفه به رسوله فيعطلون أسماءه الحسنى وصفاته العليا ويحرفون الكلم عن مواضعه ويلحدون في أسماء الله وآياته وكل واحد من فريقى التعطيل والتمثيل فهو جامع بين التعطيل والتمثيل

أما المعطلون فانهم لم يفهموا من أسماء الله وصفاته الا ماهو اللائق بالمخلوق ثم شرعوا في نفى تلك المفهومات فقد جمعوا بين التمثيل والتعطيل مثلوا أولا وعطلوا آخرا وهذا تشبيه وتمثيل منهم للمفهوم من أسمائه وصفاته بالمفهوم من أسماء خلقه وصفاتهم وتعطيل لما

يستحقه هو سبحانه من الاسماء والصفات اللائقة بالله سبحانه وتعالى فانه اذا قال القائل لو كان الله فوق العرش للزم اما أن يكون أكبر من العرش أو أصغر أو مساويا وكل ذلك محال ونحو ذلك من الكلام فانه لم يفهم من كون الله على العرش الا مايثبت لاي جسم كان على أى جسم كان وهذا اللازم تابع لهذا المفهوم أما استواء يليق بجلال الله ويختص به فلا يلزمه شيء من اللوازم الثلاثة كما يلزم سائر الاجسام وصار هذا مثل قول الممثل اذا كان للعالم صانع فاما أن يكون جوهرا أو عرضا اذ لا يعقل موجود الاهذان أو قوله اذا كان مستويا على العرش فهو مماثل لاستواء الانسان على السرير أو الفلك اذ لا يعلم الاستواء الا هكذا فان كلاهما مثل وكلاهما عطل حقيقة ماوصف الله به نفسه وامتاز الاول بتعطيل كل مسمى للاستواء الحقيقي وامتاز الثاني باثبات استواء هو من خصائص المخلوقين

والقول الفاصل هو ماعليه الامة الوسط من ان الله مستو على عرشه استواء يليق بجلاله ويختص به فكما انه موصوف بانه بكل شيء عليم وعلى كل شيء قدير وانه سميع بصير ونحو ذلك ولا يجوز أن تثبت للعلم والقدرة خصائص الاعراض التي لعلم المخلوقين وقدرهم

فكذلك هو سبحانه فوق العرش ولا تثبت لفوقيته خصائص فوقية المخلوق على المخلوق ولوازمها

واعلم ان ليس في العقل الصريح ولا في النقل الصحيح مايوجب مخالفة الطريقة السلفية أصلا لكن هذا الموضع لا يتسع للجواب عن

الشبهات الواردة عن الحق فمن كان في قلبه شبهة وأحب حلها فذلك سهل يسير

ثم المخالفون للكتاب والسنة وسلف الامة من المتأولين لهذا الباب في أمر مريج فان من ينكر الرؤية يزعم ان العقل يحيلها وانه مضطر فيها الي التأويل ومن يحيل ان لله علما وقدرة وأن يكون كلامه غير مخلوق ونحو ذلك يقول أن العقل أحال ذلك فاضطر الى التأويل بل من ينكر حقيقة حشر الاجساد والاكل والشرب الحقيقي في الجنة يزعم أن العقل أحال ذلك وأنه مضطر الى التأويل ومن يزعم أن الله ليس فوق العرش يزعم ان العقل أحال ذلك وانه مضطر الى التأويل

ويكفيك دليلا على فساد قول هؤلاء أنه ليس لواحد منهم قاعدة مستمرة فيما يحيله العقل بل منهم من يزعم أن العقل جوز أوأوجب مايدعي الآخر أن العقل أحاله

ياليت شعري باي عقل يوزن الكتاب والسنة فرضي الله عن مالك ابن أنس الامام حيث قال أوكلما جاءنا رجل أجدل من رجل تركنا ماجاء به جبريل الى محمد صلي الله عليه وسلم لجدل هذا وكل من هؤلاء مخصوم بمثل ماخصم به الآخر وهو من وجوه

أحدها بيان أن العقل لايحيل ذلك والثاني أن النصوص الواردة لاتحتمل التأويل الثالث ان عامة هذه الامور قدعلم أن الرسول جاء بها بالاضطرار كما أنه جاء بالصلوات الخمس وصوم شهر رمضان فالتأويل الذي يحيلها

عن هذا بمنزلة تأويلات القرامطة والباطنية في الحج والصوم والصلاة وسائر ماجاءت به النبوات على ان الاساطين من هؤلاء الفحول معترفون بان العقل لاسبيل له الى اليقين فى عامة المطالب الالهية واذا كان هكذا فالواجب تلقى علم ذلك من النبوات على ماهو عليه ونحن نذكر من ألفاظ السلف باعيانها وألفاظ من نقل مذهبهم بحسب مايحتمله هذا الموضع مايعلم به مذهبهم

روى أبو بكر البيهقى فى الاسماء والصفات باسناد صحيح عن الاوزاعي قال كنا والتابعون متوافرون نقول ان الله تعالى ذكره فوق عرشه ونؤمن بما وردت السنة به من صفاته فقد حكى الاوزاعى وهو أحد الائمة الاربعة فى عصر تابعى التابعين الذين هم مالك امام أهل الحجاز والاوزاعى امام أهل الشام والليث امام أهل مصر والثورى امام أهل العراق حكى شهرة القول في زمن التابعين بالايمان بأن الله فوق العرش وبصفاته السمعية وانما قال الاوزاعى هذا بعد ظهور مذهب جهم المنكر لكون الله فوق عرشه والنافي لصفاته ليعرف الناس ان مذهب السلف كان بخلاف هذا

وروى أبو بكر الخلال في كتاب السنة عن الاوزاعى قال سئل مكحول والزهرى عن تفسير الاحاديث فقالا أمروها كما جاءت

وروي أيضاً عن الوليد بن مسلم قال سألت مالك بن أنس وسفيان الثوري والليث بن سعد والاوزاعى عن الاخبار التي جاءت في الصفات فقالوا أمروها كما جاءت وفى رواية فقالوا أمروها كما جاءت بلا كيف

فقولهم رضى الله عنهم أمروها كما جاءت رد على المعطلة وقولهم بلا كيف رد على الممثلة والزهرى ومكحول هما أعلم التابعين فى زمانهم والاربعة الباقون أئمة الدنيا في عصر تابعي التابعين ومن طبقتهم حماد بن زيد وحماد ابن سلمة وأمثالهما

روى أبو القاسم الازجى باسناده عن ابن مطرف بن عبد الله قال سمعت مالك بن أنس اذا ذكر عنده من يدفع أحاديث الصفات يقول قال عمر بن عبد العزيز سن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأولاة الامر بعده سننا الاخذ بها تصديق بكتاب الله واستكمال لطاعة الله وقوة على دين الله ليس لاحد من خلق الله تغييرها ولا النظر في شى خالفها من اهتدى بها فهو مهتد ومن استنصر بها فهو منصور ومن خالفها واتبع سبيل غير المؤمنين ولاه الله ما تولى وأصلاه جهنم وساءت مصيراً

وروى الخلال باسناد كلهم أئمة عن سفيان بن عيينة قال سئل ربيعة ابن عبد الرحمن عن قوله الرحمن على العرش استوى كيف استوى قال الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول ومن الله الرسالة وعلى الرسول البلاغ وعلينا التصديق وهذا الكلام مروى عن مالك بن أنس تلميذ ربيعة من غير وجه

منها مارواه أبو الشيخ الاصبهانى وأبو بكر البيهقى عن يحيي بن يحيي قال كنا عند مالك بن أنس فجاء رجل فقال ياأبا عبد الله الرحمن علي العرش استوى كيف استوى فأطرق مالك برأسه حتى علاه الرحضاء

ثم قال الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة وما أراك الا مبتدعا فأمر به أن يخرج

وروى أبو عبد الله بن بطة فى الابانة باسناد صحيح عن عبد العزيز ابن عبد الله بن أبي سلمة الماجشون وهو أحد أئمة المدينة الثلاثة وهم مالك وابن الماجشون وابن أبى ذئب وقد سئل فيما جحدته الجهمية اما بعد فقد فهمت ماسألت فيما تتابعت الجهمية ومن خالفها في صفة الرب العظيم الذى فاقت عظمته الوصف والتقدير وكلت الالسن عن تفسير صفته وانحسرت العقول دون معرفة قدره ردت عظمته العقول فلم تجد مساغا فرجعت خاسئة وهي حسيرة وانما أمروا بالنظر والتفكر فيما خلق بالتقدير وانما يقال كيف لمن لم يكن مرة ثم كان فاما الذى لايحول ولا يزول ولم يزل وليس له مثل فانه لايعلم كيف هو الا هو وكيف يعرف قدر من لم يبدأ ومن لا يموت ولا يبلى وكيف يكون لصفة شئ منه حدا ومنتهي يعرفه عارف أو يحد قدره واصف على أنه الحق المبين لاحق أحق منه ولا شئ أبين منه الدليل على عجز العقول عن تحقيق صفته عجزها عن تحقيق صفة أصغر خلقه لاتكاد تراه صغراً يحول ويزول ولا يري له سمع ولا بصر لما يتقلب به ويحتال من عقله أعضل وأخفى عليك مما ظهر من سمعه وبصره فتبارك الله أحسن الخالقين وخالقهم وسيد السادة وربهم ليس كمثله شئ وهو السميع البصير أعرف رحمك الله غناءك عن تكلف صفة مالم يصف الرب من نفسه بعجزك عن معرفة قدر ماوصف منها اذا لم تعرف قدر ماوصف فما تكلفك

علم مالم يصف هل تستدل بذلك علي شيء من طاعته أو تنزجر به عن شيء من معصيته

وأما الذى جحد ماوصف الرب من نفسه تعمقا وتكلفاً قد استهوته الشياطين في الارض حيران فصار يستدل بزعمه علي جحد ماوصف الرب وسمى من نفسه بأن قال لابد ان كان له كذا من أن يكون له كذا فعمى عن البين بالخفى بجحد ماسمى الرب من نفسه لصمت الرب عما لم يسم منها فلم يزل يملي له الشيطان حتي جحد قول الله عز وجل وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة فقال لايراه أحد يوم القيامة يجحد والله أفضل كرامة الله التى أكرم بها أولياءه يوم القيامة من النظر الي وجهه ونضرته اياهم في مقعد صدق عند مليك مقتدر قد قضى أنهم لايموتون فهم بالنظر ينضرون الي أن قال

وانما جحد رؤيته يوم القيامة اقامة للحجة الضالة المضلة لانه قد عرف اذا تجلى لهم يوم القيامة رأوا منه ما كانوا به قبل ذلك مؤمنين وكان له جاحداً وقال المسلمون يارسول الله هل نري ربنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تضارون في رؤية الشمس ليس دونها سحاب قالوا لا قال هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب قالوا لا قال فانكم ترون ربكم يومئذ كذلك وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتمتلىء النار حتي يضع الجبار فيها قدمه فتقول قط قط وينزوى بعضها الى بعض وقال لثابت بن قيس لقد ضحك الله مما فعلت بضيفك البارحة

وقال فيما بلغنا ان الله ليضحك من أزلكم (١) وقنوطكم وسرعة اجابتكم فقال له رجل من العرب ان ربنا ليضحك قال نعم قال لا نعدم من رب يضحك خيراً في أشباه هذا مما لم نحصه وقال الله تعالى وهو السميع البصير واصبر لحكم ربك فانك بأعيننا وقال ولتصنع على عيني وقال ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدى وقال والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالي عما يشركون فوالله ما دلهم على عظم ما وصف من نفسه وما تحيط به قبضته الاصغر نظرها منهم عندهم ان ذلك الذى ألقى فى روعهم وخاق على معرفة قلوبهم فما وصف الله من نفسه فسماه على لسان رسوله سميناه كما سماه ولم نتكلف منه صفة ما سواه لا هذا ولا هذا لا نجحد ما وصف ولا نتكلف معرفة مالم يصف

اعلم رحمك الله ان العصمة فى الدين ان تنتهى حيث انتهي به ولا تجاوز ما قد حدلك فان من قوام الدين معرفة المعروف وانكار المنكر فما بسطت عليه المعرفة وسكنت اليه الافئدة وذكر أصله فى الكتاب والسنة وتوارث علمه لامة فلا تخافن في ذكره وصفته من ربك ما وصف من نفسه غيباً ولا تتكلفن لما وصف لك من ذلك قدراً وما أنكرته نفسك ولم تجد ذكره فى كتاب ربك ولا في الحديث عن نبيك من ذكر صفة ربك فلا تتكلفن علمه بعقلك ولا تصفه بلسانك واصمت عنه كما صمت الرب عنه من نفسه فان تكلفك معرفة مالم يصف من نفسه مثل انكارك ما وصف منها فكما أعظمت ما جحد الجاحدون مما

(١) هكذا يروى وفي بعض طرقه من إلكم والازل الشدة والضيق

وصف من نفسه فكذلك أعظم تكلف ما وصف الواصفون مما لم يصف منها فقد والله عز المسلمون الذين يعرفون المعروف وبمعرفتهم يعرف وينكرون المنكر وبانكارهم ينكر يسمون ما وصف الله به نفسه من هذا في كتابه وما يبلغهم مثله عن نبيه فما مرض من ذكر هذا وتسميته من الرب قلب مسلم ولا تكلف صفة قدره ولا تسمية غيره من الرب مؤمن وما ذكر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سماه من صفة ربه فهو بمنزلة ما سمي ووصف الرب تعالى من نفسه والراسخون في العلم الواقفون حيث انتهى علمهم الواصفون لربهم بما وصف به من نفسه التاركون لما ترك من ذكرها لا ينكرون صفة ما سمى جحداً ولا يتكلفون وصفه بما لم يسم تعمقا لان الحق ترك ما ترك وتسمية ما سمى فمن يتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا وهب الله لنا ولكم حكما وألحقنا بالصالحين وهذا كله كلام ابن الماجشون الامام

وروى أبو القاسم اللالكائي الحافظ الطبري في كتابه المشهور في أصول السنة باسناده عن محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة قال اتفق الفقهاء كلهم من المشرق الى المغرب على الايمان بالقرآن والاحاديث التي جاء بها الثقات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في صفة الرب عز وجل من غير تفسير ولا وصف ولا تشبيه فمن فسر اليوم شيأ من ذلك فقد خرج عما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وفارق الجماعة فانهم لم يصفوا ولم يفسروا ولكن أفتوا بما في الكتاب والسنة ثم سكتوا فمن قال بقول جهم فقد فارق الجماعة لانه قد وصفه بصفة لا شيء محمد بن الحسن

أخذ عن أبي حنيفة ومالك وطبقتهما من العلماء وقد حكي هذا الاجماع وأخبر ان الجهمية تصفه بالامور السلبية غالبا أو دائما

وروى البيهقي وغيره باسانيد صحيحة عن أبي عبيد القاسم بن سلام قال هذه الاحاديث التي تقول فيها ضحك ربنا من قنوط عباده وقرب خيره وان جهنم لاتمتلئ حتي يضع ربك قدمه فيها والكرسي موضع القدمين وهذه الاحاديث في الرواية هي عندنا حق حملها الثقات بعضهم عن بعض غير أنا اذا سئلنا عن تفسيرها لانفسرها وما أدركنا أحدا يفسرها

أبو عبيد أحد الائمة الاربعة الذين هم الشافعي وأحمد واسحاق وأبو عبيد وله من المعرفة بالفقه واللغة والتأويل ماهو أشهر من أن يوصف وقد كان في الزمان الذى ظهرت فيه الفتن والاهواء وقد أخبر انه ما أدرك أحدا من العلماء يفسرها

وروى اللالكائي والبيهقي عن عبدالله بن المبارك ان رجلا قال له يا أبا عبدالرحمن اني أكره الصفة عنى صفة الرب فقال له عبدالله بن المبارك أنا أشد الناس كراهة لذلك ولكن اذا نطق الكتاب بشيء قلنا به واذا جاءت الآثار بشيء جسرنا عليه ونحو هذا أراد ابن المبارك انا نكره أن نبتدئ بوصف الله من تلقاء أنفسنا حتي يجيء به الكتاب والآثار

وروي عبدالله بن أحمد وغيره باسانيد صحاح عن ابن المبارك أنه قيل له بماذا تعرف ربنا قال بأنه فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه ولا

تقول كما تقول الجهمية انه ههنا في الارض وهكذا قال الامام أحمد وغيره وباسناد صحيح عن سليمان بن حرب الامام سمعت حماد بن زيد وذكر هؤلاء الجهمية فقال انما يحاولون أن يقولوا ليس في السماء شئ

وروى ابن أبي حاتم عن سعيد بن عامر الضبعي امام أهل البصرة علما ودينا من شيوخ أحمد انه ذكر عنده الجهمية فقال هم شر قولا من اليهود والنصارى وقد اجتمع اليهود والنصارى وأهل الاديان مع المسلمين على أن الله على العرش وقالوا هم ليس عليه شئ

وقال محمد بن اسحاق بن خزيمة امام الائمة من لم يقل ان الله فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه وجب أن يستتاب فان تاب والا ضربت عنقه ثم ألقى على مزبلة لئلا يتأذى بنتن ريحه أهل القبلة وأهل الذمة

وروى عبد الله بن أحمد عن عباد بن العوام الواسطى امام أهل واسط من طبقة شيوخ الشافعي وأحمد قال كلمت بشر المريسي وأصحاب بشر فرأيت آخر كلامهم ينتهي أن يقولوا ليس في السماء شئ

وعن عبد الرحمن بن مهدى الامام المشهور انه قال ليس في أصحاب الاهواء شر من أصحاب جهم يدورون على أن يقولوا ليس في السماء شئ أرى والله أن لا ينا كحوا ولا يوارثوا

وروى عبد الرحمن بن أبي حاتم في كتاب الرد على الجهمية عن عبد الرحمن بن مهدى قال أصحاب جهم يريدون أن يقولوا ليس في السماء شئ وان الله ليس على العرش أرى أن يستتابوا فان تابوا والا قتلوا

وعن الاصمعى قال قدمت امرأة جهم فنزلت الدباغين فقال رجل عندها الله على عرشه فقالت محدود على محدود فقال الاصمعي كافرة بهذه المقالة

وعن عاصم بن علي بن عاصم شيخ أحمد والبخاري وطبقتهما قال ناظرت جهميا فتبين من كلامه الا يؤمن أن فى السماء ربا

وروي الامام أحمد قال أنبأنا شريح بن النعمان قال سمعت عبدالله ابن نافع الصائغ قال سمعت مالك بن أنس يقول الله فى السماء وعلمه في كل مكان لايخلو من علمه مكان

وقال الشافعى رضى الله عنه خلافة أبى بكر حق قضاها الله في سمائه وجمع عليه قلوب عباده

وفى الصحيح عن أنس بن مالك قال كانت زينب تفخر على أزواج النبي صلي الله عليه وسلم تقول زوجكن أهاليكن وزوجنى الله من فوق سبع سموات هذا مثل قول الشافعي وقصة أبي يوسف صاحب أبى حنيفة مشهورة فى استتابة بشر المريسى حتي هرب منه لما أن أنكر أن يكون الله فوق العرش قد ذكرها ابن أبى حاتم وغيره

وكلام الائمة فى هذا الباب أطول وأكثر من أن تسع هذه الفتوى عشره وكذلك كلام الناقلين لمذهبهم مثل ماذكره أبوسليمان الخطابى في رسالته المشهورة في الغنية عن الكلام وأهله قال فاما ماسألت عنه من الصفات وما جاء منها في الكتاب والسنة فان مذهب السلف اثباتها واجراؤها على ظواهرها ونفى الكيفية والتشبيه عنها وقد نفاها قوم

فابطلوا ما أثبته الله وخففها قوم من المثبتين فخرجوا في ذلك الى ضرب من التشبيه والتكييف وانما القصد في سلوك الطريقة المستقيمة بين الامرين ودين الله تعالى بين الغالى فيه والمقصر عنه والاصل في هذا ان الكلام في الصفات نوع عن الكلام في الذات ويحتذي في ذلك حذوه ومثاله فاذا كان معلوما ان اثبات الباري سبحانه انما هو اثبات وجود لا اثبات تحديد وتكييف فاذا قلنا يد وسمع وبصر وما أشبهها فانما هي صفات أثبتها الله لنفسه ولسنا نقول ان معنى اليد القوة أو النعمة ولا معنى السمع والبصر العلم ولا نقول انها جوارح ولا نشبهها بالايدى وبالاسماع وبالابصار التي هي جوارح وأدوات للفعل

ونقول ان القول انما وجبت باثبات الصفات لان التوقف ورد بها وورد نفى التشبيه عنها لان الله ليس كمثله شئ وعلى هذا جرى قول السلف في أحاديث الصفات هذا كله كلام الخطابى وهكذا قاله أبو بكر الخطيب الحافظ في رسالة له أخبر فيها ان مذهب السلف على ذلك وهذا الكلام الذى ذكره الخطابى قد نقل نحوا منه من العلماء من لا يحصى مثل أبي بكر الاسماعيلى والامام يحيي بن عمار السنجرى شيخ شيخ الاسلام أبي اسماعيل الانصارى الهروى وأبى عثمان الصابونى شيخ الاسلام وأبى عمر بن عبد البر النمرى امام المغرب وغيرهم

وقال أبو نعيم الاصبهانى صاحب الحلية فى عقيدة قال في أولها طريقتنا طريقة المتبعين للكتاب والسنة واجماع الامة قال فمما اعتقدوه ان الاحاديث التي ثبتت عن النبى صلى الله عليه وسلم في العرش واستواء

الله يقولون بها ويثبتونها من غير تكييف ولا تمثيل ولا تشبيه وان الله بائن من خلقه والخلق بائنون منه لايحل فيهم ولا يمتزج بهم وهو مستو على عرشه في سمائه من دون أرضه وخلقه

وقال الامام العارف معمر بن أحمد الاصبهانى شيخ الصوفية فى حدود المائة الرابعة في بلاده قال أحببت أن أوصى أصحابى بوصية من السنة وموعظة من الحكمة وأجمع ماكان عليه أهل الحديث والاثر وأهل المعرفة والتصوف من المتقدمين والمتأخرين قال فيها وان الله استوى على عرشه بلا كيف ولا تشبيه ولا تأويل والاستواء معقول والكيف فيه مجهول وانه عز وجل بائن من خلقه والخلق منه بائنون بلا حلول ولا ممازجة ولا اختلاط ولا ملاصقة لانه الفرد البائن من الخلق الواحد الغنى عن الخلق وان الله عز وجل سميع بصير عليم خبير يتكلم ويرضى ويسخط و يضحك ويعجب ويتجلى لعباده يوم القيامة ضاحكا وينزل كل ليلة الى سماء الدنيا كيف شاء فيقول هل من داع فاستجيب له هل من مستغفر فاغفر له هل من تائب فاتوب عليه حتى يطلع الفجر ونزول الرب الى السماء بلا كيف ولا تشبيه ولا تأويل فمن أنكر النزول أو تأول فهو مبتدع ضال وسائر الصفوة من العارفين على هذا ومن متأخريهم الامام أبو محمد عبد القادر بن أبى صالح الجيلى قال في كتاب الغنية له اما معرفة الصانع بالآيات والدلالات على وجه الاختصار فهو أن تعرف وتتيقن ان الله واحد الى أن قال وهو بجهة العلو مستو على العرش محتو على الملك محيط علمه بالاشياء

اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه في يوم كان مقداره الف سنة مما تعدون ولا يجوز وصفه بانه في كل مكان بل يقال انه في السماء على العرش كما قال الرحمن على العرش استوى وذكر آيات وأحاديث الى أن قال وينبغى اطلاق صفة الاستواء من غير تأويل وانه استواء الذات على العرش قال وكونه على العرش مذكور في كل كتاب أنزل على نبى أرسل بلا كيف وذكر كلاما طويلا لايحتمل هذا الموضع وذكر فى سائر الصفات نحو هذا ولو ذكرت ماقاله العلماء فى ذلك لطال جدا

قال أبو عمر بن عبد البر روينا عن مالك بن أنس وسفيان الثورى وسفيان بن عيينة والاوزاعى ومعمر بن راشد فى أحاديث الصفات انهم كلهم قالوا أمروها كما جاءت قال أبو عمر ماجاء عن النبى صلى الله عليه وسلم من نقل الثقات أو جاء عن الصحابة رضى الله عنهم فهو علم يدان به وما أحدث بعدهم ولم يكن له أصل فيما جاء عنهم فهو بدعة وضلالة

وقال فى شرح الموطأ لما تكلم على حديث النزول قال هذا حديث ثابت من جهة النقل صحيح الاسناد ولا يختلف أهل الحديث فى صحته وهو منقول من طريق سوى هذه من أخبار العدول عن النبى صلى الله عليه وسلم وفيه دليل على ان الله في السماء على العرش من فوق سبع سموات كما قالت الجماعة وهو حجتهم على المعتزلة في قولهم ان الله في كل مكان قال والدليل على صحة قول أهل الحق قول الله وذكر بعض

الآيات الى أن قال وهذا أشهر وأعرف عند العامة والخاصة من أن يحتاج الي أكثر من حكايته لانه اضطرار لم يوقفهم عليه أحد ولا أنكره عليهم مسلم

وقال أبو عمر بن عبد البر ايضا أجمع علماء الصحابة والتابعين الذين حمل عنهم التأويل قالوا فى تأويل قوله مايكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم هو على العرش وعلمه في كل مكان وما خالفهم في ذلك من يحتج بقوله

وقال أبو عمر أيضا أهل السنة مجمعون على الاقرار بالصفات الواردة كلها فى القرآن والسنة والايمان بها وحملها على الحقيقة لا على المجاز الا انهم لايكيفون شيئا من ذلك ولا يحدون فيه صفة محصورة وأما أهل البدع الجهمية والمعتزلة كلها والخوارج فكلهم ينكرها ولا يحمل شيئا منها على الحقيقة ويزعم ان من أقر بها شبه وهم عند من أقر بها نافون للمعبود والحق فيما قاله القائلون بما نطق به كتاب الله وسنة رسوله وهم أئمة الجماعة هذا كلام ابن عبد البر امام أهل المغرب وفي عصره الحافظ أبو بكر البيهقي مع توليه للمتكلمين من أصحاب أبى الحسن الاشعرى وذبه عنهم قال في كتاب الاسماء والصفات باب ماجاء فى اثبات اليدين صفتين لا من حيث الجارحة لورود خبر الصادق به قال الله ياابليس مامنعك أن تسجد لما خلقت بيدى وقال بل يداه مبسوطتان وذكر الاحاديث الصحاح فى هذا الباب مثل قوله في غير حديث في حديث الشفاعة يا آدم أنت أبو البشر خلقك الله بيده ومثل قوله فى

الحديث المتفق عليه أنت موسى اصطفاك الله بكلامه وخط لك الالواح بيده وفي لفظ وكتب لك التوراة بيده ومثل مافى صحيح مسلم وغرس كرامة أوليائه في جنة عدن بيده ومثل قوله صلى الله عليه وسلم تكون الارض يوم القيامة خبزة واحدة يتكفأها الجبار بيده كما يتكفأ أحدكم خبزته في السفر نزلا لاهل الجنة وذكر أحاديث مثل قوله بيدك الامر والخير بيديك والذى نفس محمد بيده وان الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل وقوله المقسطون عند الله علي منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين وقوله يطوى السموات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول أنا الملك اين الجبارون أين المتكبرون ثم يطوى الأرضين بشماله ثم يقول أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون وقوله يمين الله ملأى لايغيضها نفقة سحاء الليل والنهار أرأيتم ماأنفق منذ خلق السموات والارض فانه لم ينقص مافي يمينه وعرشه علي الماء وبيده الاخرى القبض يخفض ويرفع وكل هذه الاحاديث في الصحاح وذكر أيضا قوله ان الله لما خلق آدم قال له ويداه مقبوضتان اختر أيهما شئت قال اخترت يمين ربى وكلتا يدى ربى يمين مباركة وحديث ان الله لما خلق آدم مسح ظهره الي أحاديث أخر ذكرها من هذا النوع

ثم قال البيهقي أما المتقدمون من هذه الامة فانهم لم يفسروا ما كتبنا من الآيات والاخبار فى هذا الباب وكذلك قال في الاستواء على العرش وسائر الصفات الخبرية مع أنه يحكى قول بعض المتأخرين

وقال القاضي أبو يعلى في كتاب ابطال التأويل لايجوز رد هذه الاخبار ولا التشاغل بتأويلها والواجب حملها على ظاهرها وانها صفات الله لاتشبه بسائر الموصوفين بها من الخلق ولا يعتقد التشبيه فيها لكن على ماروى عن الامام أحمد وسائر الائمة وذكر بعض كلام الزهرى ومكحول ومالك والثورى والاوزاعى والليث وحماد بن زيد وحماد ابن سلمة وابن عيينة والفضيل بن عياض ووكيع وعبد الرحمن بن مهدى وداود بن سالم واسحاق بن راهويه وأبى عبيد ومحمد بن جرير الطبرى وغيرهم في هذا الباب وفى حكاية ألفاظهم طول الى أن قال ويدل على ابطال التأويل ان الصحابة ومن بعدهم من التابعين حملوها على ظاهرها ولم يتعرضوا لتأويلها ولا صرفها عن ظاهرها ولو كان التأويل سائغا لكانوا اليه أسبق لما فيه من ازالة التشبيه ورفع الشبهة

وقال أبو الحسن على بن اسماعيل الاشعرى المتكلم صاحب الطريقة المنسوبة اليه في الكلام في كتابه الذى صنفه في اختلاف المضلين ومقالات الاسلاميين ذكر فرق الروافض والخوارج والمرجئة والمعتزلة وغيرهم ثم قال

مقالة أهل السنة وأصحاب الحديث جملة قول أصحاب الحديث أهل السنة الاقرار بالله وملائكته وكتبه ورسله وبما جاء عن الله وما رواه الثقات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لايردون من ذلك شيئا وان الله واحد أحد فرد صمد لااله غيره لم يتخذ صاحبة ولا ولدا وان محمدا

عبده ورسوله وان الجنة حق وان النار حق وان الساعة آتية لاريب فيها وأن الله يبعث من في القبور وان الله على عرشه كما قال الرحمن على العرش استوى وان له يدين بلا كيف كما قال خلقت بيدى وكما قال بل يداه مبسوطتان وان له عينين بلا كيف كما قال تجرى بأعيننا وان له وجها كما قال ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام وان أسماء الله لايقال أنها غير الله كما قالت المعتزلة والخوارج واقروا ان لله علماً كما قال أنزله بعلمه وكما قال وما تحمل من أنثى ولا تضع الا بعلمه وأثبتوا السمع والبصر ولم ينفوا ذلك عن الله كما نفته المعتزلة وأثبتوا لله القوة كما قال أولم يروا أن الله الذى خلقهم هو أشد منهم قوة وذكر مذهبهم فى القدر الى أن قال ويقولون القرآن كلام الله غير مخلوق والكلام في اللفظ والوقف من قال باللفظ وبالوقف فهو مبتدع عندهم لايقال اللفظ بالقرآن مخلوق ولا يقال غير مخلوق ويقرون أن الله يرى بالابصار يوم القيامة كما يرى القمر ليلة البدر يراه المؤمنون ولا يراه الكافرون لانهم عن الله محجوبون قال عز وجل كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون وذكر قولهم في الاسلام والايمان والحوض والشفاعة وأشياء الى أن قال ويقرون بان الايمان قول وعمل يزيد وينقص ولا يقولون مخلوق ولا يشهدون على أحد من أهل الكبائر بالنار الى أن قال وينكرون الجدل والمراء في الدين والخصومة والمناظرة فيما يتناظر فيه أهل الجدل ويتنازعون من دينهم ويسلمون للروايات الصحيحة ولما جاءت به الآثار التى جاءت بها الثقات عدلا عن عدل حتى ينتهي ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لايقولون كيف

ولا لم لان ذلك بدعة الى أن قال

ويقرون ان الله يجيء يوم القيامة كما قال وجاء ربك والملك صفا صفا وان الله يقرب من خلقه كيف شاء كما قال ونحن أقرب اليه من حبل الوريد الى أن قال ويرون مجانبة كل داع الى بدعة والتشاغل بقراءة القرآن وكتابة الآثار والنظر فى الفقه مع الاستكانة والتواضع وحسن الخلق مع بذل المعروف وكف الاذى وترك الغيبة والنميمة والسعاية وتفقد المآكل والمشارب قال فهذه جملة مايأمرون به ويستسلمون اليه ويرونه وبكل ماذكرنا من قولهم نقول واليه نذهب وما توفيقنا الا بالله وهو المستعان

وقال الاشعرى أيضاً في اختلاف أهل القبلة فى العرش فقال قال أهل السنة وأصحاب الحديث ليس بجسم ولا يشبه الاشياء وانه استوى على العرش كما قال الرحمن على العرش استوى ولا نتقدم بين يدى الله في القول بل نقول استوى بلا كيف وان له وجهاً كما قال ويبقى وجه ربك وان له يدين كما قال خلقت بيدى وان له عينين كما قال تجرى بأعيننا وانه يجيء يوم القيامة هو وملائكته كما قال وجاء ربك والملك صفاً صفا وانه ينزل الي السماء الدنيا كما جاء فى الحديث ولم يقولوا شيئا الا ماوجدوه فى الكتاب أو جاءت به الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت المعتزلة ان الله استوى على العرش بمعني استولى وذكر مقالات أخرى

وقال أيضاً أبو الحسن الاشعرى في كتابه الذى سماه الابانة في

أصول الديانة وقد ذكر أصحابه انه آخر كتاب صنفه وعليه يعتمدون في الذب عنه عند من يطعن عليه فقال

(فصل) فى ابانة قول أهل الحق والسنة فان قال قائل قد أنكرتم قول المعتزلة والقدرية والجهمية والحرورية والرافضة والمرجئة فعرفونا قولكم الذى به تقولون وديانتكم الذى بها تدينون قيل له قولنا الذى نقول به وديانتنا الذى ندين بها التمسك بكتاب ربنا وسنة نبينا وما روى عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث ونحن بذلك معتصمون وبما كان يقول أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل نضر الله وجهه ورفع درجته وأجزل مثوبته قائلون ولما خالف قوله مخالفون لانه الامام الفاضل والرئيس الكامل الذى أبان الله به الحق ودفع به الضلال وأوضح به المنهاج وقمع به بدع المبتدعين وزيغ الزائغين وشك الشاكين فرحمة الله عليه من امام مقدم وجليل معظم وكبير مفهم

وجملة قولنا انا نقر بالله وملائكته وكتبه ورسله وبما جاؤا به من عند الله وبما رواه الثقات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نرد من ذلك شيئا وان الله واحد لا اله الا هو فرد صمد لم يتخذ صاحبة ولا ولدا وان محمداً عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق وان الجنة حق والنار حق وان الساعة آتية لاريب فيها وان الله يبعث من في القبور وان الله مستو على عرشه كما قال الرحمن على العرش استوى وان له وجهاً كما قال ويبقى وجه ربك ذى الجلال والاكرام وان له يدين بلا كيف كما قال خلقت بيدى وكما قال بل يداه مبسوطتان وان له عينين بلا

كيف كما قال تجرى بأعيننا

وان من زعم ان أسماء الله غيره كان ضالا وذكر نحواً مما ذكر في الفرق الي أن قال ونقول ان الاسلام أوسع من الايمان وليس كل اسلام ايمانا

وندين بان الله يقلب القلوب بين أصبعين من أصابع الله عز وجل وانه عز وجل يضع السموات على أصبع والارضين على أصبع كما جاءت الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الي أن قال وان الايمان قول وعمل يزيد وينقص

ونسلم للروايات الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم التي رواها الثقات عدلا عن عدل حتى ينتهى الى رسول الله صلي الله عليه وسلم الى أن قال

ونصدق بجميع الروايات التي يثبتها أهل النقل من النزول الى السماء الدنيا وان الرب عز وجل يقول هل من سائل هل من مستغفر وسائر مانقلوه وأثبتوه خلافا لما قال أهل الزيغ والتضليل

ونعول فيما اختلفنا فيه على كتاب ربنا وسنة نبينا واجماع المسلمين وما كان فى معناه ولا نبتدع فى دين الله مالم يأذن لنا به ولا نقول علي الله مالا نعلم

ونقول ان الله يجيء يوم القيامة كما قال وجاء ربك والملك صفا صفا وان الله يقرب من عباده كيف شاء كما قال ونحن أقرب اليه من حبل الوريد وكما قال ثم دنى فتدلي فكان قاب قوسين أوأدنى الى أن

قال وسنحتج لما ذكرناه من قولنا وما بقى مما لم نذكره بابا بابا ثم تكلم على أن الله يرى واستدل علي ذلك ثم تكلم على ان القرآن غير مخلوق واستدل على ذلك ثم تكلم على من وقف علي القرآن وقال لاأقول انه مخلوق ولا غير مخلوق ورد عليه ثم قال باب الاستواء على العرش فقال

ان قال قائل ماتقولون فى الاستواء قيل له نقول ان الله مستو على عرشه كما قال الرحمن على العرش استوى وقد قال الله اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه وقال بل رفعه الله اليه وقال يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه وقال حكاية عن فرعون ياهامان ابن لى صرحا لعلى أبلغ الاسباب أسباب السموات فاطلع الى اله موسى وانى لاظنه كاذبا كذب موسى في قوله ان الله فوق السموات وقال أءمنتم من في السماء أن يخسف بكم الارض فالسموات فوقها العرش فلما كان العرش فوق السموات قال أءمنتم من في السماء لأنه مستو على العرش الذى هو فوق السموات وكل ماعلا فهو سماء والعرش أعلى السموات وليس اذا قال أءمنتم من فى السماء يعنى جميع السماء وانما أراد العرش الذى هو أعلى السموات ألا تري أن الله ذكر السموات فقال وجعل القمر فيهن نوراً فلم يرد ان القمر يملؤهن وانه فيهن جميعاً ورأينا المسلمين جميعاً يرفعون أيديهم اذا دعوا نحو السماء لان الله على العرش الذى هو فوق السموات فلولا ان الله على العرش لم يرفعوا أيديهم نحو العرش كما لا يحطونها اذا دعوا الي الارض ثم قال

﴿ فصل ﴾ وقد قال قائلون من المعتزلة والجهمية والحرورية ان معني قوله الرحمن على العرش استوى انه استولى وملك وقهر وان الله عز وجل فى كل مكان وجحدوا أن يكون الله علي عرشه كما قال أهل الحق وذهبوا في الاستواء الى القدرة فلو كان هذا كما ذكروه كان لافرق بين العرش والارض السابعة لان الله قادر على كل شئ والارض فالله قادر عليها وعلي الحشوش وعلى كل مافي العالم فلو كان الله مستويا على العرش بمعنى الاستيلاء وهو عز وجل مستول على الاشياء كلها لكان مستويا على العرش وعلي الارض وعلي السماء وعلى الحشوش والاقذار لانه قادر على الاشياء مستول عليها واذا كان قادراً على الاشياء كلها ولم يجز عند أحد من المسلمين أن يقول ان الله مستو على الحشوش والاخلية لم يجز أن يكون الاستواء على العرش الاستيلاء الذى هو عام فى الاشياء كلها ووجب أن يكون معني الاستواء يختص العرش دون الاشياء كلها وذكر دلالات من القرآن والحديث والاجماع والعقل ثم قال باب الكلام في الوجه والعينين والبصر واليدين وذكر الآيات في ذلك ورد علي المتأولين بكلام طويل لايتسع هذا الموضع لحكايته مثل قوله فان سئلنا أتقولون لله يدان قيل نقول ذلك وقد دل عليه قوله يد الله فوق أيديهم وقوله لما خلقت بيدى

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ان الله مسح ظهر آدم بيده فاستخرج منه ذرية وقد جاء فى الخبر المأثور عن النبى صلي الله عليه وسلم ان الله خلق آدم بيده وخلق جنة عدن بيده وكتب

التوراة بيده وغرس شجرة طوبي بيده وليس يجوز في لسان العرب ولا في عادة أهل الخطاب أن يقول القائل عملت كذا بيدي و يعني به النعمة واذا كان الله انما خاطب العرب بلغتها وما يجري في مفهومها في كلامها ومعقولا في خطابها وكان لا يجوز في خطاب أهل اللسان أن يقول القائل فعلت بيدي ويعني به النعمة بطل أن يكون معنى قوله عز وجل بيدي النعمة وذكر كلاما طويلا في تقرير هذا ونحوه

قال القاضي أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني المتكلم وهو أفضل المتكلمين المنتسبين الى الاشعري ليس فيهم مثله لا قبله ولا بعده قال في كتاب الابانة تصنيفه فان قال فما الدليل على ان لله وجها ويدا قيل له ويبقى وجه ربك ذي الجلال والاكرام وقوله تعالى ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي فأثبت لنفسه وجها ويدا فان قال فما أنكرتم أن يكون وجهه ويده جارحة اذ كنتم لا تعقلون وجها ويداً الا جارحة قلنا لا يجب هذا كما لا يجب اذا لم نعقل حياً عالما قادرا الا جسما أن نقضي نحن وأنتم بذلك على الله سبحانه وكما لا يجب في كل شيء كان قائما بذاته أن يكون جوهرا لانا واياكم لا نجد قائما بنفسه في شاهدنا الا كذلك وكذلك الجواب لهم ان قالوا فيجب أن يكون علمه وحياته وكلامه وسمعه وبصره وسائر صفاته عرضا واعتلوا بالوجود

قال فان قال قائل أتقولون انه في كل مكان قيل له معاذ الله بل هو مستو على عرشه كما أخبر في كتابه فقال الرحمن على العرش استوى وقال تعالى اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه وقال تعالى

أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الارض فاذا هي تمور قال ولو كان فى
كل مكان لكان فى بطن الانسان وفمه والحشوش والمواضع التى يرغب عن
ذكرها ولوجب أن يزيد بزيادة الامكنة اذا خلق منها مالم يكن وينقص
بنقصانها اذا بطل منها ما كان ولصح أن نرغب اليه الي نحو الارض
والى خلفنا والي يميننا وشمالنا وهذا قد أجمع المسلمون على خلافه
وتخطئة قائله

وقال أيضا فى هذا الكتاب صفات ذاته التى لم يزل ولا يزال موصوفا
بها وهى الحياة والعلم والقدرة والسمع والبصر والكلام والارادة والبقاء
والوجه والعينان واليدان والغضب والرضا

وقال فى كتاب التمهيد كلاما أكثر من هذا وكلامه وكلام غيره
من المتكلمين في هذا الباب مثل هذا كثير لمن تطلبه وان كنا مستغنين
بالكتاب والسنة وآثار السلف عن كل كلام

وملاك الامر أن يهب الله للعبد حكمة وايمانا بحيث يكون له عقل
ودين حتى يفهم ويدين ثم نور الكتاب والسنة يغنيه عن كل شئ ولكن
كثير من الناس قد صار منتسبا الى بعض طوائف المتكلمين ومحسنا
للظن بهم دون غيرهم أومتوهما انهم حققوا فى هذا الباب مالم يحققه
غيرهم فلو أتى بكل آية ماتبعها حتى يؤتى بشئ من كلامهم ثم هم مع
هذا مخالفون لاسلافهم غير متبعين لهم فلو أنهم أخذوا بالهدى الذى
يجدونه في كلام اسلافهم لرجي لهم مع الصدق فى طلب الحق أن يزدادوا
هدى ومن كان لايقبل الحق الامن طائفة معينة ثم لايستمسك بماجاءته

به من الحق ففيه شبه من اليهود الذين قال الله فيهم وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقا لما معهم قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين فان اليهود قالوا لا نؤمن الا بما أنزل علينا قال الله لهم قل فلم قتلتم الانبياء من قبل ان كنتم مؤمنين بما أنزل عليهم يقول سبحانه لا لما جاءتكم به أنبياؤكم تتبعون ولا لما جاءكم به سائر الانبياء تتبعون ولكن انما تتبعون أهواءكم فهذا حال من لم يتبع الحق لا من طائفته ولا من غيرها مع كونه يتعصب لطائفة دون طائفة بلا برهان من الله ولا بيان

وكذلك قال أبو المعالى الجويني في كتاب الرسالة النظامية اختلف مسالك العلماء في هذه الظواهر فرأى بعضهم تأويلها والتزم ذلك في آى الكتاب وما يصح من السنن وذهب أئمة السلف الى الانكفاف عن التأويل واجراء الظواهر على مواردها وتفويض معانيها الى الرب قال والذى نرتضيه رأيا وندين الله به عقدا اتباع سلف الامة والدليل السمعي القاطع في ذلك ان اجماع الامة حجة متبعة وهو مستند معظم الشريعة وقد درج صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم على ترك التعرض لمعانيها ودرك مافيها وهم صفوة الاسلام والمستقلون باعباء الشريعة وكانوا لا يألون جهدا فى ضبط قواعد الملة والتواصى بحفظها وتعليم الناس مايحتاجون اليه منها فلو كان تأويل هذه الظواهر مسوغا أو محتوما لأوشك أن يكون اهتمامهم بها فوق اهتمامهم بفروع الشريعة واذا انصرم عصرهم وعصر التابعين على الاضراب عن التأويل

كان ذلك هو الوجه المتبع فحق على ذي الدين أن يعتقد تنزه الباري عن صفات المحدثين ولا يخوض في تأويل المشكلات ويكل معناها الى الرب فليجر آية الاستواء والمجيء وقوله لما خلقت بيدي ويبقى وجه ربك وقوله تجري بأعيننا وماصح من أخبار الرسول كخبر النزول وغيره على ماذكرناه

(قلت وليعلم السائل) ان الغرض من هذا الجواب ذكر ألفاظ بعض الأئمة في هذا الباب وليس كل من ذكرنا شيأ من قوله من المتكلمين وغيرهم نقول بجميع مايقوله في غير هذا ولكن الحق يقبل من كل من تكلم به

كان معاذ بن جبل رضي الله عنه يقول في كلامه المشهور عنه الذى رواه أبو داود في سننه اقبلوا الحق من كل من جاء به وان كان كافرا أو قال فاجرا واحذروا زيغة الحكيم قالوا كيف نعلم ان الكافر يقول الحق قال على الحق نور أوكلاما هذا معناه

فأما تقرير ذلك بالدليل واماطة مايعرض من الشبه وتحقيق الامر على وجه يخلص الى القلب مايبرد به من اليقين ويقف على مواقف اراء العباد في هذه المهامه فاتتسع له هذه الفتوى

وقد كتبت شيأ من ذلك قبل هذا وخاطبت ببعض ذلك بعض من يجالسنا وربما أكتب ان شاء الله في ذلك مايحصل به المقصود

وجماع الامر في ذلك ان الكتاب والسنة يحصل منهما كمال الهدى والنور لمن تدبر كتاب الله وسنة نبيه وقصد اتباع الحق وأعرض عن

تحريف الكلم عن مواضعه والالحاد فى أسماء الله وآياته ولايحسب الحاسب ان شيأ من ذلك يناقض بعضه بعضا البتة مثل أن يقول القائل مافي الكتاب والسنة من أن الله فوق العرش يخالفه في الظاهر قوله وهو معكم أينما كنتم وقول النبى صلي الله عليه وسلم اذاقام أحدكم الى الصلاة فان الله قبل وجهه ونحو ذلك فان هذا غلط وذلك ان الله معنا حقيقة وهو فوق العرش حقيقة كما جمع الله بينهما في قوله سبحانه وهو الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام ثم استوى علي العرش يعلم مايلج فى الارض ومايخرج منها وماينزل من السماء ومايعرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير فاخبر انه فوق العرش يعلم كل شئ وهو معنا أينما كنا كما قال النبى صلي الله عليه وسلم فى حديث الاوعال والله فوق العرش وهو يعلم ماأنتم عليه وذلك ان كلمة مع في اللغة اذا أطلقت فليس ظاهرها في اللغة الا المقارنة المطلقة من غير وجوب مماسة أومحاذاة عن يمين أوشمال فاذا قيدت بمعنى من المعانى دلت علي المقارنة في ذلك المعنى فانه يقال مازلنا نسير والقمر معنا أو والنجم معنا ويقال هذا المتاع معي لمجامعته لك وان كان فوق رأسك فالله مع خلقه حقيقة وهو فوق عرشه حقيقة ثم هذه المعية تختلف أحكامها بحسب الموارد فلما قال يعلم مايلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير دل ظاهر الخطاب على ان حكم هذه المعية ومقتضاها انه مطلع عليكم شهيد عليكم مهيمن عالم بكم وهذا معنى قول السلف انه معهم بعلمه وهذا ظاهر الخطاب

وحقيقته وكذلك فى قوله ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر الا هو معهم أينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة ولما قال النبى صلى الله عليه وسلم لصاحبه فى الغار لاتحزن ان الله معنا كان هذا أيضا حقا على ظاهره ودلت الحال على ان حكم المعية هنا مع الاطلاع النصر والتأييد وكذلك قوله ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون وكذلك قوله لموسى وهرون انني معكما أسمع وأرى *هنا المعية على ظاهرها وحكمها فى هذا الموطن النصر والتأييد وقد يدخل على صبى من يخيفه فيبكى فيشرف عليه أبوه من فوق السقف ويقول لاتخف انا معك أو أنا هنا أو أنا حاضر ونحو ذلك ينبهه على المعية الموجبة بحكم الحال دفع المكروه ففرق بين معنى المعية وبين مقتضاها وربما صار مقتضاها من معناها فيختلف باختلاف المواضع فلفظ المعية قد استعمل في الكتاب والسنة فى مواضع تقتضى في كل موضع أمورا لاتقتضيها في الموضع الآخر فاما أن تختلف دلالتها بحسب المواضع أو تدل على قدر مشترك بين جميع مواردها وان امتاز كل موضع بخاصيته فعلى التقديرين ليس مقتضاها أن تكون ذات الرب مختلطة بالخلق حتى يقال قد صرفت عن ظاهرها ونظيرها من بعض الوجوه الربوبية والعبودية فانها وان اشتركت فى أصل الربوبية والتعبيد فلما قال رب العالمين رب موسى وهرون كانت ربوبية موسى وهرون لها اختصاص زائد على الربوبية العامة للخلق فان من أعطاه الله من الكمال أكثر مما أعطى غيره فقد ربه ورباه ربوبية

وتربية أكمل من غيره وكذلك قوله عينا يشرب بها عباد الله وسبحان الذى أسرى بعبده ليلا

(فان العبد) تارة يعني به المعبد فيعم الخلق كما فى قوله ان كل من فى السموات والارض الا آت الرحمن عبدا وتارة يعنى به العابد فيخص ثم يختلفون فمن كان أعبد علما وحالا كانت عبوديته أكمل فكانت الاضافة فى حقه أكمل مع انها حقيقة فى جميع المواضع ومثل هذه الالفاظ فيسميها بعض الناس مشككة لتشكك المستمع فيها هل هى من قبيل الاسما المتواطئة أو من قبيل المشترك في اللفظ فقط والمحققون يعلمون انها ليست خارجة عن جنس المتواطئة اذ واضع اللغة انما وضع اللفظ بازاء القدر المشترك وان كانت نوعا مختصا من المتواطئة فلا بأس بتخصيصها بلفظ ومن علم ان المعية تضاف الي كل نوع من أنواع المخلوقات كاضافة الربوبية مثلا وان الاستواء على الشئ ليس الا للعرش وان الله يوصف بالعلو والفوقية الحقيقية ولا يوصف بالسفول ولا بالتحتية قط لا حقيقة ولا مجازاً علم ان القرآن على ماهو عليه من غير تحريف

ثم من توهم أن كون الله فى السماء بمعني ان السماء تحيط به وتحويه فهو كاذب ان نقله عن غيره وضال ان اعتقده في ربه وما سمعنا أحدا يفهمه من اللفظ ولا رأينا أحدا نقله عن أحد ولو سئل سائر المسلمين هل يفهمون من قول الله ورسوله ان الله في السماء ان السماء تحويه لبادر كل أحد منهم الي أن يقول هذا شئ لعله لم يخطر ببالنا واذا كان الامر هكذا فمن التكلف أن يجعل ظاهر اللفظ شيئا محالا ولا يفهمه

الناس منه ثم يريد أن يتأوله بل عند المسلمين ان الله فى السماء وهو على العرش واحد اذ السماء انما يراد به العلو فالمعنى ان الله فى العلو لا فى السفل

وقد علم المسلمون ان كرسيه سبحانه وسع السموات والارض وان الكرسى في العرش كحلقة ملقاة بارض فلاة وان العرش خلق من مخلوقات الله لا نسبة له الى قدرة الله سبحانه وعظمته فكيف يتوهم بعد هذا ان خلقا يحصره أو يحويه وقد قال سبحانه ولاصلبنكم في جذوع النخل وقال فسيروا في الارض بمعني على ونحو ذلك وهو كلام عربى حقيقة لا مجازاً وهذا يعلمه من عرف حقائق معانى الحروف وانها متواطئة في الغالب لا مشتركة وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم اذا قام أحدكم الى الصلاة فان الله قبل وجهه فلا يبصقن قبل وجهه الحديث حق على ظاهره وهو سبحانه فوق العرش وهو قبل وجه المصلى بل هذا الوصف يثبت للمخلوقات فان الانسان لو أنه يناجى السماء أو يناجى الشمس والقمر لكانت السماء والشمس والقمر فوقه وكانت أيضاً قبل وجهه

وقد ضرب النبى صلى الله عليه وسلم المثل بذلك ولله المثل الاعلى ولكن المقصود بالتمثيل بيان جواز هذا وامكانه لا تشبيه الخالق بالمخلوق فقال النبى صلى الله عليه وسلم مامنكم من أحد الا سيرى ربه مخلياً به فقال له أبو رزين العقيلى كيف يارسول الله وهو واحد ونحن جميع فقال له النبي صلى الله عليه وسلم سأنبئك بمثل ذلك فى آلاء الله هذا

القمر كلكم يراه مخليا به وهو آية من آيات الله فالله أكبر أو كما قال صلى الله عليه وسلم وقال انكم سترون ربكم كما ترون الشمس والقمر فشبه الرؤية بالرؤية وان لم يكن المرئى مشابها للمرئى فالمؤمنون اذا رأوا ربهم يوم القيامة وناجوه كل يراه فوقه قبل وجهه كما يرى الشمس والقمر ولا منافاة أصلا ومن كان له نصيب من المعرفة بالله والرسوخ فى العلم بالله يكون اقراره للكتاب والسنة على ماهما عليه أوكد

واعلم ان من المتأخرين من يقول مذهب السلف اقرارها على ماجاءت به مع اعتقاد ان ظاهرها غير مراد وهذا لفظ مجمل فان قوله ظاهرها غير مراد يحتمل انه أراد بالظاهر نعوت المخلوقين وصفات المحدثين مثل أن يراد بكون الله قبل وجه المصلى انه مستقر فى الحائط الذى يصلى اليه وان الله معنا ظاهره انه الى جانبنا ونحو ذلك فلاشك ان هذا غير مراد ومن قال ان مذهب السلف ان هذا غير مراد فقد أصاب في المعني لكن أخطأ فى اطلاق القول بان هذا ظاهر الآيات والاحاديث فان هذا المحال ليس هو الظاهر على ماقد بيناه فى غير هذا الموضع اللهم الا أن يكون هذا المعنى الممتنع صار يظهر لبعض الناس فيكون القائل لذلك مصيبا بهذا الاعتبار معذوراً في هذا الاطلاق فان الظهور والبطون قد يختلف باختلاف أحوال الناس وهو من الامور النسبية وكان أحسن من هذا أن يبين لمن اعتقد ان هذا هو الظاهر ان هذا ليس هو الظاهر حتى يكون قد أعطي كلام الله وكلام رسوله حقه لفظاً ومعنى وان كان الناقل عن السلف أراد بقوله الظاهر

غير مراد عندهم ان المعانى التى تظهر من هذه الآيات والاحاديث مما يليق بجلال الله وعظمته ولا تختص بصفة المخلوقين بل هى واجبة لله أو جائزة عليه جوازا ذهنيا أو جوازا خارجياً غير مراد فهذا قد أخطأ فيما نقله عن السلف أو تعمد الكذب فيما يمكن أحدا قط أن ينقل عن واحد من السلف مايدل لا نصا ولا ظاهراً انهم كانوا يعتقدون ان الله ليس فوق العرش ولا ان الله ليس له سمع ولا بصر ولا يد حقيقة

وقد رأيت هذا المعنى ينتحله بعض من يحكيه عن السلف ويقول ان طريقة أهل التأويل هي في الحقيقة طريقة السلف بمعنى ان الفريقين اتفقوا على ان هذه الآيات والاحاديث لم تدل على صفات الله سبحانه ولكن السلف أمسكوا عن تأويلها والمتأخرون رأوا المصلحة تأويلها لمسيس الحاجة الي ذلك ويقول الفرق ان هؤلاء قد يعينون المراد بالتأويل وأولئك لا يعينون لجواز ان يراد غيره وهذا القول على الاطلاق كذب صريح علي السلف أما في كثير من الصفات فقطعا مثل ان الله فوق العرش فان من تأمل كلام السلف المنقول عنهم الذى لم يحك هنا عشره علم بالاضطرار ان القوم كانوا مصرحين بان الله فوق العرش حقيقة وانهم مااعتقدوا خلاف هذا قط وكثير منهم قد صرح في كثير من الصفات بمثل ذلك

والله يعلم انى بعد البحث التام ومطالعة ماأمكن من كلام السلف مارأيت كلام أحد منهم يدل لا نصا ولا ظاهرا ولا بالقرائن علي نفى الصفات الخبرية فى نفس الامر بل الذى رأيته ان كثيراً من كلامهم

يدل اما نصاً واما ظاهراً على تقرير جنس هذه الصفات ولا أنقل عن كل واحد منهم اثبات كل صفة بل الذى رأيته انهم يثبتون جنسها فى الجملة وما رأيت أحداً منهم نفاها وانما ينفون التشبيه وينكرون على المشبهة الذين يشبهون الله بخلقه مع انكارهم على من ينفى الصفات أيضاً كقول نعيم بن حماد الخزاعى شيخ البخارى من شبه الله بخلقه فقد كفر

وليس ماوصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيها وكانوا اذا رأوا الرجل قد أغرق في نفى التشبيه من غير اثبات للصفات قالوا هذا جهمى معطل وهذا كثير جداً فى كلامهم فان الجهمية والمعتزلة الي اليوم يسمون من أثبت شيئا من الصفات مشبها كذبا منهم وافتراء حتي ان منهم من غلا ورمي الانبياء صلوات الله عليهم أجمعين بذلك حتى قال ثمامة بن الاشرس من رؤساء الجهمية ثلاثة من الانبياء مشبهة موسى حيث قال ان هي الا فتنتك وعيسي قال تعلم مافي نفسى ومحمد حيث قال ينزل ربنا وحتى ان جل المعتزلة يدخل عامة الائمة مثل مالك وأصحابه والثورى وأصحابه والاوزاعي وأصحابه والشافعى وأصحابه واسحاق بن راهويه وأبى عبيد وغيرهم فى قسم المشبهة

وقد صنف أبو اسحاق ابراهيم بن عثمان بن درباس الشافعى جزأ سماه تنزيه أئمة الشريعة عن الالقاب الشنيعة وذكر فيه كلام السلف وغيرهم في معانى هذه الالقاب وذكر ان أهل البدع كل صنف منهم يلقب أهل السنة بلقب افتراء يزعم انه صحيح على رأيه الفاسد كما ان

المشركين كانوا يلقبون النبي صلى الله عليه وسلم بالقاب افتروها فالروافض تسميهم نواصب والقدرية تسميهم مجبرة والمرجئة تسميهم شكاكا والجهمية تسميهم مشبهة وأهل الكلام يسمونهم حشوية ونوابت وغثاء وغثراً الى أمثال ذلك كما كانت قريش تسمى النبي صلى الله عليه وسلم تارة مجنونا وتارة شاعراً وتارة كاهناً وتارة مفتريا قالوا وهذا علامة الارث الصحيح والمتابعة التامة فان السنة هى ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتقادا واقتصاداً وقولا وعملا فكما ان المنحرفين عنه يسمونه باسماء مذمومة مكذوبة وان اعتقدوا صدقها بناء على عقيدتهم الفاسدة فكذلك التابعون له على بصيرة الذين هم أولى الناس به فى المحيا والممات باطنا وظاهراً أما الذين وافقوهم ببواطنهم وعجزوا عن اقامة الظواهر أو الذين وافقوه بظواهرهم وعجزوا عن تحقيق البواطن أو الذين وافقوه ظاهراً وباطناً بحسب الامكان لابد للمنحرفين عن سنة أن يعتقدوا فيهم نقصاً يذمونهم به ويسمونهم بأسماء مكذوبة وان اعتقدوا صدقها كقول الرافضى من لم يبغض أبا بكر وعمر فقد أبغض علياً لانه لاولاية لعلى الا بالبراءة منهما ثم يجعل من أحب أبا بكر وعمر ناصبيا بناء على هذه الملازمة الباطلة التى اعتقدها صحيحة أو عاند فيها وهو الغالب

وكقول القدري من اعتقد ان الله أراد الكائنات وخلق أفعال العباد فقد سلب العباد الاختيار والقدرة وجعلهم مجبورين كالجمادات وكقول الجهمى من قال ان الله فوق العرش فقد زعم أنه محصور وانه

جسم محدود وانه مشابه لخلقه وكقول الجهمية المعتزلة من قال ان لله علماً وقدرة فقد زعم أنه جسم وهو مشبه لان هذه الصفات أعراض والعرض لايقوم الا بجوهر متحيز وكل متحيز بجسم أو جوهر فرد

ومن حكي عن الناس المقالات وسماهم بهذه الاسماء المكذوبة بناء على عقيدته التي هم مخالفون له فيها فهو وربه أعلم والله من ورائه بالمرصاد ولا يحيق المكر السيء الا باهله

وجماع الامر ان الاقسام الممكنة فى آيات الصفات وأحاديثها ستة أقسام كل قسم عليه طائفة من أهل القبلة *قسمان يقولون تجرى على ظواهرها *وقسمان يقولون هي على خلاف ظاهرها *وقسمان يسكتون أما الاولون فقسمان أحدهما من يجريها على ظاهرها ويجعل ظاهرها من جنس صفات المخلوقين فهؤلاء المشبهة ومذهبهم باطل أنكره السلف واليه توجه الرد بالحق والثاني من يجريها على ظاهرها اللائق بجلال الله كما يجرى اسم العليم والقدير والرب والاله والموجود والذات ونحو ذلك على ظاهرها اللائق بجلال الله فان ظواهر هذه الصفات في حق المخلوق اما جوهر واما عرض فالعلم والقدرة والكلام والمشيئة والرحمة والرضا والغضب ونحو ذلك في حق العبد اعراض والوجه واليد والعين في حقه أجسام فاذا كان الله موصوفا عند عامة أهل الاثبات بأن له علماً وقدرة وكلاما ومشيئة وان لم يكن ذلك عرضاً يجوز عليه مايجوز على صفات المخلوقين جاز أن يكون وجه الله ويداه ليست أجساما يجوز عليها مايجوز على صفات المخلوقين وهذا هو المذهب الذى حكاه الخطابي وغيره عن السلف

وعليه يدل كلام جمهورهم وكلام الباقين لايخالفه وهو أمر واضح فان الصفات كالذات فكما ان ذات الله ثابتة حقيقة من غير أن تكون من جنس المخلوقات فمن قال لاأعقل علماً ويداً الا من جنس العلم واليد المعهودتين قيل له فكيف تعقل ذاتا من غير جنس ذوات المخلوقين

ومن المعلوم ان صفات كل موصوف تناسب ذاته وتلائم حقيقته فمن لم يفهم من صفات الرب الذى ليس كمثله شيء الا ماينسب المخلوق فقد ضل فى عقله ودينه وما أحسن ماقال بعضهم اذا قال الجهمى كيف استوى أو كيف ينزل الى سماء الدنيا أو كيف يداه ونحو ذلك فقل له كيف هو في نفسه فاذا قال لك لايعلم ماهو الا هو وكنه البارى غير معلوم للبشر فقل له والعلم بكيفية الصفة مسبوق بالعلم بكيفية الموصوف فكيف يمكن ان نعلم كيفية صفة لموصوف لم نعلم كيفيته وانما تعلم الذات والصفات من حيث الجملة على الوجه الذى ينبغى لك بل هذه المخلوقات فى الجنة قد ثبت عن ابن عباس انه قال ليس في الدنيا مما في الجنة الا الاسماء وقد أخبر الله أنه لاتعلم نفس ماأخفى لهم من قرة أعين وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم ان في الجنة مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فاذا كان نعيم الجنة وهو خلق من خلق الله كذلك فما الظن بالخالق سبحانه وتعالي وهذه الروح التي فى بني آدم قد علم العاقل اضطراب الناس فيها وامساك النصوص على بيان كيفيتها أفلا يعتبر العاقل بها عن الكلام في كيفية الله تعالى اما انا نقطع بان الروح في البدن وانها تخرج منه وتعرج الي السماء وانها تسيل منه وقت

النزوع كما نطقت بذلك النصوص الصحيحة لا نفسالي في تجريدها غلو المتفلسفة ومن وافقهم حيث نفوا عنها الصعود والنزول والاتصال بالبدن والانفصال عنه وتخبطوا فيها حيث رأوها من غير جنس البدن وصفاته فعدم مماثلتها للبدن لاينفى أن تكون هذه الصفات ثابتة لها بحسبها الا أن يفسروا كلامهم بما يوافق النصوص فيكونون قد أخطؤا في اللفظ وانى لهم بذلك

وأما القسمان اللذان ينفيان ظاهرها أعنى الذين يقولون ليس لها فى الباطن مدلول هو صفة لله تعالى قط وان الله لا صفة له ثبوتية بل صفاته اما سلبية واما اضافية واما مركبة منهما أو يثبتون بعض الصفات وهي الصفات السبعة أو الثمانية أو الخمسه عشر أو يثبتون الاحوال دون الصفات على ماقد عرف من مذاهب المتكلمين فهؤلاء قسمان قسم يؤولونها ويعينون المراد مثل قولهم استوى بمعنى استولى أو بمعنى علو المكانة والقدر أو بمعنى ظهور نوره للعرش أو بمعنى انتهى الخلق اليه الي غير ذلك من معانى المتكلمين وقسم يقولون الله أعلم ماأراد بها لكننا نعلم أنه لم يرد اثبات صفة خارجة عما علمناه

وأما القسمان الواقفان فقسم يقولون يجوز أن يكون المراد بظاهرها اللائق بالله ويجوز أن لايكون المراد صفة لله ونحو ذلك وهذه طريقة كثير من الفقهاء وغيرهم وقوم يمسكون عن هذا كله ولا يزيدون على تلاوة القرآن وقراءة الحديث معرضين بقلوبهم والسنتهم عن هذه التقديرات

فهذه الاقسام الستة لايمكن أن يخرج الرجل عن قسم منها

والصواب في كثير من آيات الصفات وأحاديثها القطع بالطريقة الثانية كالآيات والاحاديث الدالة على ان الله سبحانه فوق عرشه ونعلم أن طريقة الصواب في هذا وأمثاله بدلالة الكتاب والسنة والاجماع على ذلك دلالة لاتحتمل النقيض وفي بعضها قد يغلب علي الظن ذلك مع احتمال النقيض وتردد المؤمن فى ذلك هو بحسب مايؤتاه من العلم والايمان ومن لم يجعل الله له نوراً فماله من نور

ومن اشتبه عليه ذلك أو غيره فليدع بما رواه مسلم في صحيحه عن عائشة رضى الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قام من الليل يصلى يقول اللهم رب جبرائيل وميكائيل واسرافيل فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق باذنك انك تهدي من تشاء الى صراط مستقيم وفي رواية لابي داود انه كان يكبر فى صلاته ثم يقول ذلك فاذا افتقر العبد الي الله ودعاه وادمن النظر في كلام الله وكلام رسوله وكلام الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين انفتح له طريق الهدى

ثم ان كان قد خبر نهايات اقدام المتفلسفة والمتكلمين في هذا الباب وعرف غالب مايزعمونه برهانا وهو شبهة ورأي ان غالب مايعتمدونه يؤول الى دعوي لاحقيقة لها أو شبهة مركبة من قياس فاسد أوقضية كلية لاتصح الا جزئية أودعوى اجماع لاحقيقة له ثم ان ذلك اذا ركب

بألفاظ كثيرة طويلة غريبة عمن لم يعرف اصطلاحهم أوهمت الغر ما يوهمه السراب للعطشان ازداد ايمانا وعلماً بما جاء به الكتاب والسنة فان الضد يظهر حسنه الضد وكل من كان بالباطل أعلم كان للحق أشد تعظيماً وبقدره أعرف فاما المتوسط من المتكلمين فيخاف عليه مالا يخاف على من لم يدخل فيه وعلى من قد أنهاه نهايته فان من لم يدخل فيه هو فى عافية ومن أنهاه قد عرف الغاية فما بقى يخاف من شئ آخر فاذا ظهر له الحق وهو عطشان اليه قبله وأما المتوسط فمتوهم بما تلقاه من المقالات المأخوذة تقليداً المعظمة تهويلاً

وقد قال الناس أكثر مايفسد الدنيا نصف متكلم ونصف متفقه ونصف متطبب ونصف نحوى هذا يفسد الاديان وهذا يفسد البلدان وهذا يفسد الابدان وهذا يفسد اللسان

ومن علم ان المتكلمين من المتفلسفة وغيرهم هم في الغالب في قول مؤتفك يؤفك عنه من أفك يعلم الذكي منهم العاقل انه ليس هو فيما يقوله على بصيرة وان حجته ليست ببينة وانما هي كما قيل فيها

حجج تهافت كالزجاج تخالها * حقاً وكل كاسر مكسور

ويعلم العليم البصير أنهم من وجه مستحقون ماقال الشافعى رضى الله عنه حيث قال حكمى في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد والنعال ويطاف بهم فى القبائل والعشائر ويقال هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على الكلام

ومن وجه آخر اذا نظرت اليهم بعين القدر والحيرة مستولية

عليهم والشيطان مستحوذ عليهم رحمتهم ورفقت عليهم أوتوا ذكاء وما أوتوا زكاء وأعطوا فهوما وما أعطوا علوما وأعطوا سمعا وأبصاراً وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء اذ كانوا يجحدون بآيات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن

من كان عليما بهذه الامور تبين له بذلك حذق السلف وعلمهم وخبرتهم حيث حذروا عن الكلام ونهوا عنه وذموا أهله وعابوهم وعلم أن من ابتغي الهدي فى غير الكتاب والسنة لم يزداد الا بعداً

فنسأل الله العظيم أن يهدينا صراطه المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين آمين والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليماً كثيراً مباركاً الى يوم الدين

﴿ تمت الرسالة الحادية عشر ﴾

(ويليها الرسالة الثانية عشر)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ سئل شيخ الاسلام تقى الدين بن تيمية رضى الله عنه ﴾

ماتقول السادة العلماء أئمة الدين وفقهم الله لطاعته فيمن يقول لايستغاث برسول الله صلى الله عليه وسلم هل يحرم عليه هذا القول وهل هو كفر أم لا وان استدل بآيات من كتاب الله وأحاديث رسوله صلى الله عليه وسلم هل ينفعه دليله أم لا واذا قام الدليل من الكتاب والسنة فما يجب على من يخالف ذلك أفتونا مأجورين * الجواب *

الحمد لله * قد ثبت بالسنة المستفيضة بل المتواترة واتفاق الامة ان نبينا صلى الله عليه وسلم الشافع المشفع وانه يشفع فى الخلائق يوم القيامة وان الناس يستشفعون به يطلبون منه أن يشفع لهم الي ربهم وانه يشفع لهم

ثم اتفق أهل السنة والجماعة انه يشفع في أهل الكبائر وانه لايخلد فى النار من أهل التوحيد أحد

وأما الخوارج والمعتزلة فانكروا شفاعته لاهل الكبائر ولم ينكروا شفاعته للمؤمنين وهؤلاء مبتدعة ضلال وفي تكفيرهم نزاع وتفصيل وأما من أنكر ماثبت بالتواتر والاجماع فهو كافر بعد قيام الحجة وسواء سمى هذا المعنى استغاثة أولم يسمه وأما من أقر بشفاعته وأنكر ما كان الصحابة يفعلونه من التوسل به والاستشفاع به كما رواه البخاري في صحيحه عن أنس أن عمر بن الخطاب كان اذا قحطوا استسقي بالعباس ابن عبدالمطلب وقال اللهم انا كنا نتوسل اليك بنبينا فتسقينا وانا نتوسل

اليك بعم نبينا فاسقنا فيسقون وفي سنن أبي داود وغيره ان اعرابيا قال للنبي صلى الله عليه وسلم جهدت الانفس وجاع العيال وهلك المال فادع الله لنا فانا نستشفع بك على الله ونستشفع بالله عليك فسبح رسول الله صلى الله عليه وسلم حتي عرف ذلك في وجوه أصحابه وقال ويحك ان الله لا يستشفع به على أحد من خلقه شأن الله أعظم من ذلك وذكر تمام الحديث فانكر قوله نستشفع بالله عليك ولم ينكر قوله نستشفع بك على الله بل أقره عليه فعلم جوازه فمن أنكر هذا فهو ضال مخطئ مبتدع وفى تكفيره نزاع وتفصيل

وأما من أقر بما ثبت بالكتاب والسنة والاجماع من شفاعته والتوسل به ونحو ذلك ولكن قال لايدعى الا الله وان الامور التى لايقدر عليها الا الله فلا تطلب الا منه مثل غفران الذنوب وهداية القلوب وانزال المطر وانبات النبات ونحو ذلك فهذا مصيب في ذلك بل هذا مما لانزاع فيه بين المسلمين أيضاً كما قال تعالي ومن يغفر الذنوب الا الله وقال انك لاتهدي من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء وكما قال تعالي يأيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والارض وكما قال تعالى وما جعله الله الا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر الا من عند الله وقال الا تنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين اذ هما فى الغار اذ يقول لصاحبه لاتحزن ان الله معنا

فالمعاني الثابتة بالكتاب والسنة يجب اثباتها والمعانى المنفية بالكتاب

والسنة يجب نفيها والعبارة الدالة على المعاني نفيا واثباتا ان وجدت في كلام الله ورسوله وجب اقرارها وان وجدت في كلام أحد وظهر مراده من ذلك رتب عليه حكمه والا رجع فيه اليه وقد يكون فى كلام الله ورسوله عبارة لها معنى صحيح لكن بعض الناس يفهم من تلك غير مراد الله ورسوله فهذا يرد عليه فهمه كما روى الطبراني فى معجمه الكبير انه كان فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم منافق يؤذى المؤمنين فقال أبو بكر الصديق قوموا بنا لنستغيث برسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا المنافق فقال النبي صلى الله عليه وسلم انه لا يستغاث بي وانما يستغاث بالله فهذا انما أراد به النبي صلى الله عليه وسلم المعني الثانى وهو ان يطلب منه مالا يقدر عليه الا الله والا فالصحابة كانوا يطلبون منه الدعاء ويستسقون به كما فى صحيح البخارى عن ابن عمر قل ربما ذكرت قول الشاعر وأنا أنظر الى وجه النبى صلى الله عليه وسلم يستسقى فما ينزل حتي يجيش له ميزاب

وابيض يستسقي الغمام بوجهه * ثمال اليتامي عصمة للأرامل

وهو قول أبي طالب ولهذا قال العلماء المصنفون فى أسماء الله تعالى يجب على كل مكلف أن يعلم أن لا غياث ولا مغيث على الاطلاق الا الله وان كل غوث فمن عنده وان كان جعل ذلك على يدى غيره فالحقيقة له سبحانه وتعالي ولغيره مجاز

قالوا من أسمائه تعالى المغيث والغياث وجاء ذكر المغيث في حديث أبي هريرة قالوا واجتمعت الامة على ذلك

وقال أبو عبد الله الحليمى الغياث هو المغيث وأكثر مايقال غياث المستغيثين ومعناه المدرك عباده فى الشدائد اذا دعوه ومجيبهم ومخلصهم وفى خبر الاستسقاء في الصحيحين اللهم أغثنا اللهم أغثنا يقال اغاثة اغاثة وغياثا وغوثا وهذا الاسم في معنى المجيب والمستجيب قال تعالى اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم الا أن الاغاثة أحق بالافعال والاستجابة أحق بالاقوال وقد يقع كل منهما موقع الآخر قالوا الفرق بين المستغيث والداعي ان المستغيث ينادى بالغوث والداعى ينادى بالمدعو والمغيث وهذا فيه نظر فان من صيغة الاستغاثة يالله للمسلمين وقد روى عن معروف الكرخى انه كان يكثر أن يقول واغوثا ويقول انى سمعت الله يقول اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم وفي الدعاء المأثور ياحى ياقيوم لااله الا أنت برحمتك أستغيث أصلح لى شأنى كله ولاتكلني الي نفسى طرفة عين ولا الى أحد من خلقك

والاستغاثة برحمته استغاثة به في الحقيقة كما ان الاستعاذة بصفاته استعاذة به فى الحقيقة وكما ان القسم بصفاته قسم به في الحقيقة ففى الحديث أعوذ بكلمات الله التامة من شر ماخلق وفيه أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وبك منك لاأحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك

ولهذا استدل الائمة فيما استدلوا على ان كلام الله غير مخلوق بقوله أعوذ بكلمات الله التامة قالوا والاستعاذة لاتصلح بالمخلوق

وكذلك القسم قد ثبت في الصحيحين أن النبى صلى الله عليه وسلم

قال من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت وفي لفظ من حلف بغير الله فقد أشرك رواه الترمذى وصححه ثم قد ثبت في الصحيح الحلف بعزة الله ولعمر الله ونحو ذلك مما اتفق المسلمون على انه ليس من الحالف بغير الله الذى نهى عنه والاستغاثة بمعنى أن يطلب من الرسول ماهو اللائق بمنصبه لاينازع فيها مسلم ومن نازع في هذا المعنى فهو اما كافر ان أنكر مايكفر به واما مخطيء ضال

وأما بالمعنى الذى نفاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو أيضاً مما يجب نفيها ومن أثبت لغير الله مالا يكون الا لله فهو أيضاً كافر اذا قامت عليه الحجة التى يكفر تاركها

ومن هذا الباب قول أبي يزيد البسطامى استغاثة المخلوق بالمخلوق كاستغاثة الغريق بالغريق وقول الشيخ أبى عبد الله القرشي المشهور بالديار المصرية استغاثة المخلوق بالمخلوق كاستغاثة المسجون بالمسجون

وفي دعاء موسى عليه السلام اللهم لك الحمد واليك المشتكى وأنت المستعان وبك المستغاث وعليك التكلان ولاحول ولا قوة الا بك ولما كان هذا المعنى هو المفهوم منها عند الاطلاق وكان مختصاً بالله صح اطلاق نفيه عما سواه ولهذا لايعرف عن أحد من أئمة المسلمين انه جوز مطلق الاستغاثة بغير الله ولا أنكر على من نفى مطلق الاستغاثة عن غير الله

وكذلك الاستغاثة أيضاً فيها مالا يصلح الا لله وهي المشار اليها بقوله اياك نعبد واياك نستعين فانه لايعين على العبادة الاعانة المطلقة الا الله

وقد يستعان بالمخلوق فيما يقدر عليه وكذلك الاستنصار قال الله تعالى وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر والنصر المطلق هو خلق مابه يغلب العدو ولا يقدر عليه الا الله

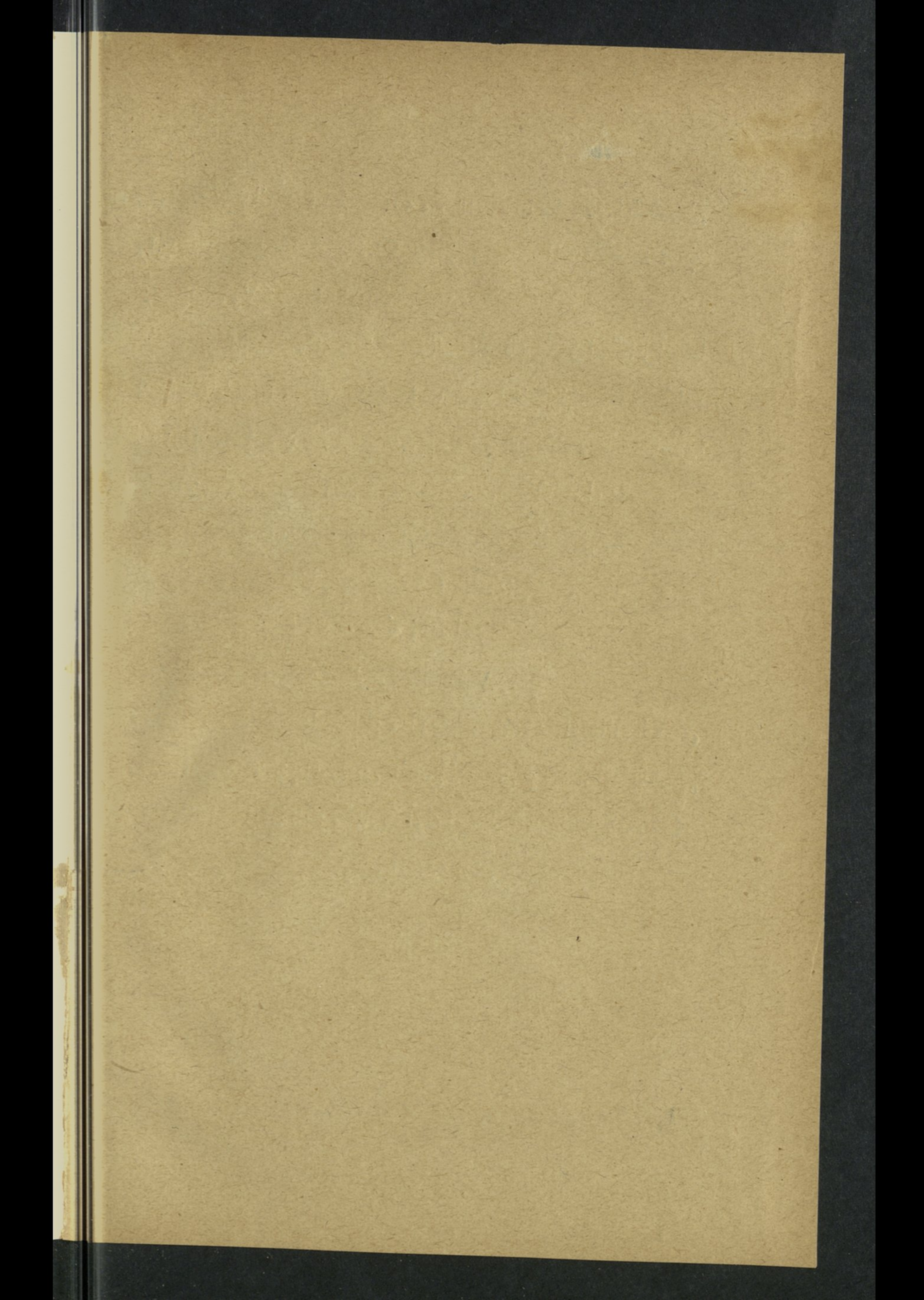
ومن خالف ماثبت بالكتاب والسنة فانه يكون اما كافراً واما فاسقا واما عاصياً الا أن يكون مؤمناً مجتهداً مخطئاً فيثاب على اجتهاده ويغفر له خطؤه وكذلك ان كان لم يبلغه العلم الذى تقوم عليه به الحجة فان الله يقول وما كنا معذبين حتي نبعث رسولا وأما اذا قامت عليه الحجة الثابتة بالكتاب والسنة فخالفها فانه يعاقب بحسب ذلك اما بالقتل واما بدونه والله أعلم

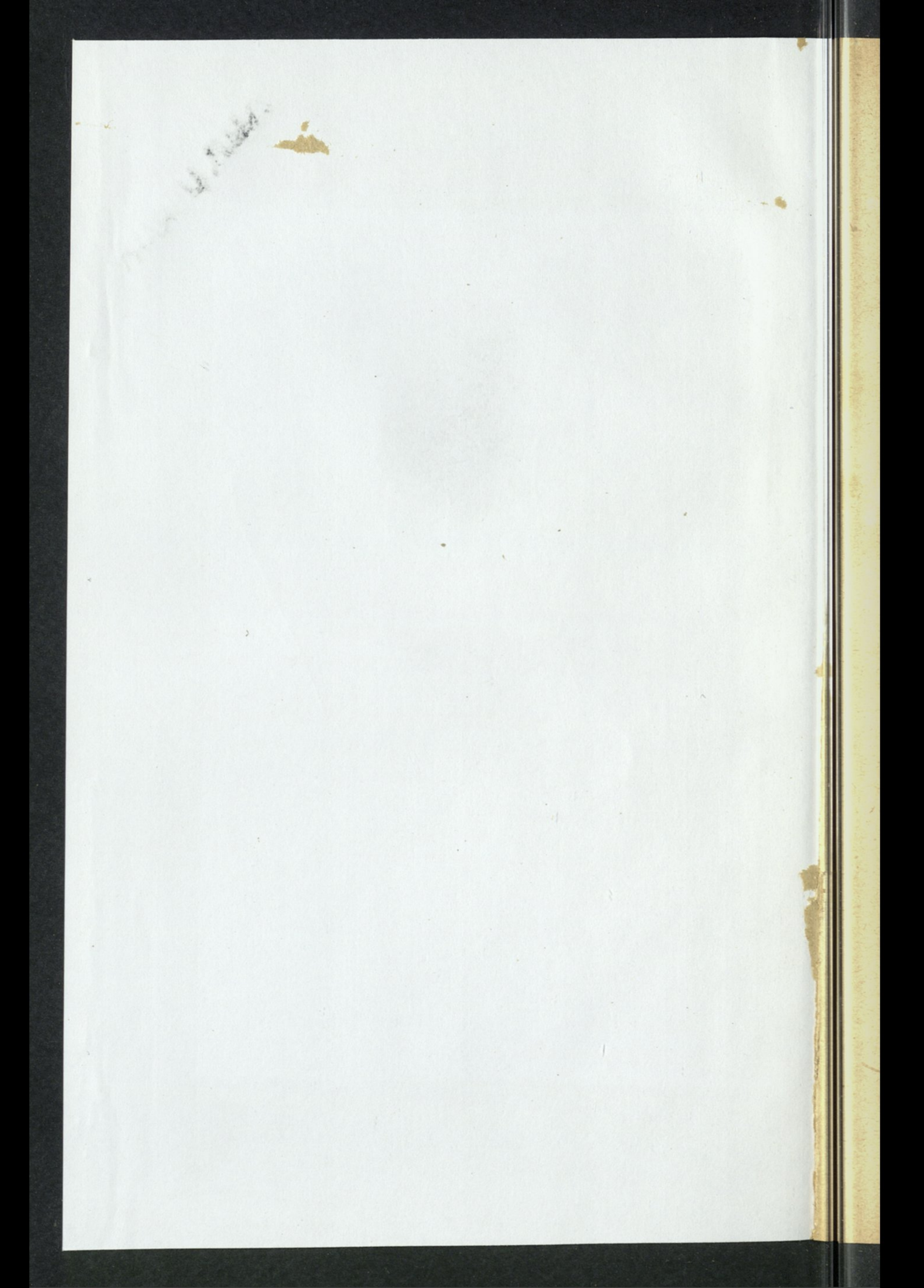
﴿ تمت الرسالة الثانية عشر ﴾

وبتمامها تم ولله الحمد طبع الجزء الاول من مجموعة الرسائل الكبرى لشيخ الاسلام تقى الدين أبي العباس أحمد بن تيمية الحراني الدمشقي

(ويليه ان شاء الله الجزء الثانى وأوله الرسالة الثالثة عشر المسماة)

﴿ بالاكليل فى المتشابه والتأويل ﴾





DATE DUE

